

الروض الالاف

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

الجزء الثاني

١٤١٠ - ١٩٩٠ م

الروضُ الألف

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

للإمام المحدث عبد الرحمن السهيلي

٥٠٨ - ٥٨١ هـ

ومعه

السيرة النبوية للإمام ابن هشام

المنوفي ٢١٨ هـ

الجزء الثاني

تحقيق وتعليق وشرح

عبد الرحمن الوكيل

توزيع

بمكتب العالم بحيرة

حي الشجر

ث ١٤٠١٧٧٨٦

الناشر

مكتبة ابن تيمية

القاهرة ١٠٤٢٤٨٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، وسيد ولد آدم أجمعين ،
محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الذين اهتدوا بهديه إلى يوم الدين .

« أما بعد » فباسم الله نقدم الجزء الثاني من « الروض الأنف » للسهيلى
والسيرة النبوية لابن هشام ، سائلين الله أن يعين على التمام ، وأن يجعل عملنا
هذا صالحاً عنده . إنه سميع مجيب .

القاهرة — حلوان — مدينة الزهراء

١٩ من رمضان سنة ١٣٨٧

٢٠ من ديسمبر سنة ١٩٦٧

عبد الرحمن الوكيل

« أمهات رسول الله صلى الله عليه وسلم » :

قال ابن هشام : فولد عبدُ الله بنُ عبد المطلب رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم -
سَيِّدَ ولدِ آدمَ ، محمدَ بنَ عبد الله بن عبد المطلب ، صلواتُ الله وسلامه ورحمته
وبركاته عليه وعلى آله . وأمه : آمنَةُ بنتُ وهب بن عبد مناف بن زُهرة بن
كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأُمها : بَرّة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قُصَيّ بن كِلاب
ابن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأُم بَرّة : أُم حَبِيب بنت أسد بن عبد العزى بن قُصَيّ بن كِلاب بن
مُرّة بن كعب بن لُؤيّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

وأُم أم حَبِيب : بَرّة بنت عَوْف بن عُبَيْد بن عُويج بن عدى بن كعب
ابن لُؤيّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

قال ابن هشام : فرسول الله - صلى الله عليه وسلم - أشرفُ ولدِ آدمَ
حسباً ، وأفضلهم نسباً من قَبْلِ أبيه ، وأمه صلى الله عليه وسلم .

« حديث مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

إشارة إلى ذكر احتفار زمزم : قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال :
وكان من حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما حدثنا به زياد بن عبد الله
البكائي ، عن محمد بن إسحاق المِطْلَبِي : بينما عبد المطلب بن هاشم نائمٌ في الحجر ،
إذ أتته ، فَأَمِرَ بِحَفْرِ زَمَزَمَ ، وهى دَفْنٌ بين صَنْمَى قُرَيْشٍ : إِسَافٍ وَنَائِلَةٍ ، عند

مَنْحَر قَرِيش . وَكَانَتْ جُرْهُم دَفَنْتَهَا حِينَ ظَعَنُوا مِنْ مَكَّةَ ، وَهِيَ : بَثْرُ إِسْمَاعِيلَ
ابْنِ إِبْرَاهِيمَ — عَلَيْهِمَا السَّلَامُ — الَّتِي سَقَاهُ اللَّهُ حِينَ ظَمِئُ وَهُوَ صَغِيرٌ ، فَالْتَمَسَتْ لَهُ
أُمُّهُ مَاءً فَلَمْ تَجِدْهُ ، فَقَامَتْ إِلَى الصَّافَا تَدْعُو اللَّهَ ، وَتَسْتَغِيثُهُ لِإِسْمَاعِيلَ ، ثُمَّ أَتَتْ
الْمَرْوَةَ فَنَمَعَتْ مِثْلَ ذَلِكَ . وَبَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَهَمَزَ لَهُ بِمَقْبِهِ
فِي الْأَرْضِ ، فَظَهَرَ الْمَاءُ ، وَسَمِعَتْ أُمُّهُ أَصْوَاتَ السَّبَاعِ نَخَافَتُهَا عَلَيْهِ ، فَجَاءَتْ
تَشْتَدُّ نَحْوَهُ ، فَوَجَدَتْهُ يَفْحَصُ بِيَدِهِ عَنِ الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ حَذِّهِ وَيَشْرَبُ ، فَجَعَلَتْهُ
حَسِيًّا [الْحَسَى : الْحَفِيرَةُ الصَّغِيرَةُ] .

أمر جرهم ، ودفن زمزم

قال ابن هشام : وَكَانَ مِنْ حَدِيثِ جُرْهُمَ ، وَدَفْنِهَا زَمْزَمَ ، وَخُرُوجِهَا
مِنْ مَكَّةَ ، وَمَنْ وَلِيَ أَمْرَ مَكَّةَ بَعْدَهَا إِلَى أَنْ حَفَرَ عَبْدُ الْمَطْلِبِ زَمْزَمَ ، مَا حَدَّثَنَا بِهِ
زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَكَّائِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ الْمُطَّلِبِيِّ ، قَالَ : لَمَّا تَوَفَّى إِسْمَاعِيلَ
ابْنُ إِبْرَاهِيمَ وَلِيَ الْبَيْتَ بَعْدَهُ ابْنُهُ نَابِتُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ — مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَلِيَهُ — ثُمَّ
وَلِيَ الْبَيْتَ بَعْدَهُ : مُضَاضُ بْنُ عَمْرِو الْجَرْهُمِيِّ :

(باب مولد النبي صلى الله عليه وسلم)

ذَكَرَ نَسَبَ أُمِّهِ آمَنَةَ بِنْتِ وَهَبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ زُهْرَةَ ، وَأَنَّ زُهْرَةَ
هُوَ : ابْنُ كَلَابِ ، وَفِي الْمَعَارِفِ لِابْنِ قَتِيبَةَ : أَنَّ زُهْرَةَ اسْمُ امْرَأَةٍ عُرِفَ بِهَا بَنُو
زُهْرَةَ ، وَهَذَا مُنْكَرٌ غَيْرٌ مَعْرُوفٌ ، وَإِنَّمَا هُوَ اسْمُ جَدِّهِمْ — كَمَا قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ
وَالزُّهْرَةُ فِي اللُّغَةِ : إِشْرَاقٌ فِي اللَّوْنِ ، أَيْ لَوْنٍ كَانَ مِنْ بَيَاضٍ أَوْ غَيْرِهِ ، وَزَعَمَ
بَعْضُهُمْ أَنَّ الْأَزْهَرَ هُوَ الْأَبْيَضُ خَاصَّةً ، وَأَنَّ الزَّهْرَ اسْمٌ لِلْأَبْيَضِ مِنَ الثَّوَارِ ،

قال ابن هشام : ويقال : مضاض بن عمرو الجرهمي .

قال ابن إسحاق : وبنو إسماعيل ، وبنو نابت مع جدّهم : مضاض بن عمرو وأخوالهم من جرّهم ، وجرّهم وقطّوراء يومئذ أهل مكة ، وهما ابنا عمّ ، وكانا طعنا من اليمن ، فأقبلا سيّارة ، وعلى جرّهم : مضاض بن عمرو ، وعلى قطّوراء : السّميدع رجلٌ منهم . وكانوا إذا خرجوا من اليمن لم يخرجوا إلا ولهم ملكٌ يُقيم أمرهم . فلما نزلا مكة رأيا بلداً ذا ماء وشجرٍ ، فأعجبهما فنزلا به . فنزل مضاض بن عمرو بمنّ معه من جرّهم بأعلى مكة بقُعَيْقِيقان ، فما حاز . ونزل السّميدع بقطّوراء ، أسفل مكة بأجباد ، فما حاز . فكان مضاض يعشُر من دخل مكة من أعلاها ، وكان السّميدع يعشُر من دخل مكة من أسفلها ، وكلّ في قومه لا يدخل واحدٌ منهما على صاحبه . ثم إن جرّهم وقطّوراء بغى بعضهم

وخطأ أبو حنيفة من قال بهذا القول ، وقال : إنما الزُّهرة إشراق في الألوان كلها ، وأنشد في نور الخوذان ، وهو أصفر :

تري زهر الخوذان حول رياضه يضيء كلكون الاتحيمي المورس (١)

وفي حديث يوم أحد : نظرت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعيناه تُزهران تحت المغفر .

(١) الخوذان : نبات عشبي من ذوات الفلقتين . منه أنواع يزرع لزهرها ، وأخرى تنبت بريّة ، ويقال : تحم الثوب : وشاه ، والاتحيمي والاتحمية ، والمتشحمة - بضم الميم وسكون التاء وفتح الحاء ، أو بفتح التاء وتضعيف الحاء مع فتح - بُودمه . وورس الثوب : صبغه بالورس ، وهو نبت من الفصيلة البقلية ، وهي شجرة ثمرها قرن مغطى عند نضجه بغدد حمراء ، كما يوجد عليه زغب قليل يستعمل لتلوين الملابس الحريرية لا حتوائه على مادة حمراء .

على بعض ، وتنافسوا الملك بها ، ومع مُضاض يومئذ : بنو إسماعيل وبنونات ،
 وإليه ولاية البيت دون السَّمِيدَع . فسار بعضهم إلى بعض ، فخرج مُضاض
 ابن عمرو من قُعَيْقَعَان في كَتِيبَتِه سائرا إلى السَّمِيدَع ، ومع كَتِيبَتِه عُدَّتُهَا من
 الرِّمَاح والدَّرَق والسُّيُوف والجِجَار ، يُقَعِّعُ بذلك معه ، فيقال : مَأْسَى قُعَيْقَعَان
 بقُعَيْقَعَان إِلَّا لَذَلِكَ . وخرج السَّمِيدَع من أجياد ، ومعه الخيل والرجال ، فيقال :
 ما سَمَى أجياد : أجياداً إِلَّا لخروج الجياد من الخيل مع السَّمِيدَع منه . فَالْتَقَوْا
 بفَضِيح ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتل السَّمِيدَع ، وفُضِحت قطوراء . فيقال :
 ما سَمَى فَضِيح فَاضِحاً إِلَّا لَذَلِكَ . ثم إن القوم تَدَاعَوْا إلى الصَّلاح ، فساروا حتى
 نزلوا المَطَايِخ : شِعْباً بأعلى مكة ، واصطلحوا به ، وأسلموا الأمر إلى مُضاض .
 فلما جُمع إليه أمر مكة ، فصار مُلْكُهَا لَهُ تَحَرَ للناس فأطعمهم ، فأطَبَّخ الناسُ
 وأَكَلُوا ، فيقال : ما سُمِّيت المَطَايِخ : المَطَايِخ إِلَّا لَذَلِكَ . وبعضُ أهل العلم يزعمُ
 أنها إِنَّمَا سُمِّيت المَطَايِخ ، لِمَا كَانَ تُبْعَ نَحْرُهَا ، وأطعم ، وكانت منزلته ، فكان
 الذي كان بين مُضاض والسَّمِيدَع أولَ بَغْيٍ كان بمكة فيما يزعمون .

ثم نشر الله وَلَدَ إسماعيل بمكة ، وأخوالهم من جُرْهُم ولاية البيت والحكام
 بمكة ، لا يَنَازِعُهُمْ وَلَدَ إسماعيل في ذلك لِحُثُولَتِهِمْ وَقَرَابَتِهِمْ ، وإعظاماً للاحْزَمَةِ
 أن يكون بها بَغْيٌ أو قتال . فلما ضاقت مكة على وَلَدَ إسماعيل انتشروا
 في البلاد ، فلا يَنَاقِشُونَ قوماً إِلَّا أَظْهَرَهُمُ اللهُ عَلَيْهِمْ بَدِينَهُمْ قَوِّطُوهُمْ .

رزمزم : وذكر فيه خبر إسماعيل ، وأمّه ، وقد تقدم طرف منه . وذكر أن
 جبريل - عليه السلام - هَمَزَ بعقبه في موضع رزمزم ، فنبع الماء ، وكذلك رزمزم

استيلاء كنانة وخزاعة على البيت ونفي جرهم

« بنو بكر يطردون جرهما »

ثم إن جرهما بَغَوْا بِمَكَّةَ ، واستحلُّوا خِلَالَها مِنَ الحَرَمَةِ ، فظالموا مَنْ دخلها من غير أهلها ، وأكلوا مال الكعبة الذي يَهْدَى لها ، فرقَّ أمرهم . فلما رأَت بنو بَكْر بن عَبْد مَنَاة بن كِنانة ، وَغُبْشان من خُزاعة ذلك ، أجمعوا لحربهم وإخراجهم من مكة . فآذَنوهم بالحرب فاقتتلوا ، فغلبتهم بنو بَكْر وَغُبْشان ، فنَفَوْهم من مكة . وكانت مكة في الجاهليَّة لا تُقَرَّ فيها ظُلْما ولا بَغْيا ، ولا يَبْغى فيها أحد إلا أخرجته ، فكانت تسمى : النَّاسَةُ ، ولا يريدُها ملك يستحلُّ حُرْمَتها إلا هلك مكانه ، فيقال : إنها ما سَمِيت بِبَكَّةَ إلا أنها كانت تُبَكُّ أعناق الجبابرة إذا أُهْدِنوا فيها شيئا .

قال ابن هشام : أخبرني أبو عُبَيْدة : أن بكَّة اسم لبطن مكة ؛ لأنهم يَتَبَاكُون فيها ، أي : يزدحون ، وأنشدني :

إذا الشَّرِيبُ أَخَذَتْهُ أَكَّةٌ فَخَلَّه حَتَّى يَبُكَّ بَكَّةً

أي : فدَعَه حَتَّى يَبُكَّ إِبِلَهُ ، أي يُخَلِّئُها إلى الماء ، فتردحم عليه ، وهو موضع البيت والمسجد . وهذان البيتان لعامان بن كعب بن عمرو بن سَعْد بن زيد مناة بن تميم .

تسمى : هَمْزَة جَبْرِيلَ بِتَقْدِيمِ الميمِ على الزاي ، ويقال فيها أيضا : هَزْمَة جَبْرِيلَ ، لأنها هَزْمَة (١) في الأرض ، وحكى في اسمها : زُمَازِمُ وزَمَزَمَ . حكى ذلك عن المطرِز ، وتسمى أيضا : طَعَامُ طُعْمٍ ، وَشِفَاءُ سُقْمٍ . وقال الجُرْجَنِيُّ : سميت :

(١) في النهاية لابن الأثير : الهزمة : النقرة في الصدر ، وفي التفاحة إذا غمزتها بيدك : وهزمت البئر إذا حفرتها .

قال ابن إسحاق : نخرج عمرو بن الحارث بن مُضاض الجرهيمى بغزالي الكعبة وبجحر الركن ، فدفعهما فى زمزم ، وانطلق هو ومن معه من جرهم إلى اليمن ، فحزنوا على ما فارقوا من أمر مكة وملئها حزنا شديداً ، فقال عمرو ابن الحارث بن مُضاض فى ذلك ، وليس بمُضاض الأكبر :

وقد شَرِقتُ بالدمع منها المَحَاجِرُ	وقائلة والدمعُ سَكَبُ مُبَادِرُ
أُنِيسٌ ولم يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سامرُ	كأن لم يكن بين الحَجُوجِ إِلَى الصَّفا
يُدْجِلِجُهُ بين الجناحين طائرُ	فقلتُ لها والقلبُ مَنَى كَأَمَّا
صُرُوفُ اللَّيالى ، والجُدود العواثرُ	بلى نحن كُنَّا أَهْلُها ، فأزالنا
نطوفُ بِذاك البيت ، والخيرُ ظاهرُ	وكُنَّا وَلاءَ البيت من بعد نابتِ
بغزٍّ ، فَبَا يَحْطِى لَدِينا المَكاثِرُ	ونحن وَلِينا البيت من بعد نابتِ
فليس لَحى غَيْرنا ثُمَّ فَاخِرُ	ما كُنَّا فَعَزَّزْنا فَأَعْظَمَ بِمَلَكنا
فأَبناؤُه مَنَّا ، ونحن الأَصاهرُ	ألم تُنْكَحوا من خير شَخْصِ عَلمته
فإنَّ لها حَالا ، وفيها المَشاجِرُ	فإنَّ تَنْتَنَ الدُّنْيا عَليْنا بِجَاحِها
كَذلك - يا لَناس - تَجْرى المَناذرُ	فأخْرَجَنا مِنْها المَلِيكُ بِقُدْرَة
أذا العرش : لا يَبْعَدُ سُهَيْل وعامِرُ	أقولُ إذا نام الخَلَى ، ولم أُنم
قَبائِلُ مِنْها حِمْيَرٌ وَيَحْجِبُ	وبُدِّلَتْ مِنْها أَوْجُها لا أَحَبُّها

زمزم ، زِمَزَمَةَ المَاءِ ، وهى صوته ، وقال المسعودى : سُمِّيتْ زمزم ؛ لأنَّ الفُرسَ كانت تَحْجِجُ إِلَيْها فى الزَّمنِ الأوَّلِ ، فَزَمَزَمَتْ عَلَيْها . والزَّمَزَمَةُ : صوتُ يُخْرِجُه الفُرسُ مِنْ خِياشِيمِها عَند شَرَبِ المَاءِ . وقد كَتَبَ عَمْرٌ - رَضِيَ اللهُ عَنْه - إِلَى عَمالِه : أنْ اُنْهَوْ الفُرسَ عَنِ الزَّمَزَمَةِ ، وَأَنْشُدِ المَسْعُودى :

وصرنا أحاديثا وكُنّا بغبطةٍ بذلك عَصَتْنَا السَّنُونُ الغوابر
فسحّت دموعُ العين تَبْكِي لِبَلَدَةٍ بها حَرَمٌ أَمْنٌ ، وفيها الشاعر
وتبكي لبيتٍ ليس يُؤذَى حمامُه يظلّ به أَمْنًا ، وفيه العَصَافِر
وفيه وحوش - لا تُرام - أنيسة إذا خرجت منه ، فليست تُغادر

قال ابن هشام : « فأبناؤه منا » ، عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال عمرو بن الحارث أيضا يذكر بكرًا وغُبْشَان ،
وساكنى مكة الذين خَلَفُوا فيها بعدهم :

يأيها الناس سِيرُوا إن قَصَرَ كَم أن تُصْبِحُوا ذات يوم لا تَسِيرُونَا
حُشُوا المَطْيَى ، وأَرْخُوا من أَرْمَتَهَا قبل المات ، وقَضُوا ما تُقَضُونَا
كُنّا أناسا كما كنتم ، ففَيَّرْنَا دهرٌ ، فأنتم كما كُنّا تَكُونُونَا

قال ابن هشام : هذا ما صحّ له منها . وحدثني بعضُ أهل العلم بالشعر :
أن هذه الأبيات أولُ شعر قيل في العرب ، وأنها وُجِدَتْ مكتوبة في حَجَرٍ
بالبين ، ولم يُسمَّ لى قائلها .

زَمَزَمَتِ الْفُرْسُ عَلَى زَمَزَمٍ وَذَلِكَ فِي سَالِفِهَا الْأَقْدَمِ (١)

(١) الزمزمة أيضاً : تراطن الفرس على أكلهم ، وهم صُمُوت لا يستعملون اللسان
ولا الشفة ، لكنه صوت تديره في خياشيمهم وحلقهم ، فيفهم بعضهم عن بعض .
والبيت في ص ٢٤٢ ج ١ المسعودى . ونص قول المسعودى : « كانت أسلاف
الفرس تقصد البيت الحرام ، وتطوف به تعظيماً له ، ولجدها إبراهيم عليه السلام
وتمسكاً بهديه ، وحفظاً لأنسابها ، وكان آخر من حج منهم : ساسان بن بابك . »

وذكر البرقي عن ابن عباس - رضى الله عنه - أنها سميت : زَمْزَمَ لأنها زُمَّتْ بالتراب ؛ لثلاث يأخذ الماء يميناً وشمالاً ، ولو تُرِكَت لساحت على الأرض حتى تملأ كلَّ شيء . وقال ابنُ هشام : والزمزمة عند العرب : الكثرة والاجتماع قال الشاعر :

وباشرتْ مَعْظَنَهَا الْمُدْهَشَمَا وَيَمَّتْ زَمْزُومَهَا الْمُزْمَزِمَا (١)

سبب نزول هاجر وإسماعيل مكة : المُدْهَشَم : اللَّيْنُ ، وكان سبب إنزال هاجر وابنها إسماعيل بمكة ونقلها إليهما من الشام أن سارة بنت عمِّ إبراهيم - عليه السلام - شجر بينها وبين هاجر أمر ، وساء ما بينهما ، فأمر إبراهيم أن يسير بها إلى مكة ، فاحتملها على البُرَاق (٢) واحتمل معه قرينة بماء ومزود تمر ، وسار بها

(١) في الاصل : المدهشم ، وهو خطأ . والمعطن هو اللابل كالوطن للناس ولكنه غلب على مبركها . والزمزوم : الجماعة من الإبل عددها مائة . وقد ذكر اللسان عن ابن برى أن زمزم لها اثنا عشر اسماً : زمزم ، مكتومة ، مضمونة ، شباعة وبضم الشين وفتح الباء ، سقياء بضم السين وسكون القاف ، الرَّوَءاء : بفتح الراء والواو ، ركضة جبريل ، هزمة جبريل ، شفاء سقم ، طعام طعام ، حنيرة عبدالمطلب . أقول : وذكر لها اسم آخر هو بَرَّة . وفي اللسان أيضاً : الزمزمة بكسر الزاى : الجماعة من الناس ، وفرس يززم في صوته إذا كان يطرب .

(٢) لم يرد له ذكر في المرويات الصحيحة ، ولم يرد في حديث يعتد به أن إبراهيم حل هاجر إلى هنالك ليرضى سارة ، بل الذى ورد أنه حملها بأمر الله ليقتضى الله أمره سبحانه . وليس إبراهيم بالرجل الذى يضع أمر امرأته فوق أمر ربه ، أو يرتكب مثل هذا ترضية لاهوائه .

حتى أنزلها بمكة في موضع البيت ^(١)، ثم ولى راجعاً عوداً على بلدته ^(٢)، وتبعه هاجر ^(٣) وهي تقول: الله أمرك أن تدعى، وهذا الصبي في هذا البلد الموحش، وليس معنا أنيس؟! فقال: نعم، فقالت: إذا لا يضيعنا ^(٤)، فجعلت تأكل من القمّر، وتشرب من ماء القرية، حتى نفذ الماء، وعطش الصبي، وجعل ينشغ للموت ^(٥)، وجعلت هي تسمى من الصفا إلى المروة، ومن المروة إلى الصفا؛ ل ترى أحداً، حتى سمعت صوتاً عند الصبي، فقالت: قد أسمع، إن كان عندك غوث، ثم جاءت الصبي، فإذا الماء ينبع من تحت خده، فجعلت تغرف بيديها، وتجعل في القرية. قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : لو تركته لسكنت عينا، أو قال: نهراً معيناً، وكلها الملك، وهو جبريل - عليه السلام - وأخبرها أنها مقر ابنها وولده إلى يوم القيامة ^(٦)، وأنها موضع بيت الله الحرام، ثم ماتت

(١) في رواية البخاري: وضعها عند البيت عند دوحة فوق الزمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء.

(٢) كان راجعاً إلى الشام.

(٣) في رواية ابن جريج: فأدركته بكداء بفتح الكاف، أو كدى بضم الكاف والقصر.

(٤) في رواية: أنها نادته ثلاثاً، وأنه أجابها في الثالثة، وأنها قالت له: حسبي، أو: رضيت بالله،

(٥) يشقى ويعلو صوته وينخفض كالذي ينازع. وفي روايات: وجعلت تنظر إليه يتلوى، أو يتلبط، أو يتلظظ.

(٦) في رواية البخاري: فقال لها الملك: لا تخافوا الصبيعة، فإن هذا بيت الله يبنى هذا الغلام، وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله.

هاجر، وإسماعيل — عليه السلام — ابنُ عشرين سنة، وقبرُها في الحِجْر، وثُمَّ قَبْرُ
إسماعيل — عليه السلام — وكان الحِجْرُ قبل بناء البيت زَرْبًا لِنَعْمِ إسماعيل
صلى الله عليه وسلم ^(١) ويقال : إن أول بلد ميرت منه أمُّ إسماعيل عليه
السلام، وابنها التمر : القرية التي كانت تعرف بالفرع من ناحية المدينة، والله أعلم

قطورا وجرهم والسميرع : فصل : وذكر نزول جرهم، وقطورا على أم
إسماعيل هاجر، وجرهم : هو قحطان بن عامر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن
نوح، ويقال : جرهم بن عابر، وقد قيل : إنه كان مع نوح عليه السلام في السفينة،
وذلك أنه من ولد ولده، وهم من العرب العاربة، ومنهم تعلم إسماعيل العربية .
وقيل : إن الله تعالى أنطقه بها إنطافا، وهو ابن أربع عشرة سنة ^(٢) .

(١) من زيادة أبي جهم .

(٢) لقحطان ولد اسمه : جرهم . أما جدُّهم الأكبر، أو الأول، فن العرب
البائدة . ولما ملك يعرب اليمى وأخاه جرهم بن قحطان الحجاز، وتداول ملكه
بنوه بعده إلى أن أنزل إبراهيم عليه السلام ابنه إسماعيل . ويقول ابن قتيبة في
المعارف ص ١ : ومن ولد أرفخشذ : يقطن، وهو أبو جرهم بن يقطن، وجرهم هو ابن
عم يعرب، وكانت جرهم من سكن اليمى وتكلم بالعربية، ثم نزلوا مكة فكأنوا بها،
وقطورا : بنو عم لهم، ويقول ابن عبد البر : « وسار جرهم بن قحطان بولده، فنزلوا
مكة، فهؤلاء ونسلهم يدعون العرب العاربة، وبنو إسماعيل يسمون العرب المستعربة
لأنهم تعلموا منهم وتكلموا بلغتهم » ص ١٤ القصد والامم . وفي نهاية الأرب
عن بني قحطان : « الذى عليه جمهور النسب أنهم بنو قحطان بن عامر بن شالخ » ،
وذكر عن عامر أنه أصل عرب اليمى، وإليه تنسب القحطانية، ثم يقول :
قال في العبر : « واسمه في التوراة : يقطن، فعرب بقحطان. وشذ بعضهم، فقال : إنه
ابن قحطان بن الهميسع بن أربى بن قيدار بن نبت بن إسماعيل بن إبراهيم عليه =

وأما قَطُورًا ، فهو قَطُور ابن كَرَّ كَر .

وأما السَّمِيدَعُ الذی ذكره ، فهو السَّمِيدَع بن هوثر - بناءً مثلاً - قیدها البکری - بن لای بن قَطُور ابن كَرَّ كَر بن عِمْلَاق ، ویقال : إن الزَّباء المملکة كانت من ذُرَّیته ، وهی بنت عمرو بن أذِیْسَة بن ظَرَب بن حَسَّان ، وبن حسان ، وبن السَّمِيدَع آباء کثیرة ، ولا یصح قول من قال : إن حسان ابنه لصلبه ، لِیُعَدَّ زمن الزَّباء من السَّمِيدَع ، وقد ذکرنا الاختلاف فی اسمها فی غیر هذا الموضع ، و ذکر الحارث بن مُضاضٍ الأكبر بن عمرو بن سعد بن الرقیب بن هی بن بنت (١) جُرْهُم .

مباد وقعیقناه : فصل : و ذکر ولاية جُرْهُم البيت الحرام دون بنی إسماعیل إلى أن بقوا فی الحرم ، وكان أول بنی فی الحرم ما ذكره من حرب جُرْهُم لِقَطُورًا .

وأما أجياد فلم یسمَّ بأجياد من أجل جیاد الخلیل ، كما ذکر لأن جیاد الخلیل لا یقال فیها : أجياد ، وإنما أجياد : جمع جید (٢) .

== السلام . قال أبو عیید : و لیس كذلك . قال فی العبر : و علی هذا یكون جمیع العرب من ولد إسماعیل علیه السلام ، لأن عدنان و قحطان یستدعیان بطون العرب القحطانیة و العدنانیة ، ص ٣٩٦ ط ١٩٥٩ .

(١) هكذا فی الاصل . و فی اللسان عن ابن بری : و یقال فی النسب : عمرو ابن الحارث بن مضاض بن هی بن بی . و یفتح الهاء و الباء و تضعیف الیاء فی الکلمتین ابن جرهم . و هی بن بی : کنایة عن لا یعرف ، ولا یعرف أبوه ، و قیل : كان من ولد آدم ، ثم انقرض نسله .

(٢) العنق ، و جمعه أيضاً : جیود . و فی اللسان : أجياد : أرض بمكة ، و جبل =

وذكر أصحاب الأخبار أن مضاضا ضرب في ذلك الموضع أجياد مائة رجل من العالقة ، فسمى الموضع : بأجياد ، وهكذا ذكر ابن هشام في غير هذا الكتاب ، ومن شعب أجياد تخرج دابة الأرض التي تكلم الناس قبل يوم القيامة ، كذلك روى عن صالح مولى التوأمة عن عبد الله بن عمرو بن العاص (١) ، وذكر غيره في أخبار مكة أن قُتَيْبَعَان سُمي بهذا الاسم حين نزل تبع مكة ، ونحر عندها وأطعم ، ووضع سلاحه وأسلحته جنده بهذا المكان ، فسمى : قُتَيْبَعَان بَقَعَةِ السِّلَاح فيه - والله أعلم .

جرهم تسرق مال الكعبة : فصل : وذكر استحلال جرهم لجرمة الكعبة ، فمن ذلك أن إبراهيم عليه السلام ، كان اختفر بئرا قريبة القفر عند باب الكعبة ، كان يُلقى فيها ما يهدي إليها ، فلما فسد أمر جرهم سرقوا مال الكعبة مرة بعد مرة ، فيذكر أن رجلا منهم دخل البئر ليسرق مال الكعبة ، فسقط عليه حجر من شفير البئر فخبسه فيها ، ثم أرسلت على البئر حية لها رأس كراس الجدوى ، سوداء العنق ، بيضاء البطن ، فكانت تهيب من دنا من بئر الكعبة ، وقامت في البئر - فيما ذكروا - نحواً من خمسمائة عام ، وسند ذكر قصة رفعها عند بنين الكعبة إن شاء الله .

== قال ابن الأثير : وأكثر الناس يقولونه : جياذ بكسر الجيم ، وحذف الهمزة . قال : جياذ - بكسر الجيم - موضع بأسفل مكة معروف من شعابها . وبهذا يصح قول ابن هشام ، أما فرس جواد ، فجميعه جياذ .

(١) لم يرد هذا في حديث صحيح . والحديث الذي في مسلم لا يشير إلى مكان خروج هذه الدابة ، ولا يذكر عنها سوى أنها دابة . والإنسان دابة . أما ما ورد عنها من صفات أخرى ، فأكثره لإسرائيليات ردها وهب بن منبه .

بين برهم وضراعة : فصل : فلما كان من بغي جرهم ما كان ، وافق تفرق سباً من أجل سيل العرم ، ونزول حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر أرض مكة ، وذلك بأمر طريفة السكاهنة ، وهي امرأة عمرو بن مزيقياء (١) وهي من حمير ، وبأمر عمران ابن عامر أخى عمرو ، وكان كاهناً أيضاً ، فنزلها هو وقومه ، فاستأذنوا جرهما أن يقيموا بها أياماً ، حتى يرسلوا الرؤاد ، ويرتادوا منزلاً حيث رأوا من البلاد ، فأبت عليهم جرهم ، وأغضبهم ، حتى أقسم حارثة ألا يبرح مكة إلا عن قتال وغلبة ، فخارت جرهم ، فكانت الدولة لبني حارثة عليهم ، واعتزلت بنو إسماعيل ، فلم تكن مع أحد من الفريقين ، فعند ذلك ملكت خزاعة وهم بنو حارثة - مكة ، وصارت ولاية البيت لهم ، وكان رئيسهم عمرو بن لحيّ الذي تقدم ذكره قبل ، فشرّد بقية جرهم ، فسار فلهم في البلاد ، وسلّط عليهم الذرّ والرعايف (٢) ، وأهلك بقيتهم السيل بإضم ، حتى كان آخرهم موتاً امرأة ريثت تطوف بالبيت بعد خروجهم منها بزمان ، فمجبوا من طولها وعظم خلقتها ، حتى قال لها قائل : أجنّية أنت أم إنسية؟! ، فقالت : بل إنسية من جرهم ، وأنشدت رجزاً في معنى حديثهم ، واستكثرت بعيراً من رجلين من جهينة ، فاحتملاها على

(١) في جمهرة « ابن حزم » : عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء ص ٥٣ . وفي الاشتقاق « لابن دريد » : ولد حارثة عامراً وهو ماء السماء ، وولد عامر عمّشراً « بفتح العين وسكون الميم » وهو مزيقياء ، فعمره — إذن — هو مزيقياء لابن مزيقياء ٤٣٥ .

(٢) الذر : صغار النمل ، والرعايف : الدم .

البعير إلى أرض خَيْبَر ، فلما أنزلها بالمنزل الذي رَسَمَتْ لهما ، سألاها عن الماء ، فأشارت لهما إلى موضع الماء ، فوليا عنها ، وإذا الذرُّ قد تعلَّق بها ، حتى بلغ خياشيمها وعينيها ، وهي تنادى بالويل والثُّبور حتى دخل حلقها ، وسقطت لوجهها ، وذهب الجُنَّهَيَّان إلى الماء ، فاستوطناهُ ، فمن هنالك صار موضع جُهنمة بالحجاز وقُرب المدينة ، وإنما هُم من قُضاة ، وقُضاة : من ريف العراق .

غربة الحارث بن مضاض : فصل : رجع الحديث . وكان الحارث بن مضاض ابن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هي بن نبت بن جُرهم الجُرهمي قد نزل بِقَنَوْنًا^(١) من أرض الحجاز ، فضَلَّت له إبلٌ ، فبغاهَا حتى أتى الحرم ، فأراد دخوله ، ليأخذ إبله ، فنادى عمرو بن لُحَيٍّ : من وجد جُرهميًّا ، فلم يقتله ، قطعت يده ، فسمع بذلك الحارث ، وأشرف على جبل من جبال مكة ، فرأى إبله تُنصر ، ويُتوزَعُ لِحُمِّها ، فانصرف بالأسا خائفًا ذليلاً ، وأبعد في الأرض ، وهي غُربة الحارث بن مضاض التي تضرب بها المثل ، حتى قال الطائي :

غُربةٌ تقتدى بغُربة قَيْس بـ من زُهَيْرٍ والحارث بن مضاض

وحينئذ قال الحارث الشعر الذي رسمه ابن إسحق وهو قوله :

(١) سبق هذا ، وبيان الصواب فيه عن هي في ص ١٥ من هذا الجزء . وقنوني « بوزن فعسوعل ، بفتح القاف والنون وسكون الواو ، من أودية السراة ، تصب إلى البحر في أوائل أرض اليمن ، من جهة مكة قرب حُلَيْي « بفتح فسكون » وتكتب بالياء حسب القاعدة ، ولكن تركتها كما هي .

(٢) غربة بفتح الغين : النوى والبعد ، وبضمها : الزوج عن الوطن .

كأن لم يكن بين الحجّون إلى الصّفا . الشعر ، وفيه :

وَنَبْكَى لَيْتَ لَيْسَ يُؤْذَى حَمَامُهُ تَظَلُّ بِهِ أَمْنًا ، وفيه العَصَافِرُ^(١)

أراد : العصافير ، وحذف الياء ضرورة ، ورفع العصافير على المعنى ، أى : وتأمّن فيه العصافير ، وتظلّ به أَمْنًا ، أى : ذات أَمْنٍ ، ويجوز أن يكون أَمْنًا جمع آمِنٍ مثل : رَكْب جمع : راكب ، وفيه : ولم يَسْمُرْ بمكة سامر : السامر : اسمُ الجماعة يتحدّثون بالليل ، وفي التنزيل : (سَامِرًا تَهْجُرُونَ) المؤمنون : ٦٧ والحجّون^(٢) بفتح الحاء على فرسخ وثلاث من مكة ، قال الحَمِيدِيُّ : كان سُفْيَانُ ربما أنشد هذا الشعر ، فزاد فيه بعد قوله : فليست تنادر :

ولم يَتَرَبَّعْ . واسطًا وجَنُوبَهُ إلى السَّرِّ من وادى الأراكة حاضر وأبدلنى ربّى بها دار غُرْبَةٍ بها الجوع باد ، والعدوُّ المُحَاصِرُ^(٣)

(١) فى السيرة : يظل بدلا من : تظل .

(٢) والحجون كما فى المراصد : بأعلى مكة عند مقبرة أهلها ، وفى ياقوت عن الأصمعى : أنه الجبل المشرف الذى يحذاء مسجد البيعة على شعب الجزارين . (٣) أما واسط : فقليل : لأن للعرب سبعة مواضع ، يقال لكل منها : واسط ، منها : واسط نجد فى شعر خدّاش بن زهير ، وواسط الحجاز فى شعر كثير ، وواسط الجزيرة فى شعر الأخطل . وواسط النمامة فى شعر الأعشى ، وواسط العراق : وهناك غير ذلك . وواسط أيضا بمكة . قيل : قرن كان أسفل من جمرّة العقبة بين المأزمين . فضرب حتى ذهب ، وقيل : تلك الناحية بركة السرى إلى العقبة ، وتسمى : واسط المقيم . وقيل إنه الجبل الذى يجلس عنده المساكين إذا ذهبت إلى منى . والسر : بطن الوادى . ووادى الأراك : قرب مكة . وفى معجم البلدان ونهاية الأرب ج ١٦ ص ٣٤ وضع هذا بعد البيت : وصرنا أحاديثا ، وروايته هكذا : =

واسط وعامر ومبرهم : قال الحميدى : واسط : الجبل الذى يجلس عنده
المساكين ، إذا ذهبت إلى منى . وقوله فيه :

لَا يَبْقَدُ سُهَيْلٌ وَعَامِرٌ

عامر : جبل من جبال مكة ، يدل على ذلك قول بلال رضى الله عنه : وهل
يَبْدُونُ لى عامرٌ وطَفِيلٌ^(١) . على رواية من رواه هكذا ، وَجُرْهُمُ هذا هو
الذى تتحدث بها العرب فى أكاذيبها ، وكان من خرافاتها فى الجاهلية أن جُرْهُمَا
ابنٌ لِمَلِكٍ أَهْبَطَ من السماء لذنْبٍ أَصَابَهُ ، فغَضِبَ عليه من أَجله ، كما أَهْبَطَ
هاروتُ وماروتُ ، ثم أُلْقِيَتْ فيه الشهوة ، فتزوج امرأة ، فولدت لَهُ جُرْهُمَا ،
قال قائلهم :

لَاهُمَّ إِنْ جُرْهُمَا عَبَادُكَ النَّاسُ طُوفٌ ، وَمُمْ تِلَادُكَ

[بِهِمْ قَدِيمَا عَمِرَتْ بِلَادُكَ]^(٢)

من كتاب الأمثال للأصبهاني :

= وبدلنا كعب بها دار غربة بها الذئب يعوى ، والعدو المكاشر
وفى مروج الذهب ج ٢ ص ٥٠ : « المحاصر » . وفيه بعد : « وكنا ولاية البيت ،
هذا البيت :

وكنا لإسماعيل صهرا ووصلة ولما تدر فيها علينا الدوائر

(١) طفيل : جبل بمكة .

(٢) ما بين قوسين عن الطبرى ص ٢٨٥ ج ٢ وهذا الرجز ينسب إلى عامر
ابن الحارث ، والقصيدة منسوبة فى الطبرى لعامر بن الحارث بن مضاض
يقول الطبرى : إن الله بعث على جرهم الرعاف والنمل ، فأفناهم ، فاجتمعت خزاعة =

مكة وأسمائها : فصل : وذكر مكة وبكة ، وقد قيل في بكة ما ذكره من أنها تبك الجبارة ، أى تكسرهم وتقدعهم ، وقيل : من التباك ، وهو : الازدحام ، ومكة من تمككت العظم ، إذا اجتذبت مافيه من المنخ ، وتمككت الفصيل ما فى ضرع الناقة ، فكأنها تجتذب إلى نفسها ما فى البلاد من الناس والأقوات التى تأتىها فى المواسم ، وقيل : لما كانت فى بطن واد ، فهى تمكك الماء من جبالها وأخشابها عند نزول المطر ، وتنجذب إليها السيول ، وأما قول الراجز الذى أنشده ابن هشام :

إذا الشريب أخذته أكة فخله حتى يبك بكة (١)

فالأكة : الشدة ، وإكأك الدهر : شدائده .

ليجلا من بئى ، فاقتلوا ، فلما أحس عامر بن الحارث بالهزيمة ، خرج بغزالى الكعبة وحجر الركن يلتمس النوبة ، وهو يقول : هلاهم إن جرهما ، الخ فلم تقبل . كما فى الطبرى - توبته ، فألقى غزالى الكعبة ، وحجر الركن فى زمزم ، كما جاء فى السيرة . ثم دفنها ، وخرج من بئى من جرهم إلى أرض من أرض جهينة ، فجاءهم سيل أنقى ، فذهب بهم . (١) فى اللسان : مك - وزن رد - الفصيل ما فى ضرع أمه يمكته - وزن يرد - مكئا وامتك - بفتح التاء وتضعيف الكاف - وتمككه ، ومككه : امتص جميع مافيه . وشربه كله . . ومك العظم وامتكه وتمككه ، وتمككه امتص مافيه من المنخ . والرجز المذكور لعامان بن كعب التميمى - كما ذكر ابن هشام ، وفى الروض : الشربت بدلا من الشريب ، وهو خطأ ، وفيه يبك بدلا من تبك . ومعنى الشريب - كما فى اللسان - الذى يسقى إبله مع إبله . يقول : فخله يورد إبله الحوض . فتباك عليه أى : تودحم ، فيبقى إبله سقية . وللاكة معان أخر . منها : سكون الريح وضيق الحلق وفورة شديدة فى القيظ . انظر اللسان . وتعليق الأستاذ هارون على المادة فى معجم ابن فارس .

وذكر أنه كان يقال لها : النَّاسَةُ ، وهو من نُسْتُ (١) الشيء إذا أذهبت ،
والرواية في الكتاب بالنون ، وذكر الخطابي [في غريبه] أنه يقال لها : الباسَةُ أيضا بالباء ،
وهو من بُسَّت الجبالُ بَسًّا ، أى : فُتَّتْ وُثِّرَتْ ، كما يُثَرَّى السَّويقُ ، قال الراجز :

لَا تَحْمِزَا خَبِزًا وَبُسَابَسًا (٢)

يقول : لا تشتغلا بالخبز ، وثرًّا الدقيق والتقمه (٣) . يقال : إن هذا البيت
للص أمجله الهرب .

وذكر أبو عبيدة أن الخَبَزَ : شدة السَّوقِ ، والبَسُّ : ألين منه ، وبعده :

(١) النَّسُّ — بفتح النون — المضاء في كل شيء ، وخص بعضهم به السرعة
في الورد ، وهو السوق والزر الشديد . وفي اللسان : وأنست الدابة : أعطشتها
والناسَةُ من أسماء مكة لفلة مائها ، وكأنها تسوق وتدفع من يبغي بها .

(٢) وبعده في اللسان : «ولا تطيلا بمناخ حبسا» . والبس : اتخاذ البسيطة
وهو أن يلت السويق أو الدقيق أو الألفط المطحون بالسمن أو بالزيت ، ثم يؤكل
ولا يطبخ . وقال يعقوب : هو أشد من اللت بللا . وذكر أبو عبيدة أن
لصا من غطفان ، أراد أن يخبز غفاف أن يعجل عن ذلك ، فأكله عجينا ، ولم يجعل
أبو عبيدة البس من السوق اللين . وفي تعليق الأستاذ هرون على معجم ابن فارس
ذكر أن الرجز للهفوان العقيلي أحد لصوص العرب . وقد فسر السهيلي البيت
بما فسر به ابن فارس .

(٣) ثرى الدقيق — بفتح الثاء وتضعيف الراء — صب عليه الماء . هذا وقد
قبل عن بكه لأنها اسم للبقعة التي فيها الكعبة ، وذهب إليه مالك وابن عباس . وقيل
اسم لها ولما حول البيت ، ومكة : اسم لما وراء ذلك ، وقيل : لأنها المسجد والبيت
ومكة اسم للحرم كله ص ٦٠١ القرى للمحب الطبرى .

ما ترك السيرُ لهن نَسًا

ومن أسماء مكة أيضا: الرأسُ، وصَلَّاحُ، وأمُّ رُحْم، وكُوْثى، وأما التى يخرج منها الدجال، فهى : كُوْثى رَبَّاءُ^(١) ومنها كانت أم إبراهيم عليه السلام، وقد تقدم اسمها، وأبوها هو الذى احتفر نهر كُوْثى، قاله الطبرى .

أسطورة : فصل : وذكر قول الحارث بن مُضاض :

يأيها الناسُ سِيرُوا إن قَصْرَكُمْ أن تُصبحوا ذات يومٍ لاتسبرونا^(٢)

وذكر ابن هشام أنها وجدت بِحَجَرٍ باليمن، ولا يعرف قائلها، وألغيتُ فى كتاب أبى بحر سفيان بن العاصى خبرا لهذه الأبيات، وأُسندُه أبو الحارث محمد بن أحمد الجُعْفَى عن عبد الله بن عبد السلام البُصرى، قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن سايان التَّمَّار، قال أخبرنى ثقة عن رجل من أهل اليمامة، قال : وجد فى بئر باليمامة ثلاثة أحجار، وهى بئر طَسْمٍ وجَدِيسٍ فى قرية يقال لها : مُعْنِق، بينها وبين الحَجَرِ ميل، وهم من بقايا عاد، غزاهم تُبَعْعٌ، فقتلهم، فوجدوا فى حجر من الثلاثة الأحجار مكتوبا :

(١) صلاح : كقطاع وقد تصرف . وكُوْثى تكتب بالياء لا بالالف كما كان فى الروض، وفى المراسد عن كُوْثى : أنها ثلاثة مواضع بسواد العراق بأرض بابل وبمكة . نزل بنى عبد الدار خاصة، وكُوْثى بالعراق فى موضعين : كُوْثى الطريق، وكُوْثى رَبَّاءَ وبها مشهد إبراهيم الخليل عليه السلام، وهما قريتان، ويدهما طول من رماد، يقال : إنها رماد النار التى أوقدها نمرود لإحراقه .

(٢) هى فى الطبرى ٨ ص ٢٨٥ مع تقديم وتأخير .

يأيها الملك الذى بالملكِ ساعده زمانه
ما أنت أول من علا وعلا شئون الناس شأنه
أقصر عليك مراقبا فالدهر نخدول أمانه
كم من أشمَّ مُعَصَّبٍ بالتاج مرهوب مكانه
قد كان ساعده الزمان ، وكان ذا خفص جناه
تجرى الجداول حوله للجند مُترعة جفانه
قد فاجأته منية لم يُنجه منها اكتنانه
وتفرقت أجزاده عنه ، وناح به قيانه
والدهر من يعلق به يطحنه ، مُفترشا جرانه
والناس شتى فى الهوى كالمرءِ مُحتلف بنانه
والصدق أفضل شيمه والمرء يقتله لسانه
والصمت أسعد للفتى ولقد يُشرِّفه بيانه

ووجد فى الحجر الثانى مكتوباً أبيات :

كلُّ عيشٍ نَعْلَه ليس للدهر خَلَه
يَوْمُ بُؤْسَى ونُفَمَى واجتماع وقِلَه
حُبْنَا العيشَ والتكا تُرَّ جَهْلٍ وِضِلَه
بينما المرء ناعم فى قصورٍ مُظِلَه
فى ظلالٍ ونعمة ساحبا ذيلَ حُلَه
لا يرى الشمسَ مِلْفَضًا رَقٍ إِذْ زَلَّ زَلَه

لم يُقْلِهِا، وَبَدَلَتْ عِزَّةَ الرِّءْذِلَةِ
أَفَّةَ الْعِيشِ وَالنَّفْعِ يَمُ كُرُورُ الْأَهْلَةِ
وَصَلُّ يَوْمِ بِلْدِلَةٍ وَاعْتِرَاضُ بَعْدِهِ
وَالنَّبَايَا جَوَائِمُ كَالصُّقُورِ الْمُدِلَةِ
بِالذِي تَكَرَّهُ النَّفْسُ وَسُ عَلَيْهَا مُطْلَهُ

وفي الحجر الثالث مكتوبا:

يَأْيُهَا النَّاسُ سِيرُوا إِنْ قَصَرَ كُمْ
حُثُوا الْمَطْيَى، وَأَرْزَحُوا مِنْ أَرْمَتِهَا
كُنَّا أَنْاسًا كَمَا كُنْتُمْ فَفَعَّرْنَا
أَنْ تُصْبِحُوا ذَاتَ يَوْمٍ لَا تَسِيرُونَا
قَبْلَ الْمَمَاتِ وَقَضُوا مَا تَقْضُونَا
دَهْرُهُ فَانْتُمْ كَمَا كُنَّا تَكُونُونَا

وذكر أبو الوليد الأزرقي في كتابه في فضائل مكة زيادة في هذه
الآيات وهي:

قَدْ مَالَ دَهْرُهُ عَلَيْنَا ثُمَّ أَهْلَكَنَا
إِنْ التَّفَكَّرَ لَا يُجْدِي بِصَاحِبِهِ
قَضُوا أُمُورَكُمْ بِالْحَزْمِ إِنْ لَهَا
عِنْدَ الْبَدِيهَةِ فِي عِلْمٍ لَهُ دُونًا
أُمُورَ رُشْدٍ رَشْدْتُمْ ثُمَّ مَسْنُونًا
كَمَا اسْتَبَانَ طَرِيقَ عِنْدِهِ الْهَوْنَا
كُنَّا زَمَانًا مَالُوكَ النَّاسِ قَبْلَكُمْ
بِمَسْكَنِ فِي حَرَامِ اللَّهِ مَسْكُونًا

ووجد على حائطٍ قصيرٍ بدمشق لبني أمية مكتوبا:

يَأْيُهَا الْقَصْرُ الَّذِي كَانَتْ تَحْفُثُ بِهِ الْمَوَاكِبُ

استبداد قوم من خزاعة بولاية البيت

قال ابن إسحاق : ثم إن عُبْشَانَ من خُزَاعَةَ وَلِيَتْ الْبَيْتَ دُونَ بَنِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ ، وَكَانَ الَّذِي يَلِيهِ مِنْهُمْ : عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ الْغُبَشَانِي ، وَقُرَيْشٌ إِذْ ذَاكَ حُلُولٌ وَصِرْمٌ ، وَبُيُوتَاتٌ مُتَفَرِّقُونَ فِي قَوْمِهِمْ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ ، فَوَلِيَتْ خُزَاعَةُ الْبَيْتَ يَتَوَارَثُونَ ذَلِكَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ ، حَتَّى كَانَ آخِرُهُمْ حُلَيْلُ بْنُ حَبْشَةَ بْنِ سَلُولٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ عَمْرٍو الْخُزَاعِيُّ .

قال ابن هشام : يقال حُبْشِيَّةٌ بَنُ سَلُولٍ .

أَيْنَ الْمَوَاقِبُ وَالْمَضَى أَرْبُ وَالْجَنَائِبُ وَالْجَنَائِبُ
أَيْنَ الْمَسَاكِرُ وَالذَّسَّ اكْرُ وَالْمَقَانِبُ وَالْكِتَابُ
مَا بَالُكُمْ لَمْ يَذْفَعُوا لِمَا أَتَتْ عَنْكَ الذَّوَابُ
مَا بَالُ قَصْرِكَ وَاهِيَا قَدْ عَادَ مِنْهُدَّ الْجَوَابُ

ووجد في الحائط الآخر من حيطانها جوابها :

يَا سَائِلِي عَمَّا مَضَى مِنْ دَهْرِنَا وَمِنْ الْعَجَائِبِ
وَالْقَصْرِ إِذْ أَوْدَى ، فَأَضْحَى بَعْدُ مِنْهُدَّ الْجَوَابِ
وَعَنِ الْجُنُودِ أُولَى الْعُقُودِ ، وَمَنْ بِهِمْ كُنَّا نَحَارِبُ
وَبِهِمْ قَهْرُنَا عَنُودَ مَنْ بِالْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ
وَتَقُولُ : لِمَ لَمْ يَذْفَعُوا لِمَا أَتَتْ عَنْكَ الذَّوَابِ
هَيْهَاتَ لَا يُنْجِي مِنَ الْوُتِ الْكِتَابُ وَالْمَقَانِبِ

تزوج قصي بن كلاب حبي بنت حليل

قال ابن إسحاق : ثم إن قصي بن كلاب خطب إلى حليل بن حبشية بنته حبي . فرغب فيه حليل فزوج به ، فولدت له عبد الدار . وعبد مناف ، وعبد العزى ، وعبدًا . فلما انتشر ولد قصي ، وكثر ماله ، وعظم شرفه ، هلك حليل .

« قصي يتولى أمر البيت » :

فراى قصي أنه أولى بالكعبة ، وبأمر مكة من خزاعة وبنى بكر ، وأن قريشاً قرعة إسماعيل بن إبراهيم وصريح ولده . فكلّم رجلاً من قريش ، وبنى كنانة ، ودعاهم إلى إخراج خزاعة وبنى بكر من مكة ، فأجابوه . وكان ربيعة ابن حرام من عذرة بن سعد بن زيد قد قدم مكة بعد ما هلك كلاب ، فتزوج فاطمة بنت سعد بن سليل ، وزهرة يومئذ رجل ، وقصي فطيم ، فاحتامهما إلى بلاده ، فحملت قصياً معها ، وأقام زهرة ، فولدت لربيعة رزاحاً . فلما باغ قصي ، وصار رجلاً أتى مكة ، فأقام بها ، فلما أجابه قومه إلى ما دعاهم إليه ، كتب إلى أخيه من أمّه ، رزاح بن ربيعة ، يدعوّه إلى نصرته ، والقيام معه ، فخرج رزاح بن ربيعة ، ومعه إخوته : حنّ بن ربيعة ، ومحمود بن ربيعة ، وجلهم إلى بني ربيعة ، وهم لغير أمه فاطمة ، فيمن تبعهم من قضاة في حاج العرب ، وهم مجمعون لنصرة قصي . وخزاعة تزعم أن حليل بن حبشية أوصى بذلك قصياً وأمره به حين انتشر له من ابنته من الولد ما انتشر . وقال : أنت أولى

بالكعبة ، وبالقيام عليها ، وبأمر مكة من خزاعه ، فعند ذلك طلب قُصَيّ ما طلب ، ولم نسمع ذلك من غيرهم ، فإله أعلم أى ذلك كان .

ما كان يليه الغوث بن مر من الإجازة للناس بالحج

وكان الغوثُ بنُ مُرِّ بنِ أَدِّ بنِ طابخة بن الياس بن مُضَرَ بنِ الإجازة للناس بالحج من عرفة ، وولده من بعده ، وكان يقال له ولولده : صوفة . وإنما ولي ذلك الغوثُ بنُ مرّ ، لأن أمّه كانت امرأة من جرهم ، وكانت لا تلد ، فنذرت لله إن هي ولدت رجلاً : أن تصدق به على الكعبة عبداً لها يخدمها ، ويقوم عليها ، فولدت الغوثَ ، فكان يقوم على الكعبة في الدهر الأوّل مع أخواله من جرهم ، فولى الإجازة بالناس من عرفة ، لمكانه الذى كان به من الكعبة ، وولده من بعده حتى انقرضوا . فقال مُرّ بن أَدّ لوفاء نذر أمّه :

إني جعلتُ ربّاً من بنيّ ربيطة بمكة العليّة
فباركنّ لي بها أليّة واجعله لي من صالح البريّة

وكان الغوث بن مُرّ - فيما زعموا - إذا دفع بالناس قال :
لاهمّ إني تابعٌ تبعه إن كان إثمٌ فعلى قضاة

قال ابن إسحاق : حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال : كانت صوفة تدفع بالناس من عرفة ، وتُجيز بهم إذا نفروا من منى ، فإذا كان يوم النفر أتوا الرمنى الجمار ، ورجل من صوفة يرمى للناس ، لا يرمون

حتى يرمى . فكان ذوو الحاجات التمتعون يأتونه ، فيقولون له : قم فارم .
حتى نرمى معك ، فيقول : لا والله ، حتى تميل الشمس ، فيظل ذوو الحاجات
الذين يحبون التمتع يرمونه بالحجارة ، ويستعجلونه بذلك ، ويقولون له :
وبلك ! قم فارم ، فيأبى عليهم ، حتى إذا مالت الشمس ، قام فرمى ، ورمى
الناس معه .

قال ابن إسحاق : فإذا فرغوا من رمى الجار ، وأرادوا النفر من منى ،
أخذت صوفة بجاني العقب ، فخبسوا الناس وقالوا : أجزى صوفة ، فلم يجر
أحد من الناس حتى يمرؤا ، فإذا نفرت صوفة ومضت ، حلى سبيل الناس ،
فانطلقوا بعدهم ، فكانوا كذلك ، حتى انقضوا ، فورثهم ذلك من بعدهم
بالقعد بنو سعد بن زيد مناة بن تميم ، وكانت من بنى سعد في آل صفوان
بن الحارث بن شجنة .

قال ابن هشام : صفوان بن جناب بن شجنة عطار بن عوف بن كعب بن
سعد بن زيد مناة بن تميم .

قال ابن إسحاق : وكان صفوان هو الذي يميز للناس بالحج من عرفة ،
ثم بنوه من بعده ، حتى كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام ، كريب بن
صفوان ، وقال أوس بن تميم بن مغراء السعدي :

لا يبرح الناس ما حبثوا معرفهم حتى يقال : أجزوا آل صفوانا

قال ابن هشام : هذا البيت في قصيدة لأوس بن مغراء .

ما كانت عليه عدوان من إفاضة المزدلفة

وأما قول ذى الإصبع العدواني ، واسمه : حُرثان بن عمرو ، وإنما سمي ذا الإصبع ؛ لأنه كان له إصبع فقطعها .

عَذِيرَ الْحَيِّ مِنْ عَدَوَا نَ كَانُوا حَيَّةَ الْأَرْضِ
بَقِيَ بَعْضُهُمْ ظُلْمًا فَلَمْ يُرْجَ عَلَى بَعْضِ
وَمِنْهُمْ كَانَتِ السَّادَاتُ وَالْمُؤَفَّوْنَ بِالْفَرَضِ
وَمِنْهُمْ مَنْ يُجِيزُ النَّاسَ بِالسَّنَةِ وَالْفَرَضِ
وَمِنْهُمْ حَكَمٌ يَقْضِي فَلَا يُنْقَضُ مَا يَقْضِي

وهذه الأبيات في قصيدة له — فلأن الإضافة من المزدلفة كانت في عدوان — فيما حدثني زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق — يتوارثون ذلك كابراً عن كابر . حتى كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام أبو سيارة ، عميلة بن الأعزل ، ففيه يقول شاعر من العرب :

نَحْنُ دَفَعْنَا عَنْ أَبِي سَيَّارَةَ وَعَنْ مَوَالِيهِ بَنِي فَزَّارَةَ
حَتَّى أَجَازَ سَالِمًا حِمَارَهُ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ يَدْعُو جَارَهُ

قال : وكان أبو سيارة يدفع بالناس على أئمان له ؛ فلذلك يقول :
سَالِمًا حِمَارَهُ .

قصي وفزاعة وولاية البيت :

فصل : في حديث قصي ذكر فيه أن قريشا قرعة ولد إسماعيل ، هكذا باللقاف ، وهي الرواية الصحيحة ، وفي بعض النسخ : قرعة بالفاء ، والقرعة باللقاف هي : نُحْبَةُ الشئ ، وخياره ، وقريع الإبل : فحلها ، وقريع القبيلة : سيدها ، ومنه اشتق الأقرع بن حابس وغيره ممن سُمي من العرب بالأقرع .

وذكر انتقال ولاية البيت من خزاعة إليه ، ولم يذكر من سبب ذلك أكثر من أن قصيا رأى نفسه أحق بالأمر منهم ، وذكر غيره أن حُلَيْلا كان يُعطي مفاتيح البيت ابنته حُبَيٍّ ، حين كبر وضعف ، فكانت بيدها ، وكان قصي ربما أخذها في بعض الأحيان ، ففتح البيت للناس وأغلقه ، ولما هلك حُلَيْل أوصى بولاية البيت إلى قصي ، فأبت خزاعة أن تُمضى ذلك لقصي ، فعند ذلك هاجت الحربُ بينه وبين خزاعة ، وأرسل إلى رِزاح أخيه يستنجد به عليهم .

ويذكر أيضا أن أبا غُبْشَانَ من خزاعة ، واسمه : سليم — وكانت له ولاية الكعبة — باع مفاتيح الكعبة من قصي بَرَقٍّ خمر ، قليل : أخسر من صفقة أبي غُبْشَانَ (١) ذكره السمعودي والأصبهاني في الأمثال .

وكان الأصل في انتقال ولاية البيت من ولد مُضَرَ إلى خزاعة أن الحرم حين ضاق عن ولد نزار ، وبغت فيه إياد أخرجهم بنو مضر بن نزار ، وأجلوهم

(١) بضم الغين أو فتحها . وفي القاموس أيضا قسمة أبي غبشان ، وفيه يقول :
ضربت به الأمثال في الحق والندم وخسارة الصفقة .

عن مكة ، فعمدوا في الليل إلى الحجر الأسود ، فاقتلوه ، واحتملوه على بعير قرزح البعير به ، وسقط إلى الأرض ، وجعلوه على آخر ، قرزح أيضا ، وعلى الثالث ففعل مثل ذلك ، فلما رأوا ذلك دفنوه وذهبوا ، فلما أصبح أهل مكة ، ولم يروه ، وقموا في كرب عظيم ، وكانت امرأة من خزاعة قد بُصرت به حين دفن ، فأعلمت قومها بذلك ، فحينئذ أخذت خزاعة على ولاية البيت أن يتخللوا لهم عن ولاية البيت ، ويدلّوهم على الحجر ، ففعلوا ذلك ، فمن هنالك صارت ولاية البيت لخزاعة إلى أن صيرها أبو غبشان إلى عبد مناف ، هذا معنى قول الزبير .

نساء قصي :

فصل : وذكر أن قصيا نشأ في حجر ربيعة بن حرام ، ثم ذكر رجوعه إلى مكة ، وزاد غيره في شرح الخبر ، فقال : وكان قصي رضيما حين احتملته أمه مع بغلها ربيعة ، فنشأ ولا يعلم لنفسه أبا إلا ربيعة ، ولا يدعى إلا له ، فلما كان غلاما ينفعة أو خزورا^(١) سابه رجل من قضاة ، فعيّره بالدعوة ، وقال : لست منا ، وإنما أنت فينا ملصق ، فدخل على أمه ، وقد وجّم لذلك ، فقالت له : يا بني صدق ، إنك لست منهم ، ولكن رهطك خير من رهطه ، وآباؤك أشرف من آبائه ، وإنما أنت قرشي ، وأخوك وبنو عمك بمكة ، وهم جيران بيت الله الحرام ، فدخل في سيارة حتى أتى مكة ، وقد ذكرنا أن اسمه : زيد ، وإنما

(١) الغلام القوي .

كان قصياً أى بعيداً عن بلده فسمى : قُصِيّاً (١).

الغوث بن مر وصوفته :

فصل : وذكر قصة الغوث بن مُرّة ، ودفعه بالناس من عرفة (٢) ، وقال بعضُ نَقَلَةِ الأخبار أَنَّ وَلَايَةَ الْغَوْثِ بْنِ مُرّةٍ كَانَتْ مِنْ قَبْلِ مُلُوكِ كِنْدَةَ (٣).

وقوله : إِنْ كَانَ إِثْمًا فَقَلَى قُضَاعَةً . إِنَّمَا خَصَّ قُضَاعَةً بِهَذَا ؛ لِأَنَّهُ مِنْهُمْ مُحِلِّينَ يَسْتَحِلُّونَ الْأَشْهَرَ الْحُرْمَ ، كَمَا كَانَتْ خَشَعَمَ وَطَى ، تَفْعَلُ ، وَكَذَلِكَ كَانَتِ النِّسَاءُ تَقُولُ إِذَا حَرَّمَتْ صَفَرًا أَوْ غَيْرَهُ مِنَ الْأَشْهُرِ بَدَلًا مِنَ الشَّهْرِ الْحَرَامِ - يَقُولُ قَائِلُهُمْ : قَدْ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الدَّمَاءُ إِلَّا دَمَاءَ الْمُحِلِّينَ .

(١) قَالَ الْخَطَّابِيُّ : دُ سَمِيَ قُصِيًّا لِأَنَّهُ قُصِيَّ قَوْمِهِ ، أَيْ : تَقْصَاهُمْ بِالشَّامِ ، فَتَقْلَهُمْ إِلَى مَكَّةَ . وَقَالَ الرَّشَاطِيُّ : دُ ثُمَّ إِنْ زِيدَا وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رِبْعَةِ شَرِّ ، فَقِيلَ لَهُ : أَلَا تَلْحَقُ بِقَوْمِكَ ، وَغَيْرُهَا بِالْغَرْبَةِ ، وَكَانَ لَا يَعْرِفُ لِنَفْسِهِ أَبَا غَيْرِ رِبْعَةٍ ، فَرَجَعَ قُصِيٌّ إِلَى أُمِّهِ ، وَشَكَاهَا مَا قِيلَ لَهُ ، فَقَالَتْ لَهُ : يَا بَنِي أَنْتَ أَكْرَمُ مِنْهُمْ نَفْسًا وَأَبَا ، أَنْتَ ابْنُ كَلَابِ بْنِ مَرَّةٍ ، وَقَوْمُكَ بِمَكَّةَ عِنْدَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، فَأَجْمَعْ قُصِيٌّ عَلَى الْخُرُوجِ ، فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ : أَقِمْ حَتَّى يَدْخُلَ الشَّهْرُ الْحَرَامُ ، فَتَخْرُجْ فِي حَاجِ الْعَرَبِ ، فَلَمَّا دَخَلَ الشَّهْرُ الْحَرَامُ خَرَجَ مَعَ حَاجِ قُضَاعَةٍ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ ، فَحُجَّ وَأَقَامَ بِمَكَّةَ ، مِائَتَيْ رَجُلٍ وَمَا بَعْدَهَا حَاجِ ١٦ نَهَايَةَ الْأَرْبِ .

(٢) فِي السِّيَرَةِ : دُ مِنْ بَعْدِ عُرْفَةٍ ، وَفِي نَسْخِ أُخْرَى : دُ مِنْ عُرْفَةٍ .

(٣) فِي الْقَامُوسِ : وَكِنْدَةٌ - بِالْكَسْرِ - وَيُقَالُ : كِنْدِيٌّ ، لِقَبِّ ثَوْرٍ بَنِي عَسْفِيرٍ أَبُو حَيٍّ مِنَ الْيَمَنِ ، لِأَنَّهُ كَنَدَ أَبَاهُ النِّعْمَةَ ، وَلَحِقَ بِأَخْوَالِهِ ، وَالْكَنْدُ : الْقَطْعُ .

فصل : وأما تسمية الغوث وولده صوفة ، فاختلاف في سبب ذلك .
فذكر أبو عبيد الله الزبير بن أبي بكر القاضي في أنساب قريش له عند ذكر
صوفة : البيت الواقع في السيرة لأوس بن مفرء السعدي ، وهو :

لَا يَبْرَحُ النَّاسُ مَا حَجَّوْا مُعْرِفَهُمْ

البيت . وبعده :

نَجَدُ بَنَاهُ لَنَا قَدَمًا أَوَانُلْنَا وَأُورِنُوهُ طِوَالَ الدَّهْرِ أَحْزَانَا (١)

ومفرء : تأنيث أمفر ، وهو الأحمر ، ومنه قول الأعرابي للنبي - صلى الله
عليه وسلم : أهو هذا الرجل الأمفر ؟ ثم قال : قال أبو عبيدة : وصوفة وصوفان
يقال لكل من ولي من البيت شيئاً من غير أهله ، أو قام بشيء من خدمة
البيت ، أو بشيء من أمر المناسك يُقال لهم : صُرْفَة وصوفان . قال أبو عبيدة :

(١) أوس بن مفرء أحد بني جعفر بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد
ابن زيد مناة بن تميم . وقيل : أوس بن تميم بن مفرء ، وله ترجمة في الإصابة
قال : ويسكن أبا المفرء ، وبقي إلى أيام معاوية ، وله شعر في مدح النبي - ص ،
وبعد البيت الذي في السيرة :

تَرَى ثُنَيْنَانَا إِذَا مَا جَاءَ بِدَاهِمٍ وَبَدُوهُمُ إِنَّا تَانَا كَانَتْ ثُنَيْنَانَا

والثني والثنيان ، وكهدي وإلى : دون السيد ص ١٧٦ الأمل ج ٢ ط ٢ وفي
السمط عن أوس ص ٧٩٥ للبكري : وهو القائل في بن صفوان بن شجينة بن
عُطارد بن عوف بن كعب الذين كان فيهم الإفاضة من عرفة ، فلم يذكر الحارث
كما روى ابن إسحاق ، ولا جناب كما روى ابن هشام ، ثم روى البيت كما في السيرة ،
وفي المزهر ص ٤٨٧ ج ٢ أن أوساً هذا غلب على نابغة بني جعدة .

لأنه بمنزلة الصُوفِ ، فيهم القصيرُ والطويلُ والأسودُ والأحمرُ ، ليسوا من قبيلة واحدة . وذكر أبو عبد الله أنه حدّثه أبو الحسن الأثرم عن هشام بن محمد بن السائب الكلبيّ قال : إنما سُمّي الغوثُ بن مُرٍّ : صُوفه ، لأنه كان لا يعيش لأمه ولدٌ ، فنذرت : لئن عاش لَتَعْلَقَنَّ برأسه صُوفَةٌ ، وَلَتَجْعَلَنَّهُ رَبيطًا للكمبة ، ففعلت ، فقيل له : صوفة ، ولولده من بعده ، وهو : الرّبيط . وحدث إبراهيم بن المُنذِر عن عُمر بن عبد العزيز بن عمران ، قال : أخبرني عِقالُ بن شَبَّة قال : قالت أم تميم بن مُرٍّ - وولدت نِسْوةً - فقالت : لله على . لئن ولدتُ غلامًا لأُعَبِّدَنَّهُ للبيتِ ، فولدت الغوثَ ، وهو أكبرُ ولدِ مُرٍّ ، فلما ربطته عند البيت أصابه الحُرُّ ، فمُرت به - وقد سقطَ وذوى واستزخى فقالت : ما صار ابني إلا صُوفَةٌ ، فسُمّي صُوفَةً (١) .

(١) في القاموس عن صوفة أيضا : أو هم قوم من أفناء القبائل تجمعوا ، فتشبهوا كنشْبِك الصوفة . هذا وقد رواه الجوهري : آل صفوانا . ويقول القاموس : والصواب . آل صفوانا . وهم قوم من بني سعد بن زيد مناة . قال أبو عبيدة : حتى يجوز القائم بذلك من آل صفوان . وفيه أيضا وردت الشرطة الأولى : ولا يرمون في التمرّيف موقفهم . وما ذكره السهيلي عن سبب تسمية الغوث - - نقلا عن الكلبي - يوجد في القاموس الذي ذكره للرّبيط عدة معان ، ثم قال : لقب الغوث ابن مر بن طابخة . ويذكر أن الولد عاش ، فجعلته أمه خادما للبيت الحرام حتى بلغ ، فنزعته ، فلقب : الرّبيط . وقد سقط من هذه المادة في القاموس كلمة « أد » من نسب الغوث على حين ذكرها في مادة صوف . وفي القاموس أيضا : « وكان أحدهم يقوم فيقول : أجزى صوفة ، فإذا أجازت قال : أجزى خنشف . فإذا أجازت أذن للناس كلهم في الإجازة ، وعرف القوم : وقفوا بعرفة : والبيت الأول في السيرة موجود أيضا في اللسان بنفس رواية القاموس « ولا يرمون إلخ » وقول أبي عبيدة عن صوفة موجود في اللسان . وانظر ص ١٨٣ من المحبر .

بنو سعد وزيد مناة :

فصل : وذكر وراثه بنى سعد إجازة الحاج بالقعد من بنى الغوث ابن مُرّ ، وذلك أن سعداً هو : ابن زيد مناة بن تميم بن مُرّ ، وكان سعداً أُنْعِد بالغوث بن مُرّ من غيره من العرب (١) ، وزيد مناة بن تميم يقال فيه : مناة ومناة بالهمز (٢) ، وتركه ، ويجوز أن يكون - إذا همز - مفعلة من ناء ينوء ، ويجوز أن يكون : فعالة من المنبئة ، وهى : المدبغة ، كما قالت امرأة من العرب لأخرى : [تقول لك أُمى] : أعطيتى نفساً أو نفسين أمعس به منبئتى ، فإنى أفدة . النفس : قطعة من الدِّبَاغ ، والمنبئة : الجِلْدُ فى الدِّبَاغ ، وأفدة : مقاربة لاستتمام ما تريد صلاحه وتماحه من ذلك الدِّبَاغ (٣) وأنشد أبو حنيفة :

(١) القُعدد بضم القاف وسكون العين وضم الدال أو فتحها : القريب من الجد الأكبر ، أو أملك القرابة فى النسب ، والقربى . وأقعدهم : أقربهم إلى جده الأكبر . وانظر ص ٢٥٧ من المحبر لابن حبيب ، ص ٤٠ من شرح الحاشنى .

(٢) وفى اللسان عن مناة : ومناة : صخرة ، وفى الصحاح : صنم كان لهديل وخزاعة بين مكة والمدبنة يعبدونها من دون الله من قولك : منوت الشيء - أى : اختبرته ... وعبد مناة بن أد بن طابخة . وزيد مناة بن تميم بن مر يمدو بقصر . قال هو بر الحارثى

ألاهل أقي التميم بن عبيد مناة على الشنم فيما بيننا ابن تميم
وفيه تخطئة من قال : مناة بالهاء ، وغلطوا الطاقى فى قوله : لإحدى بنى بكر
ابن عبيد مناه .

(٣) فى إصلاح المنطق أن الذى قص هذا هو الاصمعى ، وفيه ، وفى اللسان : أمعس به ، بدلا من : أمعس بها ، كما فى الروض . وفسر نفساً أو نفسين بقوله : =

إذا أنت باكرت المنية باكرت قضيبي أراك بات في المسك منقما

وأشدد يعقوب :

إذا أنت باكرت المنية باكرت مداك لها من زعفران وإميدا (١)

استقار المرزلفة :

فصل : وأما قوله : فلأن الإفاضة من المرزلفة كانت في عدوان فالمرزلفة : مُفْتَعِلَةٌ من الازدلاف ، وهو الاجتماع . وفي التنزيل : (وَأَزْلَفْنَا نَمَمَ

= قدر دبغة أو دبغتين ، وفي اللسان : أفد الشيء : يَأْفِدُ أَفْدًا فهو أفده : دنا وحضر وأسرع ، والأفد : المستعجل ؛ والمنية عند الفارسي : مَفْعَلَةٌ بكسر العين من اللحم النقي ، ومنأ تأبى ذلك ، وهي عند غيره كما ذكر السهيلي . والمنية : الجلد أول ما يدبغ ، ثم هو : أفيق ، ثم : أديم . وأفس : أدلك وأحرك ، وفي اللسان : منأ الجلد بمنؤه منأ : إذا أنقعه في الدباغ ، وهي في اللسان فميلة ، وفي تهذيب لإصلاح المنطق للتبريزي : هو آفدة أى : سريعة . يقع في بعض النسخ : الآفدة : التي تشتكى فؤادها ، وقيل : السريعة ، وقيل : المعيبة . قال أبو العلاء : ينبغي أن يقال : فائدة التي تشتكى فؤادها ، والصواب أن يفسر : آفدة بالسريعة ، انظر اللسان ومعجم ابن فارس وإصلاح المنطق لابن السكيت ، ص ٩٤ وتهذيب للتبريزي ص ١٤٥ .

(١) الشعر لحميد بن ثور وقيله :

فأقسم لولا أن حُددبا تنابعت عليّ ، ولم أبرح بدّين مطردا
لواحت مكسالا كأن ثيابها تحن غزالا بالخيالة أغيدا

يخاطب زوجته فيقسم : لولا أن حددبا ، وهي السنون الجديدة - واحدتها : حديداء - تنابعت عليه ، واستدان وطالبه الغرماء : وطروده لواحت مكسالا ، وهي المرأة الثقيلة الازدلاف ، الناعمة الجسم ، أى : تزوجت امرأة أحسن منك ، كأن ثيابها تستر =

الآخرين) وقيل : بل الأزدي لآف : هو الاقتراب ، والزئمة : القربة ، فسميت
مزلفة ؛ لأن الناس يزْدَلِفُون فيها إلى الحرم ، وفي الخبر : أن آدم عليه السلام
لَمَّا هَبَطَ إلى الأرض ^(١) لَمْ يَزَلْ يَزْدَلِفُ إلى حواء ، وتزدلفُ إليه ، حتى تعارفا
بَعْرِفَةً ، واجتمعا بالمُزْدَلْفَةِ فسميت : جمعا ، وسميت : المزلفة ^(٢) .

ذو الإصبع وآل ظرب :

وأما ذو الإصبع ^(٣) الذي ذكره فهو : حرثان بن عمرو ، ويقال فيه : حرثان
ابن الحارث بن مُحَرَّث بن ربيعة بن هُبيرة بن ثعلبة بن ظرب ، وَظَرِبٌ هو :
والدعاصر بن الظرب الذي كَانَ حَكَمَ العرب ، وذكر ابن إسحاق قصته في
الْخُنْفَى ، وفيه يقول الشاعر [المتمم] :

== غزالا . والاعيد : المنثى . ثم قال : إذا أنت باكرت دباغ الجلود باكرت هي
الطيب والمداك ، وهو الحجر الذي يسحق عليه الطيب . والأثمد : الكحل . أى
باكرت هي الطيب والاكتحال . انظر ص ١٤٥ تهذيب لإصلاح المنطق .

(١) الرأى الراجح أن جنة آدم كانت في الأرض .

(٢) لم يرد هذا في حديث صحيح .

(٣) سبب تسميته في الاشتقاق ص ٢٦٨ واسمه : حرثان ، ونسبه في الأغاني :
حرثان بن الحارث بن محرت بن ثعلبة بن سيار بن ربيعة بن هيرة بن ثعلبة بن ظرب بن
عمرو بن عباد بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر
ابن نزار ، وفي الجهرة لابن حزم هو : حرثان بن محرت ، ونسبه في أمالي المرتضى
مختلف أيضا فهو : حرثان بن محرت بن الحارث بن ربيعة بن وهب بن ثعلبة
وقيل : محرت بن حرثان ، وقيل : حرثان بن حويرث ، وقيل : حرثان بن حارثة
ابن ظرب إلخ .

الذى الحلم قبل اليوم ما تُقَرَعُ الْعَصَا وما عُلِّمَ الإنسان إلا ليعلم^(١)

وكان قد خَرَفَ ، حتى تَفَلَّتَ ذَهْنُهُ ، فكانت العصا تُقَرَعُ له إذا تكلم في نادى قومه تنبيها له ؛ لئلا تكون له السقطة في قول أو حكم . وكذلك كان ذو الإصْبَعِ ، كان حَكَمًا في زمانه ، وعَمِرَ ثلاثمائة سنة ، وسمى ذا الإصْبَعِ ؛ لأن حَيَّةَ نَهَشَتْهُ في أَصْبَعِهِ .

وَجَدُّهُمْ ظَرْبُ : هو عمرو بن عِيَّاذ بن يَشْكُر بن بكر بن عدوان ، واسم عدوان تيم ، وأمه : جَدِيلَةُ بنت أَدَّ بن طابخة ، وكانوا أهل الطائف ، وكثر عددهم فيها حتى بلغوا زهاء سبعين ألفاً ، ثم هلكوا ببغى بعضهم على بعض ، وكان ثقيف

(١) بيت الشعر الذى الحلم الخ ، هو للمتلس ، وكان ابن الطرب قد كبر ، فقال له ابنه الثانى : إنك ربما أخطأت في الحكم ، فيحمل عنك ، قال : فاجعلوا لى أماره أعرفها ، فإذا زغت ، فسمعتها رجعت إلى الحكم والصواب . فكان يجلس قدام بيته ، ويقعد ابنه فى البيت ومعه العصا . فإذا زاغ ، أو هفا قرع له الجفنة ، فرجع إلى الصواب . هذا وربيعه تدعيه لعبد الله بن عمرو بن الحارث بن همام ، واليمن تدعيه لربيعة بن مخاشن ، وهو ذو الأعواد ، وفى اللسان : أن هذا الحكم هو عمرو بن حُصمة الدوسى الذى قضى بين العرب ثلاثمائة سنة ، والأصبع : مثانة الحمزة . ومع كل حركة تملك الياه ، ففيه تسع لغات ، والعاشر : أصبوع ، وحكم العرب فى الجاهلية هم : أكرم بن صيفى ، وحاجب بن زرارة ، والاقرع بن حابس ، وربيعه بن مخاشن وضمرة بن أبى ضمرة تيم ، وعامر بن الطرب ، وغيلان بن سلبه لقيس ، وعبد المطلب وأبو طالب والعاصى بن وائل والعلاء بن حارثة لقريش . وربيعه ابن حذار لأسد ، ويعمر بن الشداخ وصفوان بن أمية ، وسلي بن نوفل لكنانة وحكميات العرب : صحر بن بنت لقمان وهند بنت الحسن ، وجعة بنت حابس وابنة عامر بن الطرب ، وانظر ص ١٨١ من المحبر .

وهو قَسِيٌّ بنُ مُنَبِّهٍ صَهْرًا لِعَامِرِ بنِ الظَّرْبِ ، كانت تحتَه زَيْنَب بنت عامر ،
وهي أم أُم أكثر ثَقِيف ، وقيل : هي أخت عامر ، وأختها ليلي بنت الظرب هي :
أُم دَوْس بنِ عَدْنان ، وسيأتي طرف من خبره فيما بعد - إن شاء الله - فلما هلكَت
عَدُونان ، وأُخْرِجَت بقيتهم ثَقِيف من الطائف ، صارت الطائف بأسرها لثَقِيف
إلى اليوم .

وقوله : حَيَّة الأرض : يقال فلان حية الأرض ، وحية الوادي إذا كان مَهِيْبًا
يُذْعَر منه ، كما قال حسان :

يَا مُحْكَم بنَ طُقَيْلٍ قَدْ أُتِيحَ لَكُمْ اللَّهُ دَرُّ أَبِيكُمْ حِيةِ الْوَادِي

يعنى بحية الوادي : خالد بن الوليد رضى الله عنه .

فصل : وقوله : عَذِيرَ الْحَيِّ من عَدُونان ^(١) . نصب عذيرا على الفعل المتروك
إظهاره ، كأنه يقول : هاتوا عذيرَه ، أى : مَنْ يَعْذُرُه ، فيكون العذيرُ بمعنى :
العاذر ، ويكون أيضا بمعنى : العُدْر مصدرًا كالحديث ونحوه .

أبو سبارة :

وذكر أبا سَيَّارة ، وهو عُثَيْلَةُ بنُ الْأَعْزَلِ في قول ابنِ إِسْحَاق ، وقال غيره :
اسمه : العاصي . قاله الخطابي . واسم الأعزل : خالد ، ذكره الأصبهاني ، وكانت

(١) عدة القصيدة التي في السيرة هي في الأغاني : اثنا عشر بيتاً في ترجمة ذى
الإصبع ، والقصيدة عن تفرق عدوان وتشتتهم في البلاد مع كثرتهم . وفي اللسان
عن حية الوادي : إذا كان شديد الشكيمة حاميا لحوزته ، وقال عن بيت ذى
الإصبع الأول : : أراد أنهم كانوا ذوى إرب وشدة لا يضيعون ثأراً ، .

له أتان عَوْرَاء، خِطَامُهَا لَيْفٌ، يُقَالُ : إِنَّهُ دَفَعَ عَلَيْهَا فِي الْمَوْقِفِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَإِيَاهَا يَعْنِي الرَّاجِزَ فِي قَوْلِهِ : حَتَّى يُجَيِّزَ سَالِمًا حِمَارَهُ .

وكانت تلك الأتان سوداء ؛ ولذلك يقول :

لَا هُمْ مَالِي فِي الْحِمَارِ الْأَسْوَدِ أَصْبَحْتَ بَيْنَ الْعَالَمِينَ أَحْسَدَ
فَقِي أَبَا سَيَّارَةَ الْمُحَسَّدِ مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ إِذْ يُحَسَّدُ

وَأَبُو سَيَّارَةَ هَذَا هُوَ الَّذِي يَقُولُ : أَشْرَقَ ثَبِيرٌ كَيْمَا نُغَيِّرُ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ :

لَا هُمْ إِنِّي تَابِعٌ تَبَاعَهُ (١)

(١) إن العرب لما سمعوا اللهم جرت في كلام الخلق توهموا أنه إذا ألغيت الألف واللام من الله كان الباقي : لاه ، فقالوا : لاهم ، ويقولون : لاه أبوك . يريدون : لله أبوك ، وقالوا : لهنك أصلها : لله إنك ، غذف الألف واللام ، فقال : لاه إنك ، ثم ترك همزة إنك ، فقال : لهنك ، وقالوا : لهننا . أصلها : لاه إنا غذف مدة لاه ، وترك همزة نا . ويرى الفراء أن لهنك أصلها : لأنك ، فأبدل الهمزة هاء مثل : هراق الماء ، وأراق ، وأدخل اللام في إن لليمين . ويقول ابن جني في الخصائص عن اللام في قولهم : إن زيدا لقائم : إن موضعها أول الجملة وصدرها ، لا آخرها وعجزها : ثم قال : ويدل على أن موضع اللام في خبر إن أول الجملة قبل إن : أن العرب لما جفا عليها اجتماع هذين الحرفين قلبوا الهمزة هاء لينزول لفظ إن ، فنزل أيضا ما كان مسكرا من ذلك فقالوا : لَسْ نَسْكَ قَائِمٌ بفتح فسكس فتضعيف ، أي : لهنك قائم . ثم استشهد ببعض أبيات على هذا . . ورأيه في هذا رأى سيديويه في الكتاب ، وضعف رأى من قالوا : إن أصلها : لله إنك الخصائص . ص ٣١٤ ج ١ ط ١٩٥٢ وقد تقدم في الجزء الأول ذكر هذا .

وثبِير : جبال بظاهر مكة ، والآثيرة أربعة : ثبِير عَيْشِي ، وثبِير الأعرج ، وهما : حراء وثبِير . وثبِير الآثيرة ، وثبِير منى ، وهما بديار مزينة . ومعنى المثل : =

وكان يقول في دعائه : اللهم بَعْضُ بين رِعاثنا ، وَحَبِيبُ بين نساتنا ،
واجعل المالَ في سُمَحائنا : وهو أول من جعل الدِّيَّةَ مائةً من الإِبِلِ ، فيما ذكر
أبو اليقظان ، حكاه عنه حمزةُ بن الحسن الأصبهاني .

وقوله : وعن مواليه بنى فزارة . يعنى بمواليه : بنى عمه ، لأنه من عَدَوانٍ
وعَدَوانُ وفزارةُ : من قَيْسِ عَيْلانَ ، وقوله : مُسْتَقْبِلُ القبلة يدعو جاره . أى :
يدعو الله عز وجل ، يقول : اللهم كن لنا جارا بما نخافه ، أى : بحجرا .

== ادخل يا ثبير في الشروق ، كي نسرع إلى النحر . قال عمر : إن المشركين كانوا
يقولون : أشرق ثبير كيما نغير ، وكانوا لا يفوضون حتى تطلع الشمس ، والإفاضة
هنا من المزدلفة إلى منى ، والمثل يضرب في الإسراع والعجلة ، وفي شرح الكافية
ج ٢ ص ٣٣٢ . واعلم أن من العرب من يقول : لَسَهْنَكْ . وافتح اللام وكسر
الهاء وتضعيف النون مع فتح ، لَسَرَجُلُ صدق . قال : لَسَهْنًا لِمَتَقَضَى عَلَيْنَا التَّاجِرُ .
وقال : لهنى لا شقى الناس إن كنت غارما . وقد يحذف اللام ، وهو قليل ، قال :
ألا يا سنا برهق على قُلُتْل الحى لَسَهْنَكْ من بَرَقَ عَلَى كَرِيم

وفيه ثلاثة مذاهب . أحدها لسيويوه : وهو أن الهاء بدل من همزة إن
كياياك وهياك ، فلما غيرت صورة إن بقلب همزتها هاء ، جاز بجامعة اللام لإياها
بعد الامتناع ، والثاني : قول الفراء ، وهو أن أصله : والله إنك ، كما روى عن أبي
أدهم الكلابي : دَلَه ربي لا أقول ذلك ، بقصر اللام ، ثم حذف حرف الجر ، كما
يقال : الله لأفعلن ، وحذفت لام التعريف أيضا ، كما يقال : لاه أبوك . أى :
لله أبوك . ثم حذفت ألف فعال ، كما يحذف من الممدود إذا قصر . كما يقال :
الحصاد والحصد قال :

ألا لا بارك الله في سُهَيْلٍ إِذَ ما الله بارك في الرجال
، وحذف مد لام الله . ووقف عليها بالسكون وحذف ألف إذا ، ثم حذفت همزة إنك ==

أمر عامر بن ظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان

قال ابن إسحاق : وقوله : حكم يقضى يعنى : عامر بن ظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان المدوانى . وكانت العرب لا يكون بينها نائرة ، ولا عضلة فى قضاء إلا أسندوا ذلك إليه ، ثم رضوا بما قضى فيه ، فاختصم إليه فى بعض ما كانوا يختلفون فيه ، فى رجل خنثى ، له ما للرجل ، وله ما للمرأة ، فقالوا : أنجعله رجلا أو امرأة ؟ ولم يأتوه بأمر كان أعضل منه . فقال : حتى أنظر فى أمركم ، فوالله ما نزل بى مثل هذه منكم يامعشر العرب ! فاستأخروا عنه . فبات ليلته ساهراً يُقلب أمره ، وينظر فى شأنه ، لا يتوجه له منه وجه ، وكانت له جارية يقال لها : سُخَيْلَة ترعى عليه غنمه ، وكان يُعانيها إذا سرحت فيقول : صَبَحَ وَاللَّهِ يَسُخَيْل ! وإذا أراحت عليه ، قال : مَسَيْتَ وَاللَّهِ يَسُخَيْل ! وذلك أنها كانت تؤخر السرح حتى يسبقها بعض الناس ، وتؤخر الإراحة حتى يسبقها بعض الناس . فلما رأت سهره وقلقه ، وقلة قراره على فراشه قالت : مالك لا أبالك ! ما عراك فى ليلتك هذه ؟ قال : وَيْلَكَ ! دَعَيْنى ، أمرئيس من شأنك ، ثم عادت له بمثل قولها ، فقال فى نفسه : عسى أن تأتى مما أنا فيه بفرج ، فقال : وَيْحَكَ ! اخْتَصِمِ إلَى فى ميراث خُنْثَى ، أأجعله رجلا أو امرأة ؟

.

== وفيما قال تكلفات كثيرة . والثالث : ما حكى المفضل بن سلمة عن بعضهم أن أصله : لله إناك . واللام للقسم ، فعمل به ما عمل فى ذهب الفراء ، وقول الفراء أقرب من هذا ، لأنه يقال : لهنك لقائم بلا تعجب . .

فوالله ما أدرى ما أصنع ، وما يتوجّه لى فيه وجهه ؟ : قال : فقالت سبحانه الله ! لا أبالك ! أتبيح القضاء المبال ، أقعده ، فإن بال من حيث يبول الرجل فهو رجل ، وإن بال من حيث يبول المرأة ، فهي امرأة . قال : متى سخيّل بعدها ، أو صبحى ، فرّجتها والله ! . ثم خرج على الناس حين أصبح ، فقضى بالذى أشارت عليه به .

غلب قصي بن كلاب على أمر مكة وجمعه أمر قريش

ومعونة قضاة له

قال ابن إسحاق : فلما كان ذلك العام ، فعلت صوفة كما كانت تفعل ، وقد عرفت ذلك لها العرب ، وهو دين في أنفسهم في عهد جرهم وخزاعة وولايهم . فأتاهم قصي بن كلاب بمن معه من قومه من قريش وكنانة وقضاة عند العقبة ، فقال : لنحن أولى بهذا منكم ، فقاتلوه ، فاقتل الناس قتالا شديداً ، ثم انهزمت صوفة ، وغلبهم قصي على ما كان بأيديهم من ذلك .

وانحازت عند ذلك خزاعة وبنو بكر عن قصي ، وعرفوا أنه سيمنعهم كما منع صوفة ، وأنه سيحول بينهم وبين الكعبة وأمر مكة . فلما انحازوا عنه بادأهم ، وأجمع لحربهم ، وخرجت له خزاعة وبنو بكر فالتقوا ، فافتتلوا قتالا شديداً ، حتى كثرت القتلى في الفريقين جميعاً ، ثم إنهم تداعوا إلى الصلح ، وإلى أن يحكموا بينهم رجالاً من العرب ، فحكموا يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن

لَيْثُ بْنُ بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ ، فَقَضَى بَيْنَهُمْ أَنَّ قُصَيًّا أُولَى بِالسَّكْبَةِ ، وَأَمْرٌ مَكَّةَ مِنْ خُرَاعَةَ ، وَأَنَّ كُلَّ دَمٍ أَصَابَهُ قُصَيٌّ مِنْ خُرَاعَةَ وَبَنَى بَكْرٌ : مَوْضُوعٌ يَشْدُخُهُ تَحْتَ قَدَمَيْهِ ، وَأَنَّ مَا أَصَابَتْ خُرَاعَةُ وَبَنُو بَكْرٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَكِنَانَةَ وَقُضَاعَةَ ، فَفِيهِ الدِّيَّةُ مُؤَدَّاةٌ ، وَأَنَّ يُحْلَى بَيْنَ قُصَيٍّ وَبَيْنَ السَّكْبَةِ وَمَكَّةَ .

فَسُمِّيَ يَعْمَرُ بْنُ عَوْفٍ يَوْمَئِذٍ : الشَّدَاخُ ، لِمَا شَدَخَ مِنْ الدَّمَاءِ وَوَضَعَ مِنْهَا .

قال ابن هشام : ويقال : الشَّدَاخُ .

قال ابن إسحاق : فَوَلَّى قُصَيُّ الْبَيْتَ وَأَمْرَ مَكَّةَ ، وَجَمَعَ قَوْمَهُ مِنْ مَنَازِلِهِمْ إِلَى مَكَّةَ ، وَتَمَلَّكَ عَلَى قَوْمِهِ وَأَهْلِ مَكَّةَ فَلَسَّكَوهُ ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ أَقْرَأَ لِلْعَرَبِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَرَاهُ دِينًا فِي نَفْسِهِ لَا يَنْبَغِي تَغْيِيرُهُ ، فَأَقْرَأَ آلَ صَفْوَانَ وَعَدَوَانَ وَالنِّسَاءَ وَمُرَّةَ بْنَ عَوْفٍ عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ ، حَتَّى جَاءَ الْإِسْلَامَ ، فَهَدَمَ اللَّهُ بِهِ ذَلِكَ كُلَّهُ . فَكَانَ قُصَيٌّ أُولَى بَنَى كَعْبُ بْنُ أُوَيْسٍ أَصَابَ مُلْسَكَ أَطَاعَ لَهُ بِهِ قَوْمُهُ ، فَكَانَتْ إِلَيْهِ الْحِجَابَةُ ، وَالسَّقَايَةُ ، وَالرَّفَادَةُ ، وَالنَّدْوَةُ ، وَاللَّوَاءُ ، فَخَازَ شَرَفَ مَكَّةَ كُلِّهِ . وَقَطَعَ مَكَّةَ رِبَاعًا بَيْنَ قَوْمِهِ ، فَأَنْزَلَ كُلَّ قَوْمٍ مِنْ قُرَيْشٍ مَنَازِلَهُمْ مِنْ مَكَّةَ الَّتِي أَصْبَحُوا عَلَيْهَا ، وَبِزَعْمِ النَّاسِ أَنَّ قُرَيْشًا هَابُوا قَطَعَ شَجَرِ الْحَرَمِ فِي مَنَازِلِهِمْ ، فَقَطَعَهَا قُصَيٌّ بِيَدِهِ وَأَعْوَانِهِ ، فَسَمَّيْتُهُ قُرَيْشٌ : مُجْمَعًا لِمَا جَمَعَ مِنْ أَمْرِهَا ، وَتَيَمَّنْتُ بِأَمْرِهِ ، فَمَا تُنْكَحُ امْرَأَةٌ ، وَلَا يَتَزَوَّجُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَمَا يَتَشَاوَرُونَ فِي أَمْرِ نَزَلِ بِهِمْ ، وَلَا يَعْتَدُونَ لَوَاءِ لِحَرْبٍ قَوْمٍ مِنْ غَيْرِهِمْ إِلَّا فِي دَارِهِ ، يَعْقِدُهُ لِهِمْ بَعْضُ وَلَدِهِ ، وَمَا تَدْرِعُ جَارِيَةٌ

إذا بلغت أن تدَّرع من قريش إلا في داره ، يُشَقُّ عليها فيها درعها ثم تدَّرع ،
ثم ينطلق بها إلى أهلها . فكان أمره في قومه من قريش في حياته ، ومن بعد
موته ، كالدين المتبع لا يعمل بغيره . واتخذ لنفسه دار الندوة ، وجعل بابها
إلى مسجد الكعبة ، ففيها كانت قريش تقضى أمورها : قال ابن هشام :
وقال الشاعر :

قُصِيَ لَعْمَرِي ، كَانَ يُدْعَى مُجَمِّمًا بهِ جَمَعَ اللهُ القَبَائِلَ مِنْ فِهْرِ

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الملك بن راشد عن أبيه ، قال : سمعت السائب
ابن خباب صاحب المقصورة يحدث ، أنه سمع رجلاً يحدث عمر بن الخطاب ،
وهو خليفة ، حديث قُصِيَ بن كلاب ، وما جمع من أمر قومه ، وإخراجه خُزاعة
وبني بكر من مكة ، وولايته البيت وأمر مكة ، فلم يرد ذلك عليه ولم ينكره .

قال ابن إسحاق : فلما فرغ قُصِيَ من حربته ، انصرف أخوه رِزَاحُ بن ربيعة
إلى بلاده بمن معه من قومه ، وقال رِزَاحُ في إجابته قُصِيًّا :

لَمَّا أَتَى مِنْ قُصَيٍّ رَسُولُ فقال الرسولُ : أجيئوا الخليلًا
نَهَضْنَا إِلَيْهِ نَقُودَ الْجِيَادِ ونطرح عنّا المأولَ الثقيلًا
نَسِيرُهَا اللَّيْلَ حَتَّى الصَّبَاحِ ونكفي النهار ؛ لئلاَّ نزولا
فَهْنٌ سِرَاعٌ كَوَرْدِ الْقَطَا يُجِبْنَ بِنَا مِنْ قُصَيٍّ رَسُولَا
جَمَعْنَا مِنَ السَّرِّ مِنْ أَشْمَذِينَ ومن كلِّ حىٍّ جمعنا قبيلا
فِيَالِكَ حَلَبَةٍ مَا لَيْلَةٌ تزيد على الألف سَيِّبًا رَسِيلَا

فَلَمَّا مَوَّزَنَ عَلَى عَسَجَرٍ وَأَسْهَلَنَ مِنْ مُسْتَفَاحِ سَبِيلَا
وَجَاوَزَنَ بِالرُّكْنِ مِنْ وَرِقَانٍ وَجَاوَزَنَ بِالْعَرْجِ حَيَا حُلُولَا
سَرَرَنَ عَلَى الْخَيْلِ مَا ذُقْنَاهُ وَعَالَجَنَ مِنْ مَرٍّ لَيْلًا طَوِيلَا
نَدَّتْهُ مِنَ الْعُوذِ أَفْلَاحُهَا لِإِرَادَةِ أَنْ يَسْتَرْقِيَ الصَّهِيلَا
فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى مَكَّةَ أَبْجَحْنَا الرِّجَالَ قَبِيلًا فَبِيلَا
نُؤَاوِرُهُمْ ثُمَّ حَدَّ السِّیُوفِ وَفِي كُلِّ أَوْبٍ خَلَسْنَا الْعُقُولَا
نُخَبِّزُهُمْ بِصِلَابِ الذُّسُوفِ رِخْبَزِ الْقَوَى الْعَزِيزِ الذَّلِيلَا
قَتَلْنَا خُرَاعَةً فِي دَارِهَا وَبَكَرًا قَتَلْنَا وَجِيلًا فَجِيلَا
نَفِينَاهُمْ مِنْ بِلَادِ الْمَلِكِ كَمَا لَا يَحْمِلُونَ أَرْضًا سُهُولَا
فَأَصْبَحَ سَبِيحُهُمْ فِي الْحَدِيدِ وَمِنْ كُلِّ حَيٍّ شَقِينَا الْغَالِيلَا

وَقَالَ ثَعْلَبَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ذُبْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ سَعْدِ بْنِ هُذَيْمٍ الْقُضَاعِيُّ
فِي ذَلِكَ مِنْ أَمْرِ قَصِي حِينَ دَعَاهُمْ فَأَجَابُوهُ :

جَلَبْنَا الْخَيْلَ مُضْمَرَةً تَعَالَى مِنْ الْأَعْرَافِ أَعْرَافِ الْجَنَابِ
إِلَى غَوْرَى سِهَامَةٍ ، فَالْتَقَيْنَا مِنْ الْفَيْفَاءِ فِي قَاعِ يَبَابِ
فَأَمَّا صُوفَةُ الْخُنْفَى ، فَخَالُوا مِنْزِلَهُمْ مُحَاذِرَةَ الضَّرَابِ
وَقَامَ بَنُو عَلَى إِذْ رَأَوْنَا إِلَى الْأَسْيَافِ كَالْإِبِلِ الطَّرَابِ

وَقَالَ قُصَيٌّ بْنُ كِلَابٍ :

أَنَا ابْنُ الْعَاصِمِينَ بَنِي لُؤَيٍّ بِمَكَّةَ مَنَزِلِي ، وَبِهَا رَيْتُ

إلى البطحاء قد علمت معدةً ومروءتها رَضِيتَ بها رَضِيتَ
فلستُ لغالب إن لم تأثُل بها أولاد قينذر ، والنَّبيتُ
رِزَاحُ ناصِري ، وبه أُسامي فلستُ أخافُ ضَيْمًا ما حَيَّيتُ

فلما استقر رِزَاحُ بن ربيعة في بلاده ، نشره الله ونشر حُنا ، فهما قبيلة
عُدْرَةَ اليوم . وقد كان بين رِزَاح بن ربيعة ، حين قدِم بلاده ، وبين نَهْدِ بن
زَيْد وحوثة نكة بن أسلم ، وهما بطنان من قُضاة شَيْء ، فأخافهم حتى لحقوا
بالمين ، وأجلوا من بلاد قضاة ، فهم اليوم بالمين ، فقال قصي بن كلاب ، وكان
يحب قضاة ونمائها واجتماعها ببلادها ، لما بينه وبين رِزَاح من الرَّحِم ، وللبلائهم
عنده إذ أجابوه إذ دعاهم إلى نصرته ، وكره ما صنع بهم رِزَاح :

أَلَا مَنْ مُبْلَغَ عَنِّي رِزَاحًا فَإِنِّي قَدْ كَلَيْتُكَ فِي اثْنَتَيْنِ
كَلَيْتُكَ فِي بَنِي نَهْدِ بْنِ زَيْدٍ كَمَا فَرَّقْتَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنِي
وَحَوْثُوكَ بْنَ أَسْلَمَ إِنَّ قَوْمًا عَنَوْهُمْ بِالْمَسَاءَةِ قَدْ عَنَوْنِي

قال ابن هشام : وتروى هذه الأبيات لزهير بن جناب الكلبي .

قال ابن إسحاق : فلما كبر قصي ورق عظمه ، وكان عبد الدار بكروه ،
وكان عبد مناف قد شرف في زمان أبيه ، وذهب كل مذهب ، وعبد العزى
وعبد . قال قصي لعبد الدار : أما والله يا بُنَيَّ لأُحَقِّنَكَ بالقوم ، وإن
كانوا قد شرفوا عليك : لا يدخل رجل منهم الكعبة ، حتى تكون أنت تفتحها
له ، ولا يعقد قریش لواء لحريها إلا أنت بيدك ، ولا يشرب أحد بمسكة إلا من
سِمتائك ، ولا يأكل أحد من أهل الموسم طعاما إلا من طعامك ، ولا تقطع قریش

أمرأ من أمورها إلا في دارك، فأعطاه داره دار الندوة، التي لا تنقض قريش أمراً من أمورها إلا فيها، وأعطاه الحجابة واللواء والسقاية والرفادة .

من فرض الرفادة :

وكانت الرفادة خَرْجاً تُخرج قريش في كلِّ موسم من أموالها إلى قُصَيِّ ابنِ كِلَابٍ، فيصنع به طعاماً للحاجِّ، فيأكله مَنْ لم يكن له سعة ولا زاد، وذلك أن قُصَيّاً فرَّضه على قريش، فقال لهم حين أمرهم به : يامُعَشَرَ قريش، إنكم جيرانُ الله، وأهلُ بيته، وأهلُ الحرم، وإن الحاجَّ ضَيْفُ اللهِ وزوّار بيته، وهم أحق الضيف بالكرامة، فاجعلوا لهم طعاماً وشراباً أيامَ الحجِّ، حتى يَصْدُرُوا عنكم، ففعلوا، فكانوا يُخرجون لذلك كلَّ عام من أموالهم خَرْجاً، فيدفعونه إليه، فيصنعه طعاماً للناس أيامَ مِنى، فجرى ذلك من أمره في الجاهلية على قومه حتى قام الإسلام، ثم جرى في الإسلام إلى يومك هذا، فهو الطعام الذي يصنعه السلطان كلَّ عام بمنى للناس حتى ينقضى الحجُّ .

قال ابن إسحاق : حدثني بهذا من أمر قُصَيِّ بنِ كِلَابٍ، وما قال لعبد الدار فيما دفع إليه مما كان بيده : أبي إسحاق بن يسار، عن الحسن بن محمد ابن عليّ بن أبي طالب رضى الله عنهم، قال :

سمعتُه يقول ذلك لرجل من بني عبد الدار، يقال له : نُذْبِيَةُ بن وهب بن عامر بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَيِّ .
قال الحسن : فجعل إليه قُصَيٌّ كلَّ ما كان بيده من أمر قومه، وكان قُصَيٌّ لا يُخَالَفُ، ولا يُردّ عليه شيء صنّعه .

الحكم بالأمارات :

فصل : وذكر عامر بن الظرب وحكمه في الخنثى ، وما أفتته به جاريته سُخَيْلَة ، وهو حكم معمول به في الشرع ، وهو من باب الاستدلال بالأمارات والعلامات ، وله أصل في الشريعة ، قال الله سبحانه : (وجاءوا على قبيصه بدمٍ كذبٍ) وجه الدلالة على الكذب في الدم أن القميص المدَّمَّى لم يكن فيه خرق ولا أثر لأنياب الذئب ، وكذلك قوله : (إن كان قميصه قد من قبلٍ فصدقت ، وهو من الكاذبين) . [يوسف : ٢٦] الآية . وقول النبي صلى الله عليه وسلم في المولود : «إن جاءت به أورق جعداً أجمائياً فهو للذي رُميت به»^(١) فلا استدلال بالأمارات أصلٌ يَنبَنِي عليه كثيرٌ من الأحكام في الحدود والميراث ، وغير ذلك . والخنثى في الخنثى أن يُعْتَبَر المَبَالُ ، ويُعْتَبَر بالحَيْض ، فإن أَشْكَل من كُلِّ وَجْهِ ، حُكِمَ بأن يكون له في الميراث سَهْمُ امرأةٍ ونصف ، وفي الدِّيَّة كذلك ، وأكثر أحكامه مبنية على الاجتهاد .

(١) هذا جزء من حديث — رواه أبو داود مطولاً ، وفي إسناده عباد بن منصور ، وقد تكلم فيه غير واحد ، وهو في قذف هلال بن أمية أحد الثلاثة الذين خلفوا امرأته بشريك بن سحاء ، فشكا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فطلب منه الرسول دس، البينة، وإلا أقام عليه الحد ، فنزلت آيات اللعان من سورة النور ، وقد روى قصة هلال الجماعة وأحمد ، والجعد : القصير الشعر ، والأورق : الاسمر مع بياض . والجمالى : العظيم الخلق كأنه الجمل ، وقد طلب النبي صلى الله عليه وسلم أن تترك المرأة حتى تلد ، فجاءت بالولد في صفات الرجل الذي رُميت به ، فقال صلى الله عليه وسلم : «لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن» .

السراخ :

فصل : وذكر يَعْمَرُ الشَّدَاخُ بن عوف حين حَكَمُوهُ ، وأنه سمي بالشَّدَاخ لما شَدَخَ من دِمَاءِ خُزَاعَةَ^(١) وَيَعْمَرُ الشَّدَاخُ هو جَدُّ بنِي دَأْبِ الذين أخذ عنهم كثير من علم الأخبار والأنساب وهم : عيسى بن يزيد بن [بَكْر] ابن دَأْبٍ ، وأبوه : يَزِيدُ ، وحَدِيقَةُ بن دَأْبٍ ، ودَأْبٌ هو : ابن كُرْز بن أُنْجَر من بنِي يَعْمَرِ بن عَوْفٍ الذي شَدَخَ دِمَاءَ خُزَاعَةَ ، أى : أبطلها ، وأصل الشَّدَخ : الكسر والْفَضْخُ ، ومنه الْفُرَّةُ الشادخة ، شُبِّهَتْ بِالْفَرْبَةِ الواسعة . والشَّدَاخُ بفتح الشين كما قال ابن هشام ، والشَّدَاخُ بضمها إنما هو جَمْعٌ ، وجائز أن يُسَمَّى هو وبنوه : الشَّدَاخُ ، كما يقال : الْمَنَازِرَةُ فِي الْمُنْذِرِ وبنيه ، والأشْعَرُونَ في بنِي الْأَشْعَرِ من سبأ^(٢) وهو بابٌ يكثرُ ويطول . وأُمُّ يَعْمَرِ الشَّدَاخُ اسمها : السُّوْمُ بنت عامر بن جُرَّة بضم الجيم ، وسيأتي ذكر جُرَّة بالكسر^(٣) ذكره ابن ماكولا . ومن بنِي الشَّدَاخ : بَلْعَاءُ بن قَيْس بن عبد الله بن يَعْمَرِ

(١) في الاشتقاق : « إنما سمي الشداخ لأنه أصلح بين قريش وخزاعة في الحرب التي كانت بينهم ، فقال : شَدَخْتُ الدماء تحت قدميَّ ، والشَّدَخ : وطوؤك الشيء حتى تفرضه ، والفرس الشادخ : الذي انتشرت غرته في وجهه ، ولم تبلغ العينين ، والجمع : شوادخ ، والفضخ : الكسر ، ويذكر السهيلي عيسى بن يزيد بن دَأْب ، وهو في الاشتقاق : عيسى بن يزيد بن بكر بن دَأْب .

(٢) الأشعر هو : نبت بن زيد بن كهلان بن سبأ .

(٣) في القاموس : السوم بفتح السين وواو ساكنة بنت جُرَّة بكسر الجيم : أعرابية ، وفيه : يزيد بن الأخنس بن جُرَّة بضم الجيم : صحابي .

الشَّدَاخ الشاعر المذكور في شعر الحماسة، اسمه: حُمَيْصَةُ، ولَقَّبَ :
بلعاء^(١) لقوله:

أنا ابنُ قَيْسٍ سَبْعًا وابنُ سَبْعٍ أَبَارَ من قَيْسٍ قَبِيلًا فالْتَمَعَ
كأنما كانوا طعامًا فابْتُلِعَ

(ولاية قصي البيت)

ذكر فيه أمرُ قُصَيٍّ وما جمع من أهل مكة، وأنشد :

قُصَيٌّ لَعَمْرِي كان يُدْعَى مُجَمَّعًا^(٢) . البيت وبعده :

هُمُوا مَلَأُوا الْبَطْجَاءَ بَجْدًا وَسُودُدًا وَهُمْ طَرَدُوا عَنَا غَوَاةَ بَنِي بَكْرٍ
ويذكر أن هذا الشعر لحذافة بن جُمَح .

وذكر أن قُصَيًّا قَطَعَ مَكَّةَ رِبَاعًا^(٣) ، وأن أهلها هابوا قَطَعَ شجر
الحرم للبنيان . وقال الواقدي : الأصَحُّ في هذا الخبر أن قريشا حين أرادوا
البنيان قالوا لِقُصَيٍّ : كيف نصنع في شجرِ الحَرَمِ ، فحذَرهم قَطْعُهَا وَخَوْفُهم

(١) في الاشتقاق : بلعاء من قولهم : بثر بلعاء : واسعة ، ورجل بلع إذا
كان نَهِيمًا ، وقد أخرج له أبو تمام في ديوان الحماسة ثلاثة أبيات ، أولها :

وفارس في غمار الموت منغمس إذا تَأَلَّى على مكروهه صدقا
غمار الموت : شدائده ، تَأَلَّى : حلف ، وفي اللسان : حَمَضَته اسم حي بلعاء
وقد كان بلعاء رئيسا في الجاهلية ، وشهد حرب الفجار الثاني، ومات في تلك الأيام
(٢) في الطبري ٢٥٦ ج ٢ ، أبوكم قصي كان يدعى بجمعا .

(٣) دورا .

المقوية في ذلك ، فكان أحدهم يحوف بالبنيان حول الشجرة ، حتى تكون في منزله . قال : فأول من ترخص في قطع شجر الحرم للبنيان عبد الله ابن الزبير حين ابتنى دُوراً بقميقيعان ، لكنه جعل دية كل شجرة : بقرة ، وكذلك يروى عن عمر - رضى الله - أنه قطع دوحه كانت في دار أسد بن عبد العزى ، كانت تنال أطرافها ثياب الطائنين بالسكبة ، وذلك قبل أن يوسع المسجد ، فتقطعها عمر - رضى الله عنه - وودأها بقرة ، ومذهب مالك - رحمه الله - في ذلك : ألا دية في شجر الحرم . قال : ولم يبلغنى في ذلك شيء . وقد أساء من فعل ذلك ، وأما الشافعى - رحمه الله - فجعل في الدوحة بقرة ، وفيما دونها شاة . وقال أبو حنيفة - رحمه الله - إن كانت الشجرة التي في الحرم مما يفرسها الناس ، ويستذبتونها ، فلا فدية على من قطع شيئاً منها ، وإن كان من غيرها ، ففيه القيمة بالعاما بلغت .

وذكر أبو عبيد : أن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - أفتى فيها بعق (١) رقية .

(١) وفي الشقيرى للجب الطبرى : « عن عطاء أنه كان يقول في الحرم : إذا قطع شجرة عظيمة من شجر الحرم فعليه بدنة ، وفي الدوحة : بقرة . وعنه أنه سئل عن قطع من شجر الحرم ، فقال : يستغفر الله عز وجل ولا يعود ، وعنه أنه كان يرخص في القصب والشوك . والسنى : نوع من النبات . وعنه لا بأس أن ينجى الكسامة من الحرم ولا بأس بالشعشع (نبات يفرش على وجه الأرض عريض الورق وليس له شوك) والكسامة جمع مفردة : كم ، والكم : نبات ينفض الأرض ، فيخرج كما يخرج الفطر ، يأكله الناس والحيوان ، على أنه ورد في حديث أخرجه البخارى ومسلم أن الحرم لا يعصد شوكه ، أى : لا يقطع .

دار الندوة :

وذكر أن قُصِيًّا اتخذ دار الندوة ، وهي الدار التي كانوا يجتمعون فيها للتشاور ، ولفظها مأخوذ من لفظ النَّدَى والنادى والمُنْتَدَى ، وهو مجلس القوم الذي يَنْدُون حَوْلَهُ ، أى : يَذْهَبُونَ قَرِيبًا مِنْهُ ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ ، والتَّنْذِيَةُ في الخيل . أن تُصْرَفَ عن اَوْرَدَ إلى المرعى قريباً ، ثم تعاد إلى الشُّرْبِ ، وهو المُنْتَدَى^(١) ، وهذه الدارُ تصيرت بعد بنى عبد الدار إلى حكيم بن حزام ابن خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ ، فباعها في الإسلام بمائة ألف درهم ، وذلك في زمن معاوية ، فلامه معاوية في ذلك ، وقال : أَيْبَتَ مَكْرُمَةَ آبَائِكَ وَشَرَفَهُمْ ، فقال حكيم : ذهبت المكارمُ إِلَّا التَّقْوَى . والله : لقد اشتريتها في الجاهلية بزقٍّ خمر ، وقد بعته بمائة ألف درهم ، وأشهدكم أن ثمنها في سبيل الله ، فأَيْنَا المَغْبُونُ ؟ ! ذكر خبر حكيم هذا الدارُ قُطْنِي في أسماء رجال الموطأ له .

من تفسير شعر رزاح :

فصل : وذكر شعر رِزَاح ، وفيه : وَنَكَمِي النَّهَارَ أَى : نَكَمُنُ وَنَسْتَرُ ، وَالْكَمِي مِنَ الْفَرَسَانِ ، الذى نَكَمَمِي بِالْحَدِيدِ . وقيل : الذى يَكَمِي شَجَاعَتَهُ ، أَى : يَسْتَرُهَا ، حتى يَظْهَرَهَا عند الوغى . وفيه : مَرَرْنَا بِقَسَجَرٍ ، وهو : اسم موضع ، وكذلك : وَرْقَانِ اسم جبل ، ووقع في نسخة سفيان : وَرْقَانِ بفتح الراء ، وقيده أبو عبيد البكري : وَرْقَانِ بكسر الراء ، وأنشدَ لِلْأَخْوَصِ :

(١) والمنتدى أيضاً من أسماء النادى الذى هو يجتمع مجلس القوم ومتحدثهم والمنتدى : مكان ورد الإبل .

وكيف تُرَجَّى الوصلُ منها وأصبحت ذُرَى وَرِقَانٍ^(١) ذُرْنَهَا وَحَفِير

ويخفف ، فيقال : وَرِقَان . قال جميل :

يَا خَلِيلِي إِنَّ بَدَنَةَ بَانَتْ يَوْمَ وَرِقَانَ بِالْفُؤَادِ سَبِيًّا

وذكر أنه من أعظم الجبال ، وذكر أن فيه أوْشالاً^(٢) وعُيوناً عذاباً ،
وسُكَّانَهُ : بنو أَوْس بن مُزَيْنَةَ .

وذكر أيضاً الحديث ، وهو قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : « ضَرْسُ
الْكَافِرِ فِي النَّارِ مِثْلُ أَحَدٍ ، وَفَخِذُهُ مِثْلُ وَرِقَانٍ »^(٣) . وفي حديث آخر أنه
عليه السلام ذكر آخر من يموت من هذه الأمة ، فقال : رجلان من مُزَيْنَةَ ينزلان
جبالاً من جبال العرب ، يقال له : وَرِقَان^(٤) كل هذا من قول البكري في كتاب
مُعْجَمَ مَا اسْتَعْجَمَ .

فصل : وذكر أشمذين بكسر الهمزة ، وفي حاشية كتاب سفيان بن العاص :
الْأَشْمَذَانِ : جبالان [بين المدينة وخيبر] ، ويقال : اسم قبيليتين ، ثم قال في

(١) ورقان — بالفتح ثم الكسر — ويروى بسكون الراء : جبل أسود بين
العَرْجِجِ والرويشة على يمين المصعد من المدينة إلى مكة ، وهو من جبال تهامة .

(٢) مياه تسيل من أعراض الجبال ، فتجتمع ثم تساق إلى المزارع .

(٣) رواه أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه عن أبي هريرة .

(٤) الذي في الحاكم : « آخر من حشر : راعيان من مزينة يريدان المدينة
ينعقان بغنمهما فيجدانها وحوشاً ، حتى إذا بلغا تَسْنِيَةَ الْوَدَاعِ خَسرا على
وجوههما ، ومثل هذه الإحاديث لا يعتد بها .

الحاشية : فعلى هذا تكون الرواية بفتح الذال وكسر النون من أشمذنين - قال المؤلف رحمه الله - فإن صح أنهما اسم قبيلتين ، فلا يبعد أن تكون الرواية كما في الأصل : أشمذنين^(١) بكسر الذال ، لأنه يجمع في المعنى . واشتقاق الأشمذ من شَمَذَتِ الناقةُ بذَنبِها أى : رفعتهُ ، ويقال للنحل : شَمَذَ ، لأنها ترفع أعجازَها .

وفيه : مَرَرَنَ على الحَيْلِ^(٢) وفسره الشيخ في حاشية الكتاب ، فقال : هو الماء المستنقع في بطن واد ، ووجدت في غير أصل الشيخ روايتين ، إحداها : مَرَرَنَ على الحَيْلِ والأخرى : مَرَرَنَ على الحَيْلى ، فأما الحَيْلُ : فجمع حِلَةٍ ، وهى بَقْلَةٌ شَاكَّةٌ^(٣) . ذكره ابنُ دُرَيْدٍ في الجَمْهَرَةِ . وأما الحَيْلى ، فيقال : إنه ثمر الثَّمَلِاقَانِ^(٤) وهو نَبْتٌ .

(١) في المراصد : أشمذنين - بفتح أوله والميم والذال مفتوحتان ، والياء ساكنة والنون مكسورة بلفظ الثنية : جبلان بين المدينة وخيبر تنزلهما جهينة وأشجع .

(٢) الحيل في اللسان كما ذكر الشيخ ، وأيضاً : القطيع من الغنم ، وحجارة تحدر من جوانب الجبل إلى أسفله وفي الأصل : الجبل ، وهو خطأ .

(٣) وفي اللسان والقاموس : شجرة شاكَّة .

(٤) عرق هذا الشجر المغاث ، وقد خطأ أبوذر في شرحه للسيرة هذا الرأي لأن اسم النبات : الحلى بتشديد الياء وكسر اللام . وذكر أنه اسم موضع .

ورزاح بن ربيعة بكسر الراء ، وغيره بالكسر وبالفتح . ومن معاني مفردات قصيدة رزاح : الورد : الواردة . الحلبة : جماعة الحيل . السيب : المشى السريع في رفق كالنسياب الحية . الرسيل : المشى الذى فيه تمهل . وعسجر : موضع قرب مكة . أسهل : حل الموضع السهل ، العرج : واد من نواحي الطائف . العوذ : جمع عائد : الناقة أو الفرس التى لهما أولاد . والآفلاء : جمع فلو ، المهر العظيم . نعاور : =

وقوله فيها : نَخَبَزُهُمْ . أَيْ : نسوقهم سوقاً شديداً ، وقد تقدم قول
الراجز . لَا تَخْبِزْ أَخْبِزْاً وَبَساً بَساً .

وذكر شعر رِزَّاح الآخر ، وفيه : من الأعراف أعراف الجَنَاب . بكسر
الجيم ، وهو موضعٌ من بلاد قُضَاعَةَ .

وفيه : وقام بنو عَلِيٍّ ، وَهُمْ بنو كِنَانَةَ ، وإنما سماوا بني علي ؛ لأنَّ عبدَ مناة
ابن كِنَانَةَ كان ربيباً لعلِيٍّ بن مسعود بن مازن من الأزد جدَّ سَطِيح
الكاهن ، ف قيل لبني كِنَانَةَ : بنو عَلِيٍّ ، وأحسبه أراد في هذا البيت بني بَكْرٍ
ابن عبد مناة ؛ لأنهم قاموا مع خُرَاعَةَ .

شعر قصي والعذرة تامة :

وذكر شعر قُصَيٍّ : أنا ابن العاصمين بني لؤيٍّ . الأبيات . وليس
فيها ما يشكل .

== نداء أول مرة بعد أخرى . الأوب : الرجوع . وصلاب النسر : النسر : جمع
نسر ، وهو اللحم اليابس الذي في باطن الحافر . وصلاب النسر كناية عن الخيل
القوية ، ومن مفردات قصيدة ثعلبة : التغالى من المغالاة ، وهي ارتفاع الدابة في
سيرها ومجاورتها حسن السير . والغور : أصله ما تدخل من الأرض ، وانبط ،
ومنه : غورتامة ، وكل ما وصف به تامة ، فهو من صفة الغور ؛ لأنهما اسمان لمسمى
واحد . والفيفاء : الصحراء . القاع : أرض مستوية مطمئنة عما يحيط بها من الجبال
والآكام ، تنصب إليها الأمطار ، فتمسكها ، ثم تثبت العشب ، الضراب : يقال :
ضرب الفحل ضرباً : أتى الناقة . والطراب : الإبل التي اشتاقت إلى موطنها .

وذكر أن رزاحا حين استقر في بلاده نشر الله ولده وولدحن ،
ابن ربيعة ، فهما حيّا عذرة .

قال المؤلف : في قضاة : عذرتان : عذرة بن ربيعة ، وهم من بني كلب
ابن وبرة . وعذرة بن سعد بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة ، وأسلم هذا
هو بضم اللام من ولدحن بن ربيعة أخى رزاح بن ربيعة جد جميل بن عبد الله
ابن معمر صاحب بئنة ، ومعمر هو ابن ولد الحارث بن خير بن طبيان ،
وهو الضبيس بن حن . وبئنة أيضا من ولد حن ، وهى بنت حبان بن
ثعلبة بن الهوذى بن عمرو بن الأحب بن حن [وفى قضاة أيضا عذرة بن
عدى ، وفى الأزد : عذرة بن عداد] .

موثقة وأسلم :

وذكر حوثكة بن أسلم وبني نهد بن زيد وإجلاء رزاح لهم (١)

(١) نسب جميل فى جهرة أنساب العرب : جميل بن عبد الله بن معمر
ابن الحارث بن الحبير [فى الروض ابن خير فى] ابن طبيان ، وهو خبيس بن
جر بن ربيعة ، ويتفق الأغاني مع الجهرة حتى الحارث ، وبعدها يقول الأغاني
« ابن طبيان بن قيس بن جزء بن ربيعة بن حرام بن ضنة بن عبد بن كثير ، بن
عذرة بن سعد — وهو هذيم ، سمي بذلك إضافة لاسمه إلى عبد لاييه ، يقال له :
هذيم ، وكان يحضنه ، فغلب عليه ، وفى الاشتقاق كذلك عن سعد وهذيم — بن زيد بن
سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة . ونسب بئنة فى الجهرة : بئنة بنت حبا
ابن ثعلبة بن الهوذى بن عمرو بن الأحب بن جريو بن ربيعة . لايها صحبة
ص ٢٠ جهرة . وفى الأغاني : بنت حبا بن ثعلبة بن الهوذى بن عمرو بن =

وَحَوْتَكَّةُ هُوَ : عُمُ نَهْدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، وليس في العربِ أَسْلَمُ بضم اللام إلا ثلاثة . اثنان منها في قُضَاعِهِ ، وهما : أَسْلَمُ بْنُ الْخَافِ هَذَا ، وَأَسْلَمُ بْنُ تَدُولِ بْنِ تَيْمِ اللَّاتِ (١) . بن رُفَيْدَةَ بْنِ ثَوْرِ بْنِ كَلْبٍ ، والثالث في عَكَّ أَسْلَمُ بْنُ الْقِيَانَةِ بْنِ غَابِنِ (٢) . بن الشاهد بن عَكَّ ، وما عدا هؤلاء فَأَسْلَمُ بفتح اللام . ذكره ابن حبيب في المؤلف والمختلف .

==الأحِبُّ بْنُ حَنْبَلٍ بْنِ رَبِيعَةَ . وفي الاشتقاق عن عذرة بن ربيعة، وكذلك في جهرة ابن حزم: أنه عذرة بن زيد اللات بن ربيعة بن ثور بن كلب بن وبرة . وفي كتاب متفق القبائل لابن حبيب ، وفي قضاة : عذرة بن سعد ، وفي كلب : عذرة ابن زيد اللات ، وعذرة بن عدى ، وفي الأزدي : عذرة بن عداد ، وفي الجهرة لابن حزم ضبط أَسْلَمُ بفتح اللام مرة ، وبضمها في مكان آخر ، وفيها ما يأتي : ولد أَسْلَمُ بْنُ الْخَافِ : سَوْدُ بْنُ أَسْلَمَ . فولد سَوْدُ بْنُ أَسْلَمَ لَيْثٌ وَحَوْتَكَّةُ بفتح الحاء وإسكان الواو ، بطن بمصر مع بنى خميس بن جبيته ، وإياس بن سَوْدَ ، وهم في بنى لؤى بن عذرة . وفي أمالي ابن الشجرى عن الخاف أنه لما حذفت العرب ياءه اجتزاء بالكسر مثل : العاص في اسم العاص بن أمية ، والعاص بن وائل السهمي . ومثل اليمان في أب حذيفة اليمان ، ومثل الداع في قوله سبحانه : «أجيب دعوة الداع إذا دعان» ، انظر الاشتقاق في قبائل قضاة ، وص ١٥٥ جهرة . ونقلت ما ذكرت عن ابن الشجرى من تعليق للأستاذ هرون في الاشتقاق . وفي الاشتقاق عن هودى أنه هَوْدَةُ .

(١) في الجهرة والاشتقاق وغيرهما : زيد اللات . ولكن ورد في الجهرة ص ٢٩٤ وهو يتحدث عن بنى كلب بن وبرة : «وبنو أَسْلَمَ بضم اللام بن تدول بن تيم اللات بن ربيعة بن ثور بن كلب بن وبرة» .

(٢) في الجهرة : أَسْلَمُ بْنُ الْقِيَانَةِ بْنِ غَافِقِ ، ومنهم كان أمير الأندلس . وفي اللسان عن أَسْلَمَ بضم اللام نقل عن كراع أنه جمع : سلم ، وذكر أنه لم يفسر أى : سلم — بفتح فسكون — يعنى ، ثم نقل أنه قد يكون جمع سلم — بفتح فسكون — وهى الدلو العظيمة .

ذكر ماجرى من اختلاف قريش بعد قصي

وحلف اللطيين

قال ابن إسحاق : ثم إن قصي بن كلاب هلك ، فأقام أمرة في قومه ، وفي غيرهم بنوه من بعده ، فاختلفوا مكة رباعاً — بعد الذي كان قطع لقومه بها — فكانوا يقطعونها في قومهم ، وفي غيرهم من خلفائهم ويبيعونها فأقامت على ذلك قريش معهم ليس بينهم اختلاف ولا تنازع ، ثم إن بني عبد مناف بن قصي عبد شمس وهاشم والمطلب ونوفلاً أجمعوا على أن يأخذوا ما بأيدي بني عبد الدار بن قصي مما كان قصي جعل إلى عبد الدار ، من الحجابة والالواء والستاية والرفادة ، ورأوا أنهم أولى بذلك منهم لشرفهم عليهم وفضلهم في قومهم ، ففترقت عند ذلك قريش ، فكانت طائفة مع بني عبد مناف على رأيهم يرون أنهم أحق به من بني عبد الدار لمكانهم في قومهم وكانت طائفة مع بني عبد الدار . يرون أن لا ينزع منهم ما كان قصي جعل إليهم .

فكان صاحب أمر بني عبد مناف : عبد شمس بن عبد مناف ، وذلك أنه كان أسن بني عبد مناف ، وكان صاحب أمر بني عبد الدار : عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار . فكان بنو أسد بن عبد العزى بن قصي ، وبنو زهرة ابن كلاب ، وبنو تيم بن مرة بن كعب ، وبنو الحارث بن فهر بن مالك بن النضر ، مع بني عبد مناف .

وكان بنو مخزوم بن يقظة بن مرة ، وبنو سَهْم بن عمرو بن هُصَيْن بن كعب ، وبنو جُمَح بن عمرو بن هُصَيْن بن كعب ، وبنو عدى بن كعب مع بنى عبد الدار ، وخرجت عامر بن لُؤَي ومحارب بن فهير ، فلم يكونوا مع واحد من الفريقين .

فمقد كل قوم على أمرهم حلفاً مؤكداً على أن لا يتخاذلوا ، ولا يسلم بعضهم بعضاً ما بَلَ بِحَرِّ صوفة .

فأخرج بنو عبد مناف جَفَنَة مملوءة طيباً ، فيزعمون أن بعض نساء بنى عَبد مناف ، أخرجتها لهم ، فوضعوها لأخلافهم فى المسجد عند الكعبة ، ثم غمس القوم أيديهم فيها ، فتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم ، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً على أنفسهم ، فسموا المطَّيِّبِينَ .

وتعاقد بنو عبد الدار ، وتعاهدوا هم وحلفاؤهم عند الكعبة حلفاً مؤكداً ، على أن لا يتخاذلوا ، ولا يسلم بعضهم بعضاً ، فسموا الأحلاف .

ثم سَوَّندَ بين القبائل ، ولَزَّ بعضها ببعض ، فَعَبَّيَّتْ بنو عبد مناف لبني سَهْم ، وَعَبَّيَّتْ بنو أسد لبني عبد الدار وَعَبَّيَّتْ زُهْرَة لبني جُمَح ، وَعَبَّيَّتْ بنو تيم لبني مخزوم ، وَعَبَّيَّتْ بنو الحارث بن فهير لبني عدى بن كعب . ثم قالوا : لَتُنْفِنَ كل قبيلة من أسند إليها .

فبينما الناس على ذلك قد أجمعوا للحرب إذ تداعوا إلى الصلح ، على أن يعطوا بنى عبد مناف السقاية والرفادة ، وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبني

عبد الدار كما كانت ، ففعلوا ورضى كل واحد من الفريقين بذلك ، وتماجز الناس عن الحرب ، وثبت كل قوم مع من حالفوا ، فلم يزالوا على ذلك ، حتى جاء الله تعالى بالإسلام ، فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « ما كان مِنْ حَانِئٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ لَمْ يَزِدْهُ إِلَّا شِدَّةً » .

حلف الفضول

قال ابن هشام : وأما حلف الفضول فحدثني زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق قال : تداعت قبائل من قريش إلى حلف ، فاجتمعوا له في دار عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي ، لشرفه وسنّه ، فكان حلفهم عنده : بنو هاشم ، وبنو المطلب ، وأسد بن عبد العزى ، وزهرة بن كلاب ، وتيم بن مرة ، فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه ، وكانوا على من ظلمه حتى تردّ عليه مظلّمته ، فسمت قريش ذلك الحلف : حلف الفضول .

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ التيمي أنه سمع طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ، ما أحب أن لي به حمر النعم ، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت » .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهادي الليثي أن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي حدثه : أنه كان بين الحسين بن علي بن أبي

طالب رضى الله عنهما ، وبين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان . والوليد يومئذ أمير على المدينة ، أمره عليها عمه معاوية بن أبي سفيان - منازعة في مال كان بينهما بذي العزوة ، فكان الوليد تحامل على الحسين - في حقه لسايطانه ، فقال له الحسين : أحلف بالله لتنصفنى من حقى ، أو لأخذن سيفى ، ثم لأقومن فى مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم لأدعون بحلف الفضول قال : فقال عبد الله بن الزبير ، وهو عند الوليد حين قال الحسين - رضى الله عنه - ما قال : وأنا أحلف بالله كئن دعا به لأخذن سيفى ، ثم لأقومن معه ، حتى ينصف من حقه أو نموت جميعاً . قال : فبلغت المسور بن مخرمة بن نوفل الزهرى ، فقال مثل ذلك ، وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التميمى ، فقال مثل ذلك ، فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضى . قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهادى الليثى عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى قال : قدم محمد بن جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف - وكان محمد ابن جبير أعلم قریش - فدخل على عبد الملك بن مروان بن الحكم حين قتل ابن الزبير ، واجتمع الناس على عبد الملك ، فلما دخل عليه قال له : يا أبا سعيد ، ألم نكن نحن وأنتم ، يعنى بنى عبد شمس بن عبد مناف وبنى نوفل بن عبد مناف فى حلف الفضول ؟ قال : أنت أعلم ، قال عبد الملك : لتخبرنى يا أبا سعيد بالحق من ذلك ، فقال : لا والله ، لقد خرجنا نحن وأنتم منه ، قال : صدقت .

قال ابن إسحاق : فولى الرقادة والسّاية هاشم بن عبد مناف ، وذلك أن عبد شمس كان رجلاً سقاراً قلماً يقيم بمكة ، وكان مقلداً ذا ولدٍ ، وكان هاشم

مُوسِرًا فـسـكـان - فـيـا يزعمون - إذا حضر الحجُّ ، قام في قريش فقال : « يا معشر قريش ، إنكم حيرانُ الله ، وأهلُ بيته ، وإنه يأتيكم في هذا الموسم زُوارُ الله وحُجَّاجُ بيته ، وهم ضَيْفُ الله ، وأحقُّ الضَّيْفِ بالكرامة : ضَيْفُهُ ، فاجتمعوا لهم ما تصنعون لهم به طعاماً أيامهم هذه التي لا بُدَّ لهم من الإقامة بها ؛ فإنه - والله - لو كان مالى يسعُ لذلك ما كلَّفتُكموهُ ». فيخرجون لذلك خَرْجاً من أموالهم ، كلُّ امرئٍ بقدر ما عنده ، فيصنع به للحُجَّاجِ طعاماً ، حتى يَصُدُّوا منها .

وكان هاشم - فيما يزعمون - أوَّل من سنَّ الرِّحلتين لقريش : رحلتى الشتاء والصيف ، وأوَّل من أطعم الثريدَ للحجاج بمكة ، وإنما كان اسمه : عَمراً ، فما سُمِّيَ هاشماً إلا بهِشْمُه الخبز بمكة لقومه ، فقال شاعر من قريش أو من بعض العرب :

عَمَرُوا الَّذِي هَشَمَ الثريدَ لقومه قوم بمكة مُسْنِنِينَ عِجَافٍ
سُنَّتْ إِلَيْهِ الرِّحلتان كلاهما سَفَرُ الشتاء ، وَرِحْلَةُ الإيلاف

قال ابن هشام : أنشدنى بعض أهل العلم بالشعر من أهل الحجاز

قوم بمكة مسنتين عجاف

قال ابن إسحاق : ثم هلك هاشمُ بن عبد مناف بفَزّة من أرض الشام تاجراً ، فولى السقاية والرِّفادة من بعده المطلبُ بن عبد مناف ، وكان أصغرَ من عبد شمس وهاشم ، وكان ذا شرف في قومه وفضل ، وكانت قُريشُ إنما تُسمِّيه : الفَيْضَ لِسماحته وفضله .

وكان هاشم بن عبد مناف قَدِمَ المدينة ، فتزوَّج سَكَمَى بنتَ عمرو أحد بنى عدى بن النجَّار ، وكانت قبله عند أُحَيَّة بنِ الجُلَّاح بن الحريش . قال ابن هشام : ويقال : الحريش بن جَحْجَجِي بن كُلفَة بن عَوْف بن عمرو

ابن عَوْف بن مالك بن الأوس ، فولدت له عمرو بن أُحَيَّة ، وكانت لاتنكح الرجال لشرفها في قومها حتى يشترطوا لها أن أمرها بيدها ، إذا كرهت رجلاً فارقتة .

فولدت لهاشم عبد المطلب ، فسَمَّته : شَيْبَةَ ، فتركه هاشم عندها حتى كان وصيفاً ، أو فوق ذلك ، ثم خرج إليه عمه المطلب ؛ ليقبضَه ، فيأخذه ببلده وقومه فقالت له سلمى : لستُ بمُرسلته معك ، فقال لها المطلب : إني غيرُ منصرف حتى أخرجَ به معي ، إن ابن أخي قد بلغ ، وهو غريب في غير قومه ، ونحن أهل بيت شرف في قومنا ، نلي كثيراً من أمرهم ، وقومُه وبلده وعشيرته خيرٌ له من الإقامة في غيرهم ، أو كما قال . وقال شيبه لعمه المطلب - فيما يزعمون - لستُ بمفارقها إلا أن تأذن لي ، فأذِنَتْ له ، ودفعته إليه ، فاحتمله ، فدخل به مكة مُردِّفه معه على بعيره ، فقالت قُرَيْش : عبدُ المطلب ابتاعه ، فيها سمى : شَيْبَةُ عبدَ الْمُطَّلَب . فقال الْمُطَّلَب : وَيَحْكُم ! إنما هو ابن أخي هاشم ، قدمتُ به من المدينة .

ثم هلك الْمُطَّلَب برَدَّمان من أرض اليمن ، فقال رجل من العرب يَبْكِيه :
قد ظمئ الحَجِيجُ بعد الْمُطَّلَبُ بعد الجفان والشراب المُنْمَعِبُ
ليت قريشاً بعده على نَصَبِ

وقال مطرود بن كعب الخزاعي ، يبكي الْمُطَّلَب وبنى عبد مناف جميعاً حين أتاه نَعْيُ نَوْفَل بن عبد مناف ، وكان نوفل آخرهم هُلْكا :

يا ليلة هَيَّجَتْ لِي لَاتِي إحدى لِيَالِي الْقَسِيَّاتِ

وَمَا أَقَاسِي مِنْ هُمُومٍ ، وَمَا عَاجَلْتُ مِنْ رُزْءِ الْمَنِيَّاتِ
 إِذَا تَذَكَّرْتُ أَخِي نَوْفَلًا ذَكَرَنِي بِالْأَوَّلِيَّاتِ
 ذَكَرَنِي بِالْأَزْرِ الْحَمْرِ وَالْأَرْدِيَةِ الصَّمْرِ الْقَشِيبَاتِ
 أَرْبَعَةً كُلُّهُمْ سَيِّدُ أَبْنَاءِ سَادَاتِ لِسَادَاتِ
 مَيِّتٍ بَرْدَمَانٍ وَمَيِّتٍ بَسْلَمَانَ وَمَيِّتٍ بَيْنَ غَزَاتِ
 وَمَيِّتٍ أُسْكِنَ لِحْدًا لَدَى الْمَحْجُوبِ شَرْقَى الْبَنِيَّاتِ
 أَخْلَصَهُمْ : عَبْدُ مَنْفٍ فَهُمْ مِنْ لَوْمٍ مَنْ لَامَ بِمَنْجَاةِ
 إِنَّ الْمُغِيرَاتِ وَأَبْنَاءَهَا مِنْ خَيْرِ أَحْيَاءٍ وَأَمْوَاتِ

عن حلف الطيبين :

فصل : وذكر تنازعَ بنى عبد مناف ، وبنى عبد الدار فيما كان قُصِيَّ جعلَ
 إليهم ، وذكر في ذلك حلفَ المطيّبين ، وسماهم ، وذكر أن امرأة من نساء
 عبد مناف هي التي أخرجت لهم جَفَنَهُ مِنْ طِيبٍ ، فَفَمَسُوا أَيْدِيَهُمْ فِيهَا ،
 وَلَمْ يُسَمِّ الْمَرَأَةَ ، وَقَدْ سَمَاهَا الزَّيْبُرُ فِي مَوَاضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ ، فَقَالَ : هِيَ أُمُّ حَكِيمِ
 الْبَيْضَاءِ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ عَمَةُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَتَوَاضَعَتْ أَيْدِيَهُ
 قَالَ : وَكَانَ الْمُطَيَّبُونَ يُسَمُّونَ : الدَّافَةَ جَمْعَ دَائِفٍ بِتَخْفِيفِ الْفَاءِ ؛ لِأَنَّهُمْ
 دَافُوا الطَّيِّبَ (١) .

(١) ذكر اسم أم حكيم أيضاً أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري
 في كتابه نسب قريش ص ٣٨٣ ، وذكر أنها قالت بعد وضعها الجنة في الحجر :
 « من كان منا فليدخل يده في هذا الطيب » ، ويذكر أن بنى سهم بن عمرو نَحَرَتْ جُزُورًا ،
 وقالوا : « من كان منا فليدخل يده في هذه الجُزُور » ، فأدخل من أدخل فسميت =

السناد والرقاء :

وذكر أن القبائل سُوند بعضها إلى بعض ، لتسكني كل قبيلة ما سُوند إليها ، فسُوند من السناد ، وهي مقابلة في الحرب بين كل فريق ، وما يليه من عدوّه ، ومنه أخذ سناد الشعر ، وهو أن يتقابل المصراعان من البيت ، فيكون قبل حرفِ الرّويِّ حرفُ مدّولين ، ويكون في آخر البيت الثاني قبل حرفِ الرّويِّ حرفُ لين ، وهي باء أو واو مفتوح ما قبلها كقول عمرو بن كلثوم .

أَلَا هُبِّي بِصَحْنِكَ فَاصْبِحِينَا

ثم قابله في بيت آخر بقوله : - تُصَفِّقُهَا الرِّيحُ إِذَا جَرَيْنَا (١) - فكان الياء المفتوح ما قبلها قد سُوندت بها إلى الياء المكسور ما قبلها ، فتقابلتا ، وهما غير متفتحتين في المد ، كما يتقابل القَبِيلَتَان ، وهما مختلفتان متعاديتان ، وأما الإقواء

==الأحلاف ، وذكر أن الأسود بن حارثة أدخل يده في الدم ، ثم لعقها ، فلعلقت بنوعدي كلها بأيديها ، فسموا : لعقة الدم ، وانظر أيضا ص ١٦٦ المحبر لابن حبيب . وصه : شرح السيرة للخشنى . وداف الشيء دوافا ، وأدافه : خلطه وأكثر ذلك في الدواء والطيب . وداف يديف : لغة فيه . ويجيئه بالواو أكثر ، ومسك مدوف ومدووف ، وداف الطيب وغيره في الماء يدوفه فهو دائف .

(١) أول البيت : د كأن غضونهن متون غدر ، وفي رواية : متونهن بدلا من غضون ، ويروى : إذا عرينا بدلا من جرينا ، والغدر : جمع غدير . تصفّقها الرياح : تضربها . يشبه غضون الدرع بمتون الغدران إذا ضربتها الرياح في جريها ، والطرائق التي ترى في الدروع بالتي تراها في الماء إذا ضربته الريح . عن الزوزنى ، في شرح المعلقات .

فهو أن يَنْقُصَ قُوَّةَ من المِصرَاعِ الأول ، كما تَنْقُصُ قُوَّةَ من قُوَى الحَبْلِ (١) ،
وذلك أن يَنْقُصَ من آخر المِصرَاعِ الأول حرفٌ من الوَتْدِ كقوله :

أَفْبَعَدَ مَقْتِلَ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ تَرْجُو النِّسَاءَ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ

وكتقول الآخر :

لَمَّا رَأَتْ مَاءَ السَّلَى مَشْرُوبًا وَالْقَرْثَ يُعْصَرُ فِي الْإِنَاءِ أَرَنْتَ (٢)

(١) في الأصل : الجبل ، والتصويب من اللسان . والقوة : الخصلة الواحدة من قوَى الحبل . وجبل مقوى : هو أن ترخي قوة ، وتغير قوة ، فلا يلبث الحبل أن ينقطع .

وقد عرف أبو عمر بن العلاء الإقواء بأنه اختلاف حركات الروى ، فبعضه مرفوع ، وبعضه منصوب أو مجرور . أما ما قاله السهيلي ، فهو قول أبي عبيدة . واستشهد بقول الربيع بن زياد : « أفبعد مقتل مالك الخ » . وعرفه أبو عمرو الشيباني بأنه اختلاف إعراب القوافي ، وابن سيدة : المخالفة بين القوافي . والاختفش : رفع بيت وجر آخر . قال : وقد سمعت هذا من العرب كثيرا ، لأحصى ، وفككت قصيدة ينشدونها إلأوفيا إقواء ، ثم لا يستنكرونه ، لأنه لا يكسر الشعر . وفي اللسان أمثلة كثيرة في مادة قوا ، ثم ذكر ابن جنى أن الإقواء وإن كان عيبا لاختلاف الصوت به فإنه قد كثر .

(٢) البيت لحجل بن نضلة . وهو في اللسان .

ولما رأت ماء السلى مشروبا

والسلى : الجلد الرقيق الذى يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفا فيه ، وقيل : هو في الماشية : السلى ، وفي الناس : المشيمة . وفي المثل : وقع القوم في سلى جمل . أي في أمر لا يخرج منه ؛ لأن الجمل لا سلى له . وإنما يكون للناقة .

وكان الأَصْمَعِيُّ يُسَمِّي هذا الإقواء : الْمُتَعَدِّ ، ذكره عنه أبو عبيد ، وقال
عَدِيُّ بْنُ الرَّقَّاعِ [العاملي] في السَّنَادِ :
وقصيدة قد بَتَّ أَجْمَعُ بَيْتَهَا حتى أَثَقَّفَ مَمِيلَهَا وَسِنَادَهَا (١)

حلف الفضول

وذكر ابن هشام الحلفَ الذي عقده قريشُ بينها على نُصرة كلِّ مظلوم بمكة
قال : وَيُسَمَّى حِلْفَ الْفُضُولِ ، ولم يذكر سببَ هذه التسمية ، وذكرها ابنُ
قُتَيْبَةَ ، فقال : كان قد سبق قُريشا إلى مثل هذا الحلف جُرْهُمُ في الزمن الأول ،
فتحالف منهم ثلاثة هُم ، ومن تبعهم ، أحدهم : الفضلُ بنُ فُضالة ، والثاني :
الفضلُ بنُ وداعة ، والثالث : فُضَيْلُ بنِ الحرث . هذا قول القُتَيْبِيِّ . وقال الزبير :
الفُضَيْلُ بنُ سُراة ، والفضلُ بنُ وداعة ، والفضلُ بنُ قُضاعة ، فلما أشبه حلفُ

(١) وكذلك سماء الخليل . ونقل عنه أيضاً : إذا كان بيت من الشعر فيه
زحاف قيل له : مُتَعَدِّ ، بضم الميم وسكون القاف وفتح العين ، .

روى ابن جني في الخصائص تحت باب : هل يجوز لنا في الشعر من الضرورة
ما جاز للعرب أولاً ؟ ، وأنه سأل أبا علي عن هذا ، فقال : كما جاز لنا أن نقبس
منشورنا على منشورهم ، فكذلك يجوز لنا أن نقبس شعرنا على شعرهم ، ثم ذكر
أن جميع الشعر القديم لم يكن مرتجلاً ، بل قد كان يعرض لهم فيه من الصبر عليه
والملاطفة فيه والتلوم على رياضته ، وإحكام صنعه نحو ما يعرض لكثير من
المولدين . . ثم روى شواهد له على هذا ، وفيها هذا البيت . وفي الخصائص :
أقوم بدلا من أثقف ، وبعده :

نظر المُثَقَّفِ في كموب قناته حتى يقيم ثقافه منآدها

انظر ص ٣٢٣ وما بعدها . ١٦ الخصائص ط ، ٢ زدت العاملي من الخصائص .

قريش الآخر فعل هؤلاء الجُزْهُمِيِّين سُمِّي : حلف الفضول ، والفضول : جمع فضْل ، وهى أسماء أولئك الذين تقدم ذكرهم . وهذا الذى قاله ابن قُتَيْبَةَ حَسَنٌ^(١) ، ولكن فى الحديث ما هو أقوى منه وأولى . روى الحُمَيْدِيُّ عن سُفْيَانَ عن عبد الله عن محمد وعبد الرحمن ابْنِ أبى بكر ، قالا : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : لقد شهدت فى دار عبد الله بن جُدْعَانَ حِلْفًا لو دُعيتُ به فى الإسلام لأُجبت . تحالفوا أن تُردَّ الفضول^(٢) على أهلها ، وألا يُعزَّظَ ظالمٌ مَظْلومًا . ورواه فى مُسْنَدِ الحُرْثِ بن عبد الله بن أبى أُسَامَةَ التَّمِيمِيَّ ، فقد بيَّن هذا الحديث : لم سُمِّي حلف الفضول ، وكان حِلْفُ الفضول بعد الفِجَار ، وذلك أن حرب الفِجَارِ^(٣) كانت فى شَعْبَانَ ، وكان حِلْفُ الفضول

(١) أخذ بهذا الرأى ابن الأثير فى النهاية ، لكنه ذكر هو وابن كثير فى البداية : الفضل بن الحارث لافضيل ، والفضل بن شراعة لافضيل .

(٢) أى تحالفوا ألا يتركوا عند أحد فضلًا يظله أحدًا إلا أخذوه له منه . وفى حديث رواه مسلم وأحمد : لا حلف فى الإسلام وأيما حلف كان فى الجاهلية ، فإنه لا يزيد الإسلام إلا شدة ، والمعنى — كما قال ابن كثير — أن الإسلام لا يحتاج معه إلى الحلف الذى كان أهل الجاهلية يفعلونه ، فإن فى التمسك بالإسلام كفاية عما كانوا فيه . .

(٣) أيام الفِجَارِ كانت بين قيس وقريش وقيل : أيام الفِجَارِ : أيام وقائع كانت بين العرب تفاجروا فيها بعكاظ ، فاستحلوا الحرمات . وقيل : الفِجَارِ يوم من أيام العرب ، وهى أربعة أجرة كانت بين قريش ، ومن معها من كنانة ، وبين قيس عيلان فى الجاهلية ، وكانت الدِّبْرَةَ على قيس ، وإنما سمى قريش هذه الحرب فِجَارًا ؛ لأنها كانت فى الأشهر الحرم ، فلما قاتلوا فيها قالوا : قد فُجِرْنَا ، فسميت فِجَارًا .

في ذى القعدة قبل المبعث بعشرين سنة ، وكان حلف الفضول أكرم حلف سُمع به ، وأشرفه في العرب ، وكان أول مَنْ تكلم به ودعا إليه : الزبير بن عبد المطلب ، وكان سببه أن رجلا من زُبَيْد قدم مكة ببضاعة ، فاشتراها منه العاصي بن وائل ، وكان ذا قَدَرٍ بمكة وشرفٍ ، فحبس عنه حقّه ، فاستَعَدَى عليه الزُّبَيْدِيُّ الأَحلاف : عبد الدار ومَخْرُومًا وُجَّحَ وسَهْمًا وعَدِيَّ بن كعب ، فأبوا أن يعينوه على العاصي بن وائل ، وزَبْرُوهُ ، أَيْ : انهروه ، فلما رأى الزُّبَيْدِيُّ الشر ، أوفى على أبي قُبَيْس (١) عند طلوع الشمس ، وقرِش في أُنْدِيتهم حول الكعبة ، فصاح بأعلى صوته :

يا آلَ فِهْرِ المَظْلُومِ بضاعته يبطن مَكَّةَ نائِي الدار والنَّفَرِ
وَمُحْرِمٍ أَشْعَثَ لَمْ يَقْضِ عُمْرَتَهُ (٢) يَا لِلرِّجَالِ وَبَيْنَ الْحِجْرِ وَالْحِجَرِ (٣)
إِنَّ الْحَرَامَ لَمْ تَمَتِّ كَرَامَتُهُ وَلَا حَرَامَ لُثُوبِ الْفَاجِرِ الْفُذَرِ (٤)

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب ، وقال : ما لهذا مَترك ، فاجتمعت هاشمٌ وزُهرةٌ وتيمٌ بن مرة في دار ابن جُدعان ، فصنع لهم طعاما ، وتحالفوا في ذى القعدة في شهرٍ حرام قِياما ، فتعاقدوا ، وتعاهدوا بالله : لَيْسَ كُونُ يدا واحدة

(١) جبل بمكة سمي بوجل من مذحج .

(٢) في تجريد الأغاني : « حرمة » .

(٣) في التجريد : « بين الركن والحجر » .

(٤) في التجريد بعد البيت السابق ورد هذا البيت :

أقام من بني سهم بذمتهم أم ذاهب في ضلال مال مضتمر

مع المظلوم على الظالم ، حتى يُؤدَّى إليه حَقُّه ما بَلَ بَحْرٌ صُوفَةٌ ، ومارسا حِرَاهُ
وَبَيْرُ مَكَانَهُمَا ، وعلى التَّائِي فِي الْعَاشِ ، فَسَمَّتْ قُرَيْشٌ ذَلِكَ الْحَلْفَ : حَلْفَ
الْفُضُولِ ، وقالوا : لقد دخل هؤلاء في فَضْلٍ مِنَ الْأَمْرِ ، ثُمَّ مَشَوْا إِلَى الْعَاصِي
ابن وائل ، فانتزعوا منه سِلَعةَ الزُّبَيْدِيِّ ، فدفعوها إليه ، وقال الزبير
رضي الله عنه :

حَلَفْتُ لِنَعْقِدَنَّ حِلْفًا عَلَيْهِمْ وَإِنْ كُنَّا جَمِيعًا أَهْلَ دَارٍ
نُسَمِّيهِ : الْفُضُولَ إِذَا عَقَدْنَا يَعْزُبُهُ الْغَرِيبُ لَدَى الْجَوَارِ
وَيَعْلَمُ مَنْ حَوَالَى الْبَيْتِ أَنَّا أَتَابَةُ الضَّيْمِ نَمْنَعُ كُلَّ عَارٍ

وقال الزبير بن عبد المطلب :

إِنَّ الْفُضُولَ تَحَالَفُوا ، وَتَعَاقدُوا أَلَّا يَقِيمَ بَيْطُنَ مَكَّةَ ظَالِمٌ
أَمْرٌ عَلَيْهِ تَعَاهَدُوا ، وَتَوَاقَعُوا فَالْجَارِ وَالْمُعْتَرِثِيهِمْ سَالِمٌ
وذكر قاسم بن ثابت في غريب الحديث أن رجلا من خَثَمٍ قَدِمَ مَكَّةَ
مُعْتَمِرًا ، أَوْ حَاجًّا ، وَمَعَهُ بِنْتُ لَهُ يُقَالُ لَهَا : الْقَتُولُ مِنْ أَوْضَاءِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ،
فَاغْتَضَبَهَا مِنْهُ نُبَيْيَةُ بْنُ الْحَجَّاجِ (١) وَغِيَّبَهَا عَنْهُ ، فَقَالَ الْخَثَمِيُّ : مَنْ يُعْدِنِي عَلَى

(١) هو نُبَيْيَةُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ عَامِرِ بْنِ حَذِيفَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ سَهْمِ بْنِ عَمْرِو
ابْنِ هَضِيسِ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ . كَانَ هُوَ وَأَخُوهُ مِنْهُ مِنْ وَجْهِ قُرَيْشٍ
وَذَوَى النَّبَاهَةِ فِيهِمْ ، وَكَانَا يَمْنُ نَصَبَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، الْعَدَاوَةُ ، وَقَتْلًا مَعَ يَوْمِ
بَدْرٍ مُشْرِكِينَ ، انظر التجريد ص ١٨١٠ ونسب قريش ص ٤٠٤ . وقصته مع
القتول في الأغاني .

هذا الرجل ، فقيل له : عليك بحلف الفضول ، فوقف عند الكعبة ، ونادى :
يَا حَلْفَ الْفُضُولِ ، فَإِذَا هُمْ يُعْتَقُونَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، وَقَدْ انْتَضَوْا أَسْيَافَهُمْ
يقولون : جَاءَكَ الْفَوْثُ ، فَمَا لَكَ ؟ فقال : إِنْ نُبِّهْتُ ظِلْمِي فِي ابْنَتِي ، وَانْتَزَعَهَا
مِنْ قَوْمِي قَوْمًا ، فَسَارُوا مَعَهُ ، حَتَّى وَقَفُوا عَلَى بَابِ الدَّارِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالُوا لَهُ :
أَخْرِجِ الْجَارِيَةَ وَنَحْنُ نَحْنُ ، فَقَدْ عَلِمْتَ مَنْ نَحْنُ ، وَمَا تَعَاقَدْنَا عَلَيْهِ !! فقال : أَفْعَلُ ،
وَلَكِنْ مَتَّعُونِي بِهَا اللَّيْلَةَ ، فَقَالُوا لَهُ : لَا : وَاللَّهِ ، وَلَا شُخْبَ لِقَعَّةٍ (١) ،
فَأَخْرَجَهَا إِلَيْهِمْ ، وَهُوَ يَقُولُ :

رَاحَ صَحْبِي وَلَمْ أَحَيِّ الْقَتُولَا لَمْ أُودِّعْهُمْ وَدَاعَا جَمِيلَا
إِذَا أَجَدَّ الْفُضُولُ أَنْ يَمْنَعُوهَا قَدْ أَرَانِي ، وَلَا أَخَافُ الْفُضُولَا
لَا تَخَالِي أُنِّي عَشِيَّةَ رَاحِ الزَّكْبُ هُنْتُمْ عَلَى إِلَّا أَقُولَا

فِي أَيْبَاتٍ غَيْرِ هَذِهِ ذَكَرَهَا الزَّيْبِرُ ، وَذَكَرَ مِنْ قَوْلِهِ فِيهَا أَيْضًا :

حَلَّتْ تِهَامَةٌ حَالَةً مِنْ بَيْتِهَا وَوِطَائِهَا
وَلَهَا بِمَكَّةَ مَنْزِلٌ مِنْ سَهْلِهَا وَحَرَائِهَا
أَخَذَتْ بِشَاشَةِ قَلْبِهِ وَنَآتُ فَكَيْفَ بِنَائِهَا (٢)

(١) فِي الْأَصْلِ : وَلَا شَجْتَ . وَهُوَ خَطَأٌ ، وَأَصْلُ الشُّخْبِ : مَا خَرَجَ مِنَ
الضَّرْعِ مِنَ اللَّبَنِ وَيَضُمُّ وَبِالْفَتْحِ : الدَّمُ . وَالْقَعَّةُ بِكَسْرِ اللَّامِ وَفَتْحِهَا : النَّاقَةُ الْقَرِيبَةُ
الْعَهْدِ بِالنَّجَاحِ ، أَوْ الْغَزِيرَةُ اللَّبَنُ .

(٢) مِنَ الْقَصِيدَةِ فِي التَّجْرِيدِ ص ١٨١٠ .

حَيِّ الدَّوْبِرَةَ إِذْ نَآتُ هُنَا عَلَى عَمْدٍ وَأَيْهَا

الحلف وابن جردانه :

فصل : وذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم ، ولو دُعيت إليه في الإسلام لأجبت »^(١) وعبد الله بن جدعان هذا تيمى هو : ابن جدعان ابن عمر بن كعب بن سعد بن تيم ، يكنى : أبا زهير ابن عم عائشة رضى الله عنها . ولذلك قالت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إن ابن جدعان كان يُطعمُ الطعام ، وَيَقْرِى الضيف ، فهل ينفعه ذلك يوم القيامة ؟ فقال : « لا إنه لم يقل

= لا بالفراق تنيلنا شيئاً ولا بلقائنا ومنها :

أخذت حشاشة قلبه ونأت فكيف بنائها
لولا الفضول وأنه لا أمن من عدوانها
لدنوت من أيبائها ولطفت حول خبائها
ولجئتها أمشى بلا هاد إلى ظلماتها
فشربت فضلة ريقها ولبت في أحشائها

وفي نسب قريش : روعاتها بدلا من : عدوانها ، ولبت في البيت الأخير بدلا من : بت ، وفي الروض : بشاشة ، وهنا حشاشة . وفيه : ونأت وكيف بنائها ، وهنا : فكيف بنائها . وقد تكرر في الروض جدعان بالذال بدلا من الدال . ونسبه كما في كتاب نسب قريش . وتيم هو ابن مرة . انظر نسب قريش ص ٢٩١ ،

(١) حديث حضور النبي مع عمومته حرب الفجار ، وأنه رمى فيه حديث يروى في كتب السير والطبقات ، كطبقات ابن سعد وهو فيها في ج ١ ص ١٢٨ ، وشهوده حلف الفضول أيضا من هذا النوع ، وقد ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ج ٢ ص ٣٩٣ ، ولا يعد بمثل هذه الروايات التي ليست من الصحيح ، لإقامة حكم ديني عليها .

يوما : ربَّ اغفرْ لى خطيئتي يوم الدين » أخرجه مسلم . ومن غريب الحديث لابن قتيبة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : كنتُ أُسْتَظَلُّ بِظِلِّ جَفَنَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ صَكَّةَ عُمَى ، يعنى : فى الهاجرة ، وُسِّمَتِ الهاجرة : صَكَّةَ عُمَى لخبرٍ ذكره أبو حنيفة فى الأنواء : أن عُمَيَّا رجُلٌ من عدوان ، وقيل : من إيادٍ ، وكان فقيہ العرب فى الجاهلية ، فقدم فى قومٍ مُعْتَمِرًا أو حاجًّا : فلما كان على مرحلتين من مكة قال لقومه ، وهم فى نَحْرِ الظَّهيرة : من أتى مكة غدا فى مثل هذا الوقت ، كان له أَجْرُ عُمَرَتَيْنِ ، فصَكُّوا الإبلَ صَكَّةً شديدةً حتى أتوا مكة من الغدِ فى مثل ذلك الوقت ، وأنشد :

وَصَكَّ بِهَا نَحْرَ الظَّهِيرَةِ صَكَّةَ عُمَى وما يَبْنِغِينَ إِلَّا ظِلَالَهَا (١)

فى أبياتٍ ، وعُمَى : تصغيرُ أعمى على الترخيم ، فَسُمِّيتِ الظَّهيرةُ صَكَّةَ عُمَى به . وقال البكرى فى شرح الأمثال : عُمَى : رجل من العماليق أوقع بالعدوِّ فى مثل ذلك الوقت ، فسمى ذلك الوقت : صَكَّةَ عُمَى ، والذى قاله أبو حنيفة

(١) كل ما ذكره السهلبى هو فى اللسان : والبيت فيه هكذا .

وَصَكَّ بِهَا عَيْنَ الظَّهِيرَةِ غَائِرًا عُمَى ولم ينعلن إلا ظلالها

وقد ضبطت ياء ينعلن بالفتح فى مادة صك ، وبالصم فى مادة عمى ، وعمى يقال بضم العين وإسكان الميم وتخفيف الياء فى الشعر ، والجفنة : القصعة ، فى اللسان أن الظبي إذا اشتد عليه الحر طلب الكناس ، وقد برقت عينه من بياض الشمس ولمعانها ، فيسدر بصره ، حتى يصك بنفسه الكناس لا يبصره ، ويقال : صكة أعمى أيضا . ولقيته صكة عمى ، أو أعمى ، أى فى أشد الهاجرة حرا . وابن منظور ينقل عن السهلبى كثيرا فى اللسان .

أولى ، وقائله أعلى . وقال يعقوب : عَمِيَ الظبي : يتحيرُ بصره في الظهيرة من شدة الحر . قال ابن قتيبة : وكانت جفنته يأكل منها الراكب على البعير ، وسقط فيها صبي ، فغرق أي : مات . وكان أمية بن أبي الصلت قبل أن يمدحه قد أتى بني الديان من بني الحارث بن كعب ، فرأى طعام بني عبد المدان منهم لباب البر والشهد والسمن ، وكان ابن جُدعان يُطعمُ التمر والسويق ويسقي اللبن ، فقال أمية :

ولقد رأيتُ الفاعلين وفعلهم فرأيتُ أكرمهم بني الديان
البر يُدبِكُ بالشَّهادِ طعامهم لا ما يُعلِّلنا بنو جُدعان^(١)

(١) السويق : طعام يتخذ من مدقوق البر والشعير سمي بهذا لانسياقه في الحلق ولباب البر : الخالص من الدقيق ، ومعنى يلبك : يخلط ، والشهاد جمع شهد ، وهو العسل ، وطعام الفرس هو : الفالودج . وهو كما عرف في اللسان : لباب القمح بلعاب النحل . يعني : أنه مصنوع من الدقيق الخالص وعسل النحل ، وفي ذيل الأماي للقالى ، ورد بعد البيت الأول قوله :

ورأيت من عبد المدان خلائقا فضل الانام بهن عبد مدان

وكذلك في سمط اللالى للبكرى ، وشطرة البيت الأول في ذيل الأماي : ولقد رأيت القائلين وفعلهم ، وفي السمط : « الباذلين » . ويقص أمية أنه دخل على عبد المدان بن الديان في نجران فأتى بالفالودج ، ثم يقول : فأكلت طعاما عجيبا ، ثم انصرفت ، وأنا أقول ، وذكر الأبيات « انظر ص ٣٦٢ سمط اللالى للبكرى و ص ٣٨ من الأماي والنوادر لآني على القالى . وأمие ابن أبي الصلت اسمه : عبد الله بن أبي ربيعة ، ويكنى : أبا عثمان ، وهو شاعر جاهلي أدرك الإسلام ومات كافرا . هذا ويذكر أبو الفرج في مثير الغرام ، أن ابن جُدعان وفد على كسرى ، فأكل عنده الفالودج ، فسأل عنه ، فقالوا : لباب البر مع العسل ، فقال : =

فبلغ شِعْرُهُ عبدَ الله بن جُدْعَانَ ، فأرسل أَلْفَيْ بَعِيرٍ إلى الشام ، تحمل إليه
الْبُرَّ وَالشُّهْدَ وَالسَّمْنَ ، وجعل منادياً ينادى على الكعبة : أَلَا هُمُومًا إِلَى جَنَّةِ
عبد الله بن جُدْعَانَ ، فقال أُمِيَّةٌ عند ذلك :

له دَاجٌ بِمَكَّةَ مُشْمَعِلٌ وَآخِرُ فَوْقَ كَعْبَتِهَا يُنَادِي
إِلَى رُدْحٍ مِنَ الشَّيْزَى عَلَيْهَا لُبَابُ الْبُرِّ يُدَبِّكُ بِالشَّهَادِ (١)

وكان ابن جُدْعَانَ في بدء أمرِهِ صُغُلُوكًا تَرَبَّ اليدين ، وكان مع ذلك
شَرِيرًا فَاتِكًا ، لا يزال يَجْنِي الجُنَايَاتِ ، فَيَعْقِلُ عَنْهُ أبوه وقومه ، حتى أبغضته
عشيرته ، ونفاه أبوه وحلف : أَلَا يُوْوِيهِ أَبَدًا لِمَا أَثْقَلَهُ بِهِ مِنَ الْغُرْمِ ، وحمله من

== بغوفى غلاماً يصنعه ، فأتوه بغلام فابتاعه ، فقدم به مكَّةَ ، وأمره فصنعه للحجاج
ووضع الموائد من الأبطح إلى المسجد ص ٥٠ ، القرى للحب الطبرى . وفي ذيل
الامالى للقالى أنه أرسل إلى اليمن من جاءه بمن يعمل الفالوذج ص ٣٨ .

(١) اشمعل القوم في الطلب : بادروا فيه ، وتفراقوا ، والشمعل : الناقة
النشيطة ، والرجل الخفيف الطريف ، أو الطويل . والبيتان من قصيدة طويلة في ديوانه
ص ١٩ وقبله :

وأبيض من بنى تيم بن كعب وهم كالمشقيات الأفراد
ومنها جزء في نسب قریش ص ٢٩٢ ، وفي ص ١٤٢ من الاشتقاق لابن دريد:
وكان ابن جدعان يشرب الخمر ويقول :

شربت الخمر حتى قال قولى أَلست عن السقاة بمستفيق
وحتى ما أوسد فى مبيت أبيت به سوى الترب السحيق
ثم حرمها على نفسه . والردح : جمع رداح بفتح : الجففة العظيمة : والشيزى
أو الشيز : خشب أسود تصنع منه الجفان ، أو هو الأبنوس ، أو خشب الجوز .

الدِّيَّاتِ ، فخرج في شِعَابِ مَكَّةَ حَائِراً بَائِراً ، يَتَمَنَّى المَوْتَ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ ، فَرَأَى شَقِماً
 فِي جَبَلٍ ، فَظَنَّ فِيهِ حَيَّةً ، فَتَعَرَّضَ لِلشَّقِّ يَرْجُو أَنْ يَكُونَ فِيهِ مَا يَقْتُلُهُ فَيَسْتَرْجِعُ ،
 فَلَمْ يَرَ شَيْئاً ، فَدَخَلَ فِيهِ ، فَإِذَا فِيهِ تُعْبَانٌ عَظِيمٌ لَهُ عَيْنَانِ تَقْدَانِ كَالسَّرَاجِينِ ،
 فَعَمِلَ عَلَيْهِ التُّعْبَانُ ، فَأَفْرَجَ لَهُ ، فَانْسَابَ عَنْهُ مُسْتَدِيرّاً بِدَارَةٍ عِنْدَهَا بَيْتٌ ، نَفِطَا
 خُطْوَةً أُخْرَى ، فَصَفَرَ بِهِ التُّعْبَانُ ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ كَالسَّهْمِ ، فَأَفْرَجَ عَنْهُ ، فَانْسَابَ
 عَنْهُ قُدُماً لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، فَوَقَعَ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ مَصْنُوعٌ ، فَأَمْسَكَ بِيَدِهِ ، فَإِذَا هُوَ
 مَصْنُوعٌ مِنْ ذَهَبٍ ، وَعَيْنَاهُ يَاقُوتَتَانِ ، فَسَكَسَرَهُ ، وَأَخَذَ عَيْنَيْهِ ، وَدَخَلَ الْبَيْتَ ،
 فَإِذَا جُثَّتْ عَلَى سُرُرٍ طَوَالٍ لَمْ يَرِ مِثْلَهُمْ طُولاً وَعِظَماً ، وَعِنْدَ رِءُوسِهِمْ لَوْحٌ مِنْ
 فِضَّةٍ فِيهِ تَارِيخُهُمْ ، وَإِذَا هُمْ رِجَالٌ مِنْ مُلُوكِ جُرُومٍ ، وَآخِرُهُمْ مَوْتًا : الْحَرِثُ بْنُ
 مُضَاضٍ صَاحِبُ الْعَرَبَةِ الطَّوِيلَةِ ، وَإِذَا عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ لَا يُمَسُّ مِنْهَا شَيْءٌ ،
 إِلَّا انْتَثَرَ كَالْهَبَاءِ مِنْ طَوْلِ الزَّمَنِ ، وَشِعْرٌ مَكْتُوبٌ فِي اللَّوْحِ فِيهِ عِظَاتٌ ، آخِرُ
 بَيْتٍ مِنْهُ :

صَاحَ هَلْ رَيْتَ أَوْ سَمِعْتَ بَرَاعَ رَدٍّ فِي الضَّرْعِ مَاقَرَى فِي الْحِلَابِ
 وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ : كَانَ اللَّوْحُ مِنْ رُحَايِمَ ، وَكَانَ فِيهِ : أَنَا نُفَيْلَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَدَّانِ
 ابْنِ خَشْرَمَ بْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ جُرُومَ بْنِ قَحْطَانَ بْنِ هُودِ نَبِيِّ اللَّهِ ، عَشْتُ خَسْمَانَةَ
 عَامٍ ، وَقَطَعْتُ غَوْرَ الْأَرْضِ بَاطِنَهَا وَظَاهِرَهَا فِي طَلَبِ الثَّرْوَةِ وَالْجَدِّ وَالْمَلِكِ ،
 فَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ يَنْجِيْنِي مِنَ الْمَوْتِ ، وَتَحْتَهُ مَكْتُوبٌ :

قَدْ قَطَعْتُ الْبِلَادَ فِي طَلَبِ النَّزْوَةِ وَالْمَجْدِ قَالِصُ الْأَنْوَابِ
 وَسَرَيْتُ الْبِلَادَ قَفَرًا لِقَفْرِ بَقْنَاتِي وَقُوَّتِي وَاكْنَسَابِي

فأصاب الرّدى بنات فؤادى بسهامٍ من المنسايا عِيَاب
فانقضت شرّتى ، وأقصر جهلى واستراحت عواذلى من عِتَابى
ودفعت السّفاهة بالحلم لما نزل الشّيبُ فى محلّ الشباب
صاح هل ريت أو سمعت براع ردّ فى الصّرع ما قرى فى الحلاب^(١)

وإذا فى وسط البيت كَوْنٌ عَظِيمٌ من الياقوتِ واللؤلؤِ والذهبِ والفضةِ
والزّبرجَدِ ، فأخذ منه ما أخذ ، ثم علّم على الشقّ بعلامةٍ ، وأغلق بابَه بالحجارةِ
وأرسل إلى أبيه بالمال الذى خرج به يَسْتَرْضِيهِ ويستعطفه ، ووصل عشيرته
كلّهم ، فسأدّهم وجعل يُنفق من ذلك الكنزِ ويُطعمُ الناسَ ، ويفعل المعروفَ .
ذَكَرَ حديثَ كنزِ ابنِ جُدعانَ موصولاً بحديثِ الحرثِ بنِ مُضاضٍ : ابنُ هشامٍ
فى غير هذا الكتابِ ، ووقع أيضاً فى كتابِ رِئىِّ العاطشِ ، وأنس الواحشِ
لأحمد بنِ عمار^(٢) .

وابن جُدعانَ ممن حرّم الخمر فى الجاهلية بعد أن كان مُفَرِّجاً بها ، وذلك

(١) القائل من الثياب : المشمّر القصير . وبنات الفؤاد : طوائفه ، وهى
فى الأصل : بنات ، والمنايا : جمع منية : الموت . وصيَاب : جمع صائب ، كصاحب
وصحاب . شرّة الشباب : حرصه ونشاطه . والسفاهة بفتح السين : خفة الحلم
ونقيضه ، أو الجهل ، وبكسر السين : جمع سفية ، والحلاب : الإناء يحلب فيه .
وقرا : جمع ، وفى اللسان : ويروى العلاب مكان الحلاب . وريت : يعنى : رأيت ،
وهى فى الروض : رأيت ، والتصويب من اللسان ، ثم لأنها تخل بنظام الوزن .

(٢) لا ريب فى أنها أسطورة لا يحنو عليها قلب ولا عقل . يجوز أن يقال
لأنه عثر على كنز دفين . ولكن فى غير ما صورت الاسطورة .

أنه سكر ، فتناول القمر ليأخذه ، فأخبر بذلك حين صحا ، فحلف : لا يشر بها أبدا ، ولما كبر وهرم أراد بنو تميم أن يمنعوه من تبديد ماله ، ولاموه في العطاء ، فكان يدعو الرجل ، فإذا دنا منه ، لطمه لطمَةً خفيفة ، ثم يقول له : قم فانشد لطمتك ، واطلب ديتها ، فإذا فعل ذلك أعطته بنو تميم من مال ابن جُدعان حتى يرضى ، وهو جدُّ عُبَيْدِ اللَّهِ بن أَبِي مُلَيْكَةَ الفقيه . والذي وقع في هذا الحديث من ذكر نُفَيْلَة ، أحسبه : نفيلة بالنون والفاء ، لأن بنى نُفَيْلَة كانوا ملوك الحيرة ، وهم من غَسَّان ، لا من جُرْهُم ، والله أعلم .

موقف الإسلام من الحلف :

فصل : وذكر خبر الحسين مع الوليد بن عتبة ، وقوله : لآخذنَّ سيفي ، ثم لأذعنَّ بحلف النضول إلى آخر القصة ، وفيه من الفقه : تخصيصُ أهل هذا الحلف بالدعوة وإظهار التعصب ، إذا خافوا ضيًّا ، وإن كان الإسلام قد رفع ما كان في الجاهلية من قولهم : يالفان عند التحزب والتعصب ، وقد سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم المَرَّيسِيعِ (١) رجلا يقول : يالأسْمَاجِرِينَ ! وقال آخر : يالأنصار ! فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : دعوها فإنها مُنْتَنَة وقال - صلى الله عليه وسلم - من ادَّعى بدَعوى الجاهلية ، فأَعْضَوْه بَيْنَ أَيْبِهِ وَلَا تَكُونُوا (٢) ، ونادى رجل بالبصرة : يالعامر ! فجاءه النابغة الجعدي بِعَصْبَةٍ له ،

(١) مصغر مرسوع : بئر وماء لخزاعة من ناحية قديد إلى الساحل ، وإليه تضاف غزوة بني المصطلق ، وتزوى بالغين ، وقد وقعت سنة ست من الهجرة .
(٢) أى قولوا له : اعضض . . . أيبك ، ولا تكنوا عنه بالهن ، وقد وضعت نقطا بعدا عضض ، وسيلح القارىء الاسم المقصود . والحديث : رواه أحد والنسائي =
(٦ م — الروض الأثف ج ٢)

فضر به أبو موسى الأشعري — رضى الله عنه — خمسين جلدَةً ، وذلك أن الله عز وجل جعل المؤمنين إخوةً ، ولا يُقال إلا كما قال عمر رضى الله عنه : يا لله ويا للمسلمين ؛ لأنهم كلهم حزبٌ واحد ، وإخوة في الدين إلا ما خصَّ الشرعُ به أهلَ حلفِ الفضول ، والأصلُ في تخصيصه قوله — صلى الله عليه وسلم — ولودُعيت به اليوم لأُجبت^(١) يريد : لو قال قائل من المظلومين : يا حلفِ الفضول لأُجبت ، وذلك أن الإسلام إنما جاء بإقامة الحقِّ ونُصرة المظلومين ، فلم يزدْ به هذا الحلفُ إلا قوَّةً ، وقولُهُ عليه السلام : « وما كان من حلفٍ في الجاهليَّة ، فلن يزيده الإسلام إلا شِدَّة » ليس معناه : أن يقول الحليف : يا فلانٍ لخلقيته ، فيجيبوه ، بل الشدَّة التي عنى رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — إنما هي راجعةٌ إلى معنى التواصل والتعاطف والتآلف ، وأما دَعْوَى الجاهلية ، فقد رفعها الإسلام إلا ما كان من حلفِ الفضول كما قدمنا ، فحُكمه باق ، والدعوةُ به جائزة ، وقد ذهبت طائفةٌ من الفقهاء إلى أن الحليفَ يَعْقِلُ مع العاقلة إذا وَجِبَتْ

== وابن حبان عن أبي بن كعب . ورغم هذا أوفى أنه لا يجوز أن ينسب إلى أدب الرسول ذى الخلق العظيم مثل هذا الكلام الذى فيه نتن الاوشاب .

(١) سبق الرأى فى هذا الحديث ، وهو أوهم من بيت العنكبوت ، فكيف يقيم السهلى على مثله حكماً دينياً يستهدف تقويم استغاثة شركية ، وحمة جاهلية ؟ وإن افترضنا أنه حديث صحيح ، فإننا نستطيع أن نفهم فيه معنى آخر يستقيم وهدى القرآن ، وهو أنه . لو دعى إلى تنفيذ ما دعا إليه من نصرة المظلوم لأجاب ، ولكن لا باسم حلف ، وإنما باسم الله ، لأن هذا من دينه ، والمسلمون أمة واحدة ، وحزب واحد هو : حزب الله المفلح الغالب .

الدِّيةُ لقوله - صلى الله عليه وسلم - وما كان من حِلْفٍ في الجاهلية ، فلم يَرِدْهُ
الإسلام إلا شِدَّةً ، ولقوله أيضاً للذي حبَّسه في المسجد : إنما حبستك بِمَجْرِيَةِ
حُلْفَاكَ نَكَ .

عن أولاد عبد مناف :

فصل : وذكر بنى عبد مناف الأربعة ، وقد كان له ولدٌ خامسٌ ،
وهو أبو عمرو ، واسمه : عُبَيْدٌ ، دَرَجَ (١) ، ولا عَقِبَ له ، ذكره البرقي والزبير ،
وكذلك ذكر البرقي أن قُصَيًّا كان سَمَّى ابنه عبدَ قُصَيٍّ ، وقال : سمَّيته بنفسى
وسميت الآخرَ بدارِ السَّكْمَةِ ، يعنى : عبدَ الدار ، ثم إن الناسَ حَوَّلُوا اسمَ
عبدِ قُصَيٍّ ، فقالوا : عبد بن قُصَيٍّ ، وقال الزبير أيضاً : كان اسمُ عبدِ الدار
عبدَ الرحمن (٢) .

(١) مضى ولم يخلف نسلاً . وفي طبقات ابن سعد : أن أولاد عبد مناف كانوا
سنة نفر وست نسوة . وفي نسب قريش ص ١٥ . يقول عن أبي عمرو إنه
انقرض إلا من بنت يقال لهما : تماضر ، ولدت لأبى همهمة بن عبد العزى .
(٢) في القرآن الكريم قوله سبحانه : « وإذا قيل لهم : اسجدوا للرحمن .
قالوا : وما الرحمن ؟ أنسجد لما تأمرنا ، وزادهم نفورا » ، الفرقان : ٦٠ ، وفي
كتاب الصلح في غزوة الحديبية دعا - صلى الله عليه وسلم - بالسكائب ، فقال :
اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل بن عمرو : وما الرحمن ، فوالله
ما أدري ما هى ؟ ولكن اكتب : باسمك اللهم كما كنت تكتب ، وهذا جزء
من حديث رواه البخارى وأبو داود عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة
ومروان ، يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه ، وهذا كله يوحى بأن اسم
الرحمن كان غير معروف عندهم .

وذكر هاشما وما صنع في أمر الرِّفَادَةِ (١) وإطعام الحبيج، وأنه سُمِّيَ هاشمًا لهشمه الثريد لقومه، والمعروف في اللغة أن يقال: ثَرَدْتُ الخبز، فهو ثريدٌ ومَثْرُودٌ، فلم يُسمَّ: ثارِداً، وسمى هاشمًا، وكان القياسُ — كما لا يُسمَّى الثريدُ هَشيماً، بل يقالُ فيه: — ثريدٌ ومَثْرُودٌ — أن يقال في اسم الفاعل أيضاً كذلك، ولكن سبب هذه التسمية يحتاج إلى زيادة بيان. ذكر أصحاب الأخبار أن هاشما كان يستعين على إطعام الحاجِّ بقريش، فيَرْدُوهُ بأموالهم، ويُعينونه، ثم جاءت أزمة شديدة فكَرِهَ أن يُكَلِّفَ قريشاً أمر الرِّفَادَةِ، فاحتمل إلى الشام بجميع ماله، واشترى به أجمع كعكاً ودقيقاً، ثم أتى الموسم فهشم ذلك الكعك كله هَشْماً، ودَقَّه دَقًّا، ثم صنع للحجاج طعاماً شبه الثريد، فبذلك سُمِّيَ هاشما، لأن الكعك اليابس لا يُثَرَّدُ، وإنما يُهشمُ هَشْماً، فبذلك مَدَحَ، حتى قال شاعرٌ فيهِ، وهو عبد الله بن الزُّبَيْرِ :

كانت قُرَيْشٌ بَيْضَةً فَتَفَقَّاتُ فَاُمُحُّ خَالِصُهُ اِعْبَدُ مَنَافِ
الخالطين فقيرهمُ بَغْنِيهِمْ والظاعنين لرحلة الأضيافِ
والرائشينَ وليس يُوجَدُ رَائِشٌ والقائلينَ : هَلُمُّ لِلأضيافِ
عَمَرُوا العُلا هَشَمَ الثريدَ لقومه قومَ بِمَكَّةَ مُسْنِتِينَ عِجَافٍ (٢)

(١) الرفاة : شيء كانت تترافد به قريش في الجاهلية، تخرج فيما بينها مالا تشتري به للحجاج طعاماً وزيبيا.

(٢) نسبها اللسان والمرضى في أماليه ١٧٨/٤ لمطروود بن كعب الخزاعي في رثاء عبد المطلب، ونسبها العيني ١٤٠/٤، وابن أبي الحديد ٤٥٣/٣ كما نسبها السهيلي إلى عبد الله بن الزُبَيْرِ، ولها في أمالي القائل قصة تزعم أن رسول الله هو =

.

= وأبا بكر كانا عند بني شية ، فر بهما رجل ، وهو يقول :
 يأبها الرجل المحول رحله ألا نزلت بآل عبد الدار
 هبيلتتك أمك لو نزلت برحله منعوك من عدم ومن إقتار
 وتزعم القصة أن الرسول دس ، نظر إلى أبي بكر ، ثم قال : أهكذا قال الشاعر :
 قال : لا والذي بعثك بالحق ، لكنه قال :

يأبها الرجل المحول رحله ألا نزلت بآل عبد مناف
 وهي قصة مصنوعة . والآيات التي وردت في أمالي المرتضى بعد البيت السابق :
 هبيلتتك أمك لو نزلت عليهم ضمنوك من مجوع ومن إقراف
 الآخذون العهد من آفاقها والراحلون لرحلة الإيلاف
 والمطعمون إذا الرياح تناوحت ورجال مكة مسفتون عجاف
 وفي هذا البيت إقواء ، لأن القافية مكسورة ، ولكنها فيه مرفوعة . وقد
 وردت له رواية أخرى كما في الروض ، وبعد هذا في أمالي المرتضى :

والملفـضلون إذا المحول تـزادفت والقائلون : هـائم للأضياف
 والخالطون غنهم بفقيرهم حتى يكون فقيرهم كالكافي
 وفي أمالي القالي : منعوك من عدم ومن إقراف ، وهو في اللسان كما في
 أمالي المرتضى . وفي اللسان أيضا :

والمنعمين إذا النجوم تغيرت والظاعنين لرحلة الإيلاف
 والمطعمون إذا الرياح تناوحت حتى تغيب الشمس في الرءـجاف
 وفي الصحاح رويت الشطرة الأولى من هذا البيت : والمطعمون اللحم كل عشية ،
 وفي غيره : ويكللون جفانهم بسد يفهم ، ثم نسب المرتضى إلى ابن الزبير :
 عمرو الملا هشم الثريد اقومه ورجال مكة مسفتون عجاف
 وهو الذي سن الرحيل لقومه رحل الشتاء ورحلة الأضياف
 وفي الروض : فالخ خالصه ، بالخاء ، والرواية الصحيحة فالخ ، بالخاء أما =

وكان سبب مدح ابن الزبير هذه الأبيات ، وهو سَهْمِيٌّ^(١) البني
عبد مناف - فيما ذكره ابن إسحق في رواية يونس - أنه كان قد هَجَا قصيا
بشعرٍ كتبه في أستار الكعبة ، أوله :

== خالصة فرويت : خالصها ، وخالصة بالناء . والمخ أو المحة : صفرة البيض . وقال
ابن سيدة : إنما يريدون فص البيضة . وقال ابن بري : من قال : خالصة بالناء ،
فهو في الأصل مصدر كالعافية . ومسنتون : أصابهم سنة مجدبة . وفي سمط
الآلى للبكرى : والعرب تقول هو بيضة البلد يمدحونه بذلك ، وتقول للآخر :
هو بيضة البلد يذمونه به ، فالممدوح يراد به : البيضة التي يحضنها الظلم ، وذكر النعام ،
ويصونها ويوقها ؛ لأن فيها فرخه . والمذموم يراد به البيضة المنيوذة بالعراء ، المذرة
التي لاحاط لها ، ولا يدرى لها أب ، وهي تربة الظلم . قال الرماني : إذا كانت
النسبة إلى مثل المدينة والبصرة ، فبيضة البلد مدح ، وإن نسبت إلى البلاد التي
أهلها أهل ضعة فبيضة البلد ذم . ص ٥٤٩ ، والرجاف : البحر ، أو يوم القيامة ،
وفي أمالي القالي زيادة :

منهم على والنبي محمد القائلان : هلم للأضياف

واعتقد أنها زيادة شيعية . وقد قال البكري : وهذا بيت يحدث ذكر أبو نصر
أن جده صالحاً أباً غالب ألحقه به ، وأبو نصر هو : هارون بن موسى بن صالح تلميذ
القالي ، وأحد الذين استملوا النوادر عليه ، وستأتي القصيدة في السيرة .

انظر مادة رجف في اللسان ، وص ٥٤١ ج ١ وما بعدها سمط الآلى للبكرى ،
بتعليق المحقق الميمنى ، وص ٢٤١ ج ١ أمالي القالي ، والتنبيه للبكري ، ص ١٧٨
ج ٤ أمالي المرتضى . وفي الروض : لرحلة الأضياف ، وأهلها الأضياف . وفيه
أيضا : عمرو الغلا ، بالغين ، وهو خطأ صوابه : العلا ص ٧٥ ، وهناك رواية :
« عمرو الذى ، كما في الطبرى .

(١) لأنه ابن الزبير بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم .

أَلْهَى قُصَيًّا عَنْ الْحَدِّ الْأَسَاطِيرُ وَمِثْلُ مَا تَمْشِي الشَّقَارِيرُ^(١)

فَاسْتَعْدُوا عَلَيْهِ بَنِي سَهْمٍ ، فَاسْلَوْهُ إِلَيْهِمْ ، فَضَرْبُوهُ وَحَلَقُوا شَعْرَهُ ،
وَرَبَطُوهُ إِلَى صَخْرَةٍ بِالْحُجُونِ^(٢) ، فَاسْتَفَاثَ قَوْمَهُ فَلَمْ يُغِيثُوهُ ، فَجَعَلَ يَمْدَحُ قُصَيًّا
وَيَسْتَرْضِيهِمْ ، فَأُطْلِقَهُ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ مِنْهُمْ ، وَأَكْرَمُوهُ فَدَحَّجَهُمْ بِهَذَا الشَّعْرِ ،
وَبِأَشْعَارٍ كَثِيرَةٍ ، ذَكَرَهَا ابْنُ إِسْحَاقَ فِي رِوَايَةِ يُونُسَ .

عبد المطلب وابن ذى يزن :

فصل : وذكر نكاح هاشم سلمى بنت عمرو النجارية وولادتها له
عبد المطلب بن هاشم ، ومن أجل هذه الولادة قال سيف بن ذى يزن

(١) وجدت في اللسان : شقر بضم الشاء وفنحها ، مع فتح القاف : الديك
ويقال : إن الناس أصبحوا يوما بمكة ، وعلى باب الندرة مكتوب :

ألهى قصيا عن المجد الأساطير ورشوة مثل ما ترثى السفاسير
وأكلها اللحم بحنا لا خليط له وقولها : رحلت غير ، أنت غير

فأنكر الناس ذلك . وقالوا : ما قالها إلا ابن الزبيري ، وأجمع على ذلك
رأيهم ، فمشوا إلى بني سهم - وكان مما تنكر قريش وتعاتب عليه أن يهجو .
بعضها بعضا - فقالوا لبني سهم . . ثم تمضى القصة كما رواها السهيلي ، إلى قوله :
فربطوه إلى صخرة بالحجون . انظر ص ١٧٩ وما بعدها ج ٤ أمالي المرتضى
تعليق الشنقيطي ط ١٣٢٥ هـ . وللسفاسير معان عدة فبى : جمع سفاسير بكسر السين
الأولى والآخرة وسكون الفاء . وهو التابع أو الذى يقوم على الناقه ، أو الإبل
ليصلح من شأنها ، والعبرى والخاذق بصناعته والقهرمان ، والسفسار ، وهذه هي
المقصودة هنا .

(٢) فى الاصل : المحجول وهو خطأ .

أو ابْنُهُ مَعْدِي كَرْبُ بْنُ سَيْفٍ مَلِكِ الْيَمَنِ (١) لَعَبْدِ الْمَطْلَبِ حِينَ وَقَدْ عَلَيْهِ رَكْبٌ
 مِنْ قُرَيْشٍ : مَرْحَبًا بِابْنِ أُخْتِنَا ، لِأَنَّ سَلَمَى مِنَ الْخَزَرَجِ ، وَهُمْ مِنَ الْيَمَنِ مِنْ
 سِبَا ، وَسَيْفٌ مِنْ حَمِيرِ بْنِ سِبَا ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : مَرْحَبًا وَأَهْلًا ، وَنَاقَةً وَرَحْلاً ،
 وَمِلِكًا سَبْعَ عَشْرَةَ ، يُعْطَى عَطَاءً جَزَلاً (٢) . ثُمَّ بَشَرَهُ بِالنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
 وَأَنَّهُ مِنْ وَلَدِهِ (٣) ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَطْلَبِ : مِثْلُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ سِرٌّ وَبَرٌّ ، ثُمَّ أَجْزَلَ
 الْمَلِكُ حَيَاءَهُ ، وَفَضَّلَهُ عَلَى أَصْحَابِهِ ، وَانْصَرَفَ مَغْبُوطًا عَلَى مَا أَعْطَاهُ الْمَلِكُ ،
 فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنَّمَا بَشَّرَنِي بِهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ مَا أَعْطَانِي . فِي خَبَرٍ فِيهِ طَوْلٌ .
 نَسَبُ أَهْمَجَةٍ :

وَذَكَرَ نَسَبَ أُحَيْيَةَ بْنِ الْجُلَاحِ بْنِ الْحَرِيشِ بْنِ جَحْجَجِي (٤) ،

(١) فِي الطَّبَرِيِّ عَنْ سَيْفَانَ بْنِ مَعْدٍ يَكْرُبُ : مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ : إِنَّهُ سَيْفُ
 بَنِ ذِي يَزَنَ . ص ١٥٣ ج ٢ .

(٢) نَسَبُ الْقَالِي فِي أَمَالِيهِ هَذَا إِلَى عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَهُوَ خَطَاؤُهُ صَوْبُهُ
 الْبَكْرِيُّ فِي التَّنْبِيهِ ص ١١٤ . فَهُوَ - كَمَا ذَكَرَ السَّهْلِيُّ - قَوْلُ سَيْفٍ لَعَبْدِ الْمَطْلَبِ
 وَسَبْجَلُ : بِكَسْرِ فَفَتْحٍ فَسُكُونٍ ، أَوْ سَبْجَلٌ مِثْلُ : سَفَرْجَلٍ ، وَسَبْجَلٌ بِفَتْحِ السَّيْنِ
 وَإِسْكَانِ الْحَاءِ الْمُتَقَدِّمَةِ عَلَى الْبَاءِ : الضَّخْمُ . وَرَوَى مَلِكًا رَجُلًا - بِكَسْرِ الرَّاءِ
 وَفَتْحِ الْبَاءِ وَسُكُونِ الْحَاءِ ، وَهِيَ مِثْلُ : سَبْجَلٍ فِي الْمَعْنَى . وَالرَّجُلَةُ : الْعَظِيمَةُ الْجَيِّدَةُ
 الْخَلْقِ - بِفَتْحِ الْحَاءِ - فِي طَوْلٍ . وَيُرِيدُ هُنَا : مَلِكًا عَظِيمًا . وَبَعْدَ « جَزَلاً » قَوْلُ
 سَيْفٍ : « قَدْ سَمِعْنَا مَقَالَتَكُمْ ، وَعَرَفْنَا قَرَابَتَكُمْ ، فَلَكُمْ الْكِرَامَةَ مَا أَقْتَمُ ،
 وَالْحَيَاءَ إِذَا رَجَعْتُمْ » ، انْظُرْ ج ٢ ص ٢١٨ الْأَمَالِي ط ٢ وَالتَّنْبِيهِ لِلْبَكْرِيِّ ص ١١٤ .

(٣) هَذَا مِنَ الْغُلُوِّ الَّذِي لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مَقَامُ النَّبِيِّ «ص» الَّذِي لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ
 هُوَ «ص» وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ أَنَّهُ هُوَ النَّبِيُّ الْمُبَشِّرُ بِهِ فِي كِتَابِ أَهْلِ الْكِتَابِ .

(٤) فِي الرُّوَضِ : جَحْجَجِي ، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ كِتَابِ النِّسَبِ .

وقال ابن هشام : هو الحَرِيسُ يعنى . بالسِّين المُمَهَّلَة - وقال الدَّارُ قُطْنِي عن الزبير بن أبى بكر : أن كلَّ ما فى الأنصارِ فهو : حَرِيس بالسِّين غير مُعْجَمَة إلا هذا ، ووجدت فى حاشية كتاب أبى بحر - رحمه الله - صوابَ هذا الاسم يعنى فى نسب أُحِيحَة بن الجُلاح بن الحَرِيش بالشِّين المعجمة على لفظ الحَرِيش ابن كَعْب البَطْنِ الذى فى عامر بن صَمْعَصَعَة (١)

فصل : وأنشد لمطروود بن كعب :

يَا لَيْلَةً هَيَّجَتْ لَيْلَاتِي إِحْدَى لَيْلَى الْقَسِيَّاتِ

أى : أنت إحدى ليلَى الْقَسِيَّاتِ . فَعِيْلَات من الْقَسْوَة ، أى : لالينَ عندهن ، ولا رَافَة فيهن ، ويجوز أن يكون عندهم من الدرهم الْقَسِيّ ، وهو الزائف ، وقد قيل فى الدرهم الْقَسِيّ : إنه أعْجَمِيٌّ مُعَرَّبٌ ، وقيل : هو من الْقَسَاوَة لأنَّ الدرهم الطَّيِّبُ أَلِينُ من الزائفِ (٢) ، والزائفُ أَضْلَبُ منه . ونصب ليلَةً على التمييز كذلك ، قال سِيبَوَيْهٍ فى قول الصَّلْتَانِ (٣) الْعَبْدِيّ .

(١) فى الاشتقاق : الحَرِيش بالشِّين بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَمْعَصَعَة .
(٢) فى اللسان : عام قسٍ - بفتح فكسر مع تضعيف الياء - شديد ذو قحط لا مطر فيه ، وعشية قسية : باردة . والقسية : الشديدة ، ويوم قسٍ مثال شقٍ : شديد من حرب أو شر . ودرهم قسٍ : جمع قسيان مثل صبي : وقيل درهم قسٍ : ضرب من الزيف ، أى فضة صلبة رديئة ليست بلينة ، وكل هذا يؤكد أنه استعمال عربى .

(٣) الصلطان : لقب ، وأصل الصلطان : النشيط الحديد الفؤاد من الخيل ، أو المضاء فى الأمور ، وهو : قثم بن خيثمة - كما نقل ابن قتيبة - أو خيبة ، وقال الأمدى عن أبى =

أيا شاعرا لا شاعِرَ اليومَ مثله

==عبيدة : نُفَيْمَ بْنَ خُشَيْمٍ ، وهو أحد بني محارب بن عمرو بن وديعة بن لُكَيْزِ
ابن أفضس بن عبد القيس . والبيت من قصيدة أوردها المبرد في كتابه الاعتنان ،
والقالى في أماليه ، وابن قتيبة في كتاب الشعراء ، وتمتة البيت :

جرير ، ولكن في كليب تواضع

وقد نظم الصلتان هذه القصيدة - وعدتها ثلاثة وعشرون - حينما جعلوا إليه
الحكم بين الفرزدق وجرير ، أيهما أشعر ، وأولها :

أنا الصَّلْتَانِىُّ الذى قد علمت متى ما يحكم فهو بالحق صادق
وفى الأمالى : وفيا شاعرا لا شاعرا اليوم مثله ، ص ١٤٢ ج ٢ الأمالى
ومن القصيدة :

أرى الخططفى بذ الفرزدق شعره ولكن خيرا من كليب مجاشع
فيا شاعرا لا شاعر اليوم مثله جرير . ولكن في كليب تواضع
فرضى الفرزدق حين شرفه عليه ، وقومه على قومه ، وقال : إنما الشعر مروءة ،
من لامروءة له ، وهو أخس حظ الشريف ، وأما جرير ، فغضب من المنزلة التى
أنزله إياها فهجاه . والبيت المذكور فى اللسان ص ٢٠٨ ج ٢ ، وانظر ص ٢٩ ج ٢
خزانة الأدب ط دار العصور ، وإليك بعض ما قيل فيه : قال الأعلام الشاهد فيه
على مذهب الخليل وسيديويه : نصب شاعرا بإختار فعل على معنى الاختصاص
والتعجب ، والمنادى محذوف ، والمعنى : يا هؤلاء أو يا قوم ، عليكم شاعرا ، أو
حسبكم به شاعرا ، وقال النحاس : كأنه قال : يا قائل الشعر عليك شاعرا ، وإنما
امتنع عنده أن يكون منادى ، لأنه نكرة يدخل فيه كل شاعر بالحضرة ، وهو
إنما قصد شاعرا بعينه ، وهو جرير ، وكان ينبغى أن يبنيه على الضم على ما يجرى
عليه الخصوص بالنداء . أما أحمد بن يحيى ، فذكر أن شاعرا منصوب بالنداء
وفيه معنى التعجب ، وقال : إن العرب تنادى بالمدح والذم ، وتنصب بالنداء ،
فيقولون : يا رجلا لم أر مثله ، وكذا يا طيبتك من ليلة ، وكذا شاعرا ، وفى ==

وذلك أن في الكلام معنى التعجب .

وقوله : وَمَيَّتْ بَغَزَاتٍ . هي : غَزَّةٌ ، ولكنهم يحملون لكل ناحية أو لكل رَبَضٍ ^(١) من البلدة اسم البلدة ، فيقولون : غَزَاتٍ في غَزَّة ، ويقولون في بغداد : بَغَادِين ، كما قال بعض المُحَدِّثِينَ :

شَرِبْنَا فِي بَغَادِين عَلَى تِلْكَ الْمَيَادِين

ولهذا نظائر ستمر في الكتاب - إن شاء الله - ومن هذا الباب :
حكمهم للبعض بِحُكْمِ السَّكَلِ ، كما سَمَّوْهُ بِاسْمِهِ ، نحو قولهم : شَرَقَتْ صَدْرُ

= الخزانة أيضا : أن المنادى محذوف ، وأن شاعرا ليس بمنادى ، لأنه مقصود إلى واحد بعينه ، والمحذوف يجوز أن يكون هو الشاعر ، ويجوز أن يكون غيره ، فكأنه قال لمن بحضرته : يا هذا حسبك به شاعرا على المدح والتعجب منه ، ثم بين أنه جرير ، ويشبه هذا الإضمار بقولهم : نعم رجلا زيدا ، ويجوز أن يكون حسبك به على شريطة التفسير ، وبه في موضع اسم مرفوع لابد منه ، ويجوز أن يكون الهاء للشاعر الذي جرى ذكره ، ثم وكده بقوله : جرير ، أي : هو جرير . وتقدير الخليل ويونس : يا قائل الشعر ، على أن قائل الشعر غير الشاعر المذكور ، كأنه قال : يا شعراء عليكم شاعرا لا شاعر اليوم مثله ، أي حسبكم به شاعرا ، فهذا ظاهر كلام سيبويه . ويجوز أن يكون يا قائل الشعر المحذوف هو الشاعر المذكور ، وينتصب شاعرا على الحال ، ولا شاعر اليوم في موضع النعت ، واحتاج إلى إضمار قائل الشعر ونحوه ، حتى يكون المنادى معرفة ، كأنه قال : يا قائل الشعر في حال ما هو شاعر لا شاعر مثله .

(١) ربض المدينة : ماحولها . وفي الروض « ميت بغزات ، ولكن في السيرة
« ميت بين غزات » .

القناة من الدَّم ، وذهبت بعض أصابعه^(١) ، وتواضعت سورُ المدينة . وقد تركبت على هذا الأصلِ مسألة من الفقه : قال الفقهاء ، أو أكثرهم : مَنْ حلف ألا يأكلَ هذا الرغيف ، فأكلَ بعضه ، فقد حنثَ ، فحكموا للبعض بحكم الكل ، وأطلقوا عليه اسمه . وفيه :

إن المَغِيرَاتِ وأبناءها مِنْ خَيْرِ أَحْيَاءِ وَأَمْوَاتِ^(٢)

فالمَغِيرَاتُ : بنو المغيرة ، وهو عبد مناف ، كما قالوا : المناذرة في بنى المُنْذِرِ ، والأشْعَرُونَ في بنى أشعر بن أدد ، كما قال علي بن عبد الله بن عباس في ابن الزبير : آثَرَ عَلَى الحَمِيدَاتِ والتَّوَيْنَاتِ والأَسَامَاتِ ، يعني : بنى حميد ، وبنى تُوَيْتَ ، وبنى أسامة ، وهم من بنى أسد بن عبد العزى^(٣) .

(١) يقول الأعشى :

وتشرق بالقول الذى قد أذعته كما شرقت صدر القناة من الدم
وأصل الصدر مذكر ، وأنت هنا ، إما لأنه أراد القناة ، أو لأن صدر القناة قناة ، أو لأن صدر القناة منها كقولهم : ذهبت بعض أصابعه ، لأنهم يوثنون الاسم المضاف إلى المؤنث « اللسان » ونص تعبير سيبويه في الكتاب : « وربما قالوا في بعض الكلام : ذهبت بعض أصابعه ، وإنما أنت البعض ، لأنه أضافه إلى مؤنث هو منه ، ولو لم يكن منه لم يوثنه : لأنه لو قال : ذهبت عبد أمك لم يحسن ، ثم استشهد بيت الأعشى ، ثم قال : « لأن صدر القناة من مؤنث ، ومثله قول جرير « في ص ٢٥ ج ١ من كتاب سيبويه ،

إذا بعض السنين تفرقتنا كفى الاتِّسَامُ فقد أبى اليتيم

(٢) في الروض : « وأبنائها ، والصواب ما أثبتته من السيرة .

(٣) حم حيد بن أسامة بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي وتُوَيْتَ بن حبيب بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وأَسَامَةُ بن زهير بن الحارث =

وكان اسمُ عبد مناف : الْمُغِيرَةَ ، وكان أوَّلَ بنى عبد مناف هُلُكًا :
 هاشمٌ ، بَغَزَّةٌ من أرض الشام ، ثم عبدُ شمس بمكة ، ثم المطلب برَدْمان من
 أرض اليمن ، ثم نَوْفَلًا بِسَلْمان من ناحية العراق .

فَقِيلَ لمطروود - فيما يزعمون - : لقد قلتَ فأحسنْتَ ، ولو كان أخفَ مما
 قلتَ كان أحسنَ ، فقال : أنظِرْني ليالى ، فكثَّ أياما ، ثم قال :

يا عين جُودِي ، وأذري الدمعَ وانهمري	وابكى على السرِّ من كَعبِ الْمُغِيرَاتِ
يا عين ، واسحِجَّةِ فَرَى بالدمع واحتفلى	وابكى خبيثَةَ نفسى فى المُمَلِّاتِ
وابكى على كلِّ فياضٍ أخى ثِقَّةِ	ضَخَمَ الدَّسِيَّةِ وهَابِ الجَزِيرَاتِ
مَحْضِ الصَّرِيَّةِ ، على الهَمِّ ، مُخْتَلَقِ	جَلَدِ النَّحِيْزَةِ ، ناءٍ بالعظِمَاتِ
صَعْبِ البِدِيَّةِ لا نِكْسٍ ولا وَكَلِّ	ماضى العَزِيْمَةِ ، مُتَلَفِ الكَرِيْمَاتِ
صَقَرٍ تَوَسَّطَ من كَعْبٍ إِذا نُسِبُوا	بُجْبُوحَةَ المَجْدِ والشَّمِّ الرَفِيعَاتِ
ثم اندبى الفيضَ والفياضَ مُطَلِّبا	واستخرطى بعدَ قِيضَاتٍ بِجَمَّاتِ

وفيه « شرقى البَيْنِيَّاتِ » يعنى : البَيْنِيَّةُ ، وهى : الكعبة ، وهو نحو مما
 تقدم فى غَزَّاتِ .

== بن أسد بن عبد العزى بن قصى . والاشعرون فى اللسان : نسبة إلى أشعر بن
 يشجب بن يعرب بن قحطان ، وتقول العرب : جاء بك الاشعرون بحذف
 ياء النسب .

أَمْسى بَرْدَمانَ عَمَّا اليَوْمَ مُغْتَرِبا يالْهَفَ نَفْسِي عليه بين أَمْوات
وابكى- لك الوَيْلُ- إِمَّا كُنتَ باكِية لِعَبْدِ شَمْسٍ بِشَرْقِ الْبَنِيَّاتِ
وهاشم في ضَرْيحٍ وَسَطَ بِلَقَعَةٍ تَسْفَى الرِّياحُ عليه بين غَزَاتِ
ونوفل كان دون القوم خالِصَتِي أَمْسى بِسَلْمانَ في رَمْسٍ بِمَوْمَةِ
لم أَلْقَ مِثْلَهُمْ عُجْماً ولا عَرَباً إِذا اسْتَقَلَّتْ بِهِم أَذْمُ الْمَطِيَّاتِ
أَمْسَتْ ديارُهُمْ مِنْهُمْ مُعْطَلَةٌ وَقَدْ يَكُونُونَ زَيْنًا في السَّرِيَّاتِ
أَفْناهُمُ الدَّهْرُ ، أَمْ كَلَّتْ سِيوفُهُمْ أَمْ كُلُّ مَنْ عَاشَ أَزْوادُ الْأَمْنِيَّاتِ
أَصْبَحَتْ أَرْضِي مِنَ الْأَقْوامِ بَعْدَهُمْ بَسَطَ الْوَجْوهَ وإِلْقَاءَ التَّحِيَّاتِ
يا عَيْنُ فابْكِ أبا الشُّعْثِ الشَّجِيَّاتِ يَبْكِيهِ حُسْرًا مِثْلَ الْبِلِيَّاتِ
يَبْكِي أَكْرَمَ مَنْ يَمْشِي على قَدَمِ يُعْوِلُهُ بِدُمُوعٍ بَعْدَ عِبْرَاتِ
يَبْكِي شَخْصاً طَوِيلَ الْبَاعِ ذَا فَجَرٍ آبَى الْهَضِيمَةِ ، فَرَّاجَ الْجَلِيلَاتِ
يَبْكِي غَمْرًا وَالْعَمَلُ إِذَا حَانَ مَضْرَعُهُ سَمَحَ السَّجِيَّةِ ، بِسَامِ الْأَعْشِيَّاتِ
يَبْكِيهِ مُسْتَكِينَاتٍ على حَزَنِ يا طَوِيلَ ذَلِكَ مِنْ حَزَنِ وَعَوَّلَاتِ
يَبْكِي لَمَّا جَلاهُنَّ الزَّمانُ لَهُ خُضِرَ الْخُدُودَ كَأَمْثالِ الْحَمِيَّاتِ
مُحْتَرِمَاتٍ على أَوْساطِهِنَّ لِمَا جَرَّ الزَّمانَ مِنْ أَحْداثِ الْمُصِيبَاتِ
أَبَيْتُ لَيْلِي أُرَاعِي النَّجْمَ مِنَ الْمِ أَبْكَى ، وَتَبْكَى مَعِيَ شَجْوَى بُنْيَاتِي
ما في الْقُرومِ لِمِ عَدَلٍ ولا خَطَرِ ولا لِمَنْ تَرَكَوا شَرْوَى بَقِيَّاتِ
أَبْناؤُهُمْ خَيْرُ أَبْناء ، وَأَنْفُسُهُمْ خَيْرُ النَّفُوسِ لَدَى جَهْدِ الْأَلْيَاتِ
كَمْ وَهَبُوا مِنْ طِمِيرٍ سَابِحِ أَرْنِ وَمِنْ طِمِيرَةٍ نَهَبِ في طِمِيرَاتِ

ومن سُيوف من الهِنْدِيّ مُخَلَّصَةٍ ومن رِمَاحٍ كَأَشْطَانِ الرَّكِيَّاتِ
ومن تَوَابِعٍ مِمَّا يُفْضِلُونَ بِهَا عِنْدَ الْمَسَائِلِ مِنْ بَذْلِ الْعَطِيَّاتِ
فَلَوْ حَسَبْتُ وَأَحْصَيْتُ الْحَاسِبُونَ مَعِيَ لَمْ أَقْضِ أَفْعَالَهُمْ تِلْكَ الْهَنْيَّاتِ
هُمْ الْمُدِلُّونَ إِمَّا مَعَشَرَ فَخَرُوا عِنْدَ الْفَخَّارِ بِأَنْسَابِ نَقِيَّاتِ
زَيْنُ الْبُيُوتِ الَّتِي خَلَوْا مَسَاكِنَهَا فَأَصْبَحَتْ مِنْهُمْ وَخْشًا خَلِيَّاتِ
أَقُولُ وَالْعَيْنُ لَا تَرَقَا مَدَامُهَا لَا يُبْعَدُ اللَّهُ أَصْحَابَ الرَّزِيَّاتِ

قال ابن هشام : الفَجَر : العطاء . قال أبو خِرَاش الهَذَلِي :

عَجَفَ أَضْيَافِي جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ بَذَى فَجَرَ تَأْوَى إِلَيْهِ الْأَرَامِلُ

قال ابن إسحاق : أَبُو الشَّعْثِ الشَّجِيَّاتِ : هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ مَنْفٍ .

قال : ثُمَّ وَلِيَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ بْنُ هَاشِمِ السَّقَايَةَ وَالرَّفَادَةَ بَعْدَ عَمِّهِ الْمَطْلَبِ ،
فَأَقَامَهَا لِلنَّاسِ ، وَأَقَامَ لِقَوْمِهِ مَا كَانَ آبَاؤُهُ يُقِيمُونَ قَبْلَهُ لِقَوْمِهِمْ مِنْ أَسْرِهِمْ ،
وَشَرَفُ فِي قَوْمِهِ شَرَفًا لَمْ يَبْلُغْهُ أَحَدٌ مِنْ آبَائِهِ ، وَأَحَبَّهُ قَوْمُهُ وَعَظَمَ
خَطَرَهُ فِيهِمْ .

ذِكْرُ حَفَرِ زَمْزَمَ وَمَا جَرَى مِنَ الْخُلْفِ فِيهَا

ثم إنَّ عبدَ المطلبِ بينما هو نائمٌ في الحِجْرِ إِذْ أَتَى ، فَأُمِرَ بِحَفْرِ زَمْزَمَ .

قال ابن إسحاق : وكان أوَّلُ ما ابتدئ به عبدُ المطلبِ من حَفْرِهَا ،
كما حدَّثني يَرِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ الْمَصْرِيُّ عَنْ مَرْثَدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْيَزَنِيِّ عَنْ

عبد الله بن زُرَيْرَ الغافقي : أنه سَمِعَ عَلِيَّ بنَ أَبِي طالب رَضِيَ اللهُ تعالى عنه يحدث حديث زمزم حين أَمَرَ عَبْدُ المطلب بِحَفْرِها ، قال :

قال عَبْدُ المطلب : إني لنأثم في الحجر إذ أناني آتٍ فقال : احفِرْ طِيبَةَ . قال : قلت : وما طيبة ؟ قال : ثم ذهب عني . فلما كان الغد رجعتُ إلى مضجعي فَنِمْتُ فيه ، فجاءني فقال : احفِرْ بَرَّةَ . قال : قلت : وما بَرَّةُ ؟ قال : ثم ذهب عني ، فلما كان الغد رجعتُ إلى مَضْجَعِي ، فَنِمْتُ فيه ، فجاءني فقال : احفِرِ المَضْنُونَةَ قال : قلت : وما المَضْنُونَةُ ؟ قال : ثم ذهب عني . فلما كان الغد رجعتُ إلى مضجعي ، فَنِمْتُ فيه ، فجاءني فقال : احفِرْ زمزم . قال : قلت : وما زمزم ؟ قال لا تَنزِفِ أبداً ولا تُدَمِّمْ ، تسقى الحجيجَ الأعظم ، وهي بين الفَرثِ والدم ، عند نُقْرةِ الغرابِ الأعصم ، عند قَرْيَةِ النمل .

قال ابن إسحاق : فلما بُيِّنَ له شأنها ، ودُلَّ على موضعها ، وعَرَفَ أنه قد صُدِّق ، غَدَا بِمَعُولِهِ ومعه ابنُهُ الحارث بن عبد المطلب ، ليس له يومئذ ولدٌ غيره فَحَفَرَ فيها . فلما بدا لعبد المطلب الطِّيُّ ، كَبَّرَ ، فَعَرَفَتْ قَرِيشٌ أنه قد أدرك حاجته ، فقاموا إليه ، فقالوا : يا عبد المطلب ، إنها بُرٌّ أَيْنما إسماعيل ، وإن لنا فيها حقاً فأشركنا معك فيها . قال : ما أنا بفاعل ، إن هذا الأمر قد خُصِصْتُ به دونكم ، وأُعْطِيْتَهُ من بينكم ، فقالوا له : فأنصفنا ، فإننا غيرُ تاركيك حتى نخاصمك فيها ، قال : فاجعلوا بيني وبينكم مَن شئتم أحاكمكم إليه ، قالوا : كاهنة بنى سَعْدِ هُذَيْمٍ ، قال : نعم ، قال : وكانت بأشراف الشام ، فركب عَبْدُ المطلب ومعه نَفَرٌ من بنى أبيه من بنى عبد مناف ، وركب من كل قبيلة من

قريش نفر . قال : والأرضُ إذ ذاك مَفاوز . قال : فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام ، فَنِي ماء عبد المطلب وأصحابه ، فظموا حتى أيقنوا بالهدى ، فاستسقوا مَن معهم من قبائل قريش ، فأبوا عليهم ، وقالوا : إنا بمفازة ، ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم ، فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم ، وما يتخوف على نفسه وأصحابه ، قال : ماذا ترون ؟ قالوا : ما رأينا إلا تبع لرائيك ، فمرنا بما شئت ، قال : فإني أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرة لنفسه بما بكم الآن من القوة . فكلما مات رجل دفعه أصحابه في حفرة ثم واروه . حتى يكون آخركم رجلاً واحداً ، فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعا ، قالوا : نعم ما أمرت به . فقام كل واحد منهم فحفر حفرة ، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشا ، ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه : والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت ، لانضرب في الأرض ، ولا نبتغي لأنفسنا ، لنعجز ، فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد ، ازنحلوا ، فارتحلوا حتى إذا فرغوا ، ومَن معهم من قبائل قريش ينظرون إليهم ما هم فاعلون ، تقدم عبد المطلب إلى راحلته فركبها . فلما انبعثت به ، انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب ، فكبر عبد المطلب ، وكبر أصحابه ، ثم نزل فشرب ، وشرب أصحابه ، واستقوا حتى ملئوا أسقيتهم ، ثم دعا القبائل من قريش ، فقال : هلم إلى الماء ، فقد سقانا الله ، فاشربوا واستقوا ، فجاءوا ، فشربوا واستقوا . ثم قالوا : قد - والله - قضى لك علينا يا عبد المطلب ، والله لانخاصك في زمزم أبداً ، إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الثلاثة هو الذي سقاك زمزم ، فارجع إلى سقايتك راشداً . فرجع

ورجعوا معه ، ولم يصلوا إلى السكاهنة وخالوا بينه وبينها .

قال ابن إسحاق : فهذا الذي بلغني من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه في زمزم ، وقد سمعتُ من يحدث عن عبد المطلب أنه قيل له حين أمر بحفر زمزم :

ثم ادعُ بالماء الرّوي غير الكدر يسقى حجيج الله في كل مَسْبَرٍ
ليس يخاف منه شيء ما عَمَرَ

فخرج عبد المطلب حين قيل له ذلك إلى قريش فقال : تعلّموا أني قد أمرت أن أحفر لكم زمزم ، فقالوا : فهل بُيِّن لك أين هي ؟ قال : لا . قالوا : فارجع إلى مَضْجَعِكَ الذي رأيت فيه مارأيت ، فإن يك حقاً من الله يُبيِّن لك ، وإن يك من الشيطان فلن يعود إليك . فرجع عبد المطلب إلى مَضْجَعِهِ ، فنام فيه ، فأتى فقيل له : احفر زمزم ، إنك إن حفرتها لم تندم ، وهي تراث من أبيك الأعظم ، لا تُنزِفُ أبداً ولا تُدَمِّم ، تسقى الحجيج الأعظم ، مثل نعام جافل لم يُقسَم ، ينذر فيها ناذرٌ لمُنْعِم ، تكون ميراثاً وعقداً محكم ، ليست كبعض ما قد تعلم ، وهي بين الفرث والدم .

قال ابن هشام : هذا الكلام ، والكلام الذي قبله ، من حديث علي في حفر زمزم من قوله : « لا تُنزِفُ أبداً ولا تُدَمِّم » إلى قوله : « عند قرية النمل » عندنا سجع وليس شعراً .

قال ابن إسحاق : فزعموا أنه حين قيل له ذلك ، قال : وأين هي ؟ قيل له

عند قرية النمل ، حيث ينقر الغراب غدا . والله أعلم أى ذلك كان .

فعدا عبدالمطلب ومعه ابنة الحارث ، وليس له يومئذ ولدٌ غيره ، فوجد قرية النمل ، ووجد الغراب ينقر عندها بين الوثنَين : إساف ونائلة ، اللذين كانت قريش تنحر عندهما ذبائحهما . فجاء بالمعول وقام ليحفِرَ حيث أمر ، فقامت إليه قريش حين رأوا جدّه ، فقالوا : والله لا نتركك تحفر بين وثنَينا هذين اللذين ننحر عندهما ، فقال عبدالمطلب لابنه الحارث : دُدْ عني حتى أحفر ، فوالله لأمضينَ لما أمرت به . فلما عرفوا أنه غيرُ نازع خلّوا بينه وبين الحفر ، وكفّوا عنه ، فلم يحفرَ إلا يسيرا ، حتى بدا له الطّي ، فكبّر وعرف أنه قد صدق فلما تمادى به الحفرُ وجد فيها غزالين من ذهب ، وهما الغزالان اللذان دفنت جُرُهم فيها حين خرجت من مكة ، ووجد فيها أسيافا قلعيّة وأدراعا فقالت له قريش يا عبدالمطلب ، لنا معك في هذا شركٌ وحقّ ، قال : لا ، ولكن هلّم إلى أمرٍ نصّف بيني وبينكم ، نضرب عليها بالقِداح ، قالوا : وكيف تصنع ؟ قال : أجعل للكعبة قِدْحين ، ولى قِدْحين ، ولكم قِدْحين ، فمن خرج له قِدْحاه على شيء كان له ، ومن تخلف قِدْحاه فلا شيء له قالوا : أنصفت ، فجعل قِدْحين أصفرين للكعبة ، وقِدْحين أسودين لعبدالمطلب ، وقِدْحين أبيضين لقريش ، ثم أعطوا صاحب القِداح الذى يضرب بها عند هُبَل — وهُبَل : صنم في جوف الكعبة ، وهو أعظم أصنامهم ، وهو الذى يعنى أبو سفيان بن حرب يوم أحدٍ حين قال : أعْلِ هُبَل أى : أظهر دينك — وقام عبدالمطلب يدعو الله عزّ وجلّ ، فضرب صاحب القِداح ، فخرج الأصفران على الغزّالَين

للكعبة ، وخرج الأسودان على الأسياف ، والأدراع لعبد المطلب ، وتحلف
قِدْحاً قَرِيْش . فضرب عبد المطلب الأسياف باباً للكعبة ، وضرب في الباب
الغزاليين من ذهب ، فكان أوَّل ذهب حُلِيَّتِه الكعبة — فيما يزعمون —
ثم إن عبدَ المطلب أقام سِقَاية زمزم للحجاج .

ذكر بئار قبائل قريش بمكة

قال ابن هشام : وكانت قريش قبل حفر زمزم قد احتفرت بِئَاراً بمكة ،
فيما حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق ، قال :

حفرَ عبدُ شمس بن عبد مناف الطَّوِيَّ ، وهي البئر التي بأعلى مكة عند
البَيْضَاء ، دار محمد بن يوسف .

وحفرَ هاشم بن عبد مناف بَذَرَ ، وهي البئر التي عند المُسْتَنْذَرِ ، خَطْمُ
الْحَنْدَمَةِ على فم شِعْبِ أَبِي طَالِب ، وزعموا أنه قال حين حفرها : لأَجْعَلَنَّهَا
بلاغاً للناس .

قال ابن هشام : وقال الشاعر .

سقى الله أمواها عرفتُ مكانها جُرَاباً وَمَلَكُوماً وَبَذَرَ وَالْقَمَرَا

قال ابن إسحاق : وحفر سَجَلَةَ ، وهي بئر المُطْعِمِ بن عَدِيٍّ بن نَوْفَلِ بن
عَبْدِ مَنْفٍ التي يَسْقُونَ عليها اليوم . ويزعمُ بنو نوفل أنَّ المُطْعِمِ ابتاعها من
أَسَدِ بن هاشم ، ويزعمُ بنو هاشم أنه وهبها له حين ظهرت زمزم ، فاستَغْنَوْا
بها عن تلك الآبار .

وحِفر أُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ شَمْسٍ الحَفَرُ لِنَفْسِهِ ، وحفرت بنو أُسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى :
سُقْيَا ، وهى بئرُ بَنِي أُسَدَ . وحفرت بنو عبد الدار : أُمُّ أَحْرَادَ . وحفرت بنو
جُمَحٍ : السُّنْبُلَةُ ، وهى بئرُ خَلَفِ بْنِ وَهَبَ . وحفرت بنو سَهْمٍ : العَمْرُ ، وهى
بئرُ بَنِي سَهْمٍ ، وكانت آبار حَفائرَ خارجاً من مَكَّةَ قَدِيمَةً من عهد مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ ،
وَكِلَابِ بْنِ مُرَّةَ ، وكُبراءَ قَرِيشٍ الأَوَائِلَ مِنْهَا يَشْرَبُونَ ، وهى رُمٌ ، ورُمٌ :
بئرُ مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ . وَخُمٌ ، وَخُمٌ . بئرُ بَنِي كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ ، وَالْحَفَرُ .
قال حُذَيْفَةُ بْنُ غَانِمٍ أَخُو بَنِي عَدَى بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ :

قال ابن هشام : وهو أبو أَيْ جَهَنَّمَ بْنِ حُذَيْفَةَ :

وقَدِمْنا غَنِينا قَبْلَ ذاكِ حِقْبَةً ولا نَسْتَقِي إِلَّا بِحُجْمٍ أَوْ الْحَفَرِ

قال ابن هشام : وهذا البيتُ فى قصيدة له ، سأذكرها إن شاء الله
فى موضعها .

قال ابن إسحاق : فَعَمَّتْ زَمَزمَ على البِئَرِ التى كانت قَبْلِها يَسْقَى عليها الحاج
وانصرف الناسُ إليها لِمَسْكَنِها من المسجد الحرام ؛ ولِفَضْلِها على ما سواها من
المياه ؛ ولأنَّها بئرُ إِسْماعِيلَ بْنِ إِبراهيمَ عليهما السلام ، وافتخرتُ بها بنو
عبد مناف على قُرَيشٍ كُلِّها ، وعلى سائر العرب ، فقال مُسافرُ بْنُ أَبِي عَمْرٍو
ابن أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ مناف ، وهو يَفْخَرُ على قُرَيشٍ بما وَلُوا عليهم
من السَّقَايةِ والرِّقَادَةِ ، وما أَقاموا للناسِ من ذلك ، وَبِرِّمَزَمَ حينَ ظَهَرَتْ لَهُمْ ،
وإنما كان بنو عَبْدِ مناف أَهلَ بيتٍ واحدٍ ، شَرَفُ بعضهم لِبعضِ شَرَفٍ ،
وَفَضْلُ بعضهم لِبعضِ فَضْلٍ .

وَرَيْنَا الْجَدَّ مِنْ آبَا نِنَّا فَنَمَى بِنَا صُعْدَا
أَلَمْ نَسْقِ الْحَجِيجَ وَنَنْحَرُ الدَّلَافَةَ الرُّفْدَا
وَمُنَلْنِي عِنْدَ تَصْرِيفِ الْمَنَايَا شُدَّدَا رُفْدَا
فَإِنْ نَهَلِكْ ، فَلَمْ نُمَلِّكْ وَمَنْ ذَا خَالِدٍ أَبَدَا
وَزَمَزَمَ فِي أُرُومَتِنَا وَنَفَقَا عَيْنَ مَنْ جَسَدَ

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وقال حذيفة بن غانم أخو بني عدى بن كعب
ابن لؤى .

وساقى الحجاج ، ثم للخبز هاشم وعبد مناف ذلك السيد الفهري
طوى زمزما عند المقام ، فأصبحت سقايته فخرأ على كل ذي فخر

قال ابن هشام : يعنى عَبْدَ الْمَطْلَبِ بن هاشم . وهذان البيتان في قصيدة
لحذيفة بن غانم سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى .

وأنشد له في القصيدة التاوية : محض الضريبة ، على الهمم مُخْتَلَق : أى
عظيم الخلق : جَدَّ النَّحِيزَةِ نَاءٌ بِالْعِظِيَّاتِ . ليس قوله : ناء من النأى ، فتكون
الهمزة فيه عين الفعل ، وإنما هو من ناء يَنْوُءُ إِذَا نَهَضَ (١) فالهمزة فيه لام
الفعل ، كما هو في جاء عند الخليل ، فإنه عنده مقلوب ، ووزنه : فاعل ، والياء التي
بعد الهمزة هي : عين الفعل في جاء يَجِئُ .

(١) ناء بالحلل نهض به مثقلا ، وناء به بالحلل إذا أثقله .

وفيه الشُّعَثُ الشَّجِيَّاتُ . فشدد ياء الشَّجِيَّ ، وإن كان أهل اللغة قد قالوا :
ياء الشَّجِيَّ مخففة ، وياه الخَلْيَ مشددة ، وقد اعترض ابن قتيبة على أبي تمام الطائي
في قوله :

أَيَاوِيحُ الشَّجِيَّ مِنْ الْخَلْيِ وَوَبِحُ الدَّمْعِ مِنْ إِحْدَى بَيْلَى

واحتج بقول يعقوب في ذلك ، فقال له الطائي : ومن أفصح عندك :
ابن الجُرْمَانِيَّةِ يعقوب ، أم أبو الأسود الدُّوَلِيُّ حيث يقول ؟ ! :

وَيْلُ الشَّجِيَّ مِنْ الْخَلْيِ فَإِنَّهُ وَصِبُ الْفُؤَادِ بِشَجْوِهِ مَغْمُومٌ

قال المؤلف : ويبت مطرود أقوى في الحجة من بيت أبي الأسود الدُّوَلِيُّ ،
لأنه جاهلي مُحَكَّكٌ ، وأبو الأسود : أول من صنع النحو ، فشعره قريب من
التوليد ، ولا يمتنع في القياس أيضاً أن يقال : شَجِيٌّ وشَجٍ ، لأنه في معنى : حَزَنٌ
وحزين ، وقد قيل : من شدد الياء ، فهو فعيل بمعنى مفعول ^(١) .

(١) رجل شج أى : حزين وامرأة شجية - بكسر الجيم وفتح الياء من دون
تضعيف - وفي مثل للعرب : ويل للشجي من الخلى ، دون تشديد ياء إحداهما ،
وقد تشدد ياء الشجي ، والاول أعرف . وحكى الجوهري عن المبرد أنه شدد
ياء الخلى وخفف ياء الشجي . قال : وقد شدد في الشعر :

نَامَ الْخَلَيْثُونَ عَنْ لَيْلِ الشَّجِينَا

فإن جعلنا الشجيَّ فعِيلاً من شجاء الحزن ، فهو : مشجومٌ وشجِيٌّ بالتشديد
لاغير ، وحكى ابن بري أن الصواب هو التشديد في ياء الشجي ، وأما الشجي
بالتخفيف فهو الذى أصابه الشجى ، وهو التخصيص ، وأما الحزين فهو الشجى =

وفيه بعد قوله : أبا الشعث الشجيات . يبيّنه حُسرًا مثل اليمليات .
البليّة : الناقة التي كانت تُعقل عند قبر صاحبها إذا مات ، حتى تموت

== بتشديد الياء . قال : ولو كان المثل : ويل الشجى بتخفيف الياء ، لكان ينبغي أن يقال : ويل الشجى من المسنج ؛ لأن الإساغة ضد الشجا ، كما أن الفرح ضد الحزن ثم قال ابن برى : فلماذا ننظر إلى توجيهه من ناحية القياس — وقد ثبت من جهة السماع تشديد الياء — ثم قال : ووجهه أن يكون الشجى من شجوته أشجوه ، فهو : شجوه وشجى ، مثل : مجروح وجريح . وأما شج بالتخفيف فهو اسم الفاعل من شجى يشجى — بكسر الجيم في الماضي وفتحها في المضارع — فهو شج . وقال أبو زيد : الشجى : المشغول ، والخلّى : الفارغ ، وقال ابن السكيت : الشجى مقصور والخلّى ممدود . وفي الهذيب عن الشجى : أنه الذى شجى بعظم غصّ به حلقه ، يقال : شجى يشجى شجى ، فهو شج ، وكذلك الذى شجى بالهم فلم يجد غر جمانه . . قال الأزهري : وهذا هو الكلام الفصيح . . ثم قال : فإن تجامل إنسان ، ومد الشجى فله مخارج من جهة العربية تسوغ له مذهبه ، وهو أن تجعل الشجى بمعنى المشجوه . فعلا من شجاه يشجوه ، والوجه الثانى : أن العرب تمد فعلا ياء . فتقول : فلان قن لكذا وقين ، وسمج وسميج ، وفلان كر للنائم وكرى . وقيل : إن مذهب العرب توازن اللفظ كما وازنت الغدايا بالأعشاياء . وجمع الغداة غدوات . ومثل ماساه ونامه . والأصل أناه . وكذلك وازنوا : الشجى بتشديد الياء بالخلّى . ومعناه : ويل للبهوم من الفارغ ، وعن ثعلب في الفصيح : ويل للشجى من الخلّى بتشديد الياءين . وأنشد البيت الذى فى الروض . والشرطة الثانية من البيت : ويل الشجى ، وردت مرة فى اللسان : « نصب الفؤاد لشجوه مغموم » ، وأخرى : « يحزنه مغموم » ، وانظر ص ٢٧٣ أدب السكاتب وقول السهيلي : « وبيت مطرود أقوى ، يعنى البيت الذى يشرحه : « ياعين فابكى أبا الشعث الشجيات ، والجرمقانى — بضم الجيم وسكون الراء وضم الميم وفتح القاف وتضعيف الياء — واحد الجرامقة ، وم أنباط الشام ، أو هم قوم بالموصل أصلهم من العجم » عن اللسان .

جوعاً وعطشاً، ويقولون : إنه يُحْشَرُ رَاكِباً عَلَيْهَا ، ومن لم يفعل معه هذا
حُشِرَ رَاجِلاً ، وهذا على مذهب من كان منهم يقول بالبعث ، وهم الأقل ،
ومنهم زُهَيْرٌ ، فإنه قال :

يُؤَخَّرُ فَيُوضَعُ فِي كِتَابٍ فَيُدَّخَرُ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ، أَوْ يُعْجَلُ فَيَنْقَمَ
وَقَالَ الشَّاعِرُ فِي الْبَلِيَّةِ :

وَالْبَلَايَا رُءُوسُهَا فِي الْوَلَايَا مَا نَحَاتِ السَّمُومُ حُرّاً أَلْخُلُودَ (١)
وَالْوَلَايَا : هِيَ الْبَرَازِعُ ، وَكَانُوا يَنْقُبُونَ الْبَرْدَ ذَعَةً ، فَيَجْعَلُونَهَا فِي عُنُقِ الْبَلِيَّةِ ،
وَهِيَ مَعْقُولَةٌ ، حَتَّى تَمُوتَ ، وَأَوْصَى رَجُلٌ ابْنَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ بِهَذَا :

لَا تَتْرُكَنَّ أَبَاكَ يُحْشَرُ مَرَّةً عَذَّوْا يَخْرِثُ عَلَى الْيَدَيْنِ ، وَيَنْكَبُ
فِي أَيْتَاتٍ ذَكَرَهَا الْخَطَّابِيُّ .

وَقَوْلُهُ : قِيَامَا كَالْحُمَيَّاتِ . أَيْ : مُحْتَرِقَاتِ الْأَكْبَادِ كَالْبَقَرِ أَوْ الظَّبَاءِ الَّتِي
حَيْثُ الْمَاءُ وَهِيَ عَاطِشَةٌ ، لِحُمَيَّةَ بِمَعْنَى : تَحْمِيَّةً ، لَكِنَّمَا جَاءَتْ بِالتَّاءِ ، لِأَنَّهَا أُجْرِيَتْ

(١) الْبَيْتُ فِي اللِّسَانِ وَأَوَّلُهُ : وَكَالْبَلَايَا ، وَقَدْ نَسَبَهُ اللَّسَانُ إِلَى أَبِي زَيْدٍ ، وَهُوَ
حَرْمَلَةُ بْنُ الْمُنْذَرِ بْنِ مَعَدٍ يَكْرِبُ الطَّاقِ شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ لِإِسْلَامِيٍّ ، وَكَانَ نَصْرَانِيًّا
وَزَعَمَ الطَّبْرِيُّ أَنَّهُ مَاتَ مُسْلِمًا ، وَفِي اسْمِهِ خِلَافٌ ، وَمِنْ قَوْلِهِ :

عَلَّالُ الْمَرءِ بِالرَّجَاءِ وَيَضْحَى غَرَضًا لِلْمَنُونِ نَصَبُ الْعُودِ
وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَنْصَبُ عُودًا تَجْعَلُهُ غَرَضًا ، فَيَصِيهِ بِعُضِّ السَّهَامِ ، أَوْ يَقَعُ قَرِيبًا
مِنْهُ ، أَوْ تَشْمِبُ مِنْهُ شَيْئًا . فَتَضْرِبُ ذَلِكَ مَثَلًا .

بجى الأسماء كالرَّمِيَّةِ والضَّحِيَّةِ والطَّرِيْدَةِ^(١) وفى معنى الحَمِي قول رؤية :
قَوَاطِنُ مَكَّةَ مِنْ وَرَقِ الْحَمِي^(٢) يريد الحمام المَحْمِيَّ ، أى : الممنوع .

وقوله : فى رَمْسٍ بِمَوَماةَ : الأظهرُ فيه أن تكون الميم أصلية ، ويكون مما
ضوعفت فاؤه وعينه ، وحمله على هذا الأصل أولى لكثرتة فى الكلام ، وإن
كان أصل الميم أن تكون زائدة ، إذا كانت أول الكلمة الرباعية أو الخماسية ،
إلا أن يَمْنَعَ من ذلك اشتقاقٌ ، ولا اشتقاق هُنا ، أو يَمْنَعَ من ذلك دخوله
فيما قلَّ من الكلام نحو : قَلِقَ وَسَلِسَ . قال أبو على فى المزمَر : حَمَلَهُ عَلَى
باب : قَرَقَرَوْبَرَبَرِ أولى من حملة على باب : قَلِقَ وَسَلِسَ ، يريد : إنك إن جعلتَ
الميم زائدةً كانت فاء الفعل - وهى الراء - مضاعفةً دون عين الفعل ، وهى

(١) قال سيبويه : لا يجىء هذا الضرب على مفعل - بفتح الميم وكسر العين
- إلا وفيه الهاء ، لأنه إذ جاء على مفعل بغيرها اعتل ، فعدلوا إلى الأخف .
(٢) ومنه قبله :

ورب هذا البلد المحرم
والقاطنات البيت غير الريم
قواطينا مكة من ورق الحمي

واللسان مادة قطن ، وقد استشهد به سيبويه فى كتابه فى باب : « اعلم أنه
يجوز فى الشعر ما لا يجوز فى الكلام من صرف ما لا ينصرف ، يشبهونه بما
ينصرف من الأسماء لأنها أسماء ؛ كما أنها أسماء ، وحذف ما لا يحذف ، يشبهونه بما
قد حذف ، أو استعمل محذوفا ، كما قال العجاج . أقول : وقواطين منونة منصوبة
فى كتاب سيبويه ، وفى اللسان . وروى سيبويه هذه الشطرة مرة أخرى هكذا
« أوألفا مكة من ورق الحمي ، انظر ص ٨ ، ٥٦ من كتاب سيبويه ط بولاق .

الميم ، وإذا جعلت الميم الأولى في مَرَمَرٍ أصليّة ، كان ^(١) من باب ماضوعفت فيه الفاء والعين ، وهذا معنى قول سيبويه في المَرَمَرِ : مر ، وهو القياس المُسْتَدْبُ ، والطَّرِيقُ المَهْمِيعُ دون ما ضوعفت فيه الفاء وحدها ، فتأمل ^(٢) .

(١) في الأصل وكان .

(٢) يقول المازني في كتابه التصريف : « وأما الميم إذا كانت أولاً فهي زائدة بمنزلة الهمزة والياء ؛ لأن الميم أولاً نظيرة الهمزة ، وشرحه ابن جنى بقوله : ولا فصل بين الميم والهمزة إذا وقعت أولاً ، فتي وجب في الهمزة أن تكون زائدة ووقعت الميم موقعها ، فاقض بزيادتها ، ص ١٢٩ المنصف لابن جنى . والمومة بفتح وسكون : المفاضة الواسعة الملساء ، وهي جماع أسماء الفلوات . وقال المبرد : يقال لها : البوابة أيضاً ، وليس للكلمة اشتقاق . ويقول ابن جنى في الخصائص : « اعلم أنه متى اجتمع معك في الأسماء والأفعال حرف أصل ، ومعه حرفان مثلان لا غير ، فهما أصلان ، متصلين كانا أو منفصلين . فالمثلان نحو : الحفف والصدد . وقلق وسلس ، وكذلك إن كان هناك زائد ، فالحال واحدة نحو حمام وسالس . وكذلك كوكب ودودح ، ثم يقول : « فأما إذا كان معك أصلان ومعهما حرفان مثلان ، فعلى أضرب منها : أن يكون هناك تمكير على تساوى حال الحرفين ، فإذا كانا كذلك كانت الكلمة كلها أصولاً نحو : قلقل وقرقر . فالكلمة إذاً لذلك رباعية . وكذلك إن اتفق الأول والثالث ، واختلف الثاني والرابع . فالمثلان أيضاً . أصلان ، وذلك نحو : فرفج وقرقل ونبات الرجلة ، وقيص للنساء ، وكذلك إن اتفق الثاني والرابع ، واختلف الأول والثالث نحو : قسطاس وشعلع والطويل . فالمثلان أيضاً أصلان . وكل ذلك أصل رباعي ، وكذلك إن اتفق الأول والرابع واختلف الثاني والثالث ، فالمثلان أصلان ، والكلمة أيضاً من بنات الأربعة مثل : قريق ودكان البقال ، وبلد وراء طرسوس ، وكذلك إن اتفق الأول والثاني ، واختلف الثالث والرابع ، فالمثلان أصلان ، والكلمة رباعية نحو : زيزفون . ومثاله ، فيعلول . وكذلك أيضاً إن حصل معك ثلاثة أحرف أصول ، ومعهما =

وقوله : طَوِيلَ الْبَاعِ ذَا فَجَرٍ الْفَجَرُ : الجودُ ، شُبَّهَ بِانْفِجَارِ الْمَاءِ . وَيُرْوَى
ذَا فَنَعٍ ، وَ الْفَنَعُ : كَثْرَةُ الْمَالِ ، وَقَدْ قَالَ أَبُو مَحْجَنٍ الثَّقَفِيُّ :
وَقَدْ أَجُودُ وَمَا مَالِي بِذِي فَنَعٍ وَأَكْتُمُ السَّرِّ فِيهِ ضَرْبَةُ الْعُنُقِ (١)
وقوله : بَسَّامُ الْعَشِيَّاتِ : يَعْنِي : أَنَّهُ يَضْحَكُ لِلْأَضْيَافِ ، وَيَبْسِمُ عِنْدَ لِقَائِهِمْ
كَمَا قَالَ الْآخَرُ ، وَهُوَ حَاتِمُ الطَّائِي :

= مثلاً غير ملتقيين ، فهما أيضا أصلان . نحو : شفشليق ، العجوز المسترخية ،
ص ٥٦ وما بعدها ، الخصائص ط ٢ ج ٢ ، وانظر شرح الشافية ج ١ ص ٥٩ ، وما بعدها
وبقول ابن جني في الخصائص أيضا وهو يتكلم عن الأصلين الثلاثي والرباعي
المتداخلين ، كقولهم سلس وسلسل ، وقلقي وقلقل : وهذا أبو إسحاق في نحو قلقل
وصلصل وجر جر وقرقر إلى أنه فعل ، وأن الكلمة لذلك ثلاثية ، حتى كان أبا إسحاق
لم يسمع في هذه اللغة الفاشية المنتشرة : بزغد وزغدب وسبط وسبطر ، ثم يقول :
« إن تكرير الفاء لم يأت به ثبت إلا في مرمريس . وحكى غير صاحب الكتاب :
مرمريت ، وليس بالبعيد أن تكون التاء بدلا من السين ، كما أبدلت منها في ست ،
ص ٥٢ ، ٥٣ ج ٢ ، الخصائص ويقول في ص ١٢ من المنصف أيضا : « الفاء لم تكرر
في كلام العرب إلا في حرف واحد ، وهو : مرمريس ، وهي الداهية والشدة ،
فتكررت الفاء والعين ، ولا نظير لهذه الكلمة » .

(١) والفنع أيضا : الكرم والجود والفضل الكثير ، ونشر الثناء الحسن
ونفحة المسك . . وقد روى أن معاوية — رضي الله عنه — قال لابن أبي محجن
الثقفى : أبوك الذي يقول :

إذا مت فادفني إلى جنب كرمه تروى عظامي بعد موتي عروقه
ولا تدفني في الفلاة ، فإنني أخاف إذا مامت ألا أذوقها

فقال ابن أبي محجن : أبي الذي يقول : وذكر البيت . وقد روى عجزه
مكذبا : وقد أكر وراء المحجر الفرق .

أُضاحك ضَيِّفِي قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ وَيُنْخَصِبُ^(١) عِنْدِي، وَالْمَحَلَّ جَدِيبٌ
وَمَا لِنُخْصِبُ الْأَضْيَافَ أَنْ يَكْثُرَ الْقِرَى وَلَكِنَّا وَجَّهَ الْكَرِيمُ خَصِيبُ

حديث زمزم

وكانت زمزم - كما تقدم - سُقْيَا إِسْمَاعِيلَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَجَرَّهَا لَهُ رُوحُ
الْقُدُّسِ بَعْقِيهِ ، وَفِي تَفْجِيرِهِ إِبَّاهَا بِالْعَقَبِ دُونَ أَنْ يُفَجِّرَهَا بِالْيَدِ أَوْ غَيْرِهِ : إِمَارَةً
إِلَى أَنَّهَا لِعَقَبِهِ وَرِائَتْهُ ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَمْتُهُ ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ : (وَجَعَلَهَا
كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ) الزخرف : ٤٣ . أَيْ : فِي أُمِّهِ مُحَمَّدٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ (٢) - ثُمَّ
إِنْ زَمَزَمَ لَمَّا أَخَذَتْ جُرْمُهُمْ فِي الْحَرَمِ ، وَاسْتَحَقُّوا بِالْمَنَاسِكِ وَالْحَرَمِ ، وَبَغَى بَعْضُهُمْ
عَلَى بَعْضٍ وَاجْتَرَمَ ، تَغَوَّرَ مَاءُ زَمَزَمَ وَاكْتُمْتُمْ ، فَلَمَّا أَخْرَجَ اللَّهُ جُرْمَهُمْ مِنْ مَكَّةَ
بِالْأَسْبَابِ الَّتِي تَقْدُمُ ذِكْرُهَا عَمْدُ الْحَرْثُ بْنُ مَضَاضِ الْأَصْفَرُ إِلَى مَا كَانَ عِنْدَهُ
مِنْ مَالِ السَّكْبَةِ ، وَفِيهِ غَزَا الْآنَ مِنْ ذَهَبٍ وَأَسْيَافٍ قَلْعِيَّةٍ (٣) كَانَ سَاسَانُ مَلِكُ
الْفُرْسِ قَدْ أَهْدَاهَا إِلَى السَّكْبَةِ ، وَقِيلَ : سَابُورُ ، وَقَدْ قَدِمْنَا أَنْ الْاَوَائِلَ مِنْ مُلُوكِ

(١) من باب علم وضرب .

(٢) قال ابن كثير في تفسيرها : وهذه السكبة - وهي عبادة الله وحده
لا شريك له ، وخلع ما سواه من الأوثان ، وهي : لا إله إلا الله ، أى جعلها دائمة
في ذريته ، يقتدى به فيها من هداة الله تعالى من ذرية إبراهيم - عليه الصلاة والسلام -
وقال عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة والسدى وغيرهم : يعنى : لا إله إلا الله
لا يزال في ذريته من يقولها ، وروى نحوه عن ابن عباس ، على أن هناك رواية :
أو قال بمجناه .

(٣) نسبة إلى قلعة بفتح فسكون بلد بالهند .

الْفُرسِ كانت تحجها إلى عهدِ ساسانَ ، أو سابورَ ، فلما علم ابن مِضاضٍ أنه مُخْرَجٌ منها ، جاء تحت جُنْحِ اللَّيْلِ حتى دَفَنَ ذلكَ في زَمَزَمَ ، وَعَفَى عليها ، ولم تَزَلْ دَارِسَةً عافيا أُمُّهَا ، حتى آنَ مولدُ المُبَارَكِ الَّذِي كانَ يُسْتَسْقَى بِوَجْهِهِ غَيْثُ السَّمَاءِ وَتَتَفَجَّرُ مِنْ بَنَانِهِ بِنَائِمِ الْمَاءِ ، صَاحِبِ الْكَوْثَرِ وَالْخَوْضِ الرَّوَّاءِ ، فلما آنَ ظُهورُهُ أَذِنَ اللهُ تَعَالَى لِسُقْيَا أَبِيهِ أَنْ تَظْهَرَ ، وَلَمَّا انْدَقْنَ مِنْ مَائِهَا أَنْ تُجَنَّهُرَ (٢) ، فَكانَ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قد سَقَتِ النَّاسَ بَرَكَتَهُ قَبْلَ أَنْ يُولَدَ وَسُقُوا بِدَعْوَتِهِ ، وَهُوَ طِفْلٌ حِينَ أَجْدَبَتِ الْبَلَدَ ، وَذلكَ حِينَ خَرَجَ بِهِ جَدُّهُ مُسْتَسْقِيًّا لُقْرِيشَ (٣) ، وَسَيَأْتِي بَيانُ ذلكَ - فِيمَا بَعْدَ إِنْ شاءَ اللهُ - وَسُقِّيَتِ الْخَلِيقَةُ كُلُّهَا غِيوْثَ السَّمَاءِ فِي حَيَاتِهِ الْفَيْنَةِ بَعْدَ الْفَيْنَةِ ، وَالْمَرْءَ بَعْدَ الْمَرْءِ ، وَتَارَةً بَدْعَانِهِ ، وَتَارَةً مِنْ بَنَانِهِ ، وَتَارَةً بِالْقَاءِ سَهْمِهِ ، ثُمَّ بَعْدَ مَوْتِهِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - اسْتَشْفَعُ عُمَرُ بَعْمَهُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - عَامَ الرَّمَادَةِ (٤) ،

(١) وَلَكِنْ هَذَا الاسْتِسْقَاءُ لَيْسَ مِنْ هُدَى الْإِسْلَامِ .

(٢) اجْتَهَرَ الْبَثْرُ : نَقَاها ، أَوْ نَزَحَها أَوْ بَلَغَ الْمَاءُ .

(٣) قِصَّةٌ مَوْضُوعَةٌ وَلَيْسَ الْاسْتِسْقَاءُ الدِّينِيُّ الْحَقُّ مِنْ هَذَا الزَّعْمِ .

(٤) لَيْسَ مِنْ حُبِّ الرَّسُولِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ نَكْذِبَ لَهُ ، أَوْ نَكْذِبَ

عَلَيْهِ ، وَعَظَمَةُ الرَّسُولِ الْعَظِيمِ لَيْسَتْ فِي حَاجَةٍ إِلَى كَذِبٍ يَسَانِدُهَا ، لِأَنَّهَا قَامَتْ عَلَى الصِّدْقِ الْجَلِيلِ الْجَلِيلِ . وَصُورَةُ الاسْتِسْقَاءِ النَّبَوِيِّ نَهَتْهُ إِلاَّهَا مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ :

«جاء أعرابي يوم الجمعة . فقال : يا رسول الله ، هلكت الماشية ، وهلك العيال ،

وهلك الناس ، فرفع رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يديه يدعو ، ورفع الناس

أيديهم معه يدعون ، قال : فما خرجنا من المسجد حتى مطرنا ومختر من البخارى ،

وحدث استسقاء عمر بالعباس : « عن أنس - رضى الله عنه - أن عمر بن الخطاب

كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب ، فقال : اللهم إنا كنا نتوسل =

وأقسم عليه به وبنييه^(١)، فلم يبرح، حتى قاصوا المازرَ، واعتلقوا الحذاء،

==إليك بنينا، فتسقيننا، وإنا نتوسل إليك بعم نبيك. فاسقنا، فيسقون) البخارى
ويقال: إنه كان في عام الرمادة العام الثامن عشر، ويقول العلامة السلفى السهوانى
الهندي تعليقا على هذا في كتابه: صيانة الإنسان عن وسوسة ابن دحلان: والمراد
بالاستسقاء بالعباس والتوسل به الوارد في حديث أنس رضى الله عنه: هو
الاستسقاء بدعاء العباس على طريقة معبودة في الشرع، وهى أن يخرج من
يستسقى به إلى المصلى، فيستسقى، ويستقبل القبلة داعيا، ويحول رداءه، ويصلى
ركعتين، أو نحوه من هيئات الاستسقاء التى وردت في الصحاح، والذليل عليه قول
عمر رضى الله عنه اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنينا صلى الله عليه وسلم، فتسقيننا،
وإنا نتوسل إليك بعم نبينا، فاسقنا، ففي هذا القول دلالة واضحة على أن
التوسل بالعباس كان مثل توسلهم بالنبي صلى الله عليه وسلم، والتوسل بالنبي لم يكن
إلا بأن يخرج صلى الله عليه وسلم، ويستقبل القبلة ويحول رداءه، ويصلى ركعتين
أو نحوه من الهيئات الثابتة للاستسقاء، ولم يرد في حديث ضعيف فضلا عن الحسن
والصحيح أن الناس طلبوا السقيا من الله في حياته متوسلين به صلى الله عليه وسلم
من غير أن يفعل ما يفعل في الاستسقاء المشروع من طلب السقيا، والدعاء والصلاة
وغيرهما مما ثبت بالأحاديث الصحيحة، وأقول: لو كان التوسل بذات الحى
أو الميت جائزا — لا بدعائه — لتوسل عمر بذات محمد — وهو ميت —
بدلا من توسله بالعباس. ولم يرد في حديث ما أن أحدا توسل بذات محمد في
استسقاء أو غيره، لأن ذات محمد دس، ليست من كسب أحد.

(١) لم يرد شيء مما قال في حديث صحيح. وقد وردت أحاديث الاستسقاء
في البخارى ومسلم وأبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وأحمد وغيرها،
وكلها تجمع على أنه كان - صلى الله عليه وسلم - يدعو، وليس في شيء منها ما ذكره
السهيل، وقد وردت صيغة الدعاء في حديث رواه أبو داود وأبو عوانة وابن
حبان والحاكم وصححه ابن السكن، وقال أبو داود: هذا حديث غريب لإسناده
جيد وهذه هى: (الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين لا إله إلا الله يفعل ==

وخاصوا النذران ، وسمعت الرفاقُ المقبلةُ إلى المدينة في ذلك اليوم صائحا بصيح في السحاب : أتاك الغوثُ أبا حفص ، أتاك الغوثُ أبا حفص (١) ، كل هذا ببركة المُبْتَعَث بالرحمتين ، والداعى إلى الحياتين الموعود بهما على يديه في الدارين - صلى الله عليه وسلم - صلاة تصعد ولا تنفد ، وتتصل ولا تنفصل ، وتقيم ، ولا تريم ، إنه مُنعمٌ كريم .

أسماء زمزم :

فصل : فأرى عبدُ المطلب في منامه : أن احفرَ طيبة ، فسميت طيبة ، لأنها للطيبين والطيبات من ولد إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - وقيل له : احفرَ برة ، وهو اسم صادق عليها أيضا ، لأنها فاضت الأبرار ، وغاضت عن الفجار ، وقيل له : احفرَ المضمونة . قال وهب بن منبه : سميت زمزم : المضمونة لأنها ضن بها على غير المؤمنين ، فلا يتصلع منها منافق ، وروى الدارقطني ما يقوى ذلك مُسْنَدًا عن النبي - صلى الله عليه وسلم : مَنْ شرب من زمزم فليَتَصَلَّع ، فإنه فرّق ما بيننا وبين المنافقين ، لا يستطيعون أن يتَصَلَّعو (٢) منها ،

= الله ما يريد ، اللهم أنت الله ، لا إله إلا أنت ، أنت الغنى ونحن الفقراء ، أنزل علينا الغيث ، واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغاً إلى حين ،

(١) أساطير مرددة لا تعرفها السيرة العطرة للنبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه عمر رضى الله عنه .

(٢) تَصَلَّع : امتلا شبعاً ورياً ، والتصلع أيضاً : الامتلاء حتى تمتد أضلاعه على أن مثل هذه الأحاديث لم يروها أصحاب الصحيح . وقد روى هذا الحديث : الدارقطني وابن ماجه .

أو كما قال . وفي تسميتها بالمُضْنُونَة رواية أخرى ، رواها الزبيرُ : أن عبدَ المطلب قيل له : اخْفِرِ الْمُضْنُونَةَ صَنَنْتَ بِهَا عَلَى النَّاسِ إِلَّا عَلَيْكَ ، أو كما قال .

العلامات التي رآها عبد المطلب وتأويلها :

وَدُلَّ عَلَيْهَا بِعَلَامَاتٍ ثَلَاثٍ : بُنْفَرَةُ الْغُرَابِ الْأَعْصَمِ ، وَأَنَّهَا بَيْنَ الْفَرْثِ وَالْدَمِ ، وَعِنْدَ قَرْيَةِ النَّمْلِ ، وَيُرْوَى أَنَّهُ لَمَّا قَامَ لِيَخْفِرَهَا رَأَى مَارُسِمَ مِنْ قَرْيَةِ النَّمْلِ وَنُفْرَةَ الْغُرَابِ ، وَلَمْ يَرَ الْفَرْثَ وَالْدَمَ ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ نَدَّتْ بَقْرَةٌ بِجَاذِرِهَا ، فَلَمْ يُذَكِّرْهَا ، حَتَّى دَخَلَتْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ، فَنَحَرَهَا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي رُسِمَ لِعَبْدِ الْمَطْلَبِ ، فَسَالَ هُنَاكَ الْفَرْثُ وَالْدَمُ ، فَخَفَرَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ حَيْثُ رُسِمَ لَهُ .

وَلَمْ تَخْصَ هَذِهِ الْعَلَامَاتُ الثَّلَاثُ (١) بِأَنْ تَكُونَ دَلِيلًا عَلَيْهَا إِلَّا الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ ، وَفَائِدَةُ مُشَاكَلَةٍ فِي عِلْمِ التَّعْبِيرِ ، وَالتَّوَسُّمِ الصَّادِقِ لِمَعْنَى زَمْزَمَ وَمَائِهَا . أَمَّا الْفَرْثُ وَالْدَمُ ، فَإِنَّ مَاءَ هَاطِعَامَ طُعِمَ ، وَشِفَاءُ سَقَمِ (٢) ، وَهِيَ لِمَا شَرِبَتْ لَهُ (٣) ، وَقَدْ تَقَوَّتْ (٤)

(١) كُلُّ هَذَا مِنْ رَوَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ لِحَسْبِ .

(٢) يَقُولُ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي النَّهَايَةِ : دَأَى يَشْبَعُ الْإِنْسَانُ إِذَا شَرِبَ مَاءَهَا ، كَمَا يَشْبَعُ مِنَ الطَّعَامِ ، وَقَدْ وَرَدَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ فِي حَدِيثِ إِسْلَامِ أَبِي ذَرٍّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فِي زَمْزَمَ : دَلِمْنَا لَطْعَامَ طُعِمَ وَشِفَاءُ سَقَمٍ ، وَنَسَبَ هَذَا فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ إِلَى وَهْبِ بْنِ مَنبِهٍ وَكَعْبِ الْأَحْبَارِ .

(٣) رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ : دَمَاءُ زَمْزَمَ لَمَّا شَرِبَ مِنْهُ ، وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُؤَمَّلِ ، وَقَدْ تَكَلَّمُوا فِيهِ . وَلِنَفْظِهِ : دَمَاءُ زَمْزَمَ لَمَّا شَرِبَ لَهُ ، وَرَوَاهُ سُؤِيدُ بْنُ سَعِيدٍ وَلَكِنْ سُؤِيدٌ ضَعِيفٌ . وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ مَرْفُوعًا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَفِيهِ نَظَرٌ . هَذَا وَقَدْ وَرَدَتْ تَسْمِيَةُ زَمْزَمَ بِبَرَّةٍ . وَالْمُضْنُونَةُ فِي حَدِيثِ عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ ، وَحَسْبُكَ بِهِ ١١

(٤) حَدِيثُ تَقَوَّتْ أَبِي ذَرٍّ بِمَاءِ زَمْزَمَ فِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ .

من مائها أبو ذر - رضى الله عنه - ثلاثينَ بَيْنَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَسَمِنَ حَتَّى تَكَثَّرَتْ عُكَّتُهُ ، [وما وجد على كبده سَخْفَةً (١) جوع] فهِى إِذَا كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي اللَّبَنِ : إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ اللَّبْنَ ، فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَزِدْنَا مِنْهُ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يَسُدُّ مَسَدَّ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِلَّا اللَّبَنُ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي اللَّبَنِ : (مِنْ بَيْنِ قَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ) النحل : ٦٦ . فَظَهَرَتْ هَذِهِ الشَّقِيَا الْمُبَارَكَةُ بَيْنَ الْقَرْثِ وَالدَّمِ ، وَكَانَتْ تِلْكَ مِنْ دَلَالِهَا الْمَشَاكِلَةَ لِمَعْنَاهَا .

وَأَمَّا قَوْلُهُ : الْعَرَابُ الْأَعْصَمُ ، قَالَ الْقَتِيبِيُّ : الْأَعْصَمُ مِنَ الْغِرْبَانِ الَّذِي فِي جَنَاحَيْهِ بَيَاضٌ ، وَحُمَلَ عَلَى أَبِي عُبَيْدٍ لِقَوْلِهِ فِي شَرْحِ الْحَدِيثِ : الْأَعْصَمُ الَّذِي فِي يَدَيْهِ بَيَاضٌ ، وَقَالَ : كَيْفَ يَكُونُ لِلْغَرَابِ يَدَانُ ؟ . وَإِنَّمَا أَرَادَ أَبُو عُبَيْدٍ أَنَّ هَذَا الْوَصْفَ لِدَوَاتِ الْأَرْبَعِ ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ : إِنْ هَذَا الْوَصْفُ فِي الْغِرْبَانِ عَزِيزٌ ، وَكَأَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى الَّذِي أَرَادَ ابْنُ قَتَيْبَةَ مِنْ بَيَاضِ الْجَنَاحَيْنِ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَقَالَ : إِنَّهُ فِي الْغِرْبَانِ مُحَالٌ لَا يَتَصَوَّرُ . وَفِي مُسْنَدِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ مِنْ طَرِيقِ أَبِي أُمَامَةَ عَنْ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَا يُغْنَى عَنْ قَوْلَيْهِمَا ، وَفِيهِ الشِّفَاءُ : أَنَّهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ فِي النَّسَاءِ كَالْغَرَابِ الْأَعْصَمِ قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا الْعَرَابُ الْأَعْصَمُ ؟ قَالَ : الَّذِي إِحْدَى رِجْلَيْهِ بَيْضَاءُ (٢) .

(١) جمع عكنة : الطلى الذى فى البطن من السمن ، ويجمع على أعمكن أيضا والسخفة : الهزال .

(٢) وعن الأزهري فى اللسان : أنه الأحمر الرجلين لقلته فى الغربان ، لأن أكثر الغربان : السود البقع . هذا والعرب تجعل البياض حمرة ، فيقال للمرأة البيضاء : الحمراء

فالغراب في التأويل : فاسق ، وهو أسود ، قَدَلَّتْ نُقْرَتُهُ عند الكعبة على نُقْرَةِ
الْأَسْوَدِ الْحَبَشِيِّ بِمَعْوَلِهِ في أساس الكعبة يَهْدِمُهَا في آخر الزمان ، فكان
نَقْرُ الغرابِ في ذلك المكان يُؤذَنُ بما يفعله الفاسقُ الأسودُ في آخر الزمانِ
بِقِبْلَةِ الرَّحْمَنِ ، وسُقْيَا أهل الإيمان ، وذلك عندما يُرفع القرآن ، وتحيا عبادةُ
الأوثان ، وفي الصحيح عن رسول - صلى الله عليه وسلم - : «لِيُخَرَّبَنَّ الكعبة
ذو السَّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الحبشة» (١) وفي الصحيح أيضا من صفته : أنه [أسود] أَفْحَجُ ،
[يقلعها حجرا حجراً] وهذا أيضا ينظر إلى كون الغراب أعْظَمَ ؛ إِذِ الْفَحَجُ : تَبَاعُدُ
في الرَّجُلَيْنِ ، كما أن الْعَظَمَ اخْتِلَافٌ فِيهِمَا ، والاختلافُ : تَبَاعُدٌ وَقَدْ عُرِفَ بِذِي
السَّوَيْقَتَيْنِ ، كما نُعت الغرابُ بصفةٍ في ساقيه ، فتَأَمَّلْهُ ، وهذا من حَفِيٍّ علم التأويل ،
لأنها كانت رُؤْيَا ، وَإِنْ شِئْتَ : كان من باب الزَّجْرِ وَالتَّوْشِمِ الصَّادِقِ (٢)
والاعتبار والتفكير في معالم حكمة - الله تعالى - فهذا سميدُ بْنُ الْمُسَيْبِ ،
وهو مَنْ هُوَ عَلِمَا وَوَرَعًا حين حَدَّثَ بِحديث البئر في البستان ، وأن رسول الله
صلى الله عليه وسلم - قعد على قَفِّهَا (٣) ، وَذَلَّى رجليه فيها ، ثم جاء أبو بكر
رضي الله عنه - ففعل مثل ذلك ، ثم جاء عمرُ - رضي الله عنه - ففعل مثل

(١) الحديث متفق عليه ، وفي أبي داود بسند ضعيف : «اتركوا الحبشة
ما تركوكم ، فإنه لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السوَيْقَتَيْنِ مِنَ الحبشة» ، والسوَيْقَتَانِ
مثنى سويقة : تصغير لساق ، وهي مؤنثة . وقد صغر الساق ، لأن الغالب على سوق
الحبشة الدقة والحموشة ، وقد أبعد السهيل وأغرب في تأويلاته .

(٢) الزجر : أصله هو التيمن والتشؤم بالطير ، والتفؤل بطيرانها كالسائح
والبارح ، وهو نوع من السكاهنة والعيافة . والتوشم . أو البطنة ، أو الزكاهنة : الاعتبار
(٣) قف البئر : هو الدكة التي تجمل حولها .

ذلك ، ثم جاء عثمان ، فانتبذَ منهم ناحية ؛ وقَعَدَ حَجْرَةَ (١) . قال سعيدُ بن المسيَّبِ : فأولتُ ذلك قبورَهم ، اجتمعت قبورُ الثلاثة ، وانفرد قبرُ عثمان - رضى الله عنه - والله سبحانه يقول : (إن في ذلك لآياتٍ للمُتَوَسِّمِينَ) الحجر : ٧٥ . فهذا من التَّوَسُّمِ والفِرَاسَةِ الصادقة ، وإعمالِ الفكرِ في دلائلِ الحكمة ، واستنباطِ الفوائدِ اللطيفة من إشاراتِ الشريعة . وأمَّا قريةُ النملِ ، ففيها من المُشَاكَلَةِ أيضاً ، والمناسبة : أن زَمَزَمَ هى عينُ مَكَّةَ التى يَرِدُهَا الحَجِيجُ والعمَّارُ من كل جانب ، فيحملون إليها البُرَّ والشَّعِيرَ ، وغير ذلك وهى لا تحرث ولا تزرعُ ، كما قال سبحانه خبراً عن إبراهيم عليه السلام : (رَبَّنَا إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ) . إلى قوله : (وَارزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ [لعلهم يشكرون] إبراهيم : ٣٧) وقرية النمل لا تحرث ولا تبذر ، وتجلب الحبوب إلى قريتها من كل جانب ، وفى مَكَّةَ قال الله سبحانه : (وَضَرَبَ الله مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ) النحل : ١١٢ . مع أن لفظ قرية النمل مأخوذ من قَرَيْتُ الماءَ فى الخَوْضِ : إذا جمَعْتُهُ ، والرُّوْيَا تُعَبِّرُ عَلَى اللفظ تارة ، وعلى المعنى أخرى ، فقد اجتمع اللفظ والمعنى فى هذا التأويل - والله أعلم .

مع صفات زمزم :

وقد قيل لعبد المطلب فى صفة زمزم : لا تنزف أبداً ، ولا تُدَمِّمُ (٢) ،

(١) قعد حجرة : أى ناحية .

(٢) نزفت - بفتح النون والزاى - ماء البئر نزفاً : إذا نزحته كله ، ونزفت هى =

وهذا بُرْهَانٌ عَظِيمٌ ، لَأَنَّهَا لَمْ تَنْزِفْ مِنْ ذَلِكَ الْحَيْنِ إِلَى الْيَوْمِ قَطْ ، وَقَدْ وَقَعَ فِيهَا حَبَشِيٌّ فَزَرِحَتْ مِنْ أَجْلِهِ ، فَوَجَدُوا مَاءَهَا يَثُورُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَعْيُنٍ ، أَقْوَاهَا وَأَكْثَرُهَا مَاءً : مِنْ نَاحِيَةِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ ، وَذَكَرَ هَذَا الْحَدِيثَ الدَّارِقُطِيُّ .

وقوله : وَلَا تُدْثَمُ ، فِيهِ نَظَرٌ ، وَإِسْهُوَ عَلَى مَا يَبْدُو مِنْ ظَاهِرِ اللَّفْظِ مِنْ أَنَّهَا لَا يَذْمُهَا أَحَدٌ ، وَلَوْ كَانَ مِنَ الدِّمِّ لَكَانَ مَاؤُهَا أَعَذَبَ الْمِيَاهِ ، وَلَتَضَلَّعَ مِنْهُ كُلُّ مَنْ يَشْرِبُهُ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ لَا يَتَضَلَّعُ مِنْهَا مَنَافِقٌ ، فَمَاؤُهَا إِذَا مَذْمُومٌ عِنْدَهُمْ ، وَقَدْ كَانَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ أَمِيرُ الْعِرَاقِ يَذْمُهَا ، وَيَسْمِيهَا : أُمَّ جِعْلَانَ (١) ، وَاحْتَفَرَ بَرًّا خَارِجَ مَكَّةَ بِاسْمِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَجَعَلَ يُفَضِّلُهَا عَلَى زَمْزَمَ ، وَيَحْمِلُ النَّاسُ عَلَى التَّبَرُّكِ بِهَا دُونَ زَمْزَمَ جُرْأَةً مِنْهُ عَلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَقَلَّةَ حَيَاءٍ مِنْهُ ، وَهُوَ الَّذِي يُعْلَنُ وَيَفْصَحُ بِلَعْنِ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ - عَلَى الْمَنْبَرِ ، وَإِنَّمَا ذَكَرْنَا هَذَا ، أَنَّهَا قَدْ ذُمَّتْ ، فَقَوْلُهُ إِذَا : لَا تُدْثَمُ مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ : يَثُرُ ذَمَّةُ أَيْ : قَلِيلَةُ الْمَاءِ ، فَهُوَ مَنْ أَذْنَمَتِ الْبُيْرُ إِذَا وَجَدَتْهَا ذَمَّةً : كَمَا تَقُولُ : أَجَبَنْتُ الرَّجُلَ : إِذَا وَجَدْتَهُ جَبَانًا ، وَأَكْذَبْتُهُ إِذَا

== يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى ، وَنَزَفْتُ عَلَى مَا لَمْ يَسْمُ فَاعِلُهُ ، وَعَنْ ابْنِ سَيِّدَةَ : نَزَفَ الْبُيْرُ يَنْزِفًا وَأَنْزَفَهَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، كِلَاهُمَا نَزَحًا : وَأَنْزَفْتُ هِيَ نَزَحَتْ ، وَذَهَبَ مَاؤُهَا .

(١) جَعَلَ الْمَاءَ بِفَتْحٍ فَكَسَرَ جَعَلًا ، أَيْ : كَثُرَ فِيهِ الْجَعْلَانُ : جَمْعُ جَعَلٍ وَهُوَ دَابَّةٌ سُودَاءُ مِنَ دَوَابِّ الْأَرْضِ قِيلَ : هُوَ أَبُو جَعْرَانَ . وَلَعَلَّهَا فَرِيَّةٌ ، فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ فِي مِثْلِ هَذَا الْهَوَانِ ، الَّذِي يَرْغَمُهُمْ عَلَى الرِّضَا بِهَذَا الَّذِي نَسَبَ إِلَى خَالِدٍ .

وجدته كاذبا^(١)، وفي التنزيل: «فإنهم لا يكذبونك»^(٢) [ولكن الظالمين
بآيات الله يمحذون] الأنعام . ٣٣ وقد فسر أبو عبيد في غريب الحديث قوله
حتى مررنا ببئر ذمّة: وأنشد.

مُخَيَّسَةٌ خَزْرَاءُ كَانُ عِيُونَهَا ذِمَامُ الرَّاكِيَا أَنْكَرَتْهَا مَوَاتِحُ^(٣)

فهذا أولى ما حمل عليه معنى قوله . ولا تُدَمِّمَ ؛ لأنه نفي مطلق ، وخبر صادق

(١) يقول ابن جرير الطبري : وأكذبت الرجل إذا أخبرت أنه جاء بالكذب
وكذبت — بتضعيف الذال — إذا أخبرت أنه كاذب .

(٢) الذى فى المصحف هو ما أثبتناه ، ولكن السهلبى يعنى القراءة الثانية ، وهى
مشهورة أيضا ، وهى : ولا يكذبونك ، بضم الياء وسكون الكاف وتخفيف الذال ، وهى
قراءة نافع والكسائى من : أكذب ، أما قراءة المصحف : فن كذبه بتضعيف الذال .

(٣) البيت لذى الرميحة — بضم الراء أو كسرهما وتشديد الميم المفتوحة —
يصف إبلا غارت عيونها من الكلال . وروايته فى اللسان : «على حديدات ،
بدلا من مخيصة خزرأ ، والإبل المخيسة هى التى لم تسرح ، ولكنها حبست للنحر
أو القسم ، والخزر : هو كسر العين بصرها خلقة أو ضيقها وصغرها ، أو النظر
كأنه فى أحد الشقين ، أو أن يفتح عينيه ويغمضهما ، وحول فى إحدى العينين . وراكيا
جمع ركية — بفتح الراء وكسر الكاف ، وتضعيف الياء المفتوحة — البئر — كما
فى القاموس ، ومواتح : المتح — بفتح الميم وسكون التاء — جذبك رشاء
« حبل ، الدلو تمد بيد ، وتأخذ بيد على رأس البئر . ومواتح : جمع ماتح وهو
المستقى . والماتح الذى يملأ الدلو من أسفل البئر . أنكرتها : أقلت ماءها ، والذمة :
البئر القليلة الماء . يقول عن الإبل . إن أعينها غارت من التعب ، فكانها آبار
قليلة الماء . وفى الروض : أنكرتها ، ورواها اللسان فى مادة ذم « أنكرتها ،
وفسرها بما نقلته عنه ، ولكنه فى مادة فتح ذكرها : أنكرتها .

والله أعلم - وحديث البرّ الذمّة التي ذكرها أبو عبيد ، حدثنا به أبو بكر بن العربي الحافظ ، قال : أخبرنا القاضي أبو المطهر سعيد بن عبد الله بن أبي الرجاء قال : أخبرنا أبو نعيم الحافظ ، قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن يوسف بن خلّاد قال : حدثنا الحرث بن أبي أسامة . قال : حدثنا أبو النضر ، قال : حدثنا سليمان عن محمد بن عن يونس عن البراء قال : كنّا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في مسير فأتينا على ركيّ ذمّة^(١) . يعني : قليلة الماء قال : فنزل فيها ستة - أناسدسهم - مائة^(٢) ، فأدّيت إلينا الدلو ، قال : ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم على الركيّ . فجعلنا فيها نصفها ، أو قريب ثلثيها ، فرفعت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : فحنت بإنائي . هل أجد شيئاً أجعله في حلقى ، فما وجدت ، فرفعت الدلو إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فغمس يده فيها ، فقال ما شاء الله أن يقول - قال : فأعديت إلينا الدلو بما فيها ، قال : فلقد رأيت أحدنا أخرج بثوب خشيّة الفرق . قال : ثم ساحت ، يعني : جرت نهر^(٣) .

(١) ركيّ - بفتح الراء وكسر الكاف ، وتضعيف الياء - جنس للركية وهي البرّ .

(٢) الميع - بفتح الميم وسكون الياء - أن تدخل البرّ فتملأ الدلو ، وذلك إذا قل ماؤها ، ورجل مائع ، وقوم مائة بفتح الحاء .

(٣) أصل الحديث في الصحيح باختصار كثير في إحدى الغزوات . وهذا الذي في الروض رواه أحمد والطبراني . ويقول الحافظ في الفتح : قال القرطبي : قصة نبع الماء من بين أصابعه دس ، أمر عنه في عدة مواطن في مشاهد عظيمة ، ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي . قلت : أخذ كلام عياض أو تصرف فيه . قال : ولم يسمع بمثل هذه المعجزة عن غير نبينا ، وحديث نبع الماء جاء من رواية أنس عند الشيخين =

استفاد من الفوز :

وذكر حديث عبد المطلب في مسيره مع قريش إلى السكاهنة ، وذكر المفاوز التي عطشوا فيها . المفاوز : جمع مفازة ، وفي اشتقاق اسمها ثلاثة أقوال . روى عن الأصمعي أنها سُميت مفازة على جهة التفاؤل لراكبها بالفوز والنجاة ، ويذكر عن ابن الأعرابي أنه قال : سألت أبا المسكارم : لم سميت الفلاة مفازة؟ فقال : لأن راكبها إذا قطعها وجاوزها فاز . وقال بعضهم : معناها : مهلكة لأنه يقال : فاز الرجل ، وفوز وفاد وفطس : إذا هلك . وذكر في غير رواية على بن أبي طالب - رضوان الله عليه - ثم ادع بالماء الروي غير السكدر يقال : ملا روي بالسكسر والقصر ، وروا بالفتح والمند^(١) وفيه :

= وأحمد وغيرهم من خمسة طرق ، وعن جابر بن عبد الله من أربعة طرق ، وعن ابن مسعود عند البخاري والترمذي ، وعن ابن عباس عند أحمد والطبراني من طريقين .. وأما تكثير الماء بأن يلمه بيده ، أو يتفل فيه ، أو يأمر بوضع شيء فيه كسهم من كنانته . فجاء في حديث عمران بن حصين في الصحيحين ، وعن البراء بن عازب عند البخاري وأحمد من طريقين ، وعن أبي قتادة عند مسلم ، وعن أنس عند البيهقي في الدلائل .. وأما من رواها من أهل القرن الثاني فهم أكثر عدداً ، وإن كان شطر طريقه لإفراد ، انتهى ما في الفتح ص ٤٥٦ ج ٦ وانظر مجمع الزوائد للهيتمي . وأقول : كل ما يحدث هو بأمر الله سبحانه ، ولا يستطيع مسلم أن ينكر أن الله سبحانه فجر الماء لموسى من الحجر ، وقال لعيسى عن المائدة : « إني منزلها عليكم » والله الذي من بذلك قادر على أن يمن بهذا . وموقفنا الإذعان ، والإيمان بأنه من قدرة الله وإذنه ، لا من قدرة نبي أو ولي ، ولا بإذنه ولا بأمره .

(١) روى كوفي ، وروى مثل : إلى ، وروا مثل سماء : كثير ، ورو .

الجمع واسم الجمع :

يسقى حَجِيج الله في كل مَبْرَ. الحجيج: جمع حاج . وفي الجموع على وزن فَعِيل كثير كَالْعَبِيدِ وَالْبَقِيرِ وَالْمَعِيزِ وَالْأَبِيلِ !! وأحسبه اسما للجمع ؛ لأنه لو كان جماعه واحد من لفظه، لجرى على قياس واحد كسائر الجموع، وهذا يختلف واحده فحجيج واحده: حاج، وعبيد واحده: عبيد، وبقير^(١) واحده: بقرة [ومعيز: واحده: ماعز] إلى غير ذلك، فجاز أن يقال: إنه اسم للجمع غير أنه موضوع للكثرة ؛ ولذلك لا يُصغَّر على لفظه، كما تصغر أسماء الجموع، فلا يقال في العبيد: عُبيد، ولا في النخيل:

(١) في اللسان: البقير اسم للجمع، أما الأبييل بفتح الهمزة وكسر الباء — فالخزمة من الحشيش والخطب، والإبييل بكسر الهمزة وتضعيف الباء مع كسرهما: القطعة من الطير والخيل . وقيل هي مفرد أبابيل، وربما كانت إبلا، وهي تقع على الجمع، وليست بجمع والاسم جمع، قاموس، ويقول الجوهري إن أسماء الجموع التي لا واحد لها من لفظها إذا كانت لغير الآدميين، فالتأنيث لازم لها، فإذا صغرتها دخلتها التاء، فقلت عن إبل: أبيلة، وعن غنم: غنيمة، وقد فرق شارح السكاكية لابن الحاجب بين الجمع واسم الجمع بفروق تلخص في ثلاثة أوجه، الأول: أن الجمع على صيغة خاصة من صيغ معدودة معروفة، وهذه الصيغة تغاير صيغة المفرد، إما ظاهرا، وإما تقديرا . فالمغايرة الظاهرة إما بالحركات كأسد، وأسد ونمر ونمر، وإما بالحروف كرجال: جمع رجل وكتب جمع كتاب، والمغايرة المقدرة كهبان وفلك، ومن المغايرة الظاهرة: الجمع السالم مذكرا أو مؤنثا .

والثاني: أن للجمع واحدا من لفظه، وليس لاسم الجمع واحد من لفظه، بل له واحد من معناه، فواحد الإبل: بعير أو ناقة، وواحد الغنم: شاة . والثالث: أن الجمع يرد إلى واحد في النسب مطلقا، وفي التصغير إن كان جمع كثرة . وأما اسم الجمع، فلا يرد، لأنه إما ألا يكون له واحد حتى يرد إليه، وإما أن يكون له واحد، لكن لا يصح الرد إليه لأن اسم الجمع لم يكن على صيغة من صيغ الجمع فهو كالمفرد في اللفظ . انظر ص ١٩٣ ج ٢ شرح الشافية للرضي والتلخيص المذكور للأستاذة المحققين للشافية .

نُخِيلٌ، بل يرد إلى واحده، كما ترد الجموع في التصغير، فيقال: نُخَيْلَاتٌ وَعُيَيْدُونَ، وإذا قلت: نخيل أو عبيد، فهو اسم يتناول الصغير والكبير من ذلك الجنس، قال الله سبحانه: (وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ) وقال: (وَمَارِبُكَ بِظِلِّ الْعَبِيدِ) فصلت: ٤٦، وحين ذكر الخطابين منهم قال: العباد، وكذلك قال حين ذكر الثمر من النخيل: (وَالنَّخْلُ بِاسْقَاتٍ) ق: ١٠ وقال: (أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ) القمر: ٢٠ فتأمل الفرق بين الجمعين في حكم البلاغة واختيار الكلام، وأما في مذهب أهل اللغة، فلم يفرقوا هذا التفريق، ولا نهوا على هذا الغرض الدقيق.

شروع :

وقوله: في كل مَبَرٍّ هو مَفْعَلٌ مِنَ الْمَبَرِّ، يريد: في مناسك الحج ومواقع الطاعة وقوله: مثل نعام جافل لم يقسم. الجافل: من جَفَلَتِ الغنم: إذا انقاعت بحملتها، ولم يُقَسِّمَ أى: لم يُتَوَزَّعْ، ولم يتفرق.

وقوله: ليس يخاف منه شيء ما عَمَرَ. أى: ما عمر هذا الماء، فإنه لا يؤذى، ولا يخاف منه ما يخاف من المياه إذا أفرط في شربها، بل هو بركة على كل حال، وعلى هذا يجوز أن يحمل قوله: لَا تَنْزِفُ، وَلَا تُذَمِّعَ شَرْبَهَا، وهذا تأويلٌ سائغٌ أيضا إلى ما قدمناه من التأويل، وكلاهما صحيح في صفتها.

وقوله: وضرب [في الباب] الغزالين^(١) حلية الكعبة، وهو أول ذهبٍ حليت به الكعبة، وقد قدمنا ذكر الغزالين، ومن أهدأها إلى الكعبة، ومن دفنهما من جرهم، وتقدم أن أول من كسا الكعبة: نُبَّعٌ، وأنه أول من اتخذها غَلَمًا إلى أن

(١) ما بين قوسين زيادة من السيرة .

ضرب لها عبدُ المطلب بابَ حديد من تلك الأسياف ، واتخذ عبدُ المطلب حوضاً
لزمزم يسقى منه ، فكان يُحَرَّبُ له بالليل حسداً له ، فلما غمَّ ذلك قيل له في
النوم : قل : لا أحلها لمغتسل ، وهي لشارب حلٍّ وبلٍّ ^(١) وقد كُفِّيتهم ، فلما
أصبح قال ذلك ، فكان بعدُ من أرادها بمكروه رُمي بداء في جسده ، حتى
انتهوا عنه . ذكره الزهري في سيره .

بئر قريش بمكة :

وقوله : وكانت قريش قبل حفر زمزم قد اتخذت بئارا بمكة . ذكروا أن
قصياً كان يسقى الحجاج في حياض من أدم ، وكان ينقل الماء إليها من
آبارٍ خارجةٍ من مكة منها : بئرُ مَيْمُونِ الحَضْرَمِيِّ ، وكان يَنْبِذُ لهم الزبيب ،
ثم احتفر قُصْيُ الْعَجُولِ في دار أمِّ هانئ بنت أبي طالب ، وهي أول سقاية

(١) بل : شفاء ، وقيل : بل : مباح بلغة حمير ، وقد روى يونس بن بكير عن ابن
إسحاق شعراً قاله عبد المطلب حينئذ وهو :

اللهم أنت الملك المحمود ربى أنت المبدى المعيد
ومسك الراسية الجلود من عندك الطارف والتليد
إن شئت ألهمت كما تريد لموضع الحلية والحديد
فبين اليوم لما تريد إني نذرت العاهد المعهود
اجعله رب لي فلا أعود

انظر ص ٢٤٦ ج ٢ البداية . هذا وفي السيرة عند قوله : « ثم أعطوا صاحب القداح »
زدت كلمة « القداح » بعد جملة « أعطوا » من البداية ص ٢٤٦ ج ٢ ، وقد جعل
عبد المطلب لزمزم حوضين . أحدهما : للشرب ، والآخر : للوضوء ، وقال :
لا أحلها لمغتسل ؛ لينزه المسجد عن أن يغتسل فيه ج ٢ ص ٢٤٧ بداية .

اِحْتَفَرَتْ (١) بِمَكَّةَ ، وَكَانَتْ الْعَرَبُ إِذَا اسْتَقَوْا مِنْهَا ارْتَجَزُوا ، فَقَالُوا :
تُرَوِّى عَلَى الْعَجُولِ ، ثُمَّ نَنْطَلِقُ . إِنْ قُصِيًّا قَدْ وَفَى وَقَدْ صَدَقَ
[بِشَبَعِ الْحِجْرِ وَرَى مُغْتَبِقٍ] (٢)

فَلَمْ تَزَلِ الْعَجُولُ قَائِمَةً حَيَاةَ قُصَيٍّ ، وَبَعْدَ مَوْتِهِ ، حَتَّى أَكْبَرَ عَبْدُ مَنْأَفِ
ابْنَ قُصَيٍّ ، فَسَقَطَ فِيهَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي جُعَيْلٍ ، فَمَطَّلُوا الْعَجُولُ ، وَانْدَفَنَتْ ،
وَاحْتَفَرَتْ كُلُّ قَبِيلَةٍ بَثْرًا ، وَاحْتَفَرُ قُصَيٌّ سَجَلَةً ، وَقَالَ حِينَ حَفَرَهَا :
أَنَا قُصَيٌّ ، وَحَفَرْتُ سَجَلَةً تُرَوِّى الْحَجِيجَ زُغْلَةً فَرُغْلَةً (٣)
وَقِيلَ : بَلْ حَفَرَهَا هَاشِمٌ ، وَوَهَبَهَا أُسْدُ بْنُ هَاشِمٍ لَعْدِيٍّ بْنِ نَوْفَلٍ ،
وَفَى ذَلِكَ تَقُولُ خَالِدَةُ بِنْتُ هَاشِمٍ :

نَحْنُ وَهَبْنَا لَعْدِيٍّ سَجَلَةً تُرَوِّى الْحَجِيجَ زُغْلَةً فَرُغْلَةً
وَأَمَّا أَحْرَادُ الَّتِي ذَكَرَهَا ، فَأَحْرَادٌ : جَمْعٌ : حِرْدٌ ، وَهِيَ قِطْعَةٌ مِنَ السَّنَامِ ،
فَكَأَنَّهَا سُمِّيَتْ بِهَذَا ، لِأَنَّهَا تُنْبِتُ الشَّحْمَ ، أَوْ تُسَمِّنُ الْإِبِلَ ، أَوْ نَحْوَ هَذَا
وَالْحِرْدُ : الْقَطَا (٤) الْوَارِدَةُ لِلْمَاءِ ، فَكَأَنَّهَا تَرُدُّهَا الْقَطَا وَالطَّيْرُ ، فَيَكُونُ

(١) وَفَى الْمُرَادُ : أَنَّ الْعَجُولَ أَوَّلُ بَثْرٍ حَفَرَتْ بِمَكَّةَ ، وَقِيلَ : حَفَرَهَا عَبْدُ شَمْسٍ قَبْلَ
خَمٍ ، وَقِيلَ إِنْ أَصْلُهَا كَانَتْ رَكِيَّةً فِي دَارِ أُمِّ هَانِيٍّ ، ثُمَّ وَسَعَهَا قُصَيٌّ ، أَوْ سَمَّاها كَذَلِكَ
(٢) الزِّيَادَةُ مِنْ مَعْجَمِ الْبَكْرِى . وَمُغْتَبِقٌ : أَصْلُ الْغُبُوقِ — كَصَبُورٍ —
مَائِشَرٍ بِالْعَشَى . وَغَبَقَهُ : سَقَاهُ ذَلِكَ ، فَاعْتَبِقَ هُوَ ، وَالْمُغْتَبِقُ — بِضَمِّ الْمِيمِ وَكسْرِ
الْبَاءِ — مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ

(٣) الزُّغْلَةُ : الْجُرْعَةُ .

(٤) قَطَا حِرْدٌ : سَرَاعٌ . وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ عَنْ هَذَا : لَمْ يَكُنْ خَطَأً . وَذَكَرَ أَنَّ الْقَطَا =

أحرّاد جمع : حرّود بالضم على هذا . وقالت أمّية بنت عُميّلة بن السَّبَّاق بن عبد الدار امرأة العوّام بن خُوَيْلِد حين حفرت بنو عبد الدار أمّ أحرّاد : نحن حفرنا البحر أمّ أحرّاد ليست كَبْدَر البرور^(١) الجمّاد

فأجابتها ضمرتها : صفية بنت عبد المطلب أم الزبير بن العوام رضى الله عنه :

نحن حفرنا بَدْر^(٢) نسقى الحجيح الأكبر
من مُقبل ومُدْبِر وأم أحرّاد شر^(٣)

وأما جُرّاب ، فيحتمل أن يكون بمعنى : جَرِيب^(٤) نحو : كبار وكبير ،

= الحردى القصار الأرجل ، وهى موصوفة بذلك . وفى المراسد عن أم أحرّاد أنها جمع حريد ، وهو المنفرد عن محلة القوم .

(١) هكذا ، وهى غير مناسبة للمعنى ، فلعلها : البثور بضم الباء والثاء : جمع بثر بفتح الباء وسكون الثاء ، وفى اللسان : أنها الكرار — بكسر الكاف — جمع كر المواضع الذى يجمع فيه الماء الآجن ، ليصفو ، ويقال للبخیل : جّاد كقظام ذماله .

(٢) فى غير الروض : بثر بفتح فسكون ، والبثر أرض حجارها كحجارة الحرة إلا أنها بيض ، والماء البثر فى الغدير إذا ذهب ، وبقي على وجه الأرض منه شيء قليل

(٣) البيت : «سقى الله أمواه» لكثير عزة كما فى اللسان ، وكلها آبار بمكة ، وقال ابن برى : هذه كلها أسماء مياه ؛ بدليل إبدالها من قوله أمواه ، ودعا بالسقيا للأمواه ، وهو يريد أهلها النازلين بها .

(٤) الجريب من الطعام والأرض : مقدار معلوم ، والجريب : مكيال قدر أربعة أقدرة ، والجريب : قدر ما يزرع فيه من الأرض ، قال ابن دريد : لأحسبه عربيا ، والجمع : أجرية وجربان . وقيل : الجريب المزرعة ، والجريبة : الوادى وجمعه أجرية . ولم أجد فى اللسان جرابا لجريب . ولا فى القاموس .

والجريب : الوادى ، والجريبُ أيضاً : مِكْيَالٌ كبير ، والجريبُ أيضاً : المزرعة .
وأما مَلَكُوم فهو عندى مقلوب ، والأصل : مَمَكُول من : مَكَلْتُ
البئر : إذا استخرجت ماءها ، والمَكَلَّة : ماء ^(١) الرِّكِيَّة ، وقد قالوا : بئر
عَمِيقة ، ومَعِيقة ، فلا يبعد أن يكون هذا اللفظ كذلك يقال فيه :
مَمَكُول ومَمَكُوم ، والمَمَكُومُ فى اللغة : المظلوم إذا لم يكن مقلوباً ^(٢) .

وأما بَذَر فمن التبذير ، وهو التفريق ، ولعل ماءها كان يخرج متفرقا
من غير مكان واحد ، وهذا البناء فى الأسماء قليل ، نحو : شَلَمٌ وخَضَمٌ وبَذَرٌ ،
وهى أسماء أعلام ، وشَلَمٌ : اسم بيت المقدس ، وأما فى غير الأعلام ، فلا يعرف
إلا البَقَم ، ولعل ^(٣) أصله أن يكون أعجمياً ، فعرب .

(١) وضع اللسان ملكوم فى مادة لكم ، وفى المراسد : أنها اسم
المفعول من لكمة ، وفيه أن المسكلة بضم الميم وفتحها وسكون الكاف : جمعة
البئر . الجمعة المكان الذى يجتمع فيه ماء البئر . أو أول ما يستقى منها ، وفى اللسان :
المسكلة بضم الميم الشئ القليل من الماء يبقى فى البئر أو الإناء ، فهو من الاضداد
وبئر بمكولة : نزح ماؤها .

(٢) لم أجد للملكوم هذا المعنى لافى القاموس ، ولا فى اللسان ؛ ولها معنى الدفع
والضرب باليد مجوعة .

(٣) خضم : اسم عنبر بن تميم ، وقال اللسان عن شلم : لأنها عبرانية ، وزاد
من الأعلام : عثر بفتح العين ، وتضعيف الثاء مع فتح — اسم بالين ، أو واد من
أودية العقيق ، أو مأسدة . وفى المراسد أن أهل اليمن ينطقون عثر بتخفيف الثاء
«باسكانها» انظر المراسد ، ومعجم ما استعجم وياقوت . وفى اللسان أيضا : كثم
بوزن عثر : اسم موضع . أما بقم فاسم شجر عظام أو خشبة . وبضم الميم مثل =

وأما خُمّ وهى بُرّ مرة ، فهى من حَمَمْتُ البيت إذا كنستهُ ، ويقال :
فلان تخموم القلب أى : نَقِيه ، فكأنها سُمِّيت بذلك لنقاها .

وأما غَدِيرُ خَمٍّ الذى عند الجُحْفَةِ ، فَسُمِّيتَ بِغَيْضَةٍ ^(١) عنده ، يقال
لها : خُمّ فيما ذكروا . وأما رُمّ بُزْ بنى كلاب بن مُرَّة ، فمن رَمَمْتُ الشئ
إذا جَمَعْتَهُ وأَصْلَحْتَهُ ، ومنه الحديث : كنا أهل ثُمَّةٍ ورُمّةٍ ^(٢) ، ومنه : الرُّمَّان
فى قول سيبويه ، لأنه عنده فُعلَّان ، وأما الأَخْفَسُ فيقول فيه : فُقال ،
فيجعل فيه الثُّونَ أَصْلِيَّةً ، ويقول : إن سَمِّيتَ به رجلا صرَفْتَهُ . ومن قول
عبدِ شمس بن قُصَيٍّ :

=سكر شجر جوز ، وزاد ابن مالك ، شمر ، اسم فرس ، فصارت ستة أسماء ، وقد
نظم ابن مالك أكثرها فيما يأتى :

وبزى وبقم وشمر وخضم وعثر لفعـل

ص ٦٣ ج ٢ المزهر للسيوطى .

(١) الاجة ، وهى مغيض ماء يجتمع ، فينبت فيه الشجر .

(٢) هو فى حديث أم عبد المطلب حين أخذه عمه منها : كنا ذوى ثمة ورمة .
يقال ، ماله ثم ولا رم . فالثم : قاش البيت : والرم : مرمة البيت أى : متاعه كأنها أرادت :
كنا القائمين بأمره منذ ولد إلى أن شب وقوى . وقيل : هو من قول أخوال
أحيحة بن الجلاح . قال أبو عبيد : المحدثون يروونه بالضم ، والوجه عندى الفتح ، وهو
إصلاح الشئ وإحكامه ، وهو - أى اثم والرم - بمعنى الإصلاح . وقيل : هما بالضم
مصدران . والمعنى على قول أبي عبيدة : كنا أهل تربيته والمتولين لإصلاح شأنه ،
وقد رواه الهروى فى حرف الراء من قول أم عبد المطلب ، ورواه فى حرف التاء
من قول أخوال أحيحة ، ورواه مالك فى الموطأ عن أحيحة .

حَفَرْتُ رُمًا ، وَحَفَرْتُ حُمًا حَتَّى تَرَى الْمَجْدَ بِهَا قَدَ تَمَّ
وَأَمَّا سُقْيَةُ بَثْرُ بَنِي أَسَدٍ ، فَقَالَ فِيهَا الْحَوِيثُ بْنُ أَسَدٍ :
مَاءٌ سُقْيَةُ كَمَاءِ الْمُزْنِ وَلَيْسَ مَائُهَا بِطَرَقِ أَجْنٍ (٢)
وَأَمَّا سُنْبُلَةٌ : بَثْرُ بَنِي جَمَجْ ، وَهِيَ بَثْرُ بَنِي خَلْفِ بْنِ وَهَبٍ - فَقَالَ فِيهَا
شَاعِرُهُمْ :

نَحْنُ حَفَرْنَا لِلْحَجِيجِ سُنْبُلَةً صَوَّبَ سَحَابٌ ذَوِ الْجَلَالِ أَنْزَلَهُ
ثُمَّ تَرَكْنَاهَا بِرَأْسِ الْقُنْبُلَةِ نَصَبُ مَاءٍ مِثْلَ مَاءِ الْمَعْبَلَةِ
نَحْنُ سَقَيْنَا النَّاسَ قَبْلَ الْمَسْئَلَةِ

من شرح شعر مسافر :

وَأَمَّا الْغَمْرُ : بَثْرُ بَنِي سَهْمٍ ، فَقَالَ فِيهَا بَعْضُهُمْ :
نَحْنُ حَفَرْنَا الْغَمْرَ لِلْحَجِيجِ تَشْجُ مَاءٍ أَيَّمَا تُجِيجِ
ذَكَرَ أَكْثَرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ الْبَكْرِيُّ ، وَبَعْضُ هَذِهِ الْأَرْجَازِ أَوْ أَكْثَرُهُ
فِي كِتَابِ الزُّبَيْرِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ .
فَصَلِّ : وَذَكَرَ شِعْرَ مُسَافِرٍ بَنِي أَبِي عَمْرٍو بْنِ أُمَيَّةَ . وَاسْمُ أَبِي عَمْرٍو :
ذَكْوَانٌ ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ أَبُو سَفْيَانَ :

(١) هِيَ سَقِيَّةٌ أَوْ شَفِيَّةٌ ، وَفِي النُّسخَةِ الْمَطْبُوعَةِ سَنَةِ ١٣٣٢ عَلَى هَامِشِ
الرُّوضِ : سَقِيَّةٌ .

(٢) الطَّرَقُ : الْمَاءُ الَّذِي خَوْضَتُهُ الْإِبِلُ ، وَبُولَتْ فِيهِ ، وَالْأَجْنُ : الْمَاءُ
الْمُتَغَيِّرُ الطَّعْمَ وَاللَّوْنَ .

لَيْتَ شِعْرِي مُسَافِرَ بْنَ أَبِي عَمَّةٍ رَوِ ، وَلَيْتَ يَقُولُهَا الْمَحْزُونُ
بُورِكَ الْمَيِّتُ الْغَرِيبُ كَمَا بُورِكَ نَضَحُ الرُّمَّانِ وَالزَّيْتُونُ (١)

في شعرٍ يرثيه به ، وكان مات من حُبِّ صَعْبَةِ بِنْتِ الْخَضِرِيِّ .

وفي الشعر : وَنَحْرُ الدَّلَاقَةِ الرَّفْدُ (٢)

الرَّفْدُ : جمع رَفُودٍ من الرَّفْدِ ، وهي التي تملأُ إِنْاءَ من عند الحلب .

وقوله :

وَنُلْقَى عِنْدَ تَصْرِيفِ الْمَنَايَا شُدَّدًا رُفْدًا

هو جمع رَفُودٍ أيضاً من الرَّفْدِ وهو : العون ؛ والأول من الرَّفْدِ بفتح الراء

[وبكسرهما] وهو إِنْاءٌ كبير قال الشاعر :

رُبَّ رَفْدٍ هَرَقْتَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ مَ وَأَمْرِي مِنْ مَعَشَرٍ أَقْتَالٍ (٣)

(١) ينسب هذا في اللسان إلى أبي طالب بن عبدالمطلب في مادة نضح. والنضح

تفطر الشجر بالورق .

(٢) فسر الخشنى في شرحه للسيرة الدلاقة بقوله : بالإبل التي تمشي متمهلة
لكثرة سمنها . وفي اللسان ، المذلاقة بدلا من : الدلاقة . وفسر المذلاقة بأنها الناقة
السريعة . أما الدلاقة ففي اللسان ، الدلوق والدلقاء : التي تنكسر أسنانها من
الكبر فتمج الماء والرفود من الإبل التي تملأ الرفد — بكسر الراء وفتحها — القدح
الضخم في حلبة واحدة ، أو هي الدائمة على حلبها ، أو التي تتابع الحلب .

(٣) جمع قتل بكسر القاف ، وهو العدو أو الصديق والنظير وابن العم
والشجاع والقرن . والرفد بفتح الراء وكسرهما والمرفد — بكسر الميم وفتح =

(٩ م — الروض الأنف ج ٢)

وذكر أم عبد الله بن عبد المطلب ، وهى : فاطمة بنت عمرو بن عائذ
ابن عمران^(١) هكذا قال ابن هشام . وقال ابن إسحاق : عائذ بن عبد بن
عمران ابن مخزوم ، والصحيح ما قاله ابن هشام ؛ لأن الزبيريين ذكروا أن عبدأ
هو أخو عائذ بن عمران ، وأن بنت عبد هى : صخرة امرأة عمرو بن عائذ
على قول ابن إسحاق ؛ لأنها كانت له عمّة ، لابنت عمّ ، فتأمل ؛ فقد تكرّر
هذا النسب فى السيرة مراراً ، وفى كل ذلك يقول ابن إسحاق : عائذ بن عبد
ابن عمران ، ويخالفه ابن هشام . وصخرة بنت عبد أم فاطمة ، أمها :
تخمر بنت عبد بن قصي ، وأم تخمر : سلمى بنت عميرة^(٢) بن وداعة
ابن الحارث بن فهر . قاله الزبير :

== الفاء ، أو بفتح الميم وكسر الفاء — القدح العظيم ، وفى اللسان : هراقت السماء ماءها
تهريق ، والماء مهراق . الهاء فى ذلك كله متحركة ، لأنها ليست أصلية ، إنما هى بدل
من همزة : أراق ، وهرقت مثل أرقت . وقد نسب إلى الأزهرى ، ونسب إليه
أيضاً أنه قال : ومن قال : أهرقت فهو خطأ فى القياس . ومثل هرقت — والأصل أرقت
قولهم هرحت الدابة وأرحتها ، وهزرت النار وأزرتها . وقال أبو زيد : الهاء منها
زائدة ، كما قالوا : أنهاأت اللحم والأصل أنأته . وقال بعض النحويين إنما هو هراق
بهريق ؛ لأن الأصل من أراق يريق يؤريق لأن أفعل يفعل كان فى الأصل يؤفعل .
والجوهرى يقول : هراق الماء يهر يقه بفتح الهاء هراقة — بكسر الهاء — صبه
(١) هى كذلك فى جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ١٣ ونسب قريش
ص ١٧ وفى حذف نسب قريش للسدوسى ص ٥ .

(٢) فى نسب قريش : سلمى بنت عامرة بن عميرة الخ ص ١٧ .

ذكر نذر عبد المطلب ذبح ولده

قال ابن إسحاق : وكان عبدُ المطلب بن هاشم - فيما يزعمون والله أعلم - قد نذر حين أتى من قريش مالتى عند حفر زمزم : لئن ولد له عشرة نفر ، ثم بلغوا معه حتى يمنعوه ، لينحرن أحدهم لله عند الكعبة . فلما توافى بنوه عشرة ، وعرف أنهم سيمنعونه ، جمّعهم ، ثم أخبرهم بنذره ، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك ، فأطاعوه وقالوا : كيف نصنع ؟ قال : ليأخذ كل رجل منكم قدحا ثم يكتب فيه اسمه ، ثم اثبتوني ، ففعلوا ، ثم أتوه ، فدخل بهم على هبل في جوف الكعبة ، وكان هبل على بر في جوف الكعبة ، وكانت تلك البر هي التي يُجمع فيها ما يُهدى للكعبة .

وكان عند هبل قداح سبعة ، كل قدح منها فيه كتاب . قدح فيه العقل ، إذا اختلفوا في العقل من يحمله منهم ، ضربوا بالقداح السبعة ، فإن خرج العقل فعلى من خرج حمله . وقدح فيه : نعم . للأمر إذا أرادوه يضرب ، به في القداح ، فإن خرج قدح نعم ، عملوا به . وقدح فيه : لا ، إذا أرادوا أمراً ضربوا به في القداح ، فإن خرج ذلك القداح لم يفعلوا ذلك الأمر ، وقدح فيه : منكم ، وقدح فيه ملصق : وقدح فيه : من غيركم : وقدح فيه : المياه ، إذا أرادوا أن يتخفروا للماء ضربوا بالقداح ، وفيها ذلك القدح ، فحينما خرج عملوا به .

وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلاما ، أو يُنكحوا منكحاً ، أو يذفنوا

مَيْتًا ، أَوْ شَكَوَا فِي نَسَبِ أَحَدِهِمْ ، ذَهَبُوا بِهِ إِلَى هُبَلٍ وَبِئْتَةِ دَرَاهِمَ وَجَزُورٍ ، فَأَعْطَوْهَا صَاحِبَ الْقِدَاحِ الَّذِي يَضْرِبُ بِهَا ، ثُمَّ قَرَّبُوا صَاحِبَهُمُ الَّذِي يَرِيدُونَ بِهِ مَا يَرِيدُونَ ، ثُمَّ قَالُوا : يَا إِلَهَنَا هَذَا فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ قَدْ أَرَدْنَا بِهِ كَذَا وَكَذَا ، فَأَخْرَجَ الْحَقَّ فِيهِ . ثُمَّ يَقُولُونَ لَصَاحِبِ الْقِدَاحِ : اضْرِبْ : فَإِنْ خَرَجَ عَلَيْهِ : مِنْكُمْ ، كَانَ مِنْهُمْ وَسِيطًا ، وَإِنْ خَرَجَ عَلَيْهِ : مِنْ غَيْرِكُمْ ، كَانَ حَلِيفًا ، وَإِنْ خَرَجَ عَلَيْهِ : مُلْتَصِقٌ ، كَانَ عَلَى مَنَزَلَتِهِ فِيهِمْ ، لَأَنْسَبَ لَهُ ، وَلَا حِلْفَ ، وَإِنْ خَرَجَ فِيهِ شَيْءٌ ، مِمَّا سَوَى هَذَا مِمَّا يَعْمَلُونَ بِهِ : نَعَمْ عَمِلُوا بِهِ ، وَإِنْ خَرَجَ : لَا ، أَخْرَوْهُ عَامَهُ ذَلِكَ ، خَتَى يَأْتُوهُ بِهِ مَرَّةً أُخْرَى ، يَنْتَهُونَ فِي أُمُورِهِمْ إِلَى ذَلِكَ مِمَّا خَرَجَتْ بِهِ الْقِدَاحُ .

فَقَالَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ لَصَاحِبِ الْقِدَاحِ : اضْرِبْ عَلَى بَنِي هَؤُلَاءِ بِقِدَاحِهِمْ هَذِهِ ، وَأَخْبِرْهُ بِنَذْرِهِ الَّذِي نَذَرْتُ ، فَأَعْطَاهُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ قِيدَاحَهُ الَّذِي فِيهِ اسْمُهُ ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ أَصْغَرَ بَنِي أَبِيهِ ، كَانَ هُوَ وَالزُّبَيْرُ وَأَبُو طَالِبٍ لِفَاطِمَةَ بِنْتِ عَمْرٍو بْنِ عَائِذٍ بْنِ عَبْدِ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ مَخْزُومٍ بْنِ يَقْظَةَ بْنِ مَرْثَةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ بْنِ فَهْرٍ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : عَائِذُ بْنُ عِمْرَانَ بْنِ مَخْزُومٍ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ — فِيمَا يَزْعُمُونَ — أَحَبَّ وَلَدِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ إِلَيْهِ ، فَكَانَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ يَرَى أَنَّ السَّهْمَ إِذَا أَخْطَأَهُ فَقَدْ أَشْوَى . وَهُوَ أَبُو رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فَلَمَّا أَخَذَ صَاحِبُ الْقِدَاحِ الْقِدَاحَ لِيَضْرِبَ بِهَا ، قَامَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ عِنْدَ هُبَلٍ يَدْعُو اللَّهَ ، ثُمَّ ضَرَبَ صَاحِبُ الْقِدَاحِ ، فَخَرَجَ الْقِدَاحُ

على عبد الله ، فأخذه عبدُ المطلب بيده وأخذ الشفرة ، ثم أقبل به إلى إساف وناثلة ليذبحه ، فقامت إليه قريش من أنديتها ، فقالوا : ماذا تريد يا عبد المطلب ؟ قال : أذبحه ، فقالت له قريش وبنوه : والله لا تذبحه أبداً ، حتى تُعذر فيه . لئن فعلتَ هذا لا يزال الرجلُ يأتي بابنه حتى يذبحه ، فما بقاء الناس على هذا ؟ ! وقال له المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة - وكان عبد الله ابن أخت القوم : والله لا تذبحه أبداً ، حتى تُعذر فيه ، فإن كان فداؤه بأموالنا قد بُنِئ . وقالت له قريش وبنوه . لا نفعل ، وانطلق به إلى الحجاز ، فإنَّ به عَرَافة لها تابع ، فسكنها ، ثم أنت على رأس أمرك ، إن أمرتك بذبحه ذبحته ، وإن أمرتك بأمر لك وله فيه فرج قبيلته .

فانطلقوا حتى قدموا المدينة ، فوجدوها - فيما يزعمون - بحَيْر . فركبوا حتى جاءوها ، فسألوها ، وقص عليها عبدُ المطلب خبره وخبر ابنه ، وما أراد به ونذره فيه ، فقالت لهم : ارجعوا غنى اليوم حتى يأتيَنى تابعي فأسأله . فرجعوا من عندها ، فلما خرجوا عنها قام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم غدوا عليها ، فقالت لهم : قد جاءني الخبرُ ، كم الدية فيكم ؟ قالوا : عشر من الإبل ، وكانت كذلك . قالت : فارجعوا إلى بلادكم ، ثم قربوا صاحبكم ، وقربوا عشراً من الإبل ، ثم اضربوا عليها ، وعليه بالقِداح ، فإن خرجت على صاحبكم ، فزِيدُوا من الإبل حتى يَرْضَى ربُّكم ، وإن خرجت على الإبل فأنحروها عنه ، فقد رَضِيَ ربُّكم ، ونجا صاحبكم .

فخرجوا حتى قَدِمُوا مَكَّةَ ، فلما أجمعوا على ذلك من الأمر ، قام

عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم قرَّبوا عبدَ الله وعشرًا من الإبل ، وعبدُ المطلب قائمٌ عند هَبَل يدعو الله عزَّ وجلَّ !! ثم ضربوا نِخْرَجَ القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبلُ عشرين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله عزَّ وجلَّ ، ثم ضربوا نِخْرَجَ القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبلُ ثلاثين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا نِخْرَجَ القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبلُ أربعين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا نِخْرَجَ القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبلُ خمسين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا نِخْرَجَ القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبلُ ستين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا نِخْرَجَ القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبلُ سبعين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا نِخْرَجَ القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبلُ ثمانين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا نِخْرَجَ القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبلُ تسعين ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا نِخْرَجَ القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشرًا من الإبل ، فبلغت الإبلُ مئة ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا نِخْرَجَ القِدْح على الإبل ، فقالت قریش ومَنْ حضر : قد انتهى رضا ربِّكَ يا عبدَ المطلب ، فزعموا أن عبد المطلب قال : لا والله حتى أضربَ عليها ثلاثَ مرات ، فضربوا على عبد الله ، وعلى الإبل ، وقام عبدُ المطلب يدعو الله ، نِخْرَجَ القِدْح على الإبل ، ثم عادوا الثانية ، وعبدُ المطلب قائمٌ يدعو الله ، فضربوا ، نِخْرَجَ القِدْح على

الإبل ، ثم عادوا الثالثة ، وعبد المطلب قائم يدعو الله ، فصرخوا ، فخرج
القدح على الإبل : فُنَجِرَتْ : ثم تُرِكَت لا يُصَدَّ عنها إنسان ولا يُمنع .

قال ابن هشام : ويقال : إنسان ولا سُبُعٌ .

قال ابن هشام : وبين أضعاف هذا الحديث رجز لم يصحَّ عندنا عن أحد
من أهل العلم بالشعر .

ذكر المرأة المتعرضة لنكاح عبد الله بن عبد المطلب

قال ابن إسحاق : ثم انصرف عبدُ المطلب آخذاً بيد عبد الله ، فمرَّ به
- فيما يزعمون - على امرأة من بني أسد بن عبد العزى بن قُصَيِّ بن كلاب
ابن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيٍّ بن غالب بن فِهْر : وهى أخت وَرَقَة بن نَوْفَل
ابن أسد بن عبد العزى : وهى عند الكعبة : فقالت له حين نظرت إلى وجهه :
أين تذهب يا عبد الله ؟ قال : مع أبى . قالت : لك مثلُ الإبل التى نَحِرَتْ
عنك : وقع على الآن . قال : أنا مع أبى ، ولا أستطيع خِلافَه . ولا فراقه .

فخرج به عبدُ المطلب حتى أتى به وهبَ بن عبد مناف بن زُهرَة
ابن كلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيٍّ بن غالب بن فِهْر - وهو يومئذ سيّد
بني زُهرَة نسباً وشرفاً - فزوَّجه ابنته آمنة بنتَ وهب ، وهى يومئذ أفضلُ
امرأة فى قُرَيْش نسباً وموضعا .

وهى لَبَرَة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قُصَيِّ بن كلاب
ابن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَيٍّ بن غالب بن فِهْر . وِبَرَة : لأم حبيب بنت

أسد بن عبد الغزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر . وأم حبيب : لبرة بنت عوف بن عبيد بن عويم بن عدى ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر .

فزعوا أنه دخل عليها حين أملاكها مكانه ، فوقع عليها ، فحملت برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم خرج من عندها ، فأتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت ، فقال لها : مالك لا تعرضين علىّ اليوم ما كنتِ عرضتِ علىّ بالأمس ؟ قالت له : فارقك النور الذى كان معك بالأمس ، فليس [لى] بك اليوم حاجة . وقد كانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل - وكان قد تنصّر وانتبّع الكتّاب : أنه كائنٌ في هذه الأمة نبي .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبى إسحاق بن يسار : أنه حدث ، أن عبد الله إنما دخل على امرأة كانت له مع آمنة بنت وهب ، وقد عمل في طين له ، وبه آثار من الطين ، فدعاها إلى نفسه ، فأبطأت عليه لما رأت به من أثر الطين ، فخرج من عندها فتوضأ وغسل ما كان به من ذلك الطين ، ثم خرج حامدا إلى آمنة ، فمرّ بها ، فدعته إلى نفسها ، فأبى عليها ، وعهد إلى آمنة ، فدخل عليها فأصابها ، فحملت بمحمد - صلى الله عليه وسلم - ثم مرّ بامرأته تلك : فقال لها : هل لك ؟ قالت : لا ، مررت بى وبين عَيْنَيْكَ غُرّة بيضاء ، فدعوتك فأبيت علىّ ، ودخلت على آمنة فذهبت بها .

قال ابن إسحاق : فزعوا أن امرأته تلك كانت تحدث : أنه مرّ بها وبين عَيْنَيْهِ غُرّة مثل غُرّة الفرس ، قالت : فدعوته رجاء أن تكون تلك

بني ، فأبى عليّ ، ودخل على آمنة ، فأصابها ، فحملت برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أوسط قومه نسبا ، وأعظمهم شرفا من قبل أبيه وأمه - صلى الله عليه وسلم .

ذكر ما قيل لآمنة عند حملها برسول الله

صلى الله عليه وسلم

ويزعمون - فيما يتحدث الناس والله أعلم - أن آمنة ابنة وهب أم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانت تحدث :

أنها أنبتت ، حين حملت برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فليل لها : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ، فإذا وقع إلى الأرض ، فقول : أعيذه بالواحد ، من شر كل حاسد ، ثم سميه : محمداً . ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت به قصور بصرى ، من أرض الشام .

ثم لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب ، أبو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن هلك ، وأم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حامل به .

نذر عبد المطلب :

فصل : وذكر نذر عبد المطلب أن ينحر ابنه إلى آخر الحديث . وفيه أن عبد الله ، يعنى : والد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان أصغر بني أبيه ، وهذا غير معروف ، ولعل الرواية : أصغر بني أمه ، وإلا فخمزة كان أصغر من عبد الله ، والعباس : أصغر من حمزة ، ورؤى عن العباس - رضى الله عنه - أنه قال : أذكر مولد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنا

ابن ثلاثة أعوامٍ أو نحوها ، فجىء بى حتى نظرت إليه ، وجعل النسوة يقنن
لى : قَبِّلْ أَخاك ، قَبِّلْ أَخاك ، فقبلته ، فكيف يصح أن يكون عبدُ الله هو
الأصغر مع هذا ؟ ! ولكن رواه البَـكَّائِيُّ كما تقدم ، ولروايته وجه ، وهو
أن يكونَ أصغرَ ولد أبيه حين أراد نحره ، ثم وُلد له بعد ذلك حمزةُ
والعباسُ .

وسائرُ حديث عبد المطلب ليس فيه ما يُشكِل . وفيه أن الدِّيةَ كانت

(١) أولاد عبد المطلب هم — كما فى نسب قريش : عبد الله ، وأبو طالب
— واسمه : عبد مناف — والزبير ، وأم حكيم البيضاء الملقبة بالحصان — بفتح
الحاء — توأمة عبد الله والد الرسول — صلى الله عليه وسلم — وعاتكة ، ومرة ،
وأميمة ، وأروى أمهم : فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، وحمزة ،
والمقوم ، وحجل أو جحل — واسمه : المغيرة — وصفية وأمهم : هالة بنت
أهيب بن عبد مناف بن زهرة ، والعباس وضرار ، وأمهما نذيلة بنت جناب
ابن كليب ، والحارث وهو أكبر ولده ، وبه كان يكنى — وقثم هلك صغيرا وأمهما :
صفية بنت جندب بن حجير بن رثاب ، وأبو لهب — واسمه عبد العزى — وأمه :
لبنى بنت هاجر بن عبد مناف . والغيداق — واسمه : مصعب ، وأمه خزاعية
وفى جمهرة أنساب العرب : عبد الله ، وأبو طالب ، وأبو لهب ، ويكنى أبا عتبة
والزبير والمقوم والحارث وحمزة والعباس ، وأربع بنات . فعبد الله ، وأبو طالب
والزبير وأم حكيم ، وعاتكة ، ومرة ، وأميمة ، وأروى . أشقاء من
أم واحدة .

وحمزة والمقوم وحجل وصفية أشقاء من أم واحدة .

والعباس وضرار شقيقان ، والحارث ، وقثم شقيقان ، وأبو لهب من أم ،
والغيداق من أم .

بِعَشْرِ مِنَ الْإِبِلِ قَبْلَ هَذِهِ الْقِصَّةِ : وَأَوَّلُ مَنْ وُدِّي بِأَلْفَةِ إِذَا : عَبْدُ اللَّهِ . وَقَدْ قَدَّمْنَا مَا ذَكَرَهُ الْأَصْبَهَانِيُّ عَنْ أَبِي الْيَقْظَانِ أَنَّ أَبَا سَيَّارَةَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ جَعَلَ الدِّيَّةَ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ ، وَأَمَّا أَوَّلُ مَنْ وُدِّي بِالْإِبِلِ مِنَ الْعَرَبِ : فَزَيْدُ ابْنِ بَكْرٍ بْنُ هَوَازِنٍ قَتَلَهُ أَخُوهُ مُعَاوِيَةُ جَدُّ بَنِي عَامِرٍ بْنِ صَعَصَعَةَ (١) .

وَأَمَّا الْكَاهِنَةُ الَّتِي تَحَاكَمُوا إِلَيْهَا بِالْمَدِينَةِ فَاسْمُهَا : قُطَيْبَةُ . ذَكَرَهَا عَبْدُ الْغَفِيِّ فِي كِتَابِ الْغَوَامِضِ وَالْبَهْمَاتِ ، وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي رِوَايَةِ يُونُسَ أَنَّ اسْمَهَا : سَجَّاحٌ .

تَزْوِيجُ عَبْدِ اللَّهِ :

فَصَلِّ : وَذَكَرَ تَزْوِيجَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلِبِ أَمْنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ ، وَذَكَرَ الْبَرْقِيُّ فِي سَبَبِ تَزْوِيجِ عَبْدِ اللَّهِ أَمْنَةَ : أَنَّ عَبْدَ الْمَطْلِبِ كَانَ يَأْتِي الْيَمِينَ ، وَكَانَ يَنْزِلُ فِيهَا عَلَى عَظِيمٍ مِنْ عِظَاهُمُ ، فَنَزَلَ عِنْدَهُ مَرَّةً ، فَإِذَا عِنْدَهُ رَجُلٌ يَمْنَنُ قُرْآنَ الْكِتَابِ ، فَقَالَ لَهُ : ائْذَنْ لِي أَقْسُ مِنْ خَيْرِكَ (٢) ، فَقَالَ : دُونَكَ فَانْظُرْ ، فَقَالَ : أَرَى نُبُوَّةً وَمُلْكًا ، وَأَرَاهَا فِي الْمَنَافَيْنِ : عَبْدِ مَنَافٍ بْنُ قُصَيٍّ ، وَعَبْدِ مَنَافٍ بْنُ زَهْرَةَ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ عَبْدُ الْمَطْلِبِ انْطَلَقَ بِابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ ،

(١) اسم زيد في جبهة أنساب العرب : يزيد . وفيه أيضا أن يزيد هو الذي قتل معاوية ، فجعل فيه عامر بن الظرب العدة وافي مائة من الإبل ، وهي أول دية قضى فيها بذلك ، وتقول العرب إن لقمان كان جعلها قبل ذلك مائة جدى . ص ٢٥٢ جبهة ابن حزم .

(٢) في القاموس — بفتح الميم والخاء وبكسرهما وضمهما ، وكمجلس وملبول . بضم الميمين ، : الأنف .

فتزوج عبد المطلب هالة بنت وهيب^(١) ، وهى أم حمزة - رضى الله -
عنه ، وزوج ابنه عبد الله آمنه بنت وهب ، فولدت له رسول الله - صلى الله
عليه وسلم .

مول أمهات النبي صلى الله عليه وسلم :

وذكر أمها وأم أمها ، والثالثة وهى : برة بنت عوف^(٢) ، وقد قدمنا
في أول المولد ذكر أم الثالثة والرابعة والخامسة^(٣) ونسبهن ، فليُنظر هنالك .
وأما أم هالة فهى : العَبْلَةُ بنت المطلب ، وأمها : خديجة بنت سَعِيد بن
سَهْم^(٤) ، وقد أشكل على بعض الناس في هذا الخبر أن عبد المطلب نَذَرَ

(١) في نسب قريش : أهيب ص ١٧ ، وفي جمهرة ابن حزم ص ١٣ : وهيب .
(٢) في السيرة : برة بنت عوف بن عبيد بن عويج . وفي كتاب حذف
نسب قريش للسدوسى ص ٦ : ضبطت عويج بفتح العين . وكسر الواو . وأكثر
المراجع ذكرته بضم العين وفتح الواو .

(٣) في نسب قريش عن أم برة : « وأمها أميمة بنت مالك بن غنم بن حنش
ابن عادية بن كعب بن طابخة بن لحيان بن مُهذِل ، وأمها : قلابة بنت الحارث -
وهو أبو قلابة الشاعر ، وهو أقدم من قال الشعر في هذيل . واسم أبي قلابة :
الحارث بن صعصعة بن كعب بن طابخة بن لحيان بن مُهذِل . وأمها : دَبَّةُ
بنت الحارث بن تميم وأمها : لبنى بنت الحارث بن النعمان بن جرمة بن
أَسَيْد بن عمرو بن تميم بن مُرَّ بن أد بن طابخة بن الياس ص ٢١ وأم حبيب
بنت أسد المذكورة في السيرة سماها السدوسى : حبيبة ص ٦ .

(٤) في نسب قريش ص ٩٢ ذكر أن أمها هى خديجة بنت سعيد بن بحر بن
سهم بن عمرو بن هُصَيْص ولكن ذكر في ص ١٧ أن أمها هى خديجة بنت
سَعِيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هُصَيْص : وليس لسهم بن عمرو ولد اسمه =

نَحَرَ أَحَدَ بَنِيهِ إِذَا بَلَغُوا عَشْرَةَ ، ثُمَّ ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ أَنَّ تَرْوِيحَهُ هَالَةٌ أُمَّ
ابْنِهِ حَمْرَةٌ كَانَ بَعْدَ وَفَاةِ بَنْدَرِهِ ، حَمْرَةٌ وَالْعَبَّاسُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - إِنَّمَا
وُلِدَا بَعْدَ الْوَفَاءِ بَنْدَرِهِ ، وَإِنَّمَا كَانَ جَمِيعُ أَوْلَادِهِ عَشْرَةَ . وَلَا إِشْكَالَ فِي هَذَا ،
فَإِنْ جَاءَهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ قَالُوا : كَانَ أَعْمَامُهُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - اثْنَتَيْ عَشَرَ ، وَقَالَ
أَبُو عُمَرَ ، فَإِنْ صَحَّ هَذَا فَلَا إِشْكَالَ فِي الْخَبَرِ ، وَإِنْ صَحَّ قَوْلُ مَنْ قَالَ : كَانُوا
عَشْرَةً بَلَا مَزِيدَ ، فَالْوَلَدُ يَقَعُ عَلَى الْبَنِينَ وَبَنِيهِمْ حَقِيقَةً لَا مَجَازًا ، فَكَانَ
عَبْدُ الْمَطْلَبِ قَدْ اجْتَمَعَ لَهُ مِنْ وَلَدِهِ وَوَلَدِ وَلَدِهِ عَشْرَةُ رِجَالٍ حِينَ وَفَى بَنْدَرِهِ .
المرأة التي دعت عبد الله :

ويروى أن عبد الله بن عبد المطلب حين دعت المرأة الأَسَدِيَّةَ إِلَى نَفْسِهَا لِمَا
رَأَتْ فِي وَجْهِهِ مِنْ نُورِ النُّبُوَّةِ ، وَرَجَتْ أَنْ تَحْمَلَ بِهَذَا النَّبِيِّ ، فَتَكُونَ
أُمَّهُ دُونَ غَيْرِهَا ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ حِينَئِذٍ فِيمَا ذَكَرُوا :

أَمَّا الْخُرَامُ فَالْحَامُ دُونَهُ وَالْحِلُّ لَا حِلَّ فَأَسْتَبَيْنَهُ
فَكَيْفَ بِالْأَمْرِ الَّذِي تَبَغَيْنَهُ يَحْمِي الْكَرِيمُ عِرْضَهُ وَدِينَهُ ؟ !
واسم هذه المرأة : رُقِيَّةُ ^(١) بنت نَوْفَلٍ أُخْتُ وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ ؛ تُكْنَى : أُمَّ

بحر . وَإِنَّمَا كُلُّ وَلَدِهِ سَعِيدٌ وَرَثَابٌ . وَمِنْ وَلَدِ سَعِدٍ : سَعِيدٌ الَّذِي أَعْقَبَ
أَوْلَادًا مِنْهُمْ : خَدِيجَةٌ هَذِهِ الَّتِي يَذْكُرُ أَنَّهَا أُمُّ عُبَلَةَ . انْظُرْ ص ٤٠٠ ، ٤٠٦ نَسَبِ
قُرَيْشٍ ، وَلَمْ يَذْكُرْ مِنْ أَوْلَادِ سَعِيدِ بْنِ سَهْمٍ مِنْ اسْمِهَا خَدِيجَةٌ ، وَإِنَّمَا قَالَ : إِنَّ أُمَّهَا بِنْتُ
سَعِيدِ بْنِ سَهْمٍ ص ٤٠٨ وَانْظُرْ ص ١٥٤ وَمَا بَعْدَهَا جُمُورَةُ النِّسَبِ .

(١) فِي الْبَدَايَةِ ج ٢ ص ٢٦٢ أَنَّ اسْمَهَا رُقَيْيَةُ . وَقَدْ رَوَى ذَلِكَ الْبَيْهَقِيُّ
مِنْ طَرِيقِ يُونُسَ بْنِ بَكِيرٍ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ وَانْظُرْ ص ٥٣ مِنْ شَرْحِ السَّيْرِ لِلْخَشْنِيِّ .

قتال ، وبهذه الكُنية وقع ذكرها في رواية يونس عن ابن إسحاق ، وذكر
البرقي عن هشام بن الكلبي ، قال : إنما مر على امرأة اسمها : فاطمة (١)
بنت مُرٍّ ، كانت من أجل النساء وأعفن (٢) ، وكانت قرأت الكتب ، فرأت
نور النبوة في وجهه ، فدعته إلى نكاحها ، فأبى ، فلما أبى قالت :

إني رأيتُ مُخيلةً نشأت فتَلالأتِ بِحَنَاتِمِ الْقَطْرِ (٣)
فَلَمَّا تُهَا نُورًا يُضِيءُ بِهِ مَا حَوْلَهُ كِبَاضًا الْقَجْرِ (٤)
ورأيتُ سُقَيَّاهَا حَيًّا بَلَدٍ وَقَعَتْ بِهِ وَعِمَارَةَ الْقَفْرِ (٥)

(١) كانت - كما روى الخرائطي - كاهنة من أهل تبالة متهودة خثعمية ، وأنها
عرضت عليه مائة من الإبل ليقع عليها في لحظتها ، فأبى . وأقول : لم ترد مسألة
النور هذه في صحاح الأحاديث ، ولا يرفع من قيمة النبي - صلى الله عليه وسلم - أن نردد
هذا . وقزابة بن زهرة بن كلاب من رسول الله - ص - من وجهين . أحدهما :
أنهم أقارب أمه ، والثاني : لإخوة قصي بن كلاب بن مرة ، وهو جد والد جد النبي .
والمشهور أن زهرة اسم الرجل - وهو المغيرة - أما ابن قتيبة ، فيقول : لأنه اسم
امراته ص ٤١٧ ج ١١ فتح الباري .

(٢) في الأصل وأعفه .

(٣) الشعر ينسب أيضا إلى الخثعمية السكاهنة التي عرضت نفسها على عبد الله
والخيلة : السحابة التي تخالها ماطرة وهي بضم الميم وفتحها . وحناتم : جمع
حنتمة : السحابة السوداء لامتلأها من الماء ، وفي الطبري : لمعت بدلا من : نشأت .
(٤) لماتها : أبصرتها .

وفي الطبري : له ، والبدر بدلا من به ، والفجر ، والبيت في اللسان .

(٥) لا يوجد هذا البيت في الطبري .

ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق قال : وُلِدَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الاثنين ، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، عام الفيل .
قال ابن إسحاق : وحدثني المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخزومة عن أبيه عن جده قيس بن مخزومة . قال :

ولدت أنا ورسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - عام الفيل : فنحن لِدَتَانِ .
قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زُرَّارَةَ الأنصاري . قال :
حدثني من شئت من رجال قومي عن حسن بن ثابت ، قال : والله إني لفلان يَفْعَةُ ، ابن سبع سنين أو ثمان ، أعْقِلَ كُلِّ ما سمعت ، إذ سمعتُ يهوديا يصرخ بأعلى صوته على أطمَةٍ بَيْثَرَبَ : يامعشر يهود ! حتى إذا اجتمعوا إليه ، قالوا له : ويلك مالك ؟ ! قال : طَلَعَ الليلةَ نجمُ أحمد الذي وُلِدَ به .

ورأيتُه شَرَفًا أبوء به (١) ما كَلُّ قَادِحٍ زَنْدِهِ يُورِي
لِلَّهِ ما زُهْرِيَّةٌ سَلَبَتْ مِنْكَ الَّذِي اسْتَلَبْتَ وما تَدْرِي (٢)
وفي غريب ابن قتيبة : أن التي عرضت نفسها عليه هي : ليلي العَدْوِيَّةُ .

(١) في الطبري : فرجوها فخرا أبوء به .
(٢) في الطبري : ثوبك ما استلبت وما تدرى . هذا وقد ذكر الطبري لها قصيدة أخرى عدتها ست أبيات وجاء في آخرها .
ولما حوت منه أمينة ما حوت حوت منه فخرا ما لذلك ثاب

قال محمد بن إسحاق : فسألت سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ،
فقلت . ابنُ كَمْ كان حسان بن ثابت مَقْدَمَ رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - المدينة ؟ فقال : ابن سَتِّين ، وَقَدِمَهَا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
وهو ابن ثلاث وخمسين سنةً ، فسمع حسانُ ما سَمِعَ ، وهو ابن
سبع سنين .

قال ابن إسحاق : فلما وضعته أمُّه - صلى الله عليه وسلم - أرسلت إلى
جدِّه عبدِ المطلب : أنه قد وُلِدَ لك غلام ، فَأَتِهَ فانظر إليه ، فَأَتَاهُ فنظر إليه ،
وحدَّثَتْهُ بما رأت حين حَمَلَتْ به ، وما قيل لها فيه ، وما أُمِرَتْ به أن تُسَمِّيَه .
فیزعمون أن عبد المطلب أخذه ، فدخل به الكعبةَ ، فقام يدعو الله ،
ويشكر له ما أعطاه ، ثم خرج به إلى أمِّه فَدَفَعَه إليها ، والتمس لرسول الله -
صلى الله عليه وسلم - الرضعا .

قال ابن هشام : المراضع . وفي كتاب الله تبارك وتعالى في قصة موسى
عليه السلام : « وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ » .

قال ابن إسحاق : فاسترضع له امرأةٌ من بنى سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ ، يقال لها :
حليمة ابنةُ أَبِي ذُوَيْبٍ .

وأبو ذُوَيْبٍ : عبد الله بن الحارث بن شِجْنَةَ بن جابر بن رِزَامِ بن
ناصر بن فُضَيْمَةَ بن نَصْر بن سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ بن هُوَازِن بن مَنصُور بن عِكرمة
ابن خَصَفَةَ بن قَيْس بن عَيْلان [بن مضر] .

واسم أبيه الذي أرضعه - صلى الله عليه وسلم - الحارث بن عبد العزى
ابن رفاعه ابن ملآن بن ناصرة بن فضالة بن نصر بن سعد بن بكر
ابن هوازن .

قال ابن هشام : ويقال : هلال بن ناصرة .

قال ابن إسحاق : وإخوته من الرضاعة : عبد الله بن الحارث ، وأنيسة
بنت الحارث ، وخديجة بنت الحارث ، وهى الشيماء ، غلب ذلك على اسمها
فلا تُعرف فى قومها إلا به . وهم حليلة بنت أبى ذؤيب ، عبد الله بن الحارث ،
أم رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

ويذكرون أن الشيماء كانت تحضنه مع أمها إذا كان عندهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني جهم بن أبى جهم مولى الحارث بن حاطب
الجلحى : عن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، أو عمّن حدثه عنه قال :

كانت حليلة بنت أبى ذؤيب السعدية ، أم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
التي أرضعته ، تحدث : أنها خرجت من بلدّها مع زوجها ، وابن لها صغير
تُرضعه فى نسوة من بنى سعد بن بكر ، تلتمس الرضعاء ، قالت : وذلك
فى سنة شهباء ، لم تُبق لنا شيئاً . قالت : فخرجت على أنان لى قمرء ، معنا
شارف لنا ، والله ما تبصّ بقطرة ، وما ننام ليلنا أجمع من صبيّتنا الذى معنا ،
من بكائه من الجوع ، ما فى مديّ ما يُغنيه ، وما فى شارفنا ما يُغديه - قال ابن
هشام : ويقال : يُغديه - ولكنّا كنّا نرجو الغيث والفرج ، فخرجت على أنانى

تلك ، فلقد أدمنت بالرَّكْب ، حتى شقَّ ذلك عليهم ضعفاً وعَجَفاً ، حتى قَدِمْنَا مكة نلتمس الرضعاء ، فما مِنَّا امرأة إلا وقد عُرِضَ عليها رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فتأباه ، إذا قيل لها إنه يَتِيمٌ ، وذلك : أنا إنما كُنَّا نَرْجُو المعروفَ من أبي الصبيِّ ، فكُنَّا نقول : يَتِيمٌ ! وما عسى أن تصنع أمُّه وجدُّه ! فكنا نكرهه لذلك ، فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعاً غيري ، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي : والله إني لأكره أن أرجعَ من بين صَوَاحِبِي ولم آخذ رضيعاً ، والله لأذهبنَّ إلى ذلك اليتيم ، فلا أخذه ، قال : لا عليك أن تفعلِي ، عسى الله أن يجعلَ لنا فيه بركةً . قالت : فذهبتُ إليه فأخذه ، وما تَحَمَّلَنِي على أخذه إلا أني لم أجد غيره . قالت : فلما أخذه ، رجعت به إلى رَحْلي فلما وضعته في حِجْرِي أقبلَ عليه ندياً بما شاء من لبن ، فشرب حتى رَوِيَ ، وشرب معه أخوه حتى رَوِيَ ، ثم ناما ، وما كُنَّا ننام معه قبلَ ذلك ، وقام زوجي إلى شارفنا تلك ، فإذا إنها لحافلٌ ، فحلبَ منها ما شرب ، وشربتُ معه حتى انتهيناريًا وشبعنا ، فبتنا بخير ليلة . قالت : يقول صاحبي حين أصبحنا . تَعَلَّمِي والله يا حَلِيمَة ، لقد أخذت نَسمةً مباركة ، قالت : فقلت : والله إني لأرجو ذلك . قالت : ثم خرجنا وركبت أتانِي ، وحملتهُ عليها معي ، فوالله لقطعتُ بالرَّكْب ما يقدر عليها شيء من حُرْمٍ ، حتى إنَّ صَوَاحِبِي ليقنن لي : يا بنة أبي ذؤيب ، ويحك ! اربعي علينا ، أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها ؟ فأقول لهن : بلي والله ، إنها لهي هي ، فيقلن : والله إن لها لساناً . قالت : ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد . وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدبَ منها . فكانت غنمي تروح على حين قَدِمْنَا به معنا شِباعاً لبناً . فنحلبُ ونشرب .

وما يحب إنسان قطرة لبن ، ولا يجدها في ضرع . حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرُعيانهم : ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب فتروح أغنامهم جيعا ما تبضُ بقطرة لبن ، وتروح غنمي شبعا لبنا ، فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته ؛ وكان يشب شبابا لا يشبه العِلمان ، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جفرا . قالت : فقدمنا به على أمه ونحن أحرصُ شيء على مُكثته فينا ؛ لما كنّا نرى من بر كته . فكلّمنا أمه ، وقلت لها : لو تركتُ بنيّ عندي حتى يغاطّ ، فإنّي أخشى عليه وبأ مكة ، قالت : فلم نزل بها حتى ردّته معنا

قالت : فرجعنا به ، فوالله إنه بعد مَقدَمنا بأشهر مع أخيه لقيهم لنا خلف بيوتنا ، إذ أتانا أخوه يشتد ، فقال لي ولأبيه : ذاك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعا ، فشقّا بطنه ، فهما يسوطانه قالت : نفرجت أنا وأبوه نحوه ، فوجدناه قائما مُنتمعا وجهه . قالت : فالتزمته والتزمه أبوه ، فقلنا له : مالك يا بنيّ ، قال : جاءني رجلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعاي وشقّا بطني ، فالتمسا شيئا لا أدرى ما هو . قالت : فرجعنا إلى خبائنا .

قالت : وقال لي أبوه : يا حليمة ، لقد خشيتُ أن يكون هذا الغلامُ قد أُصيب ، فألحقه بأهله قبل أن يظهر ذلك به ، قالت : فاحتملناه ، فقدّمنا به على أمه ، فقالت : ما أقدمك به يا ظئُر ، وقد كنتِ حريصةً عليه ، وعلى مُكثته عندك ؟ قالت : فقلت : قد بلغ الله بابني وقضيتُ الذي عليّ ، وتخوّفت

الأحداث عليه ، فأدّيته إليك كما تحمين . قالت : ما هذا شأنك ، فاصدقيني خبرك . قالت : فلم تدعني حتى أخبرتها . قالت : أفتخوفت عليه الشيطان ؟ قالت : قلت : نعم ، قالت : كلا . والله ما للشيطان عليه من سبيل ، وإن لبنيّ لشأنا ، أفلا أخبرك خبره . قالت : بلى . قالت : رأيت حين حملت به : أنه خرج مني نورٌ أضاء لي قصورَ بصرى من أرض الشام . ثم حملت به ، فوالله ما رأيت من حمل قطّ كان أخفّ ولا أبسرَ منه ، ووقع حين ولدته ، وإنه لواضعٌ يديه بالأرض ، رافع رأسه إلى السماء . دعيه عنك ، وانطلقى راشدةً .

قال ابن إسحاق : وحدثني ثور بن يزيد ، عن بعض أهل العلم ، ولا أحسبه إلا عن خالد بن معدان الكلاعي : أن نقرأ من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قالوا له : يا رسول الله . أخبرنا عن نفسك ؟ قال : نعم ، أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى أخى عيسى ، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء لها قصورَ الشام ، واسترّضعتُ في بني سعد بن بكر . فبينما أنا مع أخٍ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا . إذ أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطّست من ذهب مملوءة ثلجا . ثم أخذاني فشقا بطني ، واستخرجا قلبي ، فشقاها . فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها . ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقماها ، ثم قال أحدهما لصاحبه : زينه بعشرة من أمته ، فوزنتي بهم فوزنتهم ، ثم قال : زنه بمئة من أمته . فوزنتي بهم فوزنتهم ، ثم قال : زنه بألف من أمته ، فوزنتي بهم فوزنتهم . فقال : دعه عنك ، فوالله لو وزنته بألف من أمته لوزنها .

فصل فى المولد

فى تفسير بَقِيَّ بن مُحَمَّدٍ أَنَّ إبليسَ - لعنه الله - رَنَّ أَرْبَعَ رَنَاتٍ : رَنَةً حينَ لَمِنَ ، وَرَنَةً حينَ أَهْبِطَ ، وَرَنَةً حينَ وُلِدَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - وَرَنَةً حينَ أُنْزِلَتْ فَاتِحَةُ الكتابِ . قالَ : والرَّائِنُ والنَّخَارُ^(١) من عَمَلِ الشَّيْطَانِ . قالَ : ويُكرَهُ أنْ يُقالَ : أمُّ الكتابِ ، ولكنْ : فَاتِحَةُ الكتابِ . وروى عن عُثْمَانَ بنِ أَبِي العاصِ عن أمِّ عُمَانَ^(٢) التَّقْفِيَّةِ ، واسمُها : فَاطِمَةُ بنتُ عبدِ الله ، قالتَ : « حَضَرْتُ ولادَةَ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - فَرَأَيْتُ البَيْتَ حينَ وُضِعَ قد اِمْتَلَأَ نوراً ، ورَأَيْتُ النُّجُومَ تَدْنُو حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهَا سَتَمَعُ عَلَيَّ » . ذَكَرَهُ أَبُو عُمَرَ فى كتابِ النساءِ . وَذَكَرَهُ

(١) الرنة : الصيحة الشديدة ، والصوت الحزين عند الغناء أو البكاء . والنخار صوت يخرج من الخياشيم .

(٢) فى الأصل : دَأْبِي العاصِ أمه عن أمِّ عُمَانَ ، والتصويب من كتب السنة وقد أسلم عثمان هذا فى وفد ثقف ، واستعمله النبي على الطائف ، وأقره أبو بكر ، ثم عمر . وهو الذى منع ثقيفا عن الردة إذ خطبهم ، فقال : كنتم آخر الناس لإسلاما ، فلا تكونوا أولهم ارتدادا ، وجاء عنه أنه شهد آمنه لما ولدت النبي صلى الله عليه وسلم ، وهى قصة أخرجها البيهقى فى الدلائل والطبرانى من طريق محمد بن أبى سويد للثقفى عنه ، قال : حدثنى أُمى : فعلى هذا يكون عاش نحواً من ١٢٠ سنة . والإصابة رقم ٥٤٣٣ ، وحديثها لم يروه سوى البيهقى والطبرى وابن عبد البر . ويقول الزركشى : إن ولادة النبي صلى الله عليه وسلم ، كانت نهاراً ، ونقل تضعيف ابن دحية لرواية تدلى النجوم ليلة مولده .

الطَّبْرِيُّ أَيْضًا فِي التَّارِيخِ (١) . وَوُلِدَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَعْدُورًا مَسْرُورًا ، أَيْ : مَخْتُونًا مَقْطُوعَ الشَّرَّةِ (٢) . يُقَالُ : عُذِرَ الصَّبِيُّ وَأُعْذِرَ . إِذَا خُتِنَ ، وَكَانَتْ أُمُّهُ تَحْدُثُ أَنَّهُ لَمْ تَجِدْ حِينَ تَحَمَّلَتْ بِهِ مَا تَجِدُهُ الْحَوَامِلُ مِنْ ثَقَلٍ وَلَا وَحَمٍ ، وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ ، وَلَمَّا وَضَعَتْهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَعَ إِلَى الْأَرْضِ مَقْبُوضَةً أَصَابِعُ يَدَيْهِ ، مُشِيرًا بِالسَّبَابَةِ كَالْمُسَبِّحِ بِهَا ، وَذَكَرَ ابْنُ دُرَيْدٍ أَنَّهُ أَلْقَيْتَ عَلَيْهِ جَفَنَةً لِنَلَايَرَاهُ أَحَدًا قَبْلَ جَدِّهِ ، فَجَاءَ جَدُّهُ ، وَالْجَفَنَةُ قَدْ انْفَلَقَتْ عَنْهُ (٣) ، وَلَمَّا قِيلَ لَهُ : مَا سَمَّيْتَ ابْنَكَ ؟ فَقَالَ : مُحَمَّدًا ، فَقِيلَ لَهُ :

(١) ص ١٥٦ ج ٢ الطبري .

(٢) ضعف ابن كثير كل الأحاديث التي رويت عن هذا ثم قال : « وقد ادعى بعضهم صحته لما ورد له من الطرق ، حتى زعم بعضهم أنه متواتر ، وفي هذا كله نظر ، وقال عن الحديث الذي زعم فيه الراوي أن جبريل ختن النبي : « وهذا غريب جدا » . ثم قال : « وقد روى أن جده عبد المطلب ختنه ، وعمل له دعوة جمع قريشاً عليها ، ص ٢٦٥ ج ٢ البداية . وقال ابن القيم في زاد المعاد : « إنه روى في كونه ولد مختوناً مسروراً حديث لا يصح ، ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ، ثم قال : وليس فيه حديث ثابت ، وليس هذا من خواصه ، فإن كثيراً من الناس يولد مختوناً ، ويقول ابن العديم : إنه صلى الله عليه وسلم ختن على عادة العرب .

(٣) الذي ذكره ابن دريد : « وكانت سنهم في المولود إذا ولد في استقبال الليل كَفَسُوا عَلَيْهِ قَدْرًا حَتَّى يَصْبَحَ ، ففعلوا ذلك بالنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَصْبَحُوا ، وَقَدْ انشَقَّتْ عَنْهُ الْقَدَرُ » ص ٨ الاشتقاق ط ١ السنة المحمدية ، ولم يسندها إلى أحد . وأقول : كل ما سبق ذكره لم يرد في حديث يعتد به . وليس الرسول عليه الصلاة والسلام في حاجة إلى أن نكذب له ، وليس من الصلاة عليه أن نكذب عليه !!

ابن عَوْف بن عمرو بن عَوْف بن مالك بن الأَوْس ، والآخر : محمد بن
خُمران بن ربيعة ، وكان آباء هؤلاء الثلاثة قد وَقَدُوا على بعضِ الملوك ، وكان
عنده عِلْمٌ من الكتابِ الأوَّلِ ، فأخبرهم بمبعثِ النبي - صلى الله عليه وسلم -
وباسمه ، وكان كلُّ واحدٍ منهم قد خَلَفَ امرأته حاملاً ، فنذر كلُّ واحدٍ منهم :
إن وُلد له ذَكَرٌ أن يُسمِّيَه محمداً ، ففعلوا ذلك .

قال المؤلف : وهذا الاسم منقول من الصفة ، فالمُحَمَّدُ في اللغة هو الذي
يُحَمَّدُ محمداً بعد حمد ، ولا يكون مُفَعَّلٌ مثل : مُضَرَّبٌ ومُمدَّحٌ إلا لمن تسكر
فيه الفعلُ مرةً بعد مرة .

وأما أحمد فهو اسمُه - صلى الله عليه وسلم - الذي يُسمَّى به على لسان
عيسى وموسى - عليها السلام - ، فإنه منقول أيضاً من الصِّفَةِ التي معناها

== وفي القاموس ، وفي جهرة أنساب العرب . وفي الاشتقاق لابن دريد
عن محمد بن أحبيحة أنه محمد بن بلال بن أحبيحة ، وفي جهرة أنساب العرب :
محمد بن عقبة بن أحبيحة . وفي اللسان عن ابن بري أن من سمى في الجاهلية
بمحمد هم سبعة ، وقد عدهم وذكر منهم الثلاثة الذين ذكرهم السهيلي . وانظر
ص ١٦ نسب قريش ، ص ٩ الاشتقاق ، ص ٢١٥ جهرة ابن حزم ، ومادة حمد
في اللسان ومادة جحب في القاموس . وفي الخزائن للبغدادى ورد أن الذين سموا باسم
محمد في الجاهلية يبلغون عشرين أو خمسة عشر ، وذكر مغلاطى أن عددهم خمسة عشر
رجلاً . انظر ص ٨ ، ٩ الاشتقاق بتعليقات الأستاذ عبد السلام هارون ،
هذا ويذكر ابن دريد أن العرب سميت في الجاهلية : أحمد ، وذكر منهم أربعة ص ٩
وبما بعدها .

التَّفْضِيلُ ، فمعنى أحمد : أى أَحْمَدُ الحامدين لربه ، وكذلك هو المعنى ؛ لأنه
تُفْتَحُ عليه فى المقام الحمد لمحمد لم تُفْتَحْ على أحد قبله ، فيحمد ربه بها ؛
ولذلك يُقَدَّرُ له لواء الحمد .

وأما محمد فنقول من صِفةٍ أيضاً ، وهو فى معنى : محمود . ولكن فيه معنى
المبالغة والتكرار ، فالحمدُ هو الذى حُمدَ مرة بعد مرة ، كما أن المُكْرَمَ مَنْ
أَكْرِمَ مرة بعد مرة ، وكذلك : المُمَدِّحُ ، ونحو ذلك . فاسم محمد مطابق لمعناه ،
والله - سبحانه - وتعالى سماه به قبل أن يُسَمَّى به نفسه ، فهذا عِلْمٌ من أعلام نبوته ؛
إذ كان اسمه صادقا عليه ، فهو محمود - عليه السلام - فى الدنيا بما هدى
إليه ، ونَفَعَ به من العلم والحكمة ، وهو محمود فى الآخرة بالشفاعة ، فقد تكرر
معنى الحمد كما يقتضى اللفظ ، ثم إنه لم يكن محمداً ، حتى كان أَحْمَدَ حَمْدِ رَبِّهِ
فنبأه وشرَّفه ؛ فلذلك تقدم اسمُ أَحْمَدَ على الاسم الذى هو مُحَمَّدٌ ، فذكره
عيسى - صلى الله عليه وسلم - فقال : اسمه أَحْمَدُ ، وذكره موسى
- صلى الله عليه وسلم - حين قال (١) له ربُّه : تلك أمة أحمد ، فقال : اللهم اجعلنى
من أمة أحمد ، فبأحمد ذكر قبل أن يُذكر بحمد ؛ لأن حمده لربه كان قبل
حمدِ الناسِ له ، فلما وُجد وبُعث ، كان محمداً بالفعل .

وكذلك فى الشفاعة يَحْمَدُ رَبَّهُ بالحامدِ التى يفتحها عليه ، فيكون أحمد
الحامدين لربه ، ثم يُشَفَّعُ فيُحْمَدُ على شفاعته . فانظر : كيف ترتب هذا

(١) قبل هذا ورد كما ذكر ابن القيم : « موسى قال لربه : يا رب إني أجد
أمة من شأنها كذا وكذا ، فاجعلهم أمتي » ، ص ١٢٦ جلاء الأفهام وهو حديث ساقط

الاسمُ قبل الاسم الآخر^(١) في الذكر والوجود ، وفي الدنيا والآخرة تُلج

(١) أطال ابن القيم في إبداع في شرح أسماء النبي صلى الله عليه وسلم ، وفترق بين محمد وأحمد من وجهين، فقال : «أحدهما محمدان: هو المحمود خدا بعد حمد ، فهو دال على كثرة حمد الحامدين له ، وذلك يستلزم كثرة موجبات الحمد فيه ، وأحمد : أفعال تفضيل من الحمد يدل على أن الحمد الذي يستحقه أفضل مما يستحقه غيره . فحمد : زيادة حمد في السكينة ، وأحمد : زيادة في الكيفية . فيحمد أكثر حمد ، وأفضل حمد حمده البشر . والوجه الثاني : أن محمدا هو المحمود خدا متكررا كما تقدم ، وأحمد هو الذي حمده لربه أفضل من حمد الحامدين غيره ، فدل أحد الاسمين وهو : محمد على كونه محمودا ، ودل الاسم الثاني ، وهو أحمد على كونه أحد الحامدين لربه ، ثم رد ابن القيم على السهيلي فقال : « وقد ظن طائفة منهم : أبو القاسم السهيلي وغيره أن تسميته — صلى الله عليه وسلم — بأحمد كانت قبل تسميته بمحمد ، ثم ذكر ابن القيم ما استدل به السهيلي ، ثم قال : « وبنوا على ذلك أن اسم أحمد تفضيل من فعل الفاعل ، أى : أحمد الحامدين لربه ، ومحمد هو المحمود الذي تحمده الخلائق ، وإنما يترتب هذا الاسم بعد وجوده وظهوره ، فإنه حينئذ حمده أهل السماء والأرض ، ويوم القيامة يحمده أهل الموقف ، فلما ظهر إلى الوجود وترتب على ظهوره من الخيرات ما ترتب ، فحمده حينئذ الخلائق خدا مكررا ، فتأخرت تسميته بمحمد ، وهذا يقربه كل عالم من مؤمنى أهل الكتاب ، ومضى ابن القيم يناقش رأى السهيلي هذا ، فقال ردا عليه : إن محمدا — صلى الله عليه وسلم — سمي باسم محمد في التوراة ، وهى قبل الإنجيل ، ثم استشهد ابن القيم على رأيه هذا بآيات ذكر أنها من التوراة ، ومضى يثبت بتفسيرها أنها تؤيد ما ذهب إليه ، وقد أطال في هذا ، ثم قال : « والمقصود أن اسم النبي في التوراة محمد « ص » ، كما هو في القرآن محمد ، وأما المسيح ، فإنما سماه : أحمد ... فإذا تسميته بأحمد وقعت متأخرة عن تسميته محمدا في التوراة . ومتقدمة على تسميته محمدا في القرآن ، فوقعت بين التسميتين محفوفة بهما وقد تقدم أن هذين الاسمين صفتان في الحقيقة . والوصفية فيها لاتنافي العلمانية ، وأن معناهما مقصود ، فعرف عند كل أمة بأعرف الوصفين عندها ، فحمد =

لك الحكمة الإلهية في تخصيصه بهذين الاسمين ، وانظر : كيف أنزلت عليه

== مفتعل من الحمد ، وهو الكثير الخصال التي يحمدها عليها حمدا متكررا حمدا بعد حمد . وهذا إنما يعرف بعد العلم بخصال الخير ، وأنواع العلوم والمعارف والأخلاق والادوصاف والأفعال التي يستحق تكرار الحمد عليها ، ولا ريب أن بني إسرائيل هم أولو العلم الأول . . . فعرف النبي (ص) عند هذه الأمة باسم محمد الذي قد جمع خصال الخير التي يستحق أن يحمدها عليها حمدا بعد حمد ، وعرف عند أمة المسيح بأحمد الذي يستحق أن يحمده أفضل مما يحمده غيره ، والذي حمده أفضل من حمد غيره ، فإن أمة المسيح أمة لهم من الرياضات والأخلاق والعبادات ما ليس لأمة موسى ، ولهذا كان غالب كتابهم مواعظ وأخلاقا وحضا على الإحسان . . . فجاء اسمه عند هذه الأمة بأفعل التفضيل الدال على الفضل والكمال ، كما جاءت شريعتهم بالفضل المسكل لشريعة التوراة ، وجاء في الكتاب الجامع لمحاسن الكتب قبله — يعني القرآن — بالاسمين معا ، فتدبر هذا الفصل . . . وقال : إن الشرائع ثلاثة : شريعة عدل ، وهي : شريعة التوراة فيها الحكم والقصاص ، وشريعة فضل وهي : شريعة الإنجيل مشتملة على العفو ومكارم الأخلاق والصفح والإحسان ، وشريعة جمعت هذا وهذا ، وهي : شريعة القرآن ، فإنه يذكر العدل ويوجبه ، والفضل ويندب إليه . وقول أبي القاسم — يعني السهيلي — إن اسم محمد — صلى الله عليه وسلم — إنما ترتب بعد ظهوره في الوجود ؛ لأنه حينئذ حمدا مكررا ، فكذلك يقال في اسمه أحمد أيضا ، سواء . وقوله في اسمه أحمد : لأنه تقدم لكونه أحمد الحامدين لربه ، وهذا يقدم على حمد الخلائق له فبناء منه على أنه — أى : أحمد — تفضيل من فعل الفاعل ، وأمّا على القول الآخر الصحيح — يعني التفضيل من فعل المفعول — فلا يجيء هذا ، وقد ذهب ابن القيم إلى أن الاسمين محمدا وأحمد إنما يقعان على المنعول ، لأنه يحمده أكثر مما يحمده غيره وذلك أبلغ في مدحه وأتم معنى ، لأنه لو أريد به معنى الفاعل لسمى الحماد ، وهو كثير الحمد ، كما سمي : محمدا ، وهو المحمود كثيرا ؛ فإنه كان أكثر الخلق حمدا لربه ، فلو كان اسمه باعتبار الفاعل — يعني أنه فاعل الحمد — لكان الأول أن يسمى ==

سورة الحمد وخصَّ بها دون سائر الأنبياء ، وخص بلواء الحمد ، وخص بالمقام المحمود ، وانظر : كيف شرع لنا سنة وقرأنا أن نقول عند اختتام الأفعال ، وانقضاء الأمور : الحمد لله رب العالمين . قال الله سبحانه وتعالى : « وقضى بينهم بالحق وقيل : الحمد لله رب العالمين » الزمر : ٧٥ . وقال أيضا : « وآخر دعوانهم : أن الحمد لله رب العالمين » يونس : ١٠ . تنبيهنا لنا على أن الحمد مشروع لنا عند انقضاء الأمور . وسنَّ - صلى الله عليه وسلم - الحمد بعد الأكل والشرب ، وقال عند انقضاء السفر : آيئون تائبون عابدون لربنا حامدون (١) .

ثم انظر لكونه - عليه السلام - خاتم الأنبياء ، ومؤذنا بانقضاء الرسالة ، وارتفاع الوحي ، ونذيرا بقرب الساعة وتمام الدنيا مع أن الحمد كما قدمنا مقرَّون بانقضاء الأمور ، مشروعٌ عنده - تجذَّ معاني أسمائه جميعا ، وما خصَّ به من الحمد والحمد مُشاكلا لمعناه ، مطابقا لصفته ، وفي ذلك بُرْهانٌ عظيمٌ ، وعلمٌ واضحٌ على نبوته ، وتخصيصُ الله له بكرامته ، وأنه

== حمادا ، كما أن اسم أمته : الحمادون . وأيضا فإن الاسمين إنما اشتقا من أخلاقه وخصائله المحمودة التي لاجلها استحق أن يسمى : محمدا ، وأحمد ، فهو الذي يحمده أهل الدنيا وأهل الآخرة ، ويحمده أهل السماء والأرض ، فلكثرة خصائله المحمودة التي تفوت عد العادين سمى باسمين من أسماء الحمد يعقضيان التفضيل والزيادة في القدر والصفة . ص ١٢٥ جلاء الأفهام للإمام ابن القيم .

(١) رواه مسلم .

قَدَّمَ لَهُ هَذِهِ الْمُقَدِّمَاتِ قَبْلَ وَجُودِهِ تَكْرِمَةً لَهُ ، وَتَصَدِيقًا لِأَمْرِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَشَرَفَ وَكَرَّمَ .

تَعْوِيزُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ :

وَذُكِرَ أَنَّ عَبْدَ الْمَطْلَبِ دَخَلَ بِهِ السَّكْبَةَ وَعَوَّذَهُ ، وَدَعَا لَهُ . وَفِي غَيْرِ رِوَايَةٍ ابْنُ هِشَامٍ أَنَّ عَبْدَ الْمَطْلَبِ قَالَ وَهُوَ يَعُوذُهُ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْطَانِي هَذَا الْغَلَامَ الطَّيِّبَ الْأُرْدَانِ
قَدْ سَادَ فِي الْمُهْدِ عَلَى الْغِلْمَانِ أُعِيذُهُ بِالْبَيْتِ ذِي الْأَرْكَانِ
حَتَّى يَكُونَ بُلْغَةَ الْفَتَيَانِ حَتَّى أَرَاهُ بِالْعِزِّ الْبُنْيَانِ
أُعِيذُهُ مِنْ كُلِّ ذِي شَنَانٍ مِنْ حَاسِدٍ مُضْطَرِبِ الْعِنَانِ
ذِي هِمَّةٍ لَيْسَ لَهُ عَيْنَانِ حَتَّى أَرَاهُ رَاقِعَ السَّانِ (١)
أَنْتَ الَّذِي سُمِّيتَ فِي الْقُرْآنِ فِي كُتُبٍ ثَابِتَةِ الْمُنَانِ
أَحْمَدُ مُكْتُوبٌ عَلَى الْبَيَانِ (٢)

(١) كَذَا ١١ وَلَعَلَّهَا الشَّاقُ فِي رِوَايَةٍ : الْلسَانُ .

(٢) فِي الْبَدَايَةِ : الْلسَانُ ، وَلَيْسَ لِهَذَا سَنَدٌ صَحِيحٌ . وَفِي كَلِمَاتِهِ دَلِيلٌ أَنَّهُ كَذِبٌ مَفْتَرٍ . وَكَذَلِكَ مَا رَوَى ابْنُ هِشَامٍ مِنْ قَوْلِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ . « أُعِيذُهُ بِالْوَاحِدِ مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ ، فَقَدْ قَالَ الْعِرَاقِيُّ : لَا أَصْلَ لَهَا . وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي الدَّلَائِلِ ، وَقَالَ عَنْهُ الشَّامِيُّ : وَسَنَدُهُ وَاهٍ حَدَا .

تاريخ مولده :

فصل : وذكر أن مولده عليه السلام كان في ربيع الأول ، وهو المعروف (١)

(١) روى مسلم في صحيحه أن أعرابيا سأل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عن صيام يوم الاثنين فقال : « ذاك يوم ولدت فيه ، وأنزل على فيه » ، انفرد بإخراجه مسلم ، وروى أحمد في حديث تفرد به أنه ولد يوم الاثنين واستنبت يوم الاثنين . ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين .

والجمهور على أنه كان في ربيع الأول ، لكن متى ؟ ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب والواقدي أنه كان لليلتين خلتا منه .

ومن قالوا بأنه كان لثمان خلون منه : ابن حزم ، وقد روى هذا مالك وعقيل ويونس بن يزيد وغيرهم عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم ، وذكر ابن عبد البر أن أصحاب التواريخ صححوا هذا . وقطع به محمد بن موسى الخوارزمي الحافظ الكبير ، ورجحه أبو الخطاب بن دحية ، وقيل : كان لعشر خلون منه . وقيل لثنتي عشرة خلوت منه ، وقيل : لسبعة عشر ، وقيل : لثمان بقين منه .

وقيل : إنه ولد في رمضان نقله ابن عبد البر عن الزبير بن بكار مستندا إلى أنه — صلى الله عليه وسلم — أوحى إليه في رمضان على رأس أربعين سنة من عمره ، فيكون مولده في رمضان ، وكان مولده لثنتي عشرة ليلة خلوت منه ، وكان مولده عام الفيل على قول الجمهور . قيل : كان بعده بشهر ، أو بأربعين يوما . أو بخمسين وقيل : إن عام الفيل كان قبله بعشر سنين . وقيل : بل بثلاث وعشرين سنين . وقيل : بل بثلاثين ، وقيل : بل بأربعين وقال ابن خياط : الجمع عليه أنه ولد عام الفيل . ويقول النووي : ونقل إبراهيم بن المنذر الخزازي شيخ البخاري وخليفة ابن خياط وآخرون الإجماع عليه — أي : على أنه ولد عام الفيل — واتفقوا على أنه ولد يوم الاثنين من شهر ربيع الأول ، واختلفوا هل هو في اليوم الثاني أم الثامن أم العاشر أم الثاني عشر .

وقال الزبير : كان مولده في رمضان ، وهذا القول موافق لقول من قال : إن أمّه حملت به في أيام التشريق ، والله أعلم .

وذكروا أن الفيل جاء مكة في الحرم ، وأنه - صلى الله عليه وسلم - ولد بعد مجيء الفيل بخمسين يوما ، وهو الأكثر والأشهر ، وأهل الحساب يقولون : وافق مولده من الشهور الشمسية نيسان ، فكانت لعشرين مضت منه ، وولد بالغفر من المنازل ، وهو مولد النبيين ، ولذلك قيل : خير منزلتين في الأبديين الزنابا والأسد ، لأن الغفر يليه من العقرب زناباها ، ولا ضرر في الزنابا إنما تضر العقرب بذنباها ، ويليه من الأسد أليته ، وهو السمك ، والأسد لا يضر بأليته إنما يضر بمخلميه (١) ونابيه .

وولد بالشعب ، وقيل بالدار التي عند الصفا ، وكانت بعد محمد بن يوسف أخى الحجاج ، ثم بنتها زبيدة مسجداً حين حجّت (٢) .

(١) خرافة ربط مولد الإنسان وحظوظ عيشه ، وأقدار حياته بالنجوم ومنازلها سخف عقلي ، وعوار في الدين . ولا أدري كيف يردد السبيل مثل هذا الخرف . وغيره يزعم أن مولده د ص ، كان والطالع لعشرين درجة من الجدى . وكان المشتري وزحل في ثلاث درج من العقرب ، وهي درجة وسط السماء وكان موافقا من البروج الحمل عند طلوع القمر أول الليل ص ٢٦١ ج ٢ البداية والعقرب : برج في السماء ويونث ، وزنا بالعقرب أو زبانياها : قرناها . وكوكبان نيران في قرني العقرب . والسمك الأعزل والرامح نجان نيران ، أوهما رجلا الاسد ، والغفر : منزلة للقمر : ثلاثة أنجم صغار وهي من الميزان .

(٢) كانت بزقاق المدك . وكانت من قبل بيد عقيل بن أبي طالب . ويقول ابن الأثير : إن المصطفى وهبا له ، فلما توفي باعها ولده ، وهذا الزقاق كان في شعب =

تحقيق وفاة أبيه :

وذكر أنه مات أبوه ، وهو حَمَلٌ^(١) ، وأكثر العلماء على أنه كان في المهد . ذكره الدَّوْلَابِيُّ وغيره ، قيل : ابن شهرين ، ذكره [أحمد] ابن أبي خَيْثَمَةَ ، [زهير بن حرب] وقيل : أكثر من ذلك ، ومات أبوه عند أخواله بنى النجار ، ذهب لِيَمْتَكِرَ لأهله تمراً ، وقد قيل : مات أبوه ، وهو ابن ثمان وعشرين شهراً ، وأنشدوا رَجَزاً لعبد المطلب يقوله لابنه أبي طالب :

أوصيك يا عبدَ مَنَافٍ بِعَمْدِي بموتٍ بعد أبيه قَرْدٍ
فارقه وهو ضَجِيعُ المهدِ

وكان بينه وبين أبيه - عليه السلام - في السن ثمانية عشر عاماً .

أبوه من الرضاعة :

وذكر الحارث بن عبد العزَّى أبا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الرضاعة ، ولم يذكر له إسلاماً ، ولا ذكره كثير ممن ألف في الصحابة ،

== مشهور بشعب بنى هاشم من الطرف الشرق لمكة . ويقال بالردم أو بعسفان ، ولما بيع الموضع لمحمد بن يوسف أدخله في داره التي يقال لها : البيضاء ، ولم يزل ذلك البيت كذلك حتى حجت الخيزران جارية المهدي فجعلته مسجداً يصلي فيه وأخرجته من الدار إلى الزقاق الذي يقال له : زقاق المولد . ص ٦١٤ القرى للحب الطبرى (١) توفي عن خمس وعشرين ، قال الواقدي : وهو الأثبت أو عن ثلاثين ، قاله الحاكم أو عن ثمان وعشرين ، أو عن ثمان عشرة سنة ، وصححه الحافظ العلاءي وابن حجر واختاره السيوطي .

وقد ذكره يونس بن بكير في روايته ، فقال : حدثنا ابن إسحاق قال : حدثني
والدى إسحاق بن يسار ، عن رجالٍ من بنى سعد بن بكر ، قال : قدم الحارث
ابن عبد العزى ، أبو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الرضاعة على رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة حين أنزل عليه القرآن ، فقالت له قريش :
ألا تسمع يا حارث^(١) ما يقول أبنتك هذا ؟ فقال : وما يقول ؟ قالوا : يزعم أن الله
يبعث بعد الموت ، وأن لله دارين يعذب فيهما من عصاه ، ويكرم فيهما من
أطاعه ، فقد شئت أمرنا ، وفرق جماعتنا . فأناه ، فقال : أئى بُنَى مَالِك
ولقويك يشكونك ، ويزعمون أنك تقول : إن الناس يُبعثون بعد الموت ،
ثم يصيرون إلى جنةٍ ونار ؟! فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : نعم أنا
أزعم ذلك ، ولو قد كان ذلك اليوم يا أبت ، لقد أخذت بيدك ، حتى
أعرفك حديثك اليوم ، فأسلم الحارث بعد ذلك ، وحسن إسلامه ، وكان
يقول حين أسلم : لو قد أخذ ابني بيدى ، فعرفنى ما قال ، لم يرسلنى إن شاء
الله حتى يدخلنى الجنة^(٢) .

(١) ترخيم الحارث

(٢) لم يروه أحد غيره . وخاتمته مجرد تمن فقط ، وإلا فالرسول صلى الله
عليه وسلم قال لأعرأهله : العباس وصفية وفاطمة أن يعملوا ، لأنه لا يغنى عنهم
من الله شيئاً . هذا ، وفي أخذ عبد المطلب للرسول د ص ، وهو طفل ، ودخوله
الكعبة : قد ورد في أصل الرواية عن ابن إسحاق أنه أدخله على هبل في جوف
الكعبة .

ملحوظة : حديث ابن مخزومة أنه هو ورسول الله لدان . رواه البيهقي وأحمد

تحقيق اسم ناصرة بن قصية:

وذكرنا نصرَةَ بن قُصَيَّةَ في نسب حليلة . وهو عندهم : قُصَيَّةُ بالفاء تصغير : قَصَاة ، وهي النَّوَاة . ووقع في الأصل في جميع النسخ : قُصَيَّةُ بالقاف (١) . وقال أبو حنيفة أيضا : الْقَصَا : حَبُّ الزَّيْبِ ، وهو من هذا المعنى .

الشيء :

وذكر الشيءَ أختَ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - من الرضاعة ، وقال .

== وروى قباث بن أشيم أنه حين ولد رسول الله رأى - أى قباث - خزق الفيل أخضر محيلا . وقد ورد هذا في حديث رواه الترمذى والحاكم عن ابن إسحاق .

وحديث اليهودى الذى هرخ . رواه البيهقى وأبو نعيم . ونعرج على رأى سلفى جليل فنجدده يقول : « لاخلاف أنه ولد - صلى الله عليه وسلم - بجوف مكة ، وأن مولده كان عام الفيل ، وكان أمر الفيل : تقدمه قدمها الله لئيبه وبيته ، وإلا فأصحاب الفيل كانوا نصارى أهل كتاب ، وكان دينهم خيرا من دين أهل مكة إذ ذاك ؛ لأنهم كانوا عباد أوثان ، فنصرهم الله على أهل الكتاب نصرًا لا صنع للبشر فيه إلهامًا وتقدمة للنبي - صلى الله عليه وسلم - الذى خرج من مكة وتعتظما للبيت الحرام ، ص ٣٢ » زاد المعاد لابن القيم . وذكر رأيين في وفاة أبيه أصحابهما : أنه مات وهو حمل ، والآخر : أنه توفي بعد ولادته بسبعة أشهر .

هذا : ونيسان هو الشهر السابع من شهور السنة السريانية والعبرية ، ويقابل إبريل . وفي حديث حسان بن ثابت : سعد بن زرارة . صوابه : أسعد . ويفعة : قوى قد طال قده ، مأخوذ من اليفاع ، وهو العالى من الأرض « ص ٥٤ الحشنى » . (١) في النسخة المطبوعة على هامش الروض : قصية بالفاء ، ويقول الحشنى ص ٥٤ أنه هو الصواب .

في اسمها : خِدَامَة بكسر الخاء المنقوطة ، وقال غيره : حُدَافَة بالخاء المضمومة وبالفاء مكان الميم ، وكذلك ذكره يونس في روايته عن ابن إسحاق ، وكذلك ذكره أبو عمر في كتاب النساء (١) .

(شرح ما في حديث الرضاع)

الرضعاء والمرضع :

قال ابن إسحاق : فالتمس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الرضعاء . قال ابن هشام : إنما هو المرضع . قال : وفي كتاب الله سبحانه : (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ [مِنْ قَبْلُ]) القصص : ١٢ والذي قاله ابن هشام ظاهر ؛ لأن المرضيع جمع : مُرْضِع ، والرضعاء : جمع رَضِيع ، ولكن لرواية ابن إسحاق تَخَرَّجَ من وجهين ، أحدهما : حذف المضاف كأنه قال : ذَوَات الرضعاء ، والثاني : أن يكون أراد بالرضعاء : الأطفال على حقيقة اللفظ ؛ لأنهم إذا وجدوا له مُرْضِعَةً تُرْضِعُهُ ، فقد وجدوا له رضيعا ، يَرْضَعُ معه ، فلا يبعد أن يقال : اَلْتَمِسُوا لَهُ رَضِيعًا ، عِلْمًا بِأَنَّ الرَضِيعَ لَا بَدْلَ لَهُ مِنْ مُرْضِعٍ .

مرضعاته عليه السلام :

وأرضعته — عليه السلام — ثَوَيْبَةَ (٢) قبل حلیمَة . أرضعته

(١) في رواية : جدامة بضم الجيم أو جدامة وانظر ص ٥٤ . الحشنى .
(٢) توفيت سنة سبع . قال ابن منده : اختلف في إسلامها ، وقال أبو نعيم : لا أعلم أحدا ذكره ، ص ١٣٧ ج ١ المواهب ، وحديث حلیمَة بهذا السند رواه الحاكم وابن حبان وابن راهويه وأبو ليلى والطبرانى والبيهقى وأبو نعيم . وفي شرح =

وعمه حمزة وعبد الله بن جحش ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعرف ذلك لثوبية ، ويصلها من المدينة ، فلما افتتح مكة سأل عنها وعن ابنها مسروق ، فأخبر أنها ماتا ، وسأل عن قرابتها ، فلم يجد أحدا منهم حيا . وثوبية كانت جارية لأبي لهب ، وسند كبريئة حديثها - إن شاء الله - عند وفاة أبي لهب .

يغذيه أو يغذيه :

وذكر قول حليمة : وليس في شاربنا ما يغذيه . وقال ابن هشام : ما يغذيه بالذال المنقوطة ، وهو أتم في المعنى من الاختصار على ذكر الغداء دون العشاء (١) ، وليس في أصل الشيخ رواية ثالثة ، وعند بعض الناس رواية

المواهب أن النسوة اللاتي خرجت معهن حليمة كن عشرة . والسنة الشبهاء : ذات القحط والجذب ، والأرض الشبهاء : البيضاء التي لا خضرة فيها لقلة المطر . والأتان : الأثني من الخمر ، ولا يقال أثنان ، والقمران : التي في لونها بياض ، والصبي الذي كان مع حليمة هو : عبد الله بن الحارث . والشارف : الناقة المسنة ، ويقال للذكر والأثني . وما تبض بقطرة معناها : لا توشح ولا تسيل ، ومن رواها بالصاد فعناها : ما يبرق عليها أثر لبن ، من البصيص ، وهو البريق واللمعان . ص ٥٥ الخشنى

(١) يقول أبو ذر الخشنى : « ومن رواه ما يغذيه فعناه : ما يقنعه ولا يمنعه من البكاء . يقال : أغذيت الرجل عن الشيء : إذا متعته منه . وقال ابن هشام : يغذيه . هذا من لفظ الغذاء ، ومن رواه : يغذيه بالعين المهملة فعناه : ما يشبعه بعض الشبع مأخوذ من النبات العذى ، وهو الذى يشرب في الصيف والشتاء بغرفة من الأرض دون أن يسقى ، أو الذى لا يسقيه إلا المطر . وتكون هذه هي الرواية الرابعة للكلمة

غير هاتين وهى يُعَذِّبُهُ بعَيْنٍ مُهِمَّةٍ وذال منقوطة وباء مُعْجَمَةٌ بواحدة ، ومعناها عندهم : ما يُقْنَعُهُ حتى يرفع رأسه ، وينقطع عن الرضاع ، يقال منه : عَذَبَتْهُ وَأَعَذَبَتْهُ : إذا قطعتهُ عن الشرب ونحوه ، والعَذُوبُ : الرافعُ رأسه عن الماء ، وجمعه : عَذُوبٌ بالضم ، ولا يُعرفُ فَعُولٌ جُمِعَ على فَعُولٍ غيرُهُ : قاله أبو عُبَيْد (١) والذي فى الأصل أَصَحُّ فى المعنى والنقل .

من شرح حديث الرضاغة :

وذكر قولها: حتى أَذْمَتُ بالركب . تريد : أَنهَا حَبَسَتْهُمْ ، وكأنه من الماء الدائم ، وهو الواقفُ ، ويروى : حتى أَذْمَتُ . أى : أَذْمَتِ الأتانُ ، أى : جاءت بما تُذَمُّ عليه ، أو يكون من قولهم : بُرِّ ذَمَّةٌ ، أى : قليلةُ الماء ، وليست هذه عند أبى الوائِد ، ولا فى أصل الشيخ أبى بَحرٍ ، وقد ذكرها قاسمٌ فى الدلائلِ ، ولم يذكر روايةً أخرى ، وذكر تفسيرها عن أبى عُبَيْدَةَ : أَذَمَّ بالركب : إذا أَبْطَأَ ، حتى حَبَسَتْهُمْ : من البُرِّ الذَّمَّةُ ، وهى القليلةُ الماء (٢) .

(١) فى اللسان جمعه : عذب بضم العين والذال ، وقد خطأ الأزهرى بأبى عبيدة لأن فعولا - بفتح الاء وضم العين - لا يكسر على فعول بضم الفاء .

(٢) عند أبى ذر النخشى : أَذْمَت : تأخرت بالركب ، أى تأخر الركب بسببها والضمير الذى فى أَذْمَت يرجع إلى الأتان ، وفى رواية : أَذْمَتُ بالركب أى : أطلت عليهم المسافة لتمهلهم عليها ، مأخوذ من الشيء الدائم ص ٥٥ . وصاحب حليلة المذكور فى القصة هو زوجها : الحارث بن عبد العزى بن رفاعة السعدي ، « كنيته أبو ذؤيب ، وفى رواية أخرى لحديث الرضاغة جاء بعد قول حليلة : فأنزلت إلى مايل : وقد إذا به مدرج فى ثوب صوف أبيض من اللبن بنى من تحت الدابة » .

وذكر قولَ حليلةَ : فلما وضعته في حِجْرِي أقبل عليه ندياي بما شاء من لبن ، فشرب حتى رَوِيَ ، وشرب معه أخوه حتى روى .

وذكر غير ابن إسحاق أن رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - كان لا يقبل إلا على نديها الواحد ، وكانت تعرض عليه الثدي الآخر ، فيأباه كأنه قد أشعر - عليه السلام - أن معه شريكاً في لبنها ، وكان مَفْطُوراً على العدل ، مَجْبُوراً على المشاركة والفضل - صلى الله عليه وسلم .

التماس الأجر على الرضاع :

قال المؤلف : والتماسُ الأجر على الرضّاع لم يكن محموداً عند أكثر نساء العرب ، حتى جرى المثلُ : تجوع المرأة ولا تأكل بثدييها^(١) ، وكان عند بعضهم لا بأس به ، فقد كانت حليلةُ وسيطة في بني سعد ، كريمةً من كرائم قومها ، بدليل اختيارِ الله - تعالى - إياها لرضاع نبيه - صلى الله عليه وسلم - كما اختار له أشرفَ البُطون والأصلاب . والرضاعُ كالنسب ؛ لأنه يُغيّر

= حريو أخضر راقد على قفاه يغط ، فأشفقت أن أوقظه من نومه لحسنه وجهاله ، المواهب اللدنية في باب رضاعه ص ١٤٣ ج ١ ، هذا ورضاعه من ثوية قد ورد في سياق حديث عن أم سلمة ، وقد رواه أحمد والبخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة والبيهقي د منتخب السنة ، ص ٦٠ ج ١

(١) روايته : تجوع الحرة ، ولا تأكل بثديها ، أى : لا تكون ظئراً ، وإن آذاها الجوع . ويروى : ولا تأكل ثديها . وأول من قال ذلك : الحارث بن سليل الأسدي . في قصة طويلة روتها كتب الأمثال ، يضرب في صيانة الرجل نفسه عن خسيس مكاسب الأموال د مجمع الأمثال للميداني ،

الطباع . في المسندِ عن عائشة -رضي الله عنها - ترفعه : « لَا تَسْتَرْضِعُوا الْحَمَقَ ؛ فَإِنَّ اللَّبَنَ يُورَثُ » ويحتمل أن تكونَ حليمةُ ونسائه قومها طابن الرُّضْعَاءِ اضطراراً للأزمة التي أصابتهم ، والسَّنة الشَّبهاء التي اقْتَحَمَهُمْ .

لم كانت قريسه ترفع أولادها إلى المراضع ؟

وأما دَفْعُ قريشٍ وغيرهم من أشرافِ العربِ أولادهم إلى المراضع ، فقد يكون ذلك لوجوهٍ . أحدها : تفرِغُ النساءِ إلى الأزواجِ ، كما قال عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ لَأُمِّ سَلَمَةَ - رضي الله عنها - وكان أخاها من الرضاعة ، حين انتزَعَ من حِجْرِهَا زَيْنَبَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ ، فقال : « دَعِيَ هَذِهِ الْمَقْبُوحَةَ الْمَشْقُوحَةَ ^(١) » التي آذيت بها رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم » وقد يكون ذلك منهم أيضاً لِنِشْأِ الطِّفْلِ فِي الْأَعْرَابِ ، فيكون أفصحَ لِسَانِهِ ، وَأَجْلَدَ لِجْسِمِهِ ، وأجدرَ أن لا يفارقَ الهَيْئَةَ الْمَعْدِيَّةَ ^(٢) كما قال عُمَرُ رضي الله عنه : تَمَعَّدُوا وَتَمَعَّرُوا ^(٣) واخْشَوْشُوا [رواه ابن أبي حذَرْدٍ] . وقد قال - عليه السلام - لأبي بكرٍ - رضي الله عنه - حين قال له : مارأيت أفصحَ منك يا رسولَ الله ، فقال : وما يمنعني ، وأنا من قريش ، وأَرْضِيتُ في بَنِي سَعْدِ؟! فهذا ونحوه كان يحملهم على دَفْعِ

(١) المشقوقة : المكسورة أو المبعدة ، من الشقح ، وهو الكسر أو البعد ومشقوقة اتباعاً لمقبوحة .

(٢) نسبة إلى قوم معد ، وكانوا أهل غلظ وقشعر .

أى : تصابوا ، وتشبهوا بمعد .

(٣) وتمعزوا : تعزز لجه : اشتد وصلب ، وتمعز البعير : اشتد عدوه .

الرُّضْعَاءُ إِلَى الْمَرَضِعِ الْأَعْرَابِيَّاتِ . وقد ذكر أن عبدَ الملك بن مروان كان يقول : أَضْرَّ بِنَا حُبُّ الْوَلِيدِ ؛ لِأَنَّ الْوَلِيدَ كَانَ تَحَانًا ، وَكَانَ سُلَيْمَانُ فَصِيحًا ؛ لِأَنَّ الْوَلِيدَ أَقَامَ مَعَ أُمِّهِ ، وَسُلَيْمَانُ وَغَيْرُهُ مِنْ إِخْوَتِهِ سَكَنُوا الْبَادِيَةَ ، فَتَعَرَّبُوا ، ثُمَّ أَذْبُوا فَتَأَذَّبُوا ، وَكَانَ مِنْ قُرَيْشٍ أَعْرَابٌ ، وَمِنْهُمْ حَضَرٌ ، فَالْأَعْرَابُ مِنْهُمْ : بَنُو الْأَذْرَمِ وَبَنُو مُحَارِبٍ ، وَأَحْسَبُ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ كَذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الظَّوَاهِرِ ، وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِ الْبَطَاحِ ^(١) .

شوه الصدر :

وذكر قول أخيه من الرضاعة : نزل عليه رَجُلَانِ أبيضان ، فَشَقَّاعِنِ بطنه ، وهما يَسُوطَانِه ، يقال : سَطَّتْ اللَّبَنُ أَوِ الدَّمَّ ، أَوْ غَيْرَهَا ، أَسُوطَه : إِذَا ضَرَبَتْ بَعْضُهُ بَبَعْضٍ . وَالْمَسُوطُ : عُوْدٌ يُضْرَبُ بِهِ .

وفى رواية أخرى عن ابن إسحاق أنه نَزَلَ عَلَيْهِ كُرْكِيَّان ^(٢) ، فَشَقَّ أَحَدُهُمَا بَمَنْقَارِهِ جَوْفَهُ ، وَمَجَّ الْآخَرَ بَمَنْقَارِهِ فِيهِ تَلَجًا ، أَوْ بَرَدًا ، أَوْ نَحْوَ هَذَا ، وَهِيَ رَوَايَةٌ غَرِيبَةٌ ذَكَرَهَا يُونُسُ عَنْهُ ، وَاخْتَصَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ حَدِيثَ نَزُولِ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِ ، وَهُوَ أَطْوَلُ مِنْ هَذَا .

وروى ابن أبي الدنيا وغيره بإسناد يرفعه إلى أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ

(١) سبق الحديث عن قریش البطاح وقریش الظواهر .

(٢) الكرکی : طائر كبير أغبر اللون طويل العنق والرجلين أبتز الذنب . ومج الماء : لفظه .

عنه - قال : « قلت : يا رسول الله كيف علمت أنك نبيٌّ ، وبم علمت حتى استيقنت ؟ قال : يا أبا ذرٍّ أتاني ملكان ، وأنا يبسطحاء مَكَّة ، فوقع أحدهما بالأرضِ ، وكان الآخرُ بين السماء والأرضِ ، فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال : هو هو : قال : فَرَنهُ برجلٍ ، فوزنني برجلٍ ، فَرَجَحْتُهُ ، ثم قال : زِنهُ بعشرة ، فوزنني فَرَجَحْتُهُمْ ، ثم قال : زِنهُ بمائة ، فوزنني ، فَرَجَحْتُهُمْ ، ثم قال : زِنهُ بألفٍ ، فوزنني فَرَجَحْتُهُمْ ، حتى جَعَلُوا يَتَنَاقَلُونَ عَلَى مِنْكَةِ الْمِيزَانِ ، فقال أحدهما لصاحبه : شَقُّ بَطْنِهِ ، فسُقِ بطنِي ، فأخرج قلبي ، فأخرج منه مَعْمَزَ الشَّيْطَانِ وَعَلَقَ الدَّمَ ، فَطَرَّحَهُمَا ، فقال : أحدهما لصاحبه : اغْسِلْ بَطْنَهُ غَسْلَ الْأَنْاءِ ، واغْسِلْ قَلْبَهُ غَسْلَ الْمَلَأِ ، ثم قال أحدهما لصاحبه : خِطْ بَطْنَهُ ، نَفَاطِ بَطْنِي ، وجعل الخاتم بين كَتِفَيْ كَمَا هُوَ الْآنَ ، وولَّيَا عَنِّي ، فكأنني أعابن الْأُمَرَ مَعَابِنَةً » ففي هذا الحديث بيان لما أبهم في الأول ، لأنه قال : فأخرج منه مَعْمَزَ الشَّيْطَانِ ، وَعَلَقَ الدَّمَ ، فبيَّن أن الذي التمس فيه هو الذي يغمزه الشيطانُ من كُلِّ مَوْلُودٍ إِلَّا عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ^(١) - عليهما السلام - لقول أمها حَنَّة : « وَاِئِنِّي

(١) يشير إلى ما رواه البخارى ومسلم والترمذى : « ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان ، فيسهل صارخا من نخسه الشيطان إلا ابن مريم وأمه ، قال أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم : (وإِنِّي أَعْبَدُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) ، قال عياض : يريد أن الله قبل دعائها مع أن الأنبياء معصومون ، وقال النووي : أشار عياض إلى أن جميع الأنبياء يشاركون عيسى في هذه الخصوصية . وسيأتى أن صدره شق أيضا ليلة الإسراء في حديث من طريق شريك في الصحيحين ، ودعوى أنه لا منافاة ، لاحتمال وقوع ذلك مرتين دعوى بلا بدنة ، وفي أحاديث خاتم النبوة

أَعِيذُهَا بِكَ وَذَرِّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» آل عمران : ٣٦ . فلم يصل إليه لذلك ، ولأنه لم يُخْلَقْ مِنْ مَنِيِّ الرَّجَالِ فَأَعِيذُهُ مِنْ مَعْفَرٍ ، وإنما خُلِقَ مِنْ نَفْخَةِ رُوحِ الْقُدُسِ ، ولا يدل هذا على فضل عيسى عليه السلام على محمد - صلى الله عليه وسلم - لأن محمدا - صلى الله عليه وسلم - قد بُرِزَ مِنْ ذَلِكَ الْمَعْفَرِ ، ومُلِيَ قَلْبُهُ حِكْمَةً وإِيمَانًا ، بعد أن غَسَلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ بِالنَّجَجِ وَالْبَرَدِ ، وإنما كَانَ ذَلِكَ الْمَعْفَرُ فِيهِ لِمَوْضِعِ الشَّهْوَةِ الْمُحَرَّكَ لِلْمَنِيِّ ، والشَّهْوَاتُ يُحْضِرُهَا الشَّيَاطِينُ ، لا سَبِيحًا شَهْوَةً مَنْ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ ، فَكَانَ ذَلِكَ الْمَعْفَرُ رَاجِعًا إِلَى الْأَبِّ ، لا إِلَى الْإِبْنِ الْمُطَهَّرِ - صلى الله عليه وسلم - عليه .

وفي الحديث فائدة أخرى ، وهى مِنْ نَفْسِ الْعِلْمِ ، وذلك أَنَّ خَاتَمَ النَّبُوَّةِ لَمْ يَدْرِهِلْ خُلُقِهِ ، أَمْ وُضِعَ فِيهِ بَعْدَ مَا وُلِدَ ، أَوْ حِينَ نُبِّيَّ ، فَبَيَّنَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مُتَى وُضِعَ ، وَكَيْفَ وُضِعَ ، وَمَنْ وَضَعَهُ ، زَادَنَا اللَّهُ عِلْمًا ، وَأَوْزَعَنَا شُكْرَ مَا عَلَّمَ ، وَفِيهِ الْبَيَانُ لِمَا سَأَلَ عَنْهُ أَبُو ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حِينَ قَالَ : كَيْفَ عِلِمَتْ أَنْكَ (١)

==مغايرة لما ورد من وصف الخاتم هنا ، كما أَنَّ فِي أَلْفَاظِ بَعْضِ أَحَادِيثِ الشُّقِّ مَا يُوَحِّى بِأَنَّهُ أَحْدَاثُ مَنَامٍ ، لا أَحْدَاثُ وَاقِعٍ ، أَمَّا الْإِسْرَاءُ فَبِقِظَةِ نَبْصِ الْقُرْآنِ وَسِيَّاقِي (١) كُلِّ حَدِيثٍ يَزْعُمُ فِيهِ أَنَّ الرَّسُولَ - صلى الله عليه وسلم - كَانَ يَعْرِفُ أَنَّهُ نَبِيٌّ هُوَ حَدِيثُ كَذِبٍ ، لا يَعْتَدِبُهُ ، لِأَنَّهُ - صلى الله عليه وسلم - لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ حَتَّى لَيْلَةِ الْوَحْيِ أَنَّهُ نَبِيٌّ . هَذَا وَعَنْ خَاتَمِ النَّبُوَّةِ وَرَدَفِي حَدِيثٍ - رَوَاهُ الشَّيْخَانُ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدٍ : «نَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِ بَيْنِ كَتِفَيْهِ مِثْلَ زُرِّ الْحَجَلَةِ» الزر : الْبَيْضَةُ وَعَنْ جَابِرٍ فِي مُسْلِمٍ : «رَأَيْتُ خَاتَمًا فِي ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - كَأَنَّهُ بَيْضَةُ حَمَامٍ» وَفِي مُسْلِمٍ وَالتِّرْمِذِيِّ : «كَانَ خَاتَمُ رَسُولِ اللَّهِ «ص» الَّذِي بَيْنَ كَتِفَيْهِ غَدَةٌ حَمْرَاءُ مِثْلُ بَيْضَةِ الْحَمَامَةِ» وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْجَسٍ : «نَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِ النَّبُوَّةِ بَيْنَ

نبي ، فأعلمه بكيفية ذلك ، غير أن في هذا الحديث ، وهما من بعض النقلة ، وهو قوله : بينما أنا ببطحاء مكة ، وهذه القصة لم تعرض له إلا وهو في بني سعد مع حليلة ، كما ذكر ابن إسحاق وغيره ، وقد رواه البزار من طريق عروة عن أبي ذرٍّ - رضي الله عنه - فلم يذكر فيه بطحاء مكة .

== كنفه عند ناغض كتفه اليسرى جمعاً عليه خيلان ، كما مثال التأليل ، مسلم وأحمد . والناغض : أعلى الكنف ، أو ما يظهر من عظمه عند التحرك . مُجمَعاً : أى كصورة الكنف بعد جمع الأصابع وضمها . الخيلان : جمع خال وهي الغدة الصغيرة . التأليل : جمع : ثولول حبيبات تعلو الجسد ، وفي مسلم أيضاً عن جابر بن سمرة أنه كبيضة الحمامة . وعند الحاكم والترمذى وأبو يعلى والطبرانى من حديث عمرو بن أخطب أن الخاتم شعر مجتمع عند كتفه ، وعند البخارى في تاريخه والبيهقى أنه : لحة ناتئة ، وفي جامع الترمذى ودلائل البيهقى : كالنفاحة ، وعند ابن حبان . وفي تاريخ ابن عساكر والحاكم : كالبندة . وعند الترمذى : كبسعة ناشزة من اللحم . وعند الطبرانى : كان كأنه ركة عزز على طرف كتفه اليسر ، وعند ابن حبان : كان مثل البندة من اللحم . . والحجلة تنطق بفتح الحاء والجيم ، وضم الحاء أو كسرهما وإسكان الجيم ، وضم الحاء وفتح الجيم . وجزم الترمذى بأن المراد بالحجلة : الطير المعروف ، وهو في حجم الحمام ، أحمر المنتقار والرجلين طيب اللحم ، وفسره النووى بأنها واحدة الحجال . وهى بيت كالقبة . لها أزرار كبار وعرا ، أو كما فسره الأزهرى في التهذيب : بيت كالقبة يستر بالثياب ، ويجعل له باب من جنسه ، فيه زر وعروة تشد إذا علقت

وقال القرطبي : اتفقت الأحاديث الثابتة على أن خاتم النبوة كان شيئاً بارزاً أحمر عند كتفيه اليسر ، قدره إذا قلل قدر بيضة الحمامة ، وإذا كبر جمع اليد . وفي الفتح : باب خاتم النبوة : أى صفته ، وهو الذى كان بين كتفى النبي ، وكان من علامات النبوة التى كان أهل الكتاب يعرفونه بها ، وسيأتى عنه بيان آخر

مهری السکینه :

وذكر فيه أنه قال : وأوتيت بالسكينة كأنها رهرة ، فوضعت في صدري . قال : ولا أعلم العروة سما من أبي ذر . وذكر من طريق آخر عن أبي ذر ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال له : « يا أبا ذر ، وزنت بأربعين ، أنت فيهم فرجحتهم » والرهرة : بصيص البصرة ، فهذا بيان وضع الخاتم متى وضع .

مسألة من الصدر مرة أخرى :

وأما متى وجبت له النبوة ، فروى عن ميسرة أنه قال له : متى وجبت لك النبوة يا رسول الله ؟ فقال : وآدم بين الروح والجسد ، ويروى : وآدم مجتدل في طينته (١) .

(١) وهكذا كل إنسان في قدر ؛ فإن الله كتب عنده مقادير الكائنات جميعها ، وإلا فالنبي - صلى الله عليه وسلم - لم يكن يعرف حتى ليلة الوحي الأولى أنه نبي . أو أن النبوة ستأتيه . وإلا ما رجع في ارتجافه الشديد إلى خديجة رضي الله عنها يحدثها أنه خائف على نفسه . وفي رواية للحديث : ولاني لمكتوب عند الله من النبيين . وحديث العرباض بن سارية قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : لاني عبد الله ، وخاتم النبيين ، وإن آدم لمنجدل في طينته ، وسأخبركم عن ذلك : لاني دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى ، ورؤيا أمي التي رأت ، وكذلك أمهات النبيين ، وإن أم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأت حين وضعته نورا أضاءت له قصور الشام ، أحمد وابن حبان والحاكم . وفي حديث أبي أمامة عند أحمد نحوه ، ونصه عن لقمة بن عامر سمعت أبا أمامة قال : قلت يا نبي الله -

وهذا الخبر يُروى عنه - عليه السلام - على وجهين ، أحدهما : أنه سُقِّ عن قلبه ، وهو مع رابَّتِهِ ومُرُضَعَتِهِ في بنى سعد ، وأنه جِئَ بِطَسْتٍ من ذهب ، فيه ثلج ففعل به قلبه ، والثاني فيه : أنه غُسِّلَ بماء زمزم ، وأن ذلك كان ليلة الإسراء حين عُرج به إلى السماء بعد ما بُعث بأعوام ، وفيه أنه أتى بِطَسْتٍ من ذهبٍ ممتلئ حكمة وإيمانا ، فأفرغ في قلبه . وذكر بعضُ من ألف في شرح الحديث أنه تعارض في الروايتين ، وجعل يأخذ في ترجيح الرواة وتغليب بعضهم ، وليس الأمر كذلك ، بل كان هذا التقديس وهذا التطهير مرتين .

الأولى : في حال الطفولية لِيَتَقَيَّ قَلْبُهُ من مَغَمَرِ الشيطان ، وليُطَهَّرَ ويُقَدَّسَ من كل خُلُقٍ ذَمِيمٍ ، حتى لَا يَتَمَلَّبَسَ بشيء مما يُعَاب على الرِّجَالِ ، وحتى لَا يَكُونَ في قلبه شيء إلا التوحيد ؛ ولذلك قال : فوليا عني ، يعني : المالكين ، وكأني أعين الأمر مُعَايَنَةً .

والثانية : في حال الكِبَالِ ، وبعد ما نُبِّيَ ، وعندما أراد الله أن يرفعه إلى الحضرة المَقْدَّسَةِ التي لَا يصعد إليها إلا مُقَدَّسٌ ، وعُرجَ به هنالك

ما كان بدء أمرك؟ قال : دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاء منه قصور الشام ، تفرد به أحد ، ولم يخرج به أحد من أصحاب الكتب الستة . وقد روى قصة شق الصدر في الطفولة أبو نعيم في الدلائل عن طريق عمر ابن صبح مطولة جدا ، وعمر متروك كذاب متهم بالوضع .

لَتُقَرَّضَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ ، وَلْيُصَلِّ بِمَلَأْسِكَةِ السَّمَوَاتِ ، وَمَنْ شَأْنِ الصَّلَاةِ : الطَّهُّورُ ،
فَمُقَدَّسٌ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا ، وَغُسِّلَ بِمَاءٍ زَمَزَمَ .

وَفِي الْمَرَّةِ الْأُولَى بِالنَّاجِ لِإِبْشِيرِ الثَّلْجِ مِنْ ثَمَاجِ الْيَقِينِ وَبَرَدِهِ عَلَى الْفَوَادِ ،
وَكَذَلِكَ هُنَاكَ حَصَلَ لَهُ الْيَقِينُ بِالْأَمْرِ الَّذِي يُرَادُ بِهِ وَبِوَحْدَانِيَةِ رَبِّهِ .

وَأَمَّا فِي الثَّانِيَةِ ، فَقَدْ كَانَ مُوقِنًا مُنْتَبِئًا ، فَإِنَّمَا طَهَّرَ لِمَعْنَى آخِرٍ ، وَهُوَ مَا ذَكَرْنَاهُ .
مِنْ دُخُولِ حَضْرَةِ الْقُدُّوسِ وَالصَّلَاةِ فِيهَا ، وَلِقَاءِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ ، فَغَسَلَهُ رُوحُ
الْقُدُّوسِ بِمَاءِ زَمَزَمَ الَّتِي هِيَ هَزْمَةُ رُوحِ الْقُدُّوسِ ، وَهَمْزَةُ عَقْبِهِ (١) لِأَيِّهِ إِسْمَاعِيلُ .
عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَجِءَ بِطَسْتٍ مُنْتَلَى حِكْمَةً وَإِيمَانًا ، فَأُفْرِغَ فِي قَلْبِهِ ، وَقَدْ
كَانَ مُؤْمِنًا ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : ﴿ لِيَزِدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ الْفَتْحُ : ٤
وَقَالَ : ﴿ لِيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾ الْمَدَّثَرُ : ٣١ . فَإِنْ قِيلَ : وَكَيْفَ يَكُونُ
الْإِيمَانُ وَالْحِكْمَةُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ ، وَالْإِيمَانُ عُرْضٌ ، وَالْأَعْرَاضُ لَا يوصَفُ
بِهَا إِلَّا تَحَلُّهَا الَّذِي تَقُومُ بِهِ ، وَلَا يَجُوزُ فِيهِ الْإِنْتِقَالُ ، لِأَنَّ الْإِنْتِقَالَ مِنْ صِفَةٍ
الْأَجْسَامِ ، لَا مِنْ صِفَةِ الْأَعْرَاضِ ؟ قُلْنَا :

إِنَّمَا عَبَّرَ عَمَّا كَانَ فِي الطَّسْتِ بِالْحِكْمَةِ وَالْإِيمَانِ ، كَمَا عَبَّرَ عَنِ اللَّبَنِ الَّذِي
شَرِبَهُ ، وَأَعْطَى فَضْلَهُ عَمْرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بِالْعِلْمِ ، فَكَانَ تَأْوِيلُ مَا أُفْرِغَ فِي
قَلْبِهِ حِكْمَةً وَإِيمَانًا ، وَلَعَلَّ الَّذِي كَانَ فِي الطَّسْتِ كَانَ ثَلَجًا وَبَرْدًا - كَمَا ذَكَرَ فِي

(١) هَزَمَ الْبُتْرُ : حَفَرَهَا ، وَالْهَمْزَةُ : النَّقْرَةُ ، هَذَا وَسَيَأْتِي بَيَانُ أَنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ
مَفْرُوضَةً قَبْلَ الْإِسْرَاءِ بِنَصِّ الْقُرْآنِ وَالْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ . هَذَا وَقَوْلُهُ : كَأَنِّي
أَعَايِنُ الْأَمْرَ مَعَايِنَةً يُؤَكِّدُ أَنَّهُ رُؤْيَا مَنْمَانِيَةً .

الحديث الأول - فعبر عنه في المرة الثانية بما يؤول إليه ، وعبر عنه في المرة الأولى بصورته التي رآها ؛ لأنه في المرة الأولى كان طفلاً ، فلما رأى الثلج في طست الذهب اعتقده ثلجاً ، حتى عرّف تأويله بعد . وفي المرة الثانية كان نبيئاً ، فلما رأى طست الذهب مملوءاً ثلجاً علم التأويل لحينه واعتقده في ذلك المقام حكمة وإيماناً ، فكان لفظه في الحديثين على حسب اعتقاده في المقامين .

مناسبة الذهب للمعنى المقصود :

وكان الذهب في الحالتين جميعاً مناسباً للمعنى الذي قصد به . فإن نظرت إلى لفظ الذهب ، فطابق للإذهاب ، فإن الله - عز وجل - أراد أن يذهب عنه الرجس ، ويطهره تطهيراً ، وإن نظرت إلى معنى الذهب وأوصافه وجدته أنقى شيء وأصفاه ، يقال في الثلث : أنقى من الذهب . وقالت بريرة في عائشة - رضى الله عنها - ما أعلم عليها إلا ما يعلم الصائغ على الذهب الأحمر . وقال حذيفة في صلاة بن أشيم رضى الله عنهما : إنما قلبه من ذهب ، وقال جرير بن حازم في الخليل بن أحمد : إنه لرجل من ذهب ، يريدون : النقاء من الميوس ، فقد طابق طست الذهب ما أريد بالنبي - صلى الله عليه وسلم - من نقاء قلبه . ومن أوصاف الذهب أيضاً المطابقة لهذا المقام قوله ورُسُوبُهُ ، فإنه يُجْعَلُ في الزئبق الذي هو أثقل الأشياء ، فيرسب ، والله تعالى يقول : (إِنَّا سُنْقِلِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً) المزمل : ٥٠ . وقال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه : إنما ثقلت موازين المحققين يوم القيامة ، لا تبعاهم الحق ، وحق ميزان لا يوضع فيه إلا الحق .

أن يكون ثَقِيلاً ، وقال في أهل الباطل بعكس هذا . وتدرى : أنه أنزل عليه الوحي ، وهو على ناقته ، فَثَقُلَ عليها حتى ساخت قوائمها في الأرض ، فقد تطابقت الصفة الموقولة والصفة المحسوسة . ومن أوصاف الذهب أيضاً أنه لا تأكله النار ، وكذلك القرآن : لا تأكل النار يوم القيامة قلباً وعاء ، ولا بدناً عَمَلَ به ، قال النبي - صلى الله عليه وسلم : « لو كان القرآن في إهاب ، ثم طرح في النار ما احترق ^(١) » ومن أوصاف الذهب المناسبة لأوصاف القرآن والوحي : أن الأرض لا تُبَايِه ، وأن الثرى لا يَذْرِيه ، وكذلك القرآن لا يَخْلُق على كثرة الرد ، ولا يُسْتَطَاع تغييره ولا تبدله ، ومن أوصافه أيضاً : نفاسته وعزته عند الناس ، وكذلك الحق والقرآن عزيز ، قال سبحانه : (وإِنَّ آيَاتِنا لَهُ عَزِيزٌ) فَصَّلَتْ : ٤١ . فهذا إذا نظرت إلى أوصافه ولفظه ، وإذا نظرت إلى ذاته وظاهره ، فإنه زُخْرُفُ الدنيا وزينتها ، وقد فُتِحَ بالقرآن والوحي على محمد - صلى الله عليه وسلم - وأمنته خزائن الملوك ، وتَصَيَّرَ إلى أيديهم ذهبها وفضتها ، وجميع زُخْرُفِها وزينتها ، ثم وعدوا باتباع القرآن والوحي قُصُورَ الذهب والفضة في الجنة . قال - صلى الله عليه وسلم : « جَنَّاتٍ مِنْ ذَهَبٍ ، آيَاتُهُمَا وَمَافِيهَما مِنْ ذَهَبٍ ^(٢) » وفي التنزيل : (يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِضِخَافٍ مِنْ ذَهَبٍ) الزُّخْرُفُ : ٧١ (وَيُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ) الحج : ٢٣ وفاطر : ٣٣

() رواه الطبراني . وفي الجامع للسيوطي أنه ضعيف .

(٢) من حديث رواه الجماعة إلا أباداود : « جنتان من فضة آيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن . »

فكان ذلك الذهب يُشعر بالذهب الذى يصير إليه من اتبع الحق ، والقرآن وأوصافه تشعر بأوصاف الحق ، والقرآن ولَفْظُهُ يشعر بإذهاب الرِّجْس ، كما تقدم ، فهذه حكم بالغة^(١) لمن تأمل ، واعتبار صحيح لمن تدبر ، والحمد لله .

وفى ذكر الطُّسْتِ وحروفِ اسمِهِ حكمة تنظر إلى قوله تعالى : (طس . تلك آياتُ القرآنِ وكتابٍ مبین^(٢)) النَّمْل : ١ وما يسئل عنه : هل خُص هو - صلى الله عليه وسلم - بغسل قلبه فى الطُّسْتِ ، أم فُعل ذلك بغيره من الأنبياء قبله ، فى خبر التابوت والسكينة ، أنه كان فيه الطُّسْتُ التى غُسِلَتْ فيها قلوبُ الأنبياء عليهم السلام . ذكره الطبرى^(٣) ، وقد انتزع بعضُ الفقهاء من حديث الطُّسْتِ حيثُ جُعِلَ مَحَلًّا للإيمان والحكمةِ جوازَ تخليةِ المُصْحَفِ بالذهب ، وهو فقه حَسَن^(٤) ، فى حديث أبي ذر - رضى الله عنه - هذا الذى قدمناه ، متى علم أنه نبيّ .

(١) تأويلات مغربة ، وإن كانت تشهد بذكاء ، لكنها لا ترف بسكينة على القلب ، وشأن القرآن أعظم .

(٢) وهذا أغرب ، وأشدّ بعدا ، وتقرأ طس هكذا : « طاسين » .

(٣) يشير إلى قوله تعالى : « وقال لهم نبيهم : إن آية ملكه أن يأتكم التابوت فيه سَكِينَةٌ من ربكم ، وبقيّة مما ترك آله موسى وآل هارون تحمله الملائكة » البقرة : ٢٤٨ . وقد روى العوفى عن ابن عباس أن السكينة هى الرحمة . كما فسرهما عطاء تفسيرا طيبا ، إذ قال لابن جريج لما سأله عنها : أما تعرفون من آيات الله فتسكنون إليه . وروى ابن كثير ما ذكره السهيلي بصيغة تفيد تضعيفه إذ جاء قبله بكلمة : وقيل . وخب فيها وهب بن منبه ووضع ، فأتى بالعجب العجائب من الأساطير . فقال : السكينة : رأس هرة ميتة .

(٤) رد ابن القيم هذا الرأى .

الحكمة في ختم النبوة :

والحكمة في خاتم النبوة على جهة الاعتبار أنه لما ملئ قلبه حكمةً وبقينا ، خُتِمَ عليه كما يُخْتَمُ على الوعاء المملوء مسكاً أو دُرّاً ، وأما وَضْعُهُ عند نُفْضِ (١) كَتِفِهِ ، فَلأنَّهُ مَعْصُومٌ مِنْ وَسْوَسةِ الشَّيْطَانِ ، وَذلكَ المَوْضِعُ مِنْهُ يَوْسُوسُ الشَّيْطَانُ لابنِ آدَمَ . روى مَيْمُونُ بنُ مِهْرَانَ عَنْ عُمرَ بنِ عَبْدِ العَزِيزِ أَنَّ رجُلًا سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُرِيَهُ مَوْضِعَ الشَّيْطَانِ مِنْهُ (٢) ، فَأَرَى جَسَدَ أُمِّمَيَّ (٣) يُرَى دَاخِلُهُ مِنْ خَارِجِهِ ، وَالشَّيْطَانُ فِي صُورَةِ ضِفْدَعٍ عِنْدَ نُفْضِ كَتِفِهِ (٤) حِذَاءَ قَلْبِهِ ، لَهُ خُرْطُومٌ ، كَخُرْطُومِ البَعُوضَةِ ، وَقَدْ أَدْخَلَهُ إِلَى قَلْبِهِ يَوْسُوسٌ ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْعَبْدُ خَنَسَ (٥) .

(١) هو أعلى منقطع غضروف الكتف .

(٢) في شرح المواهب : « موضع الشيطان من ابن آدم . وفي النهاية : موقع

(٣) ضَبُطُهَا فِي اللِّسَانِ وَفِي مَعْجَمِ ابْنِ فَارَسٍ وَفِي النِّهَايَةِ هَكَذَا ، وَضَبَطَهَا الزُّرْقَانِيُّ بِضَمِّ المِيمِ الْأَوَّلَى وَسُكُونِ الثَّانِيَةِ ، وَتَخْيِيفِ الهَاءِ اسْمُ مَفْعُولٍ مِنْ : أَمَاهُ ، أَيْ مَصْفًى ، وَفِي النِّهَايَةِ : أَنَّهُ رَأَى ذَلِكَ مِنْهَا ، قَالَ : وَالْمَاهُ : الْبُلُورُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ صَفًى ، فَهُوَ مِمَّى تَشْبِيهَا بِهِ . زَادَ فِي الْفَائِقِ : وَمَقْلُوبٌ مِنْ مَمَّوْهُ ، وَهُوَ مُفْعَلٌ مِنْ أَصْلِ الْمَاءِ . أَيْ يَجْعَلُ مَاءً . ص ١٥٤ ج ١ .

(٤) في شرح المواهب : « وأرى الشيطان في صورة ضفدع عند كتفه . »

(٥) في شرح المواهب : « وقد أدخله في منكبه الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه ، والحديث مقطوع . ص ١٥٤ ج ١ شرح المواهب . وفي اللسان نقلاً عن النهاية لابن الأثير : « فرأى فيما يرى النائم جسد رجل مُمَّيَّ ، . وحذاء : مقابل . وخنس : تأخر وغاب . وانظر ص ٤٣٩ وما بعدها فتح الباري ج ٦ . »

رد عليه النبي « ص » :

فصل : وكان ردُّ حليمةَ إِيَّاهُ إلى أمِّه وهو ابنُ خمسِ سنينَ وشهرٍ ،
فيما ذكر أبو عمر^(١) ، ثم لم تره بعد ذلك إلا مرتين : إحداها بعد تزويجه خديجة
- رضى الله عنها - جاءتته تشكو إليه السنَّة ، وأن قومها قد أسنَّوا^(٢)
فكألم لها خديجة ، فأعطتها عشرينَ رأساً من غنمٍ وبَكَراتٍ ، والمرة الثانية : يوم
حُنين^(٣) وسيأتي ذكرها إن شاء الله .

تأويل النور الذي رآته أمّته :

فصل : وذكر النورَ الذي رآته أمّته ، حين ولدته عليه السلامُ ، فأضاءت
لها قصور الشام ، وذلك بما فتح الله عليه من تلك البلاد ، حتى كانت الخلافةَ فيها
مدة بنى أمية ، واستضاءت تلك البلادُ وغيرها بنوره - صلى الله عليه وسلم -
وكذلك رأى خالدُ بنُ سعيد بن العاصي قبل المبعثِ بيسيرٍ نوراً يخرج من
زَمْزَمَ ، حتى ظهرت له البُسرُ^(٤) في نخيلٍ يَثْرِبُ ، فقَصَّها على أخيه عمرو ،

(١) يعنى ابن عبد البر . وفي الأصل : عمرو وهو خطأ . وفي المواهب
نقلاً عن ابن عبد البر أنها ردت بعد خمس وبومين ، وتفيد بعض الروايات أنها
ردته في السنة الثالثة ، أو الرابعة ، أو السادسة ، وجزم الحافظ العراقي وابن
حجر أنها ردت في الرابعة ص ١٥٠ ج ١ المواهب .

(٢) أسنَّوا : أجذبوا .

(٣) ذكره الاموى .

(٤) البسر أوله : طنلج ثم : خلال بالفتح ، ثم بلح بفتحتين ، ثم بُسر ،

ثم : رطب ثم : تمر .

عود إلى حديث ابن إسحاق :

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « ما مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ رَعَى الْعَمَمَ ، قيل : وأنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا » .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول لأصحابه : « أنا أعرَبُكُمْ ، أنا قُرَشِيٌّ ، واستُرِضِعْتُ في بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ » . [حديث ضعيف] قال ابن إسحاق : وزعم الناسُ فيما يتحدثون ، والله أعلم : أن أمَّه السعدية لما قدمت به مكة أضلَّها في الناس ، وهي مقبلة به نحو أهله ، فالتصته فلم تجده ، فأنت عبد المطلب ، فقالت له : إني قد قدِّمت بمحمد هذه الليلة ، فلما كنت بأعلى مكة أضلَّنِي ، فوالله ما أدري أين هو ، فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله أن يرده ، فيزعمون أنه وجدَه ورقةُ بنُ نوفل بنِ أسد ، ورجل آخر من قريش ، فأتيا به عبد المطلب ، فقالا له : هذا ابنك وجدناه بأعلى مكة ، فأخذه عبد المطلب ، فجعله على عنقه ، وهو يطوف بالكعبة يُعوِّذه ويدعوه ، ثم أرسل به إلى أمه آمنة .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم ، أن مما هاج أمه السعدية على رده إلى أمه ، مع ما ذكرت لأمه مما أخبرتها عنه ، أن نقرأ من الحبشة نصارى رأوه معها حين رجعت به بعدَ فِطامه ، فنظروا إليه ، وسألوها عنه وقلَّبوه ، ثم قالوا لها : لَنَا خُذْنِ هَذَا الْغُلَامَ ، فَلَمَذَّهَيْنَ بِهِ إِلَى مَلِكِنَا وَبَلَدِنَا ؛ فَإِنْ هَذَا غُلَامُ كَأَنَّ لَهُ شَأْنٌ نَحْنُ نَعْرِفُ أَمْرَهُ ، فزعم الذي حدثني أنها لم تسكُنْ تنفلت به منهم

فقال له : إنها حَفِيرَةُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وإن هذا النور منهم ، فكان ذلك سببَ مُبَادَرَتِهِ إِلَى الْإِسْلَامِ .

وفاة آمنة

وحال رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جده عبد المطلب بعدها

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع أمه آمنة بنت وهب ، وجدّه عبد المطلب بن هاشم في كَلَاءَةِ الله وحِفْظِهِ ، يُدَبِّتُهُ الله نَبَاتًا حسنًا ، لما يريد به من كرامته ، فلما بلغ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - ستّ سنين ، توفيت أمه آمنة بنت وهب .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم : أن أم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - آمنة تُوَفِّيت ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم - ابن ستّ سنين بالأبواء ، بين مكة والمدينة ، كانت قد قَدِمَتْ به على أخواله من بني عديّ بن النَجَّار ، تزيره إياهم ، فماتت ، وهي راجعة به إلى مكة .

قال ابن هشام : أم عبد المطلب بن هاشم : سَلَمَى بنت عمرو النجارية فهذه الخُتُولَةُ التي ذكرها ابنُ إسحاق لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيهم .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع جده عبد المطلب بن هاشم ، وكان يُوضَع لعبد المطلب فراش في ظِلِّ الكعبة ، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك ، حتى يخرج إليه ، لا يجلس عليه أحدٌ من بنيهِ إجلالا له ، قال : فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأتي ، وهو غُلام جَنَمَر ، حتى يجلس عليه ، فيأخذه أعمامه ، ليؤخروه عنه ، فيقول عبد المطلب

إذا رأى ذلك منهم : دَعُوا ابْنِي ، فوالله إنَّ له لَشَأْنًا ، ثُمَّ يُجْلِسُهُ مَعَهُ عَلَى الْفَرَاشِ .
وَيَمْسَحُ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ ، وَيُسِرُّهُ مَا يَرَاهُ يَصْنَعُ .

رعيه الغنم :

فصل : وذكر قول النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدَ رَعَى الْغَنَمَ . قِيلَ : وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : وَأَنَا » . وَإِنَّمَا أَرَادَ ابْنُ إِسْحَاقَ .
بِهَذَا الْحَدِيثِ رِعَايَتَهُ الْغَنَمَ فِي بَنِي سَعْدِ مَعَ أَخِيهِ مِنَ الرِّضَاعَةِ ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ رَعَاهَا بِمَكَّةَ أَيْضًا عَلَى قَرَارِيطَ الْأَهْلِ مَكَّةَ . ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ ، وَذَكَرَ الْبُخَارِيُّ عَنْهُ أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ : مَا هَمَّمْتُ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ إِلَّا مَرَّتَيْنِ ، وَرَوَى أَنْ إِحْدَى الْمَرَّتَيْنِ كَانَ فِي غَنَمٍ يَرَعَاهَا هُوَ وَغُلَامٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالَ لِمُصَاحِبِهِ : اكْفِنِي أَمْرَ الْغَنَمِ حَتَّى آتِيَ مَكَّةَ ، وَكَانَ بِهِاءُ عُرْسٍ فِيهَا لَهَا وَزَمْرَةٌ . فَلَمَّا دَنَا مِنَ الدَّارِ لِيَحْضُرَ ذَلِكَ ، أُلْقِيَ عَلَيْهِ النَّوْمُ ، فَنَامَ حَتَّى ضَرَبَتْهُ الشَّمْسُ عِصْمَةً مِنْ اللَّهِ لَهُ . وَفِي الْمَرَّةِ الْآخِرَةِ قَالَ لِمُصَاحِبِهِ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَأُلْقِيَ عَلَيْهِ النَّوْمُ فِيهَا ، كَمَا أُلْقِيَ فِي النَّوْمِ الْأَوَّلَى . ذَكَرَ هَذَا الْمَعْنَى ابْنُ إِسْحَاقَ فِي غَيْرِ رِوَايَةٍ الْبَسْكَائِيِّ . وَفِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ لِلْقُتَيْبِيِّ : « بُعِثَ مُوسَى - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ رَاعِي غَنَمٍ ، وَبُعِثَ دَاوُدُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ رَاعِي غَنَمٍ ، وَبُعِثْتُ ، وَأَنَا رَاعِي غَنَمٍ أَهْلِي بِأَجْيَادٍ ^(١) » . وَإِنَّمَا جَعَلَ اللَّهُ هَذَا فِي الْأَنْبِيَاءِ

(١) جبل بمكة ، وهما أجيدان كبير وصغير ، وهما محلطان بمكة . وقيل فيه : جباد بنير ألف . وقد سبق .

تَقْدِمَةً لَهُمْ ، لِيَكُونُوا رِعَاةَ الْخَلْقِ ، وَلِتَكُونَ أُمَمُهُمْ رِعَايَاهُمْ ، وَقَدْ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — أَنَّهُ يَنْزِعُ عَلَى قَلِيبٍ ^(١) وَحَوْلَهَا غَنَمٌ سُودٌ ، وَغَنَمٌ عُفْرٌ ^(٢) . قَالَ : ثُمَّ جَاءَ أَبُو بَكْرٍ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — فَزَعَزَعَا ضَعِيفًا ، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ فَاسْتَحَالَتْ غَرْبًا ^(٣) . يَعْنِي : الدَّلْوُ ، فَلَمْ أَرِ عَبْقَرِيًّا يَفْرِى فَرِيَةً ^(٤) فَأَوَّلَهَا النَّاسُ فِي الْخِلَافَةِ لِأَبِي بَكْرٍ ، وَعَمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَلَوْلَا ذَلِكَ كُرِيَ الْغَنَمُ السُّودُ وَالْعُفْرُ كَبُعْدَتِ الرُّؤْيَا عَنْ مَعْنَى الْخِلَافَةِ وَالرَّعَايَةِ ؛ إِذِ الْغَنَمُ السُّودُ وَالْعُفْرُ عِبَارَةٌ عَنِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، وَأَكْثَرُ الْمُحَدِّثِينَ لَمْ يَذْكُرُوا الْغَنَمَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ . ذَكَرَهُ الْبَزَّازُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ ، وَاحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ أَيْضًا ، وَبِهِ يَصَحُّ الْمَعْنَى ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

فِي كِفَايَةِ الْعَمَلِ :

فصل : وَذَكَرَ كَوْنُ النَّبِيِّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فِي كِفَالَةِ عَمِهِ يَكْتَلُوهُ

(١) الْقَلِيبُ : الْبُشْرُ قَبْلَ أَنْ تَبْنَى بِالْحِجَارَةِ وَنَحْوِهَا يَذْكُرُ وَيُؤْنِثُ . وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : هِيَ الْبُشْرُ الْعَادِيَةُ الْقَدِيمَةُ . وَنَزَعَ الدَّلْوُ : اسْتَقَى بِهَا .

(٢) الْعُفْرُ : جَمْعُ عُفْرَاءَ ، مَا يَبْلُغُ بَيَاضَهَا حُمْرَةً ، أَوِ الْبَيْضَاءُ لَيْسَتْ بِالشَّدِيدَةِ الْبَيَاضِ ، أَوِ الَّتِي فِي سِرَاتِهَا حُمْرَةٌ ، وَخَاصَرَتِهَا بَيْضَاءُ . وَالسَّرَاةُ : أَعْلَى الظَّهْرِ وَالْوَسْطُ

(٣) السَّدَلُو الْعَظِيمَةَ .

(٤) يَعْمَلُ عَمَلَهُ الْعَظِيمَ ، وَيَقْطَعُ قِطْعَهُ . وَفَرَسِيَّةٌ تَقَالُ : يَفْتَحُ الْغَنَمَ وَتَكُونُ الرَّاءُ وَفَتْحُ الْيَاءِ أَيْضًا ، وَالْحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بِدُونِ ذِكْرِ الْغَنَمِ . وَحَدِيثٌ : أَنَا أَعْرَبُكُمْ رِوَاةً ابْنُ سَعْدٍ وَالطَّبْرَانِيُّ ، وَفِي رِوَايَتِهِ مَبْشَرُ بْنُ عُبَيْدٍ ، وَهُوَ مَتْرُوكٌ ، وَقَالَ السِّيُوطِيُّ : ضَعِيفٌ .

وَيَحْفَظُهُ . فَمِنْ حَفَظَ اللَّهُ لَهُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَتِيمًا لَيْسَ لَهُ أَبٌ يَرْحُمُهُ ، وَلَا أُمَّ تَرَأُّمُهُ (١) لِأَنَّهَا مَاتَتْ ، وَهُوَ صَغِيرٌ ، وَكَانَ عِيَالُ أَبِي طَالِبٍ ضَفَفًا ، وَعَيْشُهُمْ شَفَفًا (٢) ، فَكَانَ يَوْضَعُ الطَّعَامُ لَهُ وَلِلصَّبِيِّ مِنْ أَوْلَادِ أَبِي طَالِبٍ ، فَيَتَاطَوُّونَ إِلَيْهِ ، وَيَتَقَاعِرُ هُوَ ، وَتَمْتَدُّ أَيْدِيهِمْ ، وَتَنْقَبِضُ يَدُهُ تَكْرُمًا مِنْهُ وَاسْتِحْيَاءً وَنَزَاهَةً نَفْسٍ وَقَنَاعَةً قَلْبٍ ، فَيَصْبَحُونَ غُمَصًا رُمَصًا ، مُصَفَّرَةً أَلْوَانُهُمْ (٣) وَيُصْبِحُ هُوَ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — صَقِيلًا دَهِينًا (٤) كَأَنَّهُ فِي أَنْعَمِ عَيْشٍ ، وَأَعَزَّ كِفَايَةٍ ، أَطْفًا مِنْ اللَّهِ — عَزَّ وَجَلَّ — بِهِ . كَذَلِكَ ذَكَرَهُ الْمُتَقَبِّحِيُّ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ .

موت آمنة وزيارته لهما :

فصل : وذكر موت أمه آمنة بالأبواء ، وهو موضع معروف بين مكة

(١) تحبه وتحنو عليه وتعطف . والمذكور في السيرة مع الحفظ والكلافة هو : عبد المطلب ، لا أبو طالب كما في الروض .
(٢) الضفف : كثرة العيال . والشطف والشظاف : الضيق والشدة ، ويبس العيش وشدته .

(٣) الرمص - كما في الصحاح - وسخ يجتمع في الموق ، فإن سال فهو غمص ، وإن جدد فهو رمص ، يقال : عين رمصاء ، وهو أرمص . وهو أغمص ، وهي غمصاء .
(٤) صقيل : مجلو . ودهين : مدهون بالدهن كناية عن حسنه ونضارته .
وفي حديث الرضاع كلمات نفسرها هنا : ظئر : أصلها الناقة التي تعطف على ولد غيرها ، فتدر عليه ، فسميت المرأة التي ترضع ولد غيرها ظئرا . والجفر : الغليظ الشديد . منتقع : متغير . الحافل : المملئ للضرع . اربعى علينا : أقيمى وانتظرى . والعجف : الهزال . عن الحسن ص ٥٦ ،

والمدينة ، وهو إلى المدينة أقرب كأنه سُمِّيَ بجمع بَوٍّ ، وهو جلد الخولار^(١)
المَحْشُور بالتين وغيره ، وقيل : سُمِّيَ بالأبواء لتَبَوُّء السُّيُول فيه ، وكذلك
ذكر عن كثير . ذكره قاسم بن ثابت .

وفي الحديث أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — زار قبر أمِّه
بالبَّاءِ في ألفِ مُمْتَعٍ ، فبكى وأبكى ، وهذا حديث صحيح^(٢) ، وفي الصحيح
أيضاً أنه قال : استأذنت ربي في زيارة قبر أمي ، فأذن لي ، واستأذنته أن أستغفر
لها ، فلم يأذن لي^(٣) . وفي مُسْنَد البَزَّاز من حديث بُرَيْدَةَ أنه — صلى الله
عليه وسلم — حين أراد أن يستغفرَ لأمه ، ضرب جبريلُ عليه السلام في
صَدْرِهِ ، وقال له : لا تستغفر لمن كان مُشْرِكاً ، فرجع وهو حزين .

وفي الحديث زيادةٌ في غير الصحيح أنه سُئِلَ عن بُسْكَائِهِ ، فقال : ذكرت
ضَعْفَهَا وشدةَ عذابِ الله ، إن كان صَحَّ هذا .

(١) ولد الناقة حتى يفصل . وذكر صاحب المِراصد : أن الأبواء قرية من أعمال الفرع
والفرع : قرية من نواحي الرَبْذَةِ عن يسار السقيا ، بينها وبين المدينة ثمانية برد ، من
المدينة بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً . وقيل : جَبَل عن
يمين آره ويمين المصعد إلى مكة من المدينة .

(٢) رواه أحد وفيه : وثم أقبل علينا بوجهه وعيناه تذرفان ، فقام إليه عمر
ابن الخطاب ، وفداه بالأب والام ، وقال : رسول الله ، مالك ؟ قال : إني سألت
ربي عز وجل في الاستغفار لأمي ، فلم يأذن لي ، فدمعت عيناى رحمة لها
من النار .

(٣) مسلم وابن ماجه .

وفي حديث آخر ما يَصَحِّحُهُ ، وهو أن رجلا قال له : يا رسول الله : أين أبي ؟ فقال : في النار ، فلما وَلَّى الرجلُ ، قال عليه السلام : إن أبي وأباك في النار ^(١) ، وليس لنا أن نقول نحن هذا ^(٢) في أبيه — صلى الله عليه وسلم .
أقوله عليه السلام : لا تُؤذُوا الأحياءَ بِسَبِّ الأمواتِ ، والله عزَّ وَجَلَّ .
يقول : ﴿ إِن الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ .

(١) في رواية مسلم : فلما قفا : دعاه ، فقال : إن أبي وأباك في النار . والحديث رواه أبو داود أيضا . وقيل عن الرجل الذي سأل : أنه أبو رزين العقيلي . أو حصين بن عبيد والد عمران . وفي مسند أحمد أن أبا رزين سأل عن أمه : أين هي ، فقال : كذلك . هذا ، وقد ذكر البيهقي عدة أحاديث في هذا ، ثم قال بعد روايته لها في دلائل النبوة : وكيف لا يكون أبواه وجده — عليه الصلاة والسلام — بهذه الصفة في الآخرة ، وقد كانوا يعبدون الوثن ، حتى ماتوا ، ولم يدينوا دين عيسى بن مريم عليه السلام ، وكفرهم لا يقدر في نسبه — عليه الصلاة والسلام — لأن أنكحة الكفار صحيحة . ألا تراهم يسلبون مع زوجاتهم ، فلا يلزمهم تجديد العقد ، ولا مفارقتن إذا كان مثله يجوز في الإسلام ، ويقول ابن كثير : وإخباره عن أبيه وجده عبد المطلب بأنهم من أهل النار لا ينافي الحديث الوارد عنه من طرق متعددة أن أهل الفترة والأطفال والمجانين والصم يمتحنون في العرصات يوم القيامة كما بسطناه سندا ومتنا — في تفسيرنا — عند تفسير قوله تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) الإسراء : ١٥ . فيكون منهم من يجيب ، ومنهم من لا يجيب . فيكون هؤلاء من جملة من لا يجيب ، فلا منافاة والله الحمد والمنة ، ص ٢٨١ ج ٢ البداية ، ورغم هذا فإنني أذكر بقول الله : (تلك أمة قد خلت لهما ما كسبت ، ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون) البقرة : ١٤١ .

(٢) إذا سئلنا صدعنا بالحق .

الأحزاب : ٧٥ . وإنما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لذلك الرجل هذه المقالة ، لأنه وجد في نفسه ، وقد قيل : إنه قال : أين أبوك أنت ؟ فحينئذ قال ذلك ، وقد رواء مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ بِغَيْرِ هَذَا اللَّفْظِ ، فلم يذكر أنه قال له : إن أبي وأباك في النار ، ولكن ذكر أنه قال له : إذا مررت بقبر كافر ، فبشره بالنار (١) ، ورُوِيَ حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَعَلَّهُ أَنْ يَصَحَّ . وجدته بخط جدِّي أبي عمران أحمد بن أبي الحسن القاضي - رحمه الله - بسند فيه مجهولون ، ذكر أنه نقله من كتاب ، انتسخ من كتاب مَعْمُودِ بْنِ دَاوُدَ بْنِ مُعَوِّذِ الزَّاهِدِ رَفَعَهُ إِلَى [عبد الرحمن ابن] أبي الزناد عن [هشام بن] عروة ، عن [أبيه عن] عائشة - رضي الله عنها - أخبرت أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سأل ربه أن يُخَيِّرَ أبويه ، فأحياهما له ، وآمنا به ، ثم أماتهما ، والله قادر على كل شيء ، وليس تعجز رحمته وقدرته عن شيء ، ونبيّه عليه السلام أهل أن يُخَصِّصَ بما شاء من فضله ، ويُنْعِمَ عليه بما شاء من كرامته - صلوات الله عليه وآله وسلم - قال القرطبي في تذكرته : جزم أبو بكر الخطيب في كتاب : السابق واللاحق ، وأبو حفص عمر بن شاهين في كتاب : النسخ والنسخ له في الحديث بإسناديهما عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : حج بنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حجة الوداع ، فر على قبر أمه ، وهو بالك حزين مُقَمَّمٌ ، فبكيت لبكائه - صلى الله عليه وسلم - ثم إنه نزل فقال : يا حُجَيْرُ اسْتَمْسِكْ ، فاستندتُ إلى جنب البعير ، فمكث عن طويلا مَلِيًّا ، ثم إنه عاد إلي ، وهو فَرِحٌ مُتَبَسِّمٌ ، فقلت له : بآبي أنت وأمي

(١) ورواه البيهقي والبخاري والطبراني في الكبير وفيه عن الأب : إنه في النار وقال عنه ابن كثير : غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه .

وفاة عبد المطلب : ومارثي به من الشعر

فلما بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثمانى سنين هلك عبد المطلب بن هاشم ، وذلك بعد القيل بثمانى سنين .

قال ابن إسحاق : وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد بن عباس ، عن بعض أهله : أن عبد المطلب توفي ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - ابن ثمانى سنين .

يارسول الله نزلت من عندى ، وأنت باك حزين مُقَتَّمٌ . فبكيت لبكائك .
ثم عدت إلى ، وأنت فَرِحَ مَبْتَسِمٌ ، فَمِمَّ ذَا يارسول الله ، فقال : ذهبت لقبر
أمنة أمى ، فسألت أن يحييها ، فأحيها فأمنت بي (١) ؛ أو قال : فأمنت .
وردها الله عز وجل .

(١) قال ابن كثير فى البداية عن حديث ابن أبي الزناد : منكر جداً . وقال فى التفسير عن أحد الأحاديث : وأغرب منه وأشد نكارة ما رواه الخطيب البغدادي فى كتاب السابق واللاحق بسند مجهول عن عائشة فى حديث فيه قصة أن الله أحيأمه الخ وقال الدارقطني : باطل ، وكذا ما رواه السهيلي فى الروض بسند فيه جماعة مجهولون أن الله أحيأ له أباه وأمه ، وقال ابن دحية عن حديث إحياء الأم : وهذا الحديث موضوع يرده القرآن والإجماع . قال تعالى : « ولا الذين يموتون ، وهم كفار » وقال : دقيقت وهو كافر ، فمن مات كافراً لم ينفعه الإيمان بعد الرجعة ، بل لو آمن عند المعاينة لم ينفعه ، وكيف بعد الإعادة ، ص ١٦٨ > ١ المواهب .

وقيل إن أمه ماتت وسنه أربع كما حكى العراقى ومغلطاي ، وقيل : ست وبه قطع ابن إسحاق . وقيل : سبع كما حكاه ابن عبد البر ، وقيل : تسع ، وينسب إلى حكاية مغلطاي أيضاً ، وقيل : اثنتا عشرة سنة وشهر وعشرة أيام ، وينسب إلى حكاية مغلطاي . وقيل : ثمان ، وهو قول ابن حبيب .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن سعيد بن المسيَّب : أن عبد المطلب لما حضرته الوفاة ، وعَرَفَ أنه ميت جمع بناته ، وكنَّ ست نسوة : صفية ، وبرّة ، وعاتكة ، وأم حكيم البيضاء ، وأميمة ، وأروى ، فقال لهن : ابكين عليّ حتى أسمع ما تَقُلْنَ قبل أن أموت .

قال ابن هشام : ولم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر ، إلا أنه لما رواه عن محمد بن سعيد بن المسيَّب ، كتبناه :

فَقَالَتْ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ تَبْكِي أَبَاهَا :

أَرِقْتُ لَصَوْتِ نَائِحَةٍ بَلِيلٍ	عَلَى رَجُلٍ بَقَارَعَةَ الصَّامِدِ
فَقَاضَتْ عِنْدَ ذَلِكَ دُمُوعِي	عَلَى خَدَى كُمُحَدَّرِ الْفَرِيدِ
عَلَى رَجُلٍ كَرِيمٍ غَيْرِ وَغَلٍ	لَهُ الْفَضْلُ الْمُبِينُ عَلَى الْعَبِيدِ
عَلَى الْفَيَاضِ شَيْبَةَ ذِي الْمَعَالِي	أَبِيكَ الْخَيْرِ وَارِثِ كُلِّ جُودِ
صَدُوقٍ فِي الْمَوَاطِنِ غَيْرِ نِكْسٍ	وَلَا شَخْتِ الْمَقَامِ وَلَا سَنِيدِ
طَوِيلِ الْبَاعِ ، أَرْوَعَ شَيْظَمِي	مُطَاعٍ فِي عَشِيرَتِهِ حَمِيدِ
رَفِيعِ الْبَيْتِ أَبْلَجَ ذِي فَضُولِ	وَعَيْثِ النَّاسِ فِي الزَّمَنِ الْخَرُودِ
كَرِيمِ الْجَدِّ لَيْسَ بَذَى وَصُومِ	يَرُوقُ عَلَى الْمُسَوِّدِ وَالْمَسُودِ
عَظِيمِ الْحَلِيمِ مَنْ نَفَرَ كِرَامِ	خَضَارِمَةٍ مَلَاوِيَةِ أَسُودِ
فَلَوْ خَلَدَ أَمْرُوهُ لَقَدِيمِ مَجْدِ	وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْخُلُودِ
لَكَانَ مُخَلِّدًا أُخْرَى اللَّيَالِي	لِفَضْلِ الْمَجْدِ وَالْحَسْبِ التَّلِيدِ

وقالت بَرّة بنت عبد المطلب تبكى أباه :

أَعْيَنِي جُودًا بَدَمَعِ دِرَزْ	على طَيِّبِ الْخِيَمِ وَالْمُعْتَصِرِ
على ماجد الجَدِّ وارى الزَّنَادِ	جميلَ الْحَيَا عَظِيمِ الْخَطَرِ
على شَيْبَةِ الْحَمْدِ ذِي الْمَكْرُمَاتِ	وذِي الْمَجْدِ وَالْعِزِّ وَالْمُنْتَخِرِ
وذِي الْحِلْمِ وَالْقَصْلِ فِي النَّائِبَاتِ	كثيرِ الْمَكَارِمِ ، جَمِّ الْفَجَرِ
له فَضْلٌ مَجْدٌ عَلَى قَوْمِهِ	مُنِيرٌ ، يُلَوِّحُ كَضَوْءِ الْقَمَرِ
أَتْنَهُ الْمَنَايَا ، فَلَمْ تُشَوِّهِ	بَصْرِفِ الْآيَالَى ، وَرَيْبِ الْقَدَرِ

وقالت عاتكة بنت عبد المطلب تبكى أباه :

أَعْيَنِي جُودًا ، وَلَا تَبْخَلَا	بَدَمَعِكَا بَعْدَ نَوْمِ النِيَامِ
أَعْيَنِي ، وَاسْتَحْفِرَا وَاسْكُبَا	وَشُوبَا بَكَاءِكَا بِالْتِمَامِ
أَعْيَنِي ، وَاسْتَخْرِطَا وَاسْجُمَا	على رَجُلٍ غَيْرِ نِكْسِ كَهَامِ
على الْجَحْفَلِ الْعَمْرِ فِي النَّائِبَاتِ	كَرِيمِ الْمَسَاعِي ، وَفِي الدِّمَامِ
على شَيْبَةِ الْحَمْدِ ، وَارِي الزَّنَادِ	وذِي مَصْدُقٍ بَعْدُ ثَبَّتِ الْمَقَامِ
وَسَيْفِ لَدَى الْحَرْبِ صَمَصَامَةٍ	وَمِرْدَى الْمُخَاصِمِ عِنْدَ الْخِصَامِ
وَسَهْلِ الْخَلِيقَةِ طَلْقِ الْيَدَيْنِ	وَفِي عُدْمِ مِلْيَ صَمِيمِ لُهَاِمِ
تَبَنِّكَ فِي بَاذِخٍ بَيْتُهُ	رَفِيعِ الدَّوَابَةِ صَعْبِ الْعَرَامِ

وقالت أم حَكِيمِ الْبَيْضَاءِ بنت عَبْدِ الْمَطْلَبِ تبكى أباه :

أَلَا يَا عَيْنُ جُودِي وَاسْتَهْلِي وَبَكِّي ذَا النَّدَى وَالْمَكْرُمَاتِ

أَلَا يَا عَيْنُ وَيَحْكُ أَشْعَفِي بَدْمُجٍ مِنْ دُمُوعِ هَاطَلَاتِ
وَبَكِّي خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا أَبَاكَ الْخَيْرَ تَيَّارَ الْفُرَاتِ
طَوِيلَ الْبَاعِ شَيْبَةَ ذَا أَلْمَعَالِي كَرِيمَ الْخَلِيمِ تَحْمُودَ الْهَبَاتِ
وَصُولاَ الْقَرَابَةِ هِزْزِيَا وَغَيْثَا فِي السَّنِينَ الْمُتَحِلَاتِ
وَلَيْثَا حِينَ تَشْتَجِرُ الْعَوَالِي تَرُوقُ لَهُ عُيُونُ النَّاطِرَاتِ
عَقِيلَ بَنَى كَنَانَةَ وَالْمُرَجَّى إِذَا مَا الدَّهْرُ أَقْبَلَ بِالْهِنَاتِ
وَمَفْرَعَهَا إِذَا مَا هَاجَ هَيْجٌ بَدَاهِيَةَ ، وَخَضَمَ الْمُفْضَلَاتِ
فَبَسْكِهِ ، وَلَا تَسْمِي بِحُزْنٍ وَبَكِّي ، مَا بَقِيَتْ ، الْبَاكِيَاتِ

وَقَالَتْ أُمَيْمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ تَبْكِي أَبَاهَا :

أَلَا هَلْكَ الرَّاعِي الْعَشِيرَةَ ذُو الدَّمْدَمِ وَسَاقِي الْحَجِيجِ ، وَالْحَامِي عَنِ الْمَجْدِ
وَمَنْ يُؤَلِّفُ الضَّيْفَ الْغَرِيبَ بِيَوْتَهُ إِذَا مَا سَمَاهُ النَّاسُ تَبَجَّحَلُ بِالرَّعْدِ
كَسَبْتُ وَلِيداً خَيْرَ مَا يَكْسِبُ الْفَتَى فَلَمْ تَنْفَسِكْ تَزْدَادُ يَا شَيْبَةَ الْحَمْدِ
أَبُو الْحَارِثِ الْفَيَّاضُ ، خَلَّى مَكَانَهُ فَلَا تَبْعُدَنَّ ، فَسَكَلْ حَى إِلَى بُعْدِ
فَإِنِّي لَبَاكُ — مَا بَقِيَتْ — وَمُوجَعٌ وَكَانَ لَهُ أَهْلًا لَمَّا كَانَ مِنْ وَجْدِ
سَقَاكَ وَلِيُّ النَّاسِ فِي الْقَبْرِ مُمِطِراً فَسَوْفَ أَبْكِيهِ ، وَإِنْ كَانَ فِي الْأَعْدِ
فَقَدْ كَانَ زَيْنَاً لِلْعَشِيرَةِ كُلِّهَا وَكَانَ حَمِيداً حَيْثُ مَا كَانَ مِنْ حَمْدِ

وَقَالَتْ أَرْوَى بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ تَبْكِي أَبَاهَا :

بَكَتْ عَيْنِي ، وَحَقُّ لَهَا الْبُكَاهُ عَلَى سَمَحٍ ، سَجِيئُهُ الْحَيَاهُ

عَلَى سَهْلِ الْخَلِيقَةِ أَبْطَحِي كَرِيمِ الْخَلِيمِ ، نَيْتُهُ الْعَلَامِ
 عَلَى الْفَيَاضِ شَيْبَةَ ذِي الْمَعَالِي أَيْمِكَ الْخَيْرِ لَيْسَ لَهُ كِفَاةُ
 طَوِيلِ الْبَاعِ أُمْلَسْ ، شَيْطَمِيَّ أَغَرَّ كَأَنَّ غُرَّتَهُ ضِيَاءُ
 أَقْبَّ الْكَشْحِ ، أَرْوَعَ ذِي نُضُولٍ لَهُ الْمَجْدُ الْمُقَدَّمُ وَالسَّنَاءُ
 أَبِي الضَّمِيمِ ، أَبْلَجَ هَبْرَزِي قَدِيمِ الْمَجْدِ لَيْسَ لَهُ خَفَاءُ
 وَمَعْقِلِ مَالِكٍ ، وَرَبِيعِ فِهْرِ وَفَاصِلِهَا إِذَا التَّمَسَّ الْقَمَاضُ
 وَكَانَ هُوَ الْفَتَى كَرَمًا وَجُودًا وَبَاسًا حِينَ تَنْسَكِبُ الدَّمَاءُ
 إِذَا هَابَ الْكُمَاةُ الْمَوْتَ حَتَّى كَأَنَّ قُلُوبَ أَكْثَرِهِمْ هَوَاءُ
 مَضَى قَدُومًا بِذِي رُبْدٍ خَشِيبٍ عَلَيْهِ حِينَ تُبْصِرُهُ الْبَهَاءُ

قال ابن إسحاق : فرغم لي محمد بن سعيد بن المسيب أنه أشار برأسه ، وقد
 أضمت : أن هكذا فابكيني .

قال ابن هشام : المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران
 ابن مخزوم .

قال ابن إسحاق : وقال حذيفة بن غانم أخو بني عدي بن كعب بن لؤي
 يبيكي عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، ويذكر فضله ، وفضل قصي على
 قریش ، وفضل ولده من بعده عليهم ، وذلك أنه أخذ بفرم أربعة آلاف درهم
 بمكة ، فوقف بها فرم به أبو لهب عبد العزی بن عبد المطلب ، فافتككه :

أَعْنِيَّ جُودًا بِالْذُّمِّ مَوْعٍ عَلَى الصَّدْرِ وَلَا تَسَامَا ، أَسْقِيئِمَا سَبَلَ الْقَطْرِ

وجُوداً بدمعٍ، واسفحاً كلَّ شارق
 وسحّاً، وُجماً، واسجماً ما بقيتما
 على رجل جلد القوى، ذى حفيظة
 على الماجد البهلول ذى الباع واللهى
 على خير حافٍ من معدٍّ وناعلٍ
 وخيرهم أضلاً وفرعاً ومعدناً
 وأولاهم بالجدِّ والحلم والنهى
 على شعبة الحمد الذى كان وجهه
 وساقى الحجاج ثم للخبز هاشم
 طوى زمز ما عند المقام، فأصبحت
 ليبيك عليه كلُّ عانٍ بكربة
 بنوه سرّاةً، كهلهم وشبابهم
 قصيُّ الذى عادى كنانة كلها
 فإن تكُ غالتُه المنايا وصرفها
 وأبقى رجالاً سادةً غيرَ عزَل
 أبو عتبة الملقى إلى حباءه
 وحزرة مثل البدر، يهتزُّ للندى
 وعبدُ مناف ماجد ذو حفيظة
 كرههم خير الكهول، ونسلهم

بكاء امرئٍ لم يشوّه نائبُ الدهر
 على ذى حياءٍ من قريش، وذى ستر
 جميل المحيّا غيرِ نكس ولا هذر
 ربيع لوى فى القحوط وفى العسر
 كريم المساعى، طيب الخيم والنجر
 وأحظّاهم بالمكرُماتِ وبالذكر
 وبالفضل عند الهجرات من الغبر
 يضىء سواد الآيل كالقمر البدر
 وعبدُ مناف، ذلك السيّد الفهرى
 سقايتُه فخراً على كل ذى فخر
 وآل قصيٍّ من مقلٍّ وذى وفر
 تفلّق عنهم بيضة الطائر الصقر
 ورابطَ بيت الله فى العسر واليسر
 فقد عاش ميمون النقيبة والأمر
 مصاليت، أمثال الرُدْبنية السمر
 أغرّ، هجان اللّون من نفر غرّ
 نقى الثياب والذمام من الغدر
 وصول لذى القربى رحيم بذى الصهر
 كنسل الملوك، لا تبور ولا تحزى

متى ما تلاقى منهم الدهر ناشئاً
 ثم ملثوا البطحاء مجدأ وعزة
 وفيهم بناءة للملا ، وعماره
 بإنسكاح عوف بنته ، ليجيرنا
 فسرنا تها مي البلاد ونجدها
 وهم حضروا والناس باد فريتهم
 بنوها دياراً جمة ، وطووا بها
 لكي يشرب الحجاج منها ، وغيرهم
 ثلاثة أيام تظل ركبهم
 وقدما غنيما قبل ذلك حقة
 وهم يغفرون الذنب ينقم دونه
 وهم جمعوا حلف الأحابيش كلها
 فخراج ، إنا أهلسكن ، فلا نزل
 ولاننس ما أسدى ابن لئبي ؛ فإنه
 وأنت ابن لئبي من قصي إذا انتموا
 وأنت تناولت الملا ، فجمعتها
 سبقت ، وقت القوم بذلاً وناثلاً
 وأمك سرت من خزاعة جوهـر
 إلى سبأ الأبطال منى ، وتنتقى

تحذه بلجزياً أوائله يجرى
 إذ اسدق الخيرات في سالف المضر
 وعبد مناف جدكم ، جابر الكسـر
 من أعدائنا إذ أسلمتنا بنو فهر
 بأمنه حتى خاضت العير في البحر
 وليس بها إلا شيوخ بني عمرو
 بئارا نسج الماء من نسيج البحر
 إذا ابتدروها صبح نابعة النحر
 تحية بين الأخاشب والحجر
 ولا نستقى إلا بجم أو الحفر
 ويغفون عن قول السفاهة والهجر
 وهم نكلوا عنا غواة بني بكر
 لهم شاكرأ حتى تغمب في القبر
 قد أسدى بدأ تحفوقه منك بالشكر
 بحيث انتهى قصد الفؤاد من الصدر
 إلى محمدي للجد ذي نسيج جسر
 وسدت وليداً كل ذي سودد غمر
 إذا حصل الأنساب يومادو والخبر
 فأكرم بها منسوبة في ذرا الزهر

أَبُو كَثِيرٍ مِنْهُمْ ، وَعَمْرُو بْنُ مَالِكٍ وَذُو جَدَنٍ مِنْ قَوْمِهَا وَأَبُو الْجُبَرِ
وَأَسْعَدُ قَادَ النَّاسِ عَشْرِينَ حِجَّةً يُؤَيِّدُ فِي تِلْكَ الْمَوَاطِنِ بِالنَّصْرِ

قال ابن هشام : « أُمُّكَ سِرٌّ مِنْ خِزَاةٍ » ، يعنى : أبا لهب ، أمه : لُبْنَى
بنت هاجر الخَزَاعِي . وقوله : « بِأَجْرِيَّاءٍ أَوَائِلُهُ » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال مَطْرُودُ بْنُ كَعْبٍ الْخَزَاعِيُّ يَبْكِي عَبْدَ الْمَطْلَبِ
وَبَنَى عَبْدَ مَنْفٍ :

بِأَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُحَوَّلُ رَحْلَهُ هَلَّا سَأَلْتَ عَنْ آلِ عَبْدِ مَنْفٍ
هَبَّتْكَ أُمُّكَ ، لَوْ حَلَلْتَ بَدَارَهُمْ ضَمِنُوكَ مِنْ جُرْمٍ وَمِنْ إِقْرَافٍ
الْمُنْعَمِينَ غَنِيَهُمْ بِفَقِيرِهِمْ حَتَّى يَعُودَ فَقِيرُهُمْ كَالْكَافِي
الْمُنْعَمِينَ إِذَا النُّجُومُ تَغَيَّرَتْ وَالظَّاعِنِينَ لِرِحْلَةِ الْإِبْلَافِ
وَالْمُنْعَمِينَ إِذَا الرِّيحُ تَنَافَحَتْ حَتَّى تَغِيْبَ الشَّمْسُ فِي الرَّجَافِ
إِنَّمَا هَلَكْتَ أَبَا الْفَعَالِ فَمَا جَرَى مِنْ فَوْقِ مِثْلِكَ عَقْدَ ذَاتِ نَطَافِ
إِلَّا أَيْبُكَ أَخِي الْمَكَارِمِ وَحْدَهُ وَالْفَيْضَ مُطْلَبُ أَبِي الْأَضْيَافِ

قال ابن إسحاق : فلما هَلَكَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ بْنُ هَاشِمٍ وَلِيَ زَمْزَمَ وَالسَّقَايَةَ
عليهما بعده الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَهُوَ يَوْمُنَا مِنْ أَحْدَثِ إِخْوَتِهِ سِنًا ، فَلَمْ
تَزَلْ إِلَيْهِ ، حَتَّى قَامَ الْإِسْلَامُ وَهُوَ بِيَدِهِ . فَأَقْرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَهُ
عَلَى مَا مَضَى مِنْ وَلايَتِهِ ، فَهِيَ إِلَى آلِ الْعَبَّاسِ ، بِوَلَايَةِ الْعَبَّاسِ إِيَّاهَا ، إِلَى
الْيَوْمِ .

كفالة أبي طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم

وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد عبد المطلب مع عمّه أبي طالب ، وكان عبد المطلب - فيما يزعمون - يوصى به عمّه أبا طالب ، وذلك لأن عبد الله أبا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبا طالب أخوان لأب وأمّ أُمّهما : فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم [بن بَقَظَة بن مُرّة] .

قال ابن هاشم : عائذ بن عمران بن مخزوم .

قال ابن إسحاق : وكان أبو طالب هو الذي يلى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جدّه ، فكان إليه ومعه .

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، أن أباه حدثه : أن رجلا من لُهَب - قال ابن هشام : وَلِهَب : من أُرْدَشْنُوَّة - كان عائفاً ، فكان إذا قَدِم مكة أتاه رجالُ قُرَيْشٍ بفِلمَانِهِمْ ينظر إليهم ، وَيَعْتَافُ لَهُمْ فِيهِمْ . قال : فَاتَى به أبو طالب ، وهو غلام مع من يأتيه ، فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم شغله عنه شيء ، فلما فَرَغ قال : الغلام . علىّ به ، فَلَمَّا رَأَى أبو طالب حِرْصَهُ عَلَيْهِ غَيَّبَهُ عَنْهُ ، فجعل يقول : وَيَلَكُم ! رُدُّوا عَلَىّ الغلام الذي رأيت آتِياً ، فوالله لَيَكُونَنَّ لَهُ شَأْن . قال : فانطلق أبو طالب .

وفاة عبد المطلب

قول صفية :

ففاضت عند ذلك دُموعي على خدي كمنحدر الفريد

يروى : كمنحدر بكسر الدال أى : كالدر المنحدر ، ومنحدر بفتح الدال فيكون التشبيه راجعاً للفيض ، فعلى رواية الكسر : شبهت الدمع بالدرّ الفريد ، وعلى رواية الفتح شبهت الفيض بالأنحدر .

وقولها : أليك الخَيْر . أرادت : الخير نقيض ، كما يقال : هَيْنٌ وَهَيْنٌ ، وفى التذييل : (خَيْرَاتٌ حَسَنٌ) الرحمن : ٧٠ . وكان اسم أم الدرداء : خَيْرَةُ بنت أبي حذَرْد (١) وكذلك أم الحسن بن أبي الحسن البصرى ، اسمها : خَيْرَةُ ، فهذان المخفف ، ويموز أن يكون الخَيْرُ ههنا هو ضد الشر ، جعلته كله خيراً على المبالغة كما تقول : ما زيد إلا عِلْمٌ أو حُسْنٌ ، وما أنت إلا سَيْرٌ ، وهو تجاز حسنٌ ، فعلى هذا الوجه لا يثنى ولا يُجمع ولا يُؤنثُ ، فيقال : خَيْرَةٌ .

(١) هى صحابية ، وكانت زوجاً لأبي الدرداء . وكانت له زوجتان كل واحدة منهما كنيتهما : أم الدرداء ، وهما كبرى وصغرى . والكبرى : هى الصحابية ، والصغرى : تابعة ، وهى التى روت فى الصحيح ، أما الكبرى فليس لنا فى الصحيحين حديث ، وهى خَيْرَةُ بنت أبي حذَرْد ، واسمها : سلامة بن عمر . وهى أسلية وفى القاموس : أبو الحذر الدرداء الأسلى : صحابى ، ولم يحمى فمعلّح بتكرير العين غيره . والحذر : القصير .

وقولها : ولا شَخْتُ المقام ولا سَنِيد : الشَخْتُ : [الدقيق الضامِرُ لا هُزْلاً]
ضدَّ الضَّخْم ، تقول : ليس كذلك ، ولكنه ضَخْمُ المقام ظاهرُهُ . والسَّيْدُ :
الضَّعِيفُ الَّذِي لَا يَسْتَقِيلُ بِنَفْسِهِ ، حَتَّى يَسْنُدَ رَأْيَهُ إِلَى غَيْرِهِ .

وقولها : خَضَارِمَةٌ مَلَاوِنَةٌ . ملاوئته : جَمْعُ مِلَاوَاتٍ ^(١) من اللَّوْنَةِ ، وهى
القوة ، كما قال المُكْتَبَرُ :

عند الحَفِظَةِ إِنِّ ذُو لَوْنَةٍ لَنَا

وقد قيل : إِن اسْمَ اللَّيْثِ مِنْهُ أُخِذَ ، إِلَّا أَنَّ وَادَهُ انْقَلَبَتْ ياء ؛ لَأَنَّهُ
فَعِيلٌ ، فَخُفَّفَ كَمَا تَقْدُمُ : فِي هَيْنٍ وَهَيْنٍ ، وَلَيْنٍ وَلَيْنٍ .
وقول بَرَّةَ :

أَتَتْهُ الْمَنَايَا فَلَمْ تُشَوِّهِ

أى : لَمْ تُصِبِ الشَّوْىَ ^(٢) ، بَلْ أَصَابَتْ الْمَقْتَلَ ، وَقَدْ تَقْدُمُ فِي حَدِيثِ
عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَضَرْبِهِ بِالْقِدَاحِ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ ، وَكَانَ يَرَى أَنَّ السَّهْمَ إِذَا خَرَجَ
عَلَى غَيْرِهِ أَنَّهُ قَدْ أَشْوَى ، أَى : قَدْ أَخْطَأَ مَقْتَلَهُ ، أَى : مَقْتَلَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَابْنِهِ ،

(١) فِي اللِّسَانِ : الْمَلَاثُ بَفَتْحِ الْمِيمِ وَالْمَلَاوَاتُ : السَّيْدُ الشَّرِيفُ وَالشَّيْظُمَى :
الْمَتَى الْجَسَمُ . وَالْخَضَارِمَةُ : جَمْعُ خَضْرَمٍ بِكَسْرِ الْخَاءِ وَالرَّاءِ : الْكَثِيرُ الْعَطَاءِ .
النَّكْسُ : الضَّعِيفُ الَّذِي لَا خَيْرَ فِيهِ . الْحُرُودُ : النَّاقَةُ الْقَلِيلَةُ الدَّر .

(٢) الشَّوَاةُ : جِلْدَةُ الرَّأْسِ ، وَالشَّوَى : الْيَدَانِ وَالرِّجْلَانِ وَالْأَطْرَافُ ، وَمَا كَانَ
غَيْرَ مَقْتَلٍ .

ومن رواه : أشوى بفتح الواو فالشهم هو الذى أشوى وأخطأ، وبكلا الضبطين وجدته ، ويقال أيضاً : أشوى الزرع : إذا أفرك (١) فالأول من الشوى ، وهذا من الشى بالنار ، قاله أبو حنيفة .

وقول عائكة : ومردى المخاصم ، المردى : مفعول من الردى ، وهو الحجر الذى يقتل من أصيب به ، وفى المثل : كُـلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ مُرْدَانُهُ (٢) [أى : يقرب منه حقه ، لأنه يُرمى به فيقتل]

وقولها : وف. أى : وفى ، وخفف للضرورة ، وقولها : عُدْمُلِي . العُدْمُلِي : [وَالْعُدْمِيلُ وَالْعُدْمِيلُ] الشديد . وَاللَّهُمَّ : فُعَالٌ مِنْ لَمِمْتُ الشَّيْءَ ، أَلْهَمَهُ : إذا ، ابتَلَعْتَهُ ، قال الراجز : [رُوْبَةُ بْنُ الْعَجَّاجِ] .

كلحوت لا يرويه شيء بلهمه . يُصْبِحُ عَطْشَانًا (٤) وفى البحر فمه
ومنه سمي الجيش : أَلْهَمًا

(١) أفرك : حان له أن يفرك . وفى اللسان : أشوى القمح : أفرك ، وصلح أن يشوى .

(٢) هذا والخيم فى قصيدة برة : السجبة والطبيعة . وطيب المعتصر : جواد حين يسأل .

(٣) فى الأصل : عند . وفى مجمع الامثال وسمط الكلى : وعنده . والمرادة : الحجر الذى يرمى به ، والضب قليل الهداية ، فلا يتخذ حجره إلا عند حجر يكون علامة له . فن قصده ، فالحجر الذى رمى الضب به يكون بالقرب منه . فعنى المثل : لاناً من الحدثنان والسخير . فإن الآفات مُعَدَّةٌ مع كل أحد : يصرب ان يتعرض للهاسكة .

(٤) فى ديوان روبة : ظمان . وانظر ص ٣٤٣ > ٤ خزانة البغدادى .

وقولها : على الْجَحْفَلِ . جعلته كالجَحْفَلِ ، أى : يقوم وحده مقامه ،
وَالْجَحْفَلُ : لفظ مَنْحُوتٌ من أصلين ، من : جَحَفَ وَجَفَلَ ، وذلك أنه يَجْحَفُ
ما يمر عليه أى : يَقْشِرُهُ وَيَجْفِلُ : أى يَقْلَعُ (١) ونَظِيرُهُ نَهَشَلُ : الذئبُ ، هو
عندهم منحوت من أصلين أيضاً ، من : نَهَشَتُ اللحمَ ونَشَلْتُهُ (٢) وعانكة : اسمٌ
منقول من الصَّفَاك ، يقال : امرأةٌ عانِكةٌ ، وهى الْمُصَفِّرة لبدنها بالزَّعْفَرَانِ
والطَّيْبِ . وقال القَتَيْبِيُّ : عَتَكَتِ القوسُ : إذا قَدَمَتْ (٣) وبه سُمِّيَتِ المرأةُ .
والقول الأول قولُ أبى حنيفة .

وقول أَرْوَى : وَمَعْقِلٌ مالِكٌ وربيعٌ فِهْرٌ . تريد : بنى مالك بن النضر
ابن كِنانةً . وقولها : بذى رُبْدٍ . تريد : سَيْفًا ذا طرائقَ . والرُّبْدُ : الطرائقُ .
وقال صَخْرَةُ النُّعَيْمِ [الهَذَلِيُّ] :

وصارِمٌ أَخْلَصَتْ خَشِيبَتَهُ أبيضُ مَهْوٌ فى مَتْنِهِ رُبْدٌ (٤)

(١) يجفل فى اللسان ويجحف : يقشر : وفى الأصل : حجف بدلا من جحف ،
وهذه أثبتنا خطأ الأولى .

(٢) نهشه : كمنعه ، نهسه . والنهس : أخذ اللحم بمقدم الأسنان ونشفه . ونشل
اللحم : أخرجه من القدر بيده بلا مغرفة ، أو أخذ بيده عضوا ، فتناول ما عليه
من اللحم بفيه .

(٣) فى القاموس : عتك القوس عتكا . وعتوكا ، فبى عاتك :
احمرت قَدَمًا ، وكذلك فى اللسان .

(٤) خشية فى الأصل : خشيشة ، وهو خطأ صوابته ، من اللسان . والخشيشة : الطبيعة
أخلصها المداوس والصقل ، يقال : خشب السيف : طبعه أو صقله . المهو : السيف
الرفيق الشفرتين . وهى على وزن فلح ، لأنها مقلوبة من موه ، لأنها من الماء الذى لامه =

وقول عاتكة : تَبَنِّكَ في باذخ . يَتُّهُ . أى : تَبَنِّكَ يَتُّهُ في باذخ
من الشَّرَفِ ، ومعنى تَبَنِّكَ : تَأَصَّلَ من البُنْكَ وهو : الأَصْلُ . وَالْبُنْكَ أيضاً :
ضَرْبٌ من الطَّيْبِ ، وهو أيضاً عود السوس^(١) [شجر يغمى به البيوت ،

= هاء ، بدليل قولهم في جمعه : أمواه . والربد : شبه غبار أو مدب نمل في جوهره
وقيل : الحَشَبُ الذي في السيف هو أن يضع عليه سناناً عريضاً لمس ، فبدلكه به .
والمعنى : أن هذا السيف أرق حتى صار كالماء في رفته . والبيت في اللسان في مادة
خشب : ومرفه - برفعها ورفع أبيض - ومهو . وفي مادة : مها « وصارم »
كما في الروض ، وقد ورد البيت في معجم ابن فارس في مادة ربد كما في الروض
وقال عن الربد : « فأما ربد السيف فهو فرند ديباجته ، وهي هذلية .

وقال في مهو : « وسيف مهو : رقيق الحد كأنه يمر في الضريبة مر الماء » .
واللسان يرويه في مادتي ربد ومهو كما ذكر الأستاذ عبدالسلام هارون في تعليقه على
معجم ابن فارس . ويوجد البيت في ديوان الهذليين وشرح السكري للهذليين . .
ومن معاني قصيدة عاتكة : اسحنفرا : صبا الدموع بكثرة . الالتدام : ضرب
النساء وجوههن في النياحة . استخرط الرجل في البكاء : ألج فيه . الكهام : الرجل
الكليل السن . ومن معاني قصيدة أم حكيم : استهلى ، أظهرى البكاء . التيار :
معظم الماء . والفرات : الماء العذب . النهيرِزى : الحاذق في أموره .
تشتجر العوالى : تختلط الرماح في الحرب . الهنات : جمع هنة ، وهي كناية عن
القمييح . ولا تَسَمَى ، أرادت : ولا تسمى . ومن غريب شعر أميمة : ذو الفقد :
الفياض الكثير العطاء ، فإني لباك : أخبرت عن نفسها لإخبار المذكر على معنى
الشخص . ومن غريب شعر أروى . السجية : الطبيعة ، أبطحى : نسبة إلى بطحاء
مكة ، وهو الموضع السهل منها . الآقب : الضامر . الكشح : الحصر .

(١) في اللسان وفي القاموس ما وضعته بين قوسين عن عود السوس ، ويقول
الأزهري عن البنك : إنها فارسية ومعناها : الأصل . ولهذا يقول ابن فارس
في مادة بنك : كلمة واحدة وهو قولهم : تبَنِّكَ بالمسكان ، أقام به .

ويدخل عصيره في الأدوية ، وفي عروقه حلاوة شديدة ، وفي فروعه مرارة] .
 وقوله : فأشار إليهن برأسه ، وقد أضمّت بفتح الهمزة والميم ، هكذا قيده
 الشيخ عن أبي الوليد ، ويقال : صَمَتَ وأَصَمَّتْ ، وسَكَّتَ وأَسَكَّتْ
 بمعنى واحد ، [وَسَمَحَ وَأَسَمَحَ ، وَعَصَفَ الرِّيحَ وَأَعَصَفَتْ ، وَطَلَعَتْ عَلَى الْقَوْمِ
 وَأَطْلَعَتْ . ابن قتيبة في أدب الكاتب] .

أبو جهم :

وذكر شعْرُ حَذِيفَةَ بن غانمِ العَدَوِيِّ ، وهو والد أبي جهم بن
 حَذِيفَةَ (١) ، واسمُ أبي جهم : عُبَيْدٌ ، وهو الذي أهدى الخَمِيصَةَ (٢)

(١) قال البخاري وجماعة : اسمه عامر ، وكنيته في الإصابة : أبو الجهم . وأبو
 جهم من المعمرين ، وفي نسب قريش : أبو جهم بن حذيفة بن غانم ، بن عامر ،
 ابن عبد الله بن عبيد بن عوش ، بن عدى بن كعب القرشي العدوي . وقد ضبط
 النووي عبيد بفتح العين ، وضبطت في النسب بضمها . انظر ص ٣٦٩ نسب
 قريش ، وترجمة أبي جهم في التهذيب للنووي .

(٢) الخميصة ، ثوب حر ، أو صوف معلم ، وقيل : لا تسمى خميصة إلا أن
 تكون سوداء مُعَمَّلَةً ، وكانت من لباس الناس قديما . وهو يشير إلى ما روى
 في الصحيحين من طريق عروة عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : صلى النبي -
 صلى الله عليه وآله وسلم - في خميصة لها أعلام . فقال : اذهبوا بخميصتي هذه
 إلى أبي جهم . واثبتوني بأنسجانية أبي جهم ، فإنها ألتفتي آتفا عن صلاتي .
 والأنبجانية - بفتح الباء وكسر ها وفتح الهمزة - نسبة إلى منبج أو أنبجان ، وهو كساء
 يتخذ من الصوف ، وله خَمَلٌ [القطيفة أو أهداها] ، ولا عَلَمَ له . وهي
 من أدون الثياب الغليظة . وإنما طلب الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الأنبجانية
 لثلايئورد الهدية - وهي الخميصة - في قلبه .

لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنظر إلى علمها . الحديث . وقد روى
أيضاً هذا الحديث على وجه آخر ، وهو أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
أتى نَجْمِيصَتَيْنِ ، فأعطى إحداهما أبا جهم ، وأمسك الأخرى ، وفيها علم ،
فلما نظر إلى علمها في الصلاة أرسلها إلى أبي جهم ، وأخذ الأخرى بدلا
منها ، هكذا رواه الزُّبَيْرُ (١) . وأم أبي جهم : بُسَيْرَةُ بنتُ عبد الله بن أذاة
ابن رباح ، وابن أذاة : هو خالُ أبي قُحَافَةَ ، وسيأتي نسبُ أمه ، وقد قيل :
إنَّ الشعرَ لِحَذَافَةَ بن غانم ، وهو أخو حذيفة والد خارجة بن حذافه ، وله يقول
فيه : أَخَارِجْ إِنِّ أَهْلِكَ . وفي الشعر : غَيْرُ نَكْسٍ وَلَا هَذَرٍ . النِّكْسُ من
السَّهَامِ : الذي نُكِّسَ في الكِنَانَةِ ليميزه الرامي ، فلا يأخذه لرداءته . وقيل :
الذي انكسر أعلاه ، فَنُكِّسَ وَرُدَّ أعلاه أسفله ، وهو غير جيد للرمي .

وقوله : لَا تَبُورُ وَلَا تَحْرِي . أي : لَا تَهْلِكُ وَلَا تَنْقُصُ ، ويقال للأفعى : حَارِيَّةٌ
لرَقَّتْهَا (٢) وفي الحديث : ما زال جسم أبي بكرٍ يَحْرِي حُزْناً على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، أي : يَنْقُصُ لحمه ، حتى مات ، والإجْرِيَاءُ : السيرة وهي
إفْعِيالَاءٌ من الْجَزَى (٣) ، وليس لها نظيرٌ في الأبنية إلا الإِفْعِيالَاءُ في معنى

(١) رواه مرسلًا .

(٢) هي التي كبرت ، ونقص جسمها ، ولم يبق إلا رأسها ونفسها وسماها .

(٣) في الأصل : لإحرياء والحري بالحاء ، وهو خطأ صوابه ما أثبتته . والإجْرِيَاءُ
في اللسان : الوجه الذي تأخذ فيه ، وتجرى عليه . وتقصّر وتمد .

الهِجْرِي (١)

وفيها قوله : وليس بها إلا شيوخ بنى عمرو . يريد : بَنِي هَاشِمٍ ؛ لأنَّ اسمَهُ
عَمْرُو .

وفيها : غَيْرُ عَزَلٍ ، وهو : جمعُ أُعْزَلَ ، ولا يُجمعُ أَفْعَلَ على فَعْلٍ ، ولكن
جاء هكذا ؛ لأنَّ الأَعْزَلَ في مقابلة الرامح (٢) وقد يحملون الصفة على ضدها ،
كما قالوا : عَدُوَّةٌ - بناءً التانيث - حَمَلًا على صديقة ، وقد يجوز أن يكون أجراه
تَجَرَّى : حُسْرٍ جمع : حاسِر ؛ لأنه قريبٌ منه في المعنى (٣)
نهام وسام :

وقوله : فسرنا تَهَامِيَّ البلاد مخففاً مثل يمانياً ، والأصلُ في يَمَانٍ : يَمَيٌّ ،
خففوا الياء ، وعوضوا منها ألفاً ، والأصل في تَهَامٍ : تَهَامِيٌّ بكسر التاء من تَهَامِيٍّ
لأنه منسوب إلى تَهَامَةٍ (٤) ولكنهم حذفوا إحدى الياءين ، كما فعلوا في يَمَانٍ

(١) الدأب والعادة والقول السيء وكثرة الكلام . ولا تسكاد تستعمل إلا في
العادة الذميمة .

(٢) في اللسان : العزل و بضم العين والزاي ، والأعزل الذي لا سلاح معه ،
فهو يعتزل الحرب . أو الذي لا رمح معه . وجمعهما أعزال وُعْزُلٌ وُعْزَلَانٌ ،
وَعُزْلٌ . والأعزل والرامح : نجمان نيران . قال الأزهرى : وفي نجوم السماء
سماكان ، أحدهما : السماك الأعزل ، والآخر : السماك الرامح . وفي شرح الشافية
للرضى . و المطارد في تكسير أَفْعَلَ : فعلاء . وفي مؤنثه : فَعْعَلٌ ، ولا يضم عينه
إلا لضرورة الشعر ، ويجيء فععلان أيضاً كثيراً . كسودان وبيضان .

(٣) الحاسر : من لا مِعْفَرٌ له ولا درع ، أو لاجنة له .

(٤) تهامة : تسائر البحر . منها : مكة . وقيل : طرف تهامة من قبل الحجاز : =

وفتحوا التاء من تَهَامٍ لما حذفوا الياء من آخره ، لتسكون الفتحة فيه كالعوض من الياء ، كما كانت الألف في يَمَانٍ ، وكذلك الألف في شَامٍ بفتح الهمزة ، وألف بعدها عِوَضًا من الياء المحذوفة ، فَإِنْ شَدَّدْتَ الياء من شَامٍ قلت : شَأْمِيَّ بسكون الهمزة ، وتذهب الألف التي كانت عوضاً من الياء لرجوع الياء المحذوفة ، ولا تقول في غير النسب : شَامٍ بالفتح والهمز ، ولا في النسب إذا شددت (١)

== مدارج العرج ، وأول تهامة قبل نجد: ذات عرق ، وقيل : يخرج من مكة ، فلا يزال في تهامة حتى يباغ عُسُفَّان .

(١) هذا من النسب المسموع ، ويتميز هذا النوع بتخفيف ياء النسب المشددة ، والإتيان بألف للتعويض عنها قبل لام الكلمة . فيقال في يَمَنِيَّ : يَمَانِي وفي شَأْمِيَّ : شَأْمِي بياء واحدة ساكنة فيها . وبهذا يصير الاسم منقوصاً ، فتقول : قام اليماني ، رأيت اليماني ، ومررت باليماني . ولا تجتمع ألف التعويض مع الياء إلا شذوذاً في ضرورة الشعر . ويستحسن الاختصار على المسموع . ولم يرد غير يمان وشَامٍ وتهَامٍ وزاد الجوهري في الصحاح : نباطى ونباط ، وفي اللسان : ورجل شَامٍ وتهَامٍ إذا نسبت إلى تهامة والشام ، وكذلك : رجل يمان ، زادوا ألفاً فخفوا ياء النسبة . وفيه أيضاً عن تهامة : والنسبة إليه تَهَامِيٌّ بكسر التاء وتشديد الياء ، وتهَامٍ بفتح التاء على غير قياس ، كأنهم بنوا الاسم على تَهَمِيٍّ أو تَهَمِيٍّ ، ثم عوضوا الألف قبل الطرف من إحدى الياءين اللاحقتين بعدها . ويقول الجوهري : إذا فتحت التاء في تهَامٍ لم تشدد ، كما قالوا : يمان وشَامٍ إلا أن الألف في تهَامٍ من لفظها والألف في يمان وشَامٍ عوض من ياء النسبة . وفي شرح الشافية ص ٨٣ ح ٢ : وقالوا : يمان وشَامٍ وتهَامٍ . ولأربع لها . والأصل : يَمْنِي وشَأْمِيٌّ وتَهَمِيٌّ لحذف في الثلاثة إحدى ياء النسبة ، وأبدل منها الألف ، وجاء : يَمْنِي وشَأْمِيٌّ على الأصل ، وجاء تَهَامِيٌّ بكسر التاء وتشديد الياء منسوباً إلى تهامة ، وجاء يَمَانِيٌّ وشَأْمِيٌّ =

الياء شأمي. وسألت الأستاذ أبا القاسم بن الرماك - وكان إماماً في صنعة العربية عن البيت الذي أملاه أبو علي في النوادر ، وهو قوله :

[أَتَنَظَنُ عَنْ حَبِيبِكَ نَمَّ تَبْكِي عَلَيْهِ ، فَمَنْ دَعَاكَ إِلَى الْفِرَاقِ]
 [كَأَنَّكَ لَمْ تَذُقْ لِلْبَيْنِ طَعْمًا فَتَعْلَمُ أَنَّهُ مُرٌّ الْمَذَاقِ]
 [أَقِمْ وَانْعَمْ بِطَوْلِ الْقَرَبِ مِنْهُ وَلَا تَنَظَنُ فَتُكَبِّتَ بِاشْتِيَاقِ]
 فَمَا عَتَاَصَ الْمَفَارِقُ مِنْ حَبِيبٍ وَلَوْ يُعْطَى الشَّامُ مَعَ الْعِرَاقِ
 فقال : مُحَدَّث ، ولم يره حُجَّةً . وكذلك وَجَدْتُ فِي شِعْرِ حَبِيبٍ : الشَّامُ
 بِالْفَتْحِ كَمَا فِي هَذَا الْبَيْتِ . وَلَيْسَ بِحُجَّةٍ أَيْضًا .

[فِي اللَّسَانِ : « وَقَدْ جَاءَ الشَّامُ لَفَةً فِي الشَّامِ قَالَ الْجَنُونَ :
 وَخُبِرْتُ لَيْلَى بِالشَّامِ مَرِيضَةً فَأَقْبَلْتُ مِنْ مِصْرَ إِلَيْهَا أَعُودُهَا
 وَقَالَ آخَرُ :
 أَتَنَّا قَرِيشَ قَصَّهَا بِقَضِيضِهَا وَأَهْلَ الْحِجَازِ وَالشَّامُ تَقَصَّفُ (١)
 وَقَوْلُهُ :

حَذَفَ الْيَاءَ مِنْ هَاءِ الْكُنَايَةِ :
 حَذَفَ الْيَاءَ مِنْ هَاءِ الْكُنَايَةِ بِأَمْنِهِ حَتَّى خَاضَتْ الْعَيْرُ فِي الْبَحْرِ *

= وَكَانَهُمَا مَنُوبَانِ إِلَى يَمَانٍ وَشَّامٍ الْمَنُوبَيْنِ بِحَذْفِ يَاءِ النِّسْبَةِ دُونَ أَلْفِهَا . إِذْ لَا اسْتِثْقَالَ فِيهِ كَمَا اسْتِثْقَالَ النِّسْبَةِ إِلَى ذِي الْيَاءِ الْمَشْدُودَةِ لَوْ لَمْ تَحْذَفْ . وَالْمُرَادُ بَيَانُ
 وَشَّامٍ فِي هَذَا مَوْضِعٍ مَنُسوبٍ إِلَى الشَّامِ وَالْيَمَنِ . فَيُنْسَبُ الشَّيْءُ إِلَى هَذَا الْمَسْكَانِ
 الْمَنُسوبِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ يَمَانِي وَشَّامِي جَمْعًا بَيْنَ الْعَرَضِ وَالْمَعُوضِ عَنْهُ وَأَنْ يَكُونَ
 الْأَلْفُ فِي يَمَانِي لِلْإِسْبَاعِ ، وَانْظُرِ الْمَزْهَرَ لِلْسِّيُوطِيِّ ص ١٠١ ح ٢ (١) عَنِ اللَّسَانِ وَالْأَمَالِيِّ

ضرورة ، كما أنشد سيديويه : سأجعل عينيه لنفسه مَقْنَمًا ^(١) * في أبيات كثيرة أنشدها سيديويه ، وهذا مع حذف الياء والواو ، وبقاء حركة الهاء ، فإن سكنت الهاء بعد الحذف ، فهو أقل في الاستعمال من نحو هذا ، وأنشدوا :

وَنُضَوَايَ مُشْتَقَانِ لَهُ أَرْكَانِ ^(٢)

وهذا الذى ذكرناه هو فى القياس أقوى ؛ لأنه من باب حمل الوصل على الوقف نحو قول الراجز :

لما رأى أن لادعة ولا شبع

ومنه فى التزئيل كثير نحو إثبات هاء السكت فى الوصل ، وإثبات الألف من أنا ، وإثبات ألف الفواصل نحو : ﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ الأحزاب : ١٠٠ وهذا الذى ذكره سيديويه من الضرورة فى هاء الإضمار إنما هو إذا تحرك ما قبلها نحو : به وله ، ولا يكون فى هاء المؤنث البتة خلفه الألف ، فإن سكن ما قبل الهاء نحو : فيه وبنيه كان الحذف أحسن من الإثبات ؛ فإن قلت

(١) الشعر لذلك بن خزيمة الحمداني وهو :

فإن بك غثا أو سمينا فإننى سأجعل عينيه لنفسه مَقْنَمًا

أراد لنفسه ، لحذف الياء ضرورة فى الوصل تشبيها بها فى الوقف إذ قال : لنفسه . يصف ضيفا فيقول : إنه يقدم إليه ما عنده من القرى ويحكمه فيه ، ليختار منه أفضل ما تقع عليه عيناه ، فيقنع بذلك انظر ص ١٠ ح ١ الكتاب لسيديويه ط ١ .

(٢) النضو : البعير المبرول والناقة .

فقد قرأ عيسى بن مينا : نُصِّلَهُ وَيُؤَدُّهُ وَأَرْجِهْ (١) ونحو ذلك في اثني عشر

(١) يعنى الآيات القرآنية : (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ، ويتبع غير سبيل المؤمنين فوله ما تولى ، ونُصِّلَهُ جَهَنم ، وساءت مصيراً) النساء : ١١٥ و : (ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤدُّه إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤدُّه إليك إلا ما دمت عليه قائماً) آل عمران : ٧٥ و : (قالوا : أَرَجِهْ : وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين) الأعراف : ١١١ . وفى « يؤده ونصّله » خمس قراءات . إحداهما : بكسر الهاء ، وصلتها بياء فى اللفظ ، والثانية : بكسر الهاء من غير ياء . اكتفى بالكسرة عن الياء لدلائها عليها ، ولأن الأصل ألا يزداد على الهاء شئ كبقية الضمائر ، والثالثة : إسكان الهاء ، وذلك أنه أجرى الوصل بحرى الوقف ، وهو ضعيف ، وحق هاء الضمير الحركة ، وإنما تسكن هاء السكت ، والرابعة : ضم الهاء وصلتها بواو فى اللفظ على تبين الهاء المضمومة بالواو ، لأنها من جنس الضمة كما بينت المكسورة بالياء . والخامسة : ضم الهاء من غير واو لدلالة الضمة عليها ، ولأنه الأصل ، ويجوز تحقيق الهمزة وإبدالها واوا للضممة قبلها . وأرجه يقرأ بالهمزة وضم الهاء من غير إشباع « أَرَجُّهُ » وهو الجيد ، وبالإشباع وهو ضعيف ، ويقرأ بكسر الهاء مع الهمزة وهو ضعيف ، ويقرأ من غير همزة من أرجيت بالياء ، ثم منهم من يكسر الهاء ويشبعها ومن لا يشبعها . ومنهم من يسكنها . هذا ، ومن معانى مفردات قصيدة حذيفة كما ذكر الخنثى : السبل : المطر : كل شارق : عند طلوع الشمس . سُحْحًا : صبا . جُمُعًا : أجمعاً وأكثر . واسجى : أسبلا ، والحفيظة : الغضب مع عزة . والهدر : الكثير الكلام فى غير فائدة . الهلول : السيد . واللى : العطايا . وفى رواية : الندى ، وأخرى : النهش . والتجر : الأصل . والمجحفات : التى تذهب بالأموال . والغبر : السنين المقحطات . وسراة : خيار . غالته : ذهبته . النقيبة : النفس وميمون النقيبة : يسعد فيما يتوجه له . مصاليت : شجعان . ردينية : رماح . حباء : عطاء . هجان اللون : بيض . والإجريا : ما يجرى عليه من أبقال آبائه ويتعوده . وفى القاموس : الوجه الذى تأخذ فيه وتجرى عليه . وهى بالمد =

موضعاً بحذف الياء ، وقبل الهاء متحرك ، فكيف حسن هذا ؟ قلنا : إن ما قبل الهاء في هذه المواضع ساكن ، وهو الياء من نُصْلِيهِ وَيُؤْدِيهِ وَيُؤْتِيهِ ، ولكنه حذف للجازم ، فمن نظر إلى اللفظ ، وأنَّ ما قبل الهاء متحرك أثبت الياء كما أثبتناها في : به وله ، ومن نظر إلى الكلمة قبل دخول الجازم ، رأى ما قبل الهاء ساكناً ، فحذف الياء ، فهما وجهان حسنَّان بخلاف ما تقدم

من شرح قصيدة منيرة :

وذكر في هذا الشعر : وأسعدُ قَادِ الناس . وهو أسعد أبو حَسَّان بن أسعد ، وقد تقدم في التَّبَاعِيَةِ ، وكذلك أبو شَمِيرٍ ، وهو شَمِيرُ الذي بنى سَمَرْقَنْدَ (١) ، وأبوه : مالك ، يقال له : الأُمْلُوكُ (٢) ، ويحتمل أن يكونَ أرادَ أَبَا شَمِيرٍ القَسَّائِيَّ والدَ الحرث بن أبي شَمِيرٍ .

وعُثْرُوبُ بن مالك الذي ذَكَرَ أَحْسَبُهُ عُثْرُوباً إذا الأذعار ، وقد تقدم في التبابعة ،

== القصر . تهاوى البلاد ونجدها : ما انخفض منها وما علا . ثبج الشيء : أعلاه ومعظمه . مخيسة : مذلة . الاخاشب : جبال يسكة وهما جيلان ، لجمعهما مع ما عليهما ، وخم : اسم بئر . والحفر : اسم بئر . والحُجُجَر : القبيح من الكلام الفاحش . والاحابيش : من حالف قريشاً من القبائل ودخل في عقدها وذمتها . ونكلوا : صرفوا . نخارج : أراد : يا خارجة لحذف حرف النداء ، ورخم . وأسدى : أعطى ، والمحتد : الأصل . جسر : ماض في أموره قوى عليها . غمر : كثير العطاء . أملك سرّاً : خالصة النسب .

(١) في القاموس : شمر بن أفریقش غزا مدينة السغد ، فقلعها ، فقليل : شَمَرْكَنْد ، أو بناها ، فقليل : شمر كنت ، وهى بالتركية : القرية فعربت : سمرقند .

(٢) الأملوك : اسم جمع لملك ، وقوم من العرب ، أو هم مقال حير .

وهو من ملوك اليمن ، وإنما جعلهم مَفْخَرًا لأبي لهب ؛ لأن أمه خُرَاعية من سبأ ، والتبابعة كُلُّهم من حِمْيَر بن سَبَأ ، وقد تقدم الخلاف في خُرَاعَة .

وأبو جَبْرِ الذي ذكره في هذا الشعر : ملكٌ من مُلوك اليمن ذكر القُتَيْبِيُّ أن سُمَيَّةَ أم زياد ، كانت لأبي جَبْرِ ملكٍ من ملوك اليمن ، دفعها إلى الحرث بن كَلْدَةَ الْمُتَطَبِّبِ في طِبِّ طَبِّه .

زبد أفضل إخوته :

وذكر ولاية العباس - رضى الله عنه - السَّقَايَة ، وقال : كان من أ حَدَثِ إِخْوَتِهِ سَنًا ، وكذلك قال في صفة النبي - صلى الله عليه وسلم : كان من أَفْضَلِ قَوْمِهِ مُرُوءَةً ، وهذا مما منعه النحويون أن يقال : زيد أفضل إخوته ، وليس بممتنع ؛ وهو موجود في مواضع كثيرة من هذا الكتاب ، وغيره ، وحسُنُ لأن المعنى : زيد يَفْضُلُ إِخْوَتَهُ ، أو يَفْضُلُ قَوْمَهُ ؛ ولذلك ساغ فيه التنكير ، وإنما الذى يمتنع بإجماع : إضافة أفعال مثل إلى التثنية مثل أن تقول : هو أَكْرَمُ إِخْوَيْهِ ، إلا أن تقول : الأَخوين ، بغير إضافة (١) .

(١) بما اشترط النحاة في أفعال التفضيل المضاف أن يكون المضاف بمعنى من المضاف إليه بشرط إرادة التفضيل ، وبقاء معناه وجوده . ويقول الأشعموني في شرح الالافية : « وإن لم تنو بافعل معنى : من ، بأن لم تنويه المفاضلة أصلاً ، أو تنويها ، لأعلى المضاف إليه وحده ، بل عليه وعلى كل ماسواه كقولهم : الناقص والاشج (يعنى يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان لنقصه أرزاق الجند ، وعمر بن عبد العزيز لشجته أصابته بضرب الدابة ، أعدلا بنى مروان . أى : عادلام ، فكان أفعال بمعنى فاعل ، وليس في هذا تفضيل ، ونحو : محمد - صلى الله عليه وسلم - أفضل قريش ، أى : أفضل الناس من بين قريش . وإضافة هذين النوعين لمجرد =

من شرح شعر مطرود :

فصل : وذكر في شعر مطرود : ممنوك من جورٍ ومن إقراف (١) ،

==التخصيص ؛ ولذلك جازت إضافة أفعل فهما إلى ما ليس هو بعضه بخلاف المنوى فيه معنى من « أى : إرادة التفضيل ، فإنه لا يكون إلا بعض ما أضيف إليه ، فلذلك يجوز : يوسف أحسن إخوته ، إن قصد : الأحسن من بينهم ، أو قصد : حسنهم — رأى جعله صفة مشبهة — ويمتنع إن قصد أحسن منهم ، ص ٤١ ج ٣ ط ١٣٠٥ هـ ويقول ابن يعيش في شرح المفصل : « قد علم أن أفعل إنما يضاف إلى ما هو بعضه . فليعلم أنه لا يجوز أن تقول : يوسف أحسن إخوته ، وذلك أنك إذا أضفت الإخوة إلى ضميره خرج من جملتهم ، وإذا كان خارجا عنهم ، صار غيرهم وإذا صار غيرهم لم يحز أن نقول : يوسف أحسن إخوته ، كما لا يجوز أن تقول : الياقوت أفضل الزجاج ؛ لأنه ليس من الزجاج ، حينئذ يلزم من المسألة أحد أمرين ، كل واحد منهما ممتنع . أحدهما : ما ذكرناه من إضافة أفعل إلى غيره ، إذ إخوة زيد غير زيد . والثاني : إضافة الشيء إلى نفسه ، وذلك أنا إذا قلنا : إن زيدا من جملة الإخوة — نظرا إلى مقتضى إضافة أفعل ، ثم أضفت الإخوة إلى ضمير زيد ، وهو من جملتهم — كنت قد أضفته إلى نفسه ، بإضافتك إياه إلى ضميره وذلك فاسد . فأما النوع الثاني — يعنى ابن يعيش : أفعل بمعنى فاعل ، وهو غير دال على معنى التفضيل — وهو أن يكون أفعل فيه للذات بمعنى فاعل ، فإنه يجوز أن تقول : يوسف أحسن إخوته ، ولا يمتنع فيه كاستناعه من القسم الأول إذ المراد أنه فاضل فيهم ، لأنه لا يلزم في هذا النوع أن يكون أفعل بعض ما أضيف إليه ، وعليه جاء قولهم لنصيب الشاعر : أنت أشعر أهل جلدتك ، لأن أهل جلدته غيره . وإذا كانوا غيره لم تسع إضافة أفعل إذا كان هو إياه إليهم ؛ لما ذكرته ويجوز على الوجه الثاني لأنه بمعنى : الشاعر فيهم ، أو شاعرهم ، ص ٨ ج ٣ شرح المفصل لابن يعيش . وبهذا يتبين أن النحويين لم يمنعوا هذا منعا مطلقا . بل أجازوا نفس ما ذكره السهيلي .

(١) الذى فى السيرة، ممنوك . والمقرف الذى دانى الهجنة من الفرس وغيره ==

أى : منعوك من أن تُسَكِّحَ بَنَاتِكَ أو أَخَوَاتِكَ من لثيمٍ ، فيكون الابن مُقْرِفًا لِلْوُثْمِ أبيه ، وكرم أمه ، فيلحقك وَثْمٌ من ذلك ، ونحو منه قول مُهْلَهْل (١) :

أَنكَحَهَا فَقَدُّهَا الْأَرَاقِمَ فِي جَنْبٍ ، وَكَانَ الْحِجَابُ مِنْ أَدَمَ (٢)

وهو الذى أمه عربية ، وأبوه ليس بعربى ، فالإقراراف من قبل الأب ، والهجنة من قبل الأم .

(١) المهلهل : قال الآمدى : اسمه : امرؤ القيس بن ربيعة بن الحارث بن زهير ابن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غانم بن تغلب ، وهو الشاعر المشهور ، ويقال اسمه : عدى ، وقال ابن قتيبة : مهلهل بن ربيعة ، هو : عدى بن ربيعة ، وسُمى مهلهلاً ؛ لأنه هلهل الشعر ، أى : أرقه ، ويقال : إنه أول من قصد القصيد ، وهو خال امرئ القيس صاحب المعلقة . وهو أخو كليب الذى هاج بمقتله حرب البسوس . وقيل : إنه مات أسيراً ، وذلك أنه لما نزل اليمن نزل فى بنى جنب ، وجنب من مذحج ، فخطبوا إليه ابنته . فقال لهم : لانى طريد بينكم ، فأتى أنكحتكم ؟ قالوا : فأجبروه على تزويجها ، وساقوا إليه فى صداقها أداما ، فقال :

أَنكَحَهَا فَقَدُّهَا الْأَرَاقِمَ فِي جَنْبٍ وَكَانَ الْحِجَابُ مِنْ أَدَمَ

ثم انحدر ، فلقبه عوف بن مالك أبو أسماء صاحبة المرقش الأكبر ، فأسره ، فأتى فى أسره . وقيل فى وفاته غير ذلك ص ٢٣ وما بعدها ج ٢ خزانه الادب للبغدادى ط دار العصور .

(٢) قيل عن جنب إنه لقب لا اسم أب . وفى نهاية الارب ج ٣ ص ٦٧ جاء هذان البيتان :

أَعَزَّزَ عَلَى تَغْلِبٍ بِمَا لَقِيَتْ أخت بنى الاكرمين من جُشَمِ
لِيسُوا بِأَكْفَانَا الْكِرَامِ ، وَلَا يُغْنُونُ مِنْ ذَلَّةٍ وَلَا عَدَمِ =

أى : أنكححت لغربتها من غير كُفء . قال مَبْرَمَان^(١) : أنشدنا أبو بكر ابن دريد : وكان الخِباء من أَدَم ، بخاء معجمة الأعلى ، وهو خطأ وتصحيف ، وإنما هو بالخاء المهملة ، وهو معدود في تصحيقات ابن دريد ، وفيه يقول المَفَجَّع [البصرى] ردًا على ابن دُرَيْدٍ :

أَلَسْتَ قَدِمًا جَعَلْتَ تَفْتَرُقُ مَ الطَّرْفَ بِجَهْلِ مَكَانٍ تَفْتَرُقُ^(٢)
وقلت : كان الخِباء من أَدَم . وهو حِباء يُهْدَى ، وَيُصْطَلَقُ
وذلك أن مُهْلِمًا نَزَلَ فِي جَنْبٍ ، وهو حَيٌّ وَضِيعٌ مِنْ مَذْحِجٍ .
فخطبت ابنته ، فلم يستطع مَنَعُهَا ، فزَوَّجَهَا ، وكان نَقْدُهَا مِنْ أَدَمٍ ، فَأَنشَدَ :
أَنكَحَهَا فَقَدُّهَا الْأَرَاقِمَ فِي جَنْبٍ ، وكان الخِباء من أَدَمٍ
لو بِأَبَانَيْنِ جَاءَ خَاطِبُهُمَا ضُرَّجَ مَا أَنْفُ خَاطِبِهِ بَدَمٍ^(٣)

== والاول منهما قبل : د أنكحها فقدها الخ ، والآخر بعد قوله : ولو بأبانين ، الذى سياقى . والاراقم : حى من تغلب قوم المهلهل . وقد تقدم من قبل الحديث عن جنب .

(١) لقب لابي بكر الازمى .

(٢) تفترق الطرف : تشغلهم بالنظر إليها عن النظر إلى غيرها لحسنها ، وانظر المزهري ص ٣٦٦ ج ٢ للسيوطى فقيه قول المفجع . وقد روى بدر الدين الزركشى ابن دريد بهذا التصحيف كما ذكر السبيلى ، وأورده التيجانى فى تحفة العروس وروى الشطرة الاولى هكذا : د ألم صحف ، فقلت تفترق الخ ، وروى أيضا فى غيره : د ألسن مما صحفت تفترق .

(٣) الابانان : جبلان بالبادية اسم أحدهما : أبان ، والآخر : متالع ، أحدهما : ==

وقوله : حتى تغيب الشمس بالرجاف^(١) يعني : البحر . لأنه يرّجف .
ومن أسمائه أيضاً : خُضَارَة ، [سُمّي بذلك لخُضْرَة مائه] . والدَّأْمَاء [سُمّي بذلك
لتداؤم أمواجه أى : تراكمها ، وتكسر بعضها على بعض] وأبو خالد .

وقوله : عَقْدُ ذاتِ نِطَاف . النُّظْفُ^(٢) : اللؤلؤ الصافي . ووصيفةُ
مُنْظَفَةٍ [ومُنْظَفَةٍ] أى : مُعَرَّطَةٍ بِتَوَمَتَيْنِ [والتَّوَمَة : اللُّوْأَة ، أو حبة تعمل
من الفضة كالذَّرَّة] والنُّظْفُ في غير هذا : التَّنَاطُحُ بالعُيْب ، وكلاهما من
أصل واحد ، وإن كانا في الظاهر متضادين في المعنى ؛ لأن النُّظْفَةَ هى الماء
القليل ، وقد يكون الكثير ، وكأن اللؤلؤ الصافي أخذ من صفاء النُّظْفَةِ .
والنُّظْفَ الذى هو العيب : أخذ من نُظْفَةِ الإنسان ، وهى ماؤه ، أى :
كانه يُطْخِ بها .

وقوله : والفَيْضُ مُطْلَبُ أبى الأضياف . يريد : أنه كان لأضيافه

== أبيض ، وهو لبني أسد ، والآخر : أسود ، وهو لبني فزارة ، هذا ، وقد روى اللسان
البيتين . وفيهما : د الحباء ، ورُمُل ، بدلا من د الحباء ، وخرج .

(١) فى السيرة : فى الرجاف .

(٢) مفردهما . نطفة كهزمة د بضم النون وفتح الطاء .

ملحوظة : فى السيرة أن فاطمة بنت عمرو بن عائذ هى أم عبدالله وأبى طالب . فى
نسب قريش وعند السدوسى هى : أمهما أيضا ، وكذلك فى جمهرة ابن حزم . وفى السيرة
فى نسب فاطمة هذه قال ابن إسحاق : د ابن عائذ بن عبد بن عمران ، وفى نسب
قريش لا توجد عبد بين عائذ وعمران ، وكذلك فى جمهرة ابن حزم ، وعند السدوسى ،
وإلى هذا ذهب ابن هشام ، وما بين قوسين فى نسب زده فاطمة من كتب النسب ،

كالأب . والعرب تقول لكل جواد : أبو الأضياف . كما قال مُرَّة بن
نَحْكَانَ [السَّعْدِيُّ التَّمِيمِيُّ سِيدُ بَنِي رُبَيْع] :

أُدْعَى أَبَاهُمْ ، وَلَمْ أَقْرِفْ بِأُمِّهِمْ وَقَدْ عَمِرْتُ . وَلَمْ أَغْرِفْ لَهُمْ نَسَبًا

اللهي العائف :

فصل : وذكر خَبَرُ اللَّهِجِيِّ العائف . قال ابن هشام : ولِئِبُّ : حَيٌّ مِنْ
الْأَزْدِ : وقال غيره : وهو لِئِبُّ بْنُ أَخْجَنَ بْنِ كَنْبِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ كَعْبِ
ابن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد . وهي القبيلة التي تُعْرَفُ بِالْعِيفَةِ
وَالزَّجْرِ (١) . ومنهم اللَّهَجِيُّ الذي زَجَرَ حِينَ وَقَعَتِ الْحِصَاةُ بِصَلْصَلَةِ عُمَرَ

(١) العيافة : تتبع آثار الأقدام والاختفاف والحوافر في المقابلة للآخر ، وهي
التي تكون في تربة حرة تشكل بشكل القدم . وقد اشتهر بها قديما بنو مدج قبيلة
من كنانة وبنو لهب ، وبلوغ الأرب للألوسي ، وانظر ص ٤٩١ الاشتقاق ، واللسان
في مادة لهب ، والزجر : الاستدلال بأصوات الحيوانات وحركاتها وسائر
أحوالها واستعلام ما غاب عنهم . ويقول ابن خلدون عنه : هو ما يحدث من
بعض الناس من التسكلم بالغيب عند سماع طائر أو حيوان . ويقول ابن القيم
في مفتاح دار السعادة عنه : وأصل هذا أن العرب كانوا يزجرون الطير ، والوحش
ويشيرونها ، فأتيا من منها وأخذ ذات اليمين سموه سائحا ، وماتياس منها سموه :
بارحا ، وما استقبلهم منها فهو : الناطح ، وما جاءهم من خلفهم فهو القعيد . . ومن
العرب من يمين بالسائح ويتشام بالبارح ومنهم غير ذلك . وقيل عن السائح والبارح
غير هذا . ويقول الأزهرى : العيافة : زجر الطير ، وهو أن يرى طائرا ، أو
غرابا ، فيتطير ، وإن لم ير شيئا ، فقال بالحدس كان : عيافة أيضا ، وفي القاموس :
العائف : المتكهن بالطير ، وكل هذا حرمه الإسلام ، وقيل في تعريفهما غير ذلك .

قصة بحيرى

قال ابن إسحاق : ثم إن أبا طالب خرج في ركبٍ تاجرًا إلى الشام ، فلما تهيأ للرحيل ، وأجمع المسيرَ صَبَّ به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - فيما يزعمون - فَرَقَّ له ، وقال : والله لأُخْرِجَنَّ به معى ، ولا يفارقنى ، ولا أفارقه أبداً ، أو كما قال . فخرج به معه ، فلما نزل الركبُ بُصِّرَى من أرض الشام ، وبها راهب يقال له : بَحِيرَى في صَوْمَعَةٍ له ، وكان إليه عِلْمُ أَهْلِ النصارى ، ولم يزل في تلك الصومعة منذ قَطَّ راهبٌ ، إليه يصير علمهم عن كتاب فيها - فيما يزعمون

رضى الله عنه - فَأَدْمَتَهُ ، وذلك في الحج ، فقال : أشعر أميرُ المؤمنين . والله لا يَحْجُجُ بعد هذا العام ، فكان كذلك (١) واللَّهِ : شَقَّ في الجبلِ (٢) [والجمع : ألْهَابٌ وَلُهوبٌ] . وبنو ثُمَالَةَ رَهَطُ الْمُبَرِّدِ الثَّمَالِيِّ : هُمُ بَنُو أَسْلَمَ بْنِ أَحْجَنَ ابنِ كَعْبٍ . وَثُمَالَةُ : أُمُّهُمْ . وكانت العِيفَةُ والزجر في لُهَبٍ قال الشاعر (٣) :

سَأَلْتُ أَخَا لُهَبٍ لِيَزْجُرَ زَجْرَةً وَقَدْ رُدَّ زَجْرُ الْعَالَمِينَ إِلَى لُهَبٍ

وقوله : لِيَعْتَفَ لَهُمْ : وَهُوَ يَفْتَعِلُ مِنَ الْعَيْفِ . يقال : عَفَتُ الطَيْرَ . واعتفتها عِيفَةً وَإِعْيَافًا : وَعَفَتُ الطَّعَامَ أَعَافُهُ عَيْفًا . وعافت الطيرُ المَاءَ عِيفًا .

(١) هذا خرف أسطورى . فالثَّه وحده هو عالم الغيب .

(٢) عند ابن دريد في الاشتقاق ، واللَّه : الشعب الضيق في أعلى الجبل والجمع ألْهَابٌ وَلُهوبٌ .

(٣) هو كثير عزة ، والبيت في نهاية الأرب هكذا :

تَبَسَّمتْ لَهَا أَبْتَغَى الْعِلْمَ عِنْدَهَا وَقَدْ رَدَّ عِلْمُ الطَّائِفِينَ إِلَى لُهَبٍ

بتوارثونه كابرأ عن كابر . فلما نزلوا ذلك العام ببجيري ، وكانوا كثيرا ما يمرّون به قبل ذلك ، فلا يكلمهم ، ولا يعرض لهم ، حتى كان ذلك العام . فلما نزلوا به قريبا من صومعته صنع لهم طعاما كثيرا ، وذلك فيما يزعمون - عن شيء رآه وهو في صومعته ، يزعمون أنه رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو في صومعته في الركب حين أقبلوا ، وعمامة تظله من بين القوم . قال : ثم أقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريبا منه ، فنظر إلى العمامة حين أظلت الشجرة ، وهتّرت أغصان الشجرة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى استظل تحتها ، فلما رأى ذلك بجيري نزل من صومعته وقد أمر بذلك الطعام فصنع ، ثم أرسل إليهم ، فقال : إني قد صنعت لكم طعاما يامعشر قريش ، فانا أحب أن تحضروا كلكم ، وصغيركم وكبيركم ، وعبدكم وحرّكم ، فقال له رجل منهم : والله يا بجيري إن لك لشأنا اليوم ! ما كنت تصنع هذا بنا ، وقد كنّا نمرّ بك كثيرا ، فما شأنك اليوم ؟ قال له بجيري : صدقت ، قد كان ما تقول ، ولكنكم ضيف ، وقد أجيبت أن أكرمكم ، وأصنع لكم طعاما ، فتأكلوا منه كلّكم . فاجتمعوا إليه ، وتخلّف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من بين القوم ، لحدّاثته سنه ، في رحال القوم تحت الشجرة ، فلما نظر بجيري في القوم لم ير الصفة التي يعرف ويحدّث عنده ، فقال : يامعشر قريش : لا يتخلّفن أحد منكم عن طعامي ، قالوا له : يا بجيري ، ما تخلّف عنك أحد ينبغي له أن يأتيك إلا غلام ، وهو أحدث القوم سنا ، فتخلّف في رحالهم ، فقال : لاتفعلوا ، ادعوه ، فليحضّر هذا الطعام معكم قال : فقال رجل من قريش مع القوم : واللّات والعزى ، إن كان

لَلْوُثِ بِنَا أَنْ يَتَخَلَّفَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ عَنْ طَعَامٍ مِنْ بَيْنِنَا ، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ فَاحْتَضَنَهُ ، وَأَجْلَسَهُ مَعَ الْقَوْمِ . فَلَمَّا رَأَاهُ بِحَيْرَى ، جَمَلَ يَلْحَظُهُ لَخَطًّا شَدِيدًا ، وَيَنْظُرُ إِلَى أَشْيَاءٍ مِنْ جَسَدِهِ ، وَقَدْ كَانَ يَحِدُّهَا عِنْدَهُ مِنْ صِفَتِهِ ، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ الْقَوْمُ مِنْ طَعَامِهِمْ وَتَفَرَّقُوا ، قَامَ إِلَيْهِ بِحَيْرَى ، فَقَالَ : يَا غُلَامُ ، أَسْأَلُكَ بِحَقِّ اللَّاتِ وَالْعُزَّى إِلَّا مَا أَخْبَرْتَنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ ، وَإِنَّمَا قَالَ لَهُ بِحَيْرَى ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ سَمِعَ قَوْمَهُ يَحْلِفُونَ بِهِمَا ، فَرَعَوْا أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَا تَسْأَلُنِي بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى شَيْئًا ، فَوَاللَّهِ مَا أَبْفَضْتُ شَيْئًا قَطُّ بَعْضَهُمَا ، فَقَالَ لَهُ بِحَيْرَى : فَبِاللَّهِ إِلَّا مَا أَخْبَرْتَنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ ، فَقَالَ لَهُ : سَلْنِي عَمَّا بَدَاكَ . فَجَعَلَ يَسْأَلُهُ عَنْ أَشْيَاءٍ مِنْ حَالِهِ مِنْ نَوْمِهِ وَهَيْئَتِهِ وَأُمُورِهِ ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخْبِرُهُ ، فَيُوافِقُ ذَلِكَ مَا عِنْدَ بِحَيْرَى مِنْ صِفَتِهِ ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى ظَهْرِهِ ، فَرَأَى خَاتَمَ النَّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ عَلَى مَوْضِعِهِ مِنْ صِفَتِهِ الَّتِي عِنْدَهُ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَكَانَ مِثْلَ أَثَرِ الْمِحْجَمِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَلَمَّا فَرَّغَ ، أَقْبَلَ عَلَى عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالَ لَهُ : مَا هَذَا الْغُلَامُ مِنْكَ ؟ قَالَ : ابْنِي . قَالَ لَهُ بِحَيْرَى : مَا هُوَ يَا بَنِيكَ ، وَمَا يَنْبَغِي لِهَذَا الْغُلَامِ أَنْ يَكُونَ أَبَوْهُ حَيًّا ، قَالَ : فَإِنَّهُ ابْنُ أَخِي ، قَالَ : فَمَا فَعَلَ أَبَوْهُ ؟ قَالَ : مَاتَ وَأُمُّهُ حُبْلَى بِهِ ، قَالَ : صَدَقْتَ ، فَارْجِعْ يَا بَنُ أَخِيكَ إِلَى بَلَدِهِ ، وَاحْذَرِ عَلَيْهِ يَهُودَ ، فَوَاللَّهِ لَنْ رَأَوْهُ ، وَعَرَفُوا مِنْهُ مَا عَرَفْتُ لِيَبْعَثَنَّهُ شَرًّا ، فَإِنَّهُ كَأَنَّ لَابْنَ أَخِيكَ هَذَا شَأْنٌ عَظِيمٌ ، فَأَسْرِعْ بِهِ إِلَى بِلَادِهِ .

فخرج به عمه أبو طالب سريعا ، حتى أقدمته مكة حين فرغ من تجارته بالشام
 فزعموا فيما روى الناس : أن زُريرا وتما ودريسا - وهم نفر من أهل الكتاب -
 قد كانوا رأوا من رسول الله - صلى عليه وسلم - مثل ما رآه بحيرى في ذلك السفر
 الذى كان فيه مع عمه أبى طالب ، فأرادوه ، فردم عنه بحيرى ، وذكروا الله
 وما يجدون فى الكتاب من ذكروه وصفته ، وأنهم إن أجمعوا لما أرادوا به لم
 يخلصوا إليه ، ولم يزل بهم ، حتى عرفوا ما قال لهم ، وصدقوه بما قال ، فتركوه
 وانصرفوا عنه . فشب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والله تعالى يكلمه ، ويحفظه
 ويحوطه من أقدار الجاهلية ، لما يريد به من كرامته ورسالته ، حتى بلغ أن كان
 رجلا أفضل قومه مروءة ، وأحسنهم خلقا ، وأكرمهم حسبا ، وأحسنهم
 جوارا ، وأعظمهم حِلما ، وأصدقهم حديثا ، وأعظمهم أمانة ، وأبعدهم من
 الفحش والأخلاق التى تُدسُّ الرجال ، نَزَّها وتكرُّما ، حتى ما اسمه فى قومه
 إلا الأمين ، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة .

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - فيما ذكرلى - يُحدِّث عما كان
 الله يحفظه به فى صِغَرِهِ وأمر جاهليته ، أنه قال :

لقد رأيتني فى غِلْمانٍ قُرَيْشٍ نَنْقُلُ حِجَارَةً لِبَعْضِ ما يَلْمِزُ به الْغِلْمَانُ ،
 كُلُّنا قد تعرَّضَ ، وأخذ إزاره ، فجعله على رَقَبَتِهِ ، يحمل عليه الحِجَارَةَ ، فإنى لأقبل
 معهم كذلك وأذبر ، إذ لَكُمْنِي لَأَكِيْمٌ ما أراه ، لكَمَّةٌ وَجِيْعَةٌ ، ثم قال :
 شَدَّ عَلَيْكَ إِزَارَكَ . قال : فأخذته وشدته على ، ثم جعلت أحمل الحِجَارَةَ على
 رَقَبَتِي وإزارى على من بين أصحابى .

قصة بحيرى :

فصل : فى قصه بحيرى وسفر أبى طالب بالنبي - صلى الله عليه وسلم - وقع فى سِير الزُّهْرِيَّ أَنَّ بَحِيرَى كَانَ حَبْرًا مِنْ يَهُودِ تَيْمَاءَ^(١) ، وَفِي الْمَسْعُودِيَّ : أَنَّهُ كَانَ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ ، وَاسْمُهُ : سَرْجِسُ ، وَفِي الْمَعَارِفِ لابن قُتَيْبَةَ ، قَالَ : سَمِعَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ بِقَائِلٍ هَاتِفٌ يَهْتَفُ : أَلَا إِنْ خَيْرَ أَهْلِ الْأَرْضِ ثَلَاثَةٌ : بَحِيرَى ، وَرِبَابُ بْنُ الْبَرَاءِ الشَّئِيَّ^(٢) وَالثَّالِثُ : الْمُتَنَظَّرُ ، فَكَانَ الثَّلَاثُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ الْقُتَيْبِيُّ : وَكَانَ قَبْرُ رِبَابِ الشَّئِيَّ ، وَقَبْرُ وَلَدِهِ مِنْ بَعْدِهِ ، لَا يَزَالُ يُرَى عَلَيْهَا طَشٌّ ، وَالطَّشُّ : الْمَطَرُ الضَّعِيفُ^(٣) .

وَقَالَ فِيهِ : فَصَّبَ^(٤) رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - بَعْمَهُ . الصَّبَابَةُ : رِقَّةُ الشَّوْقِ ، يُقَالُ : صَبَبْتُ - بِكَسْرِ الْبَاءِ - أَصَبْتُ ، وَيَذْكَرُ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ أَنَّهُ قَرَأَ : ﴿ أَصَبْتُ إِلَيْهِمْ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ يُوسُفَ : ٣٣

(١) بَلِيدٌ فِي أَطْرَافِ الشَّامِ ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ وَادِي الْقُرَى عَلَى طَرِيقِ حَاجِ دِمَشْقَ .

(٢) هُوَ فِي الْمَعَارِفِ : أَرْبَابُ بْنُ رِثَابٍ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ .

(٣) نَحْنُ قَوْلِ ابْنِ قُتَيْبَةَ فِي الْمَعَارِفِ : وَكَانَ لَا يَمُوتُ أَحَدٌ مِنْ وَلَدِ أَرْبَابٍ فَيُدفَنُ إِلَّا رَأَوْا طَشًا عَلَى قَبْرِهِ ، وَنَحْنُ كَلَامُهُ عَنِ الرَّسُولِ - كَمَا زَعَمُوا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَآخِرُ لَمْ يَأْتِ بَعْدَ النَّبِيِّ (ص) ، ص ٣٠ تَحْتَ بَابٍ : مَنْ كَانَ عَلَى دِينٍ قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ (ص) ، وَهُوَ خَيْرٌ مَصْنُوعٍ وَلَا شَيْءَ

(٤) وَفِي رِوَايَةٍ - كَمَا جَاءَ فِي الطَّبْرِيِّ وَشَرْحِ الْحَشْنِيِّ - ضَبٌّ ، وَفَسَّرَهَا الْآخِرُ بِقَوْلِهِ : تَعَلَّقَ بِهِ وَامْتَسَكَ .

وفي غير رواية أبي بَحْرٍ : ضَبَّتْ به رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - أَى :
لَزِمَهُ قال الشاعر :

كَأَنَّ فُؤَادِي فِي يَدِ ضَبَّتَتْ بِهِ مُحَاذِرَةً أَنْ يَقْضِبَ الْحَبْلَ قَاضِبُهُ

فكان رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - إِذْ ذَاكَ ابْنَ تِسْعِ سَنِينَ فِيمَا
ذَكَرَ بَعْضُ مَنْ أَلَّفَ فِي السَّيْرِ ، وقال الطَّاهِرِيُّ : ابْنُ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً (١) .

من صفات ختم النبوة :

وذكر فيه خاتم النبوة وقول ابن هشام : كان كأثر المِحْجَمِ يعني : أَثَرَ
المِحْجَمَةِ القَابِضَةِ عَلَى اللحم ، حتى يكون نَاتِئًا . وفي الخبر أنه كان حوله
خِيلَانٌ فِيهَا شَعْرَاتٌ سَوْدٌ . وفي صفته أيضا أنه كان كالْتَفَاحَةِ ، وَكَزِرِّ الْحَجَلَةِ
وفسره الترمذى تفسيراً وهم فيه فقال : زِرُّ الْحَجَلَةِ يقال : إنه يَبْضُ لَهُ فتوهم
الْحَجَلَةُ مِنَ الْقَبْجِ (٢) وإنما هي حَجَلَةُ السَّرِيرِ ، واحدة : الْحِجَالُ ، وَزِرُّهَا الَّذِي
يَدْخُلُ فِي عُزْوَتِهَا - قال على - رضوانُ الله عليه - لأهل العراق : يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ :

(١) في الطَّاهِرِيُّ : وهو ابن تِسْعِ سَنِينَ ، وَقَبْلَ : ثَلَاثَ عَشْرَةِ . حكاه أبو عمر
وقال ابن الجوزي ، اثنتا عشرة سنة وشهران وعشرة أيام . وفي سيرة مغلطاي : وشهر

(٢) هو الحجل ، وفي اللسان أنه الكروان ، وأنه معرب ، وهو بالفارسية .
كَبِجْ معرب ؛ لأن القاف والجيم لا يجتمعان في كلمة واحدة من كلام العرب ، وقد ضبط
البخاري الحجل بضم الحاء ، وقال : إنه من حجل الفرس بضم الحاء وسكون الجيم ، الذي بين
عينيه ، وهو بعيد لأن الذي بين العينين اسمه الغرة لا الحجل ، والنحجيل في القوام.

ولارِجَالٍ، وَيَاطْمَنَامُ الْأَحْلَامِ. وَيَا عَقُولَ رَبَّاتِ الْحِجَالِ (١). وفي حديث آخر: كان كَبِيضَةَ الْحَمَامَةِ، وفي حديث عِيَّاذِ بْنِ عَبْدِ عَمْرِو، قَالَ: رَأَيْتُ خَاتِمَ النَّبُوَّةِ، وَكَانَ كَرُّ كَبَةِ الْعَنْزِ. ذَكَرَهُ النَّعْمَرِيُّ مُسْتَدًّا فِي كِتَابِ الْإِسْتِيعَابِ، فَهَذِهِ خَمْسُ

(١) من خطبة منسوبة إلى علي بن أبي طالب، وقدروها المبرد في أول الكامل وهي في كتاب نهج البلاغة الذي جمع فيه الشريف الرضى خطبا رائعة، ونسبها إلى علي. وفي رأى كثير أنها للشريف نفسه، وفي المبرد كما هنا. ومعنى طغام: من لا معرفة عنده — كما ذكر المبرد — أو أوغاد الناس ورذال الطير، مفردا: طغامة وفي نهج البلاغة: وحلوم الاطفال وعقول ربات الحجال، برفع حلوم وعقول. وربات الحجال: النساء. وبداية الخطبة كما في النهج: «أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة الخ»، انظر ص ٧٤ وما بعدها نهج البلاغة ط الرحمانية، و ص ١٦٤ ج ١ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ط ٣ دار الفكر لبنان.

(٢) أما عيَّاذ فترجمته في الإصابة عيَّاذ بن عمرو، أو ابن عبد عمرو الأزدي أو السلمي أو عباد بدلا من عيَّاذ، وكان — كما جاء في بعض الروايات — يخدم النبي ﷺ، غطابه يهودى، فسقط رداؤه عن منكببيه — وكان النبي صلى الله عليه وسلم — يكره أن يرى الخاتم. يقول عيَّاذ. فسويته عليه، فقال: من فعل هذا؟ فقلت، أنا. قال: تحول إلى، جلست بين يديه، فوضع يده على رأسي، فأمرها على وجبي وصدرى، وكان الخاتم على طرف كتفه الأيسر، كأنه رقبة عنز وهذه رواية ابن منده والطبراني، ومن تبعهما وسنده ضعيف، وللخطيب من هذا الوجه، وفيه أن الخاتم مثل ركبة العنز، وفي سنده من لا يعرف. الإصابة باختصار. هذا وقد سبق الحديث عن الخاتم، ويقول ابن حجر في الفتح ماورد من أن الخاتم كان كَأثر المحجم، أو الشامة السوداء، أو الخضراء — كما في تاريخ ابن أبي خيثمة — المكتوب عليها: محمد رسول الله — كما في تاريخ الحاكم وغيره، أو سر فإنك المنصور، لم يثبت منها شيء، ولا يغتر بشيء مما وقع في صحيح ابن حبان؛ فإنه غفل حيث صحح ذلك.

روايات في صفة الخاتم : كالنفاحة وكبيضة الحمامة ، وكزير الحجلة ، وكأثر المذخيم وكركبة العنزور رواية سادسة : وهي رواية عبد الله بن سرجس : قال : رأيت خاتم النبوة كأنه يجمع : كالمذخيم ، [وهي الآلة التي يجتمع بها دم الحجامه عند المص] لا كجمع الكف ، ومعناه كعنى الأول أى كأثر المذخيم . وقد قيل في الجمع : إنه جمع الكف : قاله القسبي^(١) : والله أعلم .

ورواية سابعة عن أبي سعيد الخدري - رضى الله عنه - وقد سئل عن خاتم النبوة : فقال : بضعة ناشزة^(٢) هكذا : ووضع طرف السبابة في مفصل الإبهام ، أو دون المفصل ، ذكرها يونس عن ابن إسحاق ، وفي صفته أيضاً رواية ثامنة ، وهي رواية من شبهه بالسلمة^(٣) ، وذلك لئنتوه ، وقد تقدم حديث ، فيه عن أبي ذر - رضى الله عنه - مرفوعاً ببيان وضع الخاتم بين كتفيه

(١) يقول الزرقاني في شرح المواهب عن تفسير السهلي . وهو تكلف والمتبادر في تفسير ابن قتيبة ، وقد تبعه عليه عياض ، والنووي والمصنف وغيرهم ، ص ١٥٧ ج ١ وجمع بضم الجيم . وحكى ابن الجوزي وابن دحية كسرهما ، وجزم به في المفهم . والجمع صورة الكف بعد أن تجمع الأصابع وتضمها وحديث ابن سرجس في مسلم ومسنده أحمد .

(٢) حديث الخدري رواه الترمذي في الشمائل .

(٣) حديث السلمة رواه البيهقي ، وبضعة ناشزة : قطعة لحم مرتفعة ، وتروى بضعة بفتح الباء ، وضما وكسرهما ، انظر المواهب ص ١٥٥ ج ١ ، ولاحد عن الخدري : لحم ناشز بين كتفيه ، والبيهقي ، والبخارى في التاريخ عنه : لحم ناشزة وأحمد وابن سعد من طرق عن أبي ربيعة ، والسلمة : زيادة تحدث في البدن كالغدة تتحرك إذا حركت ، وقد تكون من حصاة إلى بطيخة .

متى كان ، وروى الترمذى^(١) فى مصنفه ، قال : حدثنا الفضل بن سهل أبو العباس الأعرج البغدady ، حدثنا عبد الرحمن بن غزوان أبو نوح ، أخبرنا يونس ، عن أبي إسحاق ، عن أبي بكر بن أبي موسى ، عن أبيه قال : خرج أبو طالب إلى الشام ، وخرج معه النبي - صلى الله عليه وسلم - فى أشياخ من قريش ، فلما أشرفوا على الراهب هبطوا ، فحلّوا رحالهم : فخرج إليهم الراهب ، وكانوا قبل ذلك يمرون به ، فلا يخرج إليهم ، ولا يلتفت : فجعل يتخذلهم الراهب : وهم يحلون رحالهم : حتى جاء فأخذ بيد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال : هذا سيد العالمين ، هذا رسول رب العالمين ، يبعثه الله رحمة للعالمين . فقال له أشياخ من قريش : ما علمك ؟ . فقال : إنكم حين أشرفتم من العمبة لم يبق حَجَرٌ ، ولا شجر إلا خَرَّ ساجدا : ولا يسجدان إلا للنبي ، وإني أعرفه بنحاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه . ويقال : غُرُوف مثل التفاحة . ثم رجع : فصنع لهم طعاما ، فلما أتاهاهم به - وكان هو فى رعية الإبل - قال : أرسلوا إليه . فأقبل وعليه غمامة تظله ، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة ، فلما جاس مال فيء الشجرة عليه ، فقال : انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه ، قال : فبينما هو قائم عليهم ، وهو يناشدُهم ألا يذهبوا به إلى الروم ، فإن الروم إن رأوه عرفوه بالصفة ، فيقتلونه ، فالتفت فإذا سبعة قد أقبلوا من الروم ، فاستقبلهم ، فقال : ما جاء بكم فقالوا : جئنا أن هذا النبي خارج فى هذا الشهر ،

(١) ورواه أيضاً الحاكم وصححه والبيهقى فى الدلائل وأبو نعيم والخرائطى وابن أبي عساكر ، وابن أبي شيبة .

فلم يبق طريق إلا بُعِثَ إِلَيْهِ بِأَنَاسٍ ، وإنا قد اخترنا خيرة بعثنا إلى طريقك هذا ، فقال : هل خَنَفَكُمُ أَحَدٌ هُوَ خَيْرُ مِنْكُمْ ، فقالوا : إنما اخترنا خيرة لطريقك ^(١) هذا ، قال : أَقْرَأُكُمْ أَمْرًا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَهُ ، هل يستطيع أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ رَدَّهُ ؟ قالوا : لا ، قال : فَبَايَعُوهُ ^(٢) وأقاموا معه . قال : أَنُشَدُّكُمْ بِاللَّهِ أَيْكُمْ وَلِيَّهُ ؟ قالوا : أبو طالب ، فلم يزل يُنَاشِدُهُ حَتَّى رَدَّهُ أَبُو طَالِبٍ ، وبعث معه أبو بكر بلالا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَزَوَّدَهُ الرَّاهِبُ مِنَ السَّكَمِكِ وَالزَّيْتِ ^(٣) ، قال

(١) في لفظ الحديث اضطراب وخطأ ، وفي المواهب وشرحها ما يأتي : ج ١ ص ١٩٥ : « فلم يبق طريق إلا بعث إليها بأناس ، وأنامذا أخبرنا خبره بعثنا إلى طريقك هذا ، فقال : هل خلفكم أَحَدٌ هُوَ خَيْرُ مِنْكُمْ ؟ قالوا : إنما أخبرنا خبره بطريقك هذا ، وانظر الخصائص للسيوطي ج ١ ص ٢٠٨ و ١٤٢ و ١ السيرة الحلبية .

(٢) معناه : بايعوا بحيرا على ألا يأخذوا النبي « ص » ، ولا يؤذوه على حسب ما أرسلوا فيه ، وأقاموا مع بحيرا خوفا على أنفسهم إذا رجعوا بدونه ، انظر ص ٢٨٥ ج ٢ البداية والمواهب ، ومن أسماء بحيرا : جرجس وجرجيس .

وأكرر مرة أخرى بحجة من القرآن أن رسول الله « ص » لم يكن هو نفسه يعرف عن أمر نبوته شيئا قبل أن ينزل عليه الوحي ، والآيات التي جعلت آيات له - كما ورد في القرآن والإنجيل والتوراة - لا تتعلق بصفات جسمية ، وإنما بالحقائق النورانية من دعوته صلى الله عليه وسلم ، فهو نبي أمي اسمه : أَحْمَدُ يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ويحل الطيبات ، ويحرم الخبائث ، ويضع الأغلال والإصر عن البشر .

(٣) يقول القسطلاني والزرقاني في المواهب وشرحه : « وضعف الذهبي الحديث - حديث بحيرى - لقوله في آخره : وبعث معه أبو بكر بلالا ، فإن أبا بكر إذ ذاك لم يكن متأهلا . قال ابن سيد الناس : لأنه حينئذ لم يبلغ عشر سنين ، فإن المصطفى أزيد منه بعامين ، وكان له يومئذ تسعة أعوام على ما قاله الطبري وغيره ، أو اثنا عشر عاما على ما قاله آخرون ، ولا اشتري =

أبو عيسى : هذا حديثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وما
قاله أبو طالب في هذه القصة :

== بلالا . قال اليعمرى : لأنه لم ينتقل لآبي بكر إلا بعد ذلك بأزيد من ثلاثين
عاما ، فإنه كان لبني خلف الجحيين . وعندما عذب في الله اشتراه أبو بكر رحمة
له ، واستنقاذا له من أيديهم . ولفظ الذهبي في الميزان في ترجمة عبد الرحمن ابن
غزوان : كان يحفظ وله مناكير ، وأنكر ماله : حديث عن يونس بن أبي إسحاق
عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبي موسى في سفر النبي « ص » ، وهو مرافق مع
أبي طالب إلى الشام .

وما يدل على أنه باطل قوله : وبعث معه أبو بكر بلالا ، وبلال لم يكن
خلق ، وأبو بكر كان صبيا ، وقال في تلخيص المستدرک بعد ما ذكر تصحيح
الحاكم للحديث : قلت : أظنه موضوعا ؛ فبعضه باطل ، ويقول عنه عباس الدوري :
ليس في الدنيا أحد يحدث به - أي بهذا الحديث - غير قراد أبي نوح - أي
عبد الرحمن بن غزوان - وقد سمعته منه أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين لغرابته
وانفراده . وفي رواية الترمذی لم يذكر اسم الراهب ، وهو تارة يهودى ، وتارة
نصرانى ، وتارة بحيرى ، وأخرى سرجس وغيره ١١ هذا وبصرى التى فى القصة بلده
بالشام ، وهى قصبة كورة حوران . ولا ريب فى أن قصة بحيرى مختوعة وإفك
صراح ، وقد استغلها عدو الإسلام ، فزعموا أنه - صلى الله عليه وسلم - اقتبس
دينه مما تعلمه من رهبان النصارى وأجبار اليهود ، وقد تردى فى هذه المهلكة مؤرخ
ينسب إلى الإسلام ، فزعم أن رحلتى الرسول إلى الشام كان لهما أثرهما فيما صدر
عنه من تشريع .

وأقول : لو أنها حدثت لتواتر خبرها ، ولأجَّ فى مكة وما حولها من القرى ،
ولبدا من رسول الله العلم بما جاءه ليلة الوحي الأولى ، وكيف ، وهو كما أكد
القرآن — لم يكن يعرف حتى الإيمان قبل الوحي ١١ .

هذا وفى رواياته متناقضات ، فبحيرى من يهود تيماء ، كما جاء فى بعض السنن
للزهرى ، وفى مروج الذهب وغيره أنه كان نصرانياً من عبد القيس . والرحلة
كانت مع أبي طالب ، والرحلة مع أبي بكر ، والرحلة وهو فى سن التاسعة ==

أَلَمْ تَرَنِي مِنْ بَعْدِهِمْ هَمَّتْهُ
بُقُرْقَةَ حُرِّ الْوَالِدِينَ كِرَامِ
بِأَحْمَدَ لَمَّا أَنْ شَدَّذْتُ مَطِيَّتِي
لَتَرْحَلَ إِذْ وَدَّعْتُهُ بِسَلَامِ
بِكى حَزَنًا وَالْعَيْسُ قَدْ فَصَلَتْ بِنَا
وَأَمْسَكَتْ بِالْكَفَيْنِ فَضْلَ زِمَامِ
ذَكَرْتُ أَبَاهُ ، ثُمَّ رَفَرْتُ عُبْرَةً
تَجُودُ مِنَ الْعَيْنِينَ ذَاتَ سِجَامِ
فَقُلْتُ : تَرُوحَ رَاشِدًا فِي عُمُومَةٍ
مَوَاسِينَ فِي الْبِئْسَاءِ غَيْرَ لُثَامِ
فَرُحْنَا مَعَ الْعِيرِ الَّتِي رَاحَ أَهْلُهَا
شَامِي الْهُوَى ، وَالْأَصْلُ غَيْرُ شَامِي

= أو الثانية عشرة أو الثامنة عشرة . وأبو بكر هو الذى يتوجه إلى الراهب فى رواية ، وبحيرا هو الذى ينزل فى رواية ، والراهب مجهول الاسم فى رواية ، والراهب سرجس ، أو جرجس ، أو جرجيس فى رواية ١١ والراهب يحذر أبا طالب من الروم ، والراهب يحذر أبا طالب من اليهود فى رواية ، وعدد الروم سبعة ، وعدد هم تسعة فى رواية . هذا والكاتب الهندى خدا بخش - على ما فى قوله من اتهام لابن عباس بأنه واضع الحديث ، وابن عباس يرى من إفسكه - يحكم بزييف هذه القصة فيقول : : ولكن القصة بأكملها ليست حقيقية ، بل موضوعة ، وهى من صنع خيال ابن عباس ١١ وربما تكون قد دونت حوالى سنة ١٠٠ هـ ، ثم يستعرض موقف الصليبية من قصة هذا الراهب ، فيذكر أمورا مذهلة ترينا إلى أى حد استغل أعداء الدين هذه القصة المنتراة ، فانظر كتابه (الحضارة الإسلامية ترجمة الدكتور الخربوطلى) من ص ٤٠ . ويقول المؤرخ سيدىو - رغم اعتداله : : وكان أول سفره إلى الشام مع عمه أبى طالب فى سنة ٥٨٢ م فبلغ بصرى ، فاجتمع فيها ببحيرى الذى كان اسمه لدى النصارى جرجيس أو سرجيس ، فنال حظوة عنده ، ص ٦٦ تاريخ العرب العام ، ويقول غستاف لوبون عن قصة ببحيرى : (وتقول القصة : إن محمدا سافر مرة مع عمه إلى سورية ، فتعرف فى بصرى براهب نسطورى فى دير نصرانى ، فتلقى منه علم التوراة) ص ١٢٠ حضارة العرب . وذكر هذا فى مثل هذا الأسلوب الهادى الذى يخنال بأنه سكيئة من اليقين يفتح قلب من لا يعنى لهذا الباطل الصريح !!

فلما هَبَطْنَا أَرْضَ بُصْرَى تَشَرَّفُوا لَنَا فَوْقَ دُورٍ يَنْظُرُونَ جِسَامَ
فَجَاءَ بَحِيرَى عِنْدَ ذَلِكَ حَاشِداً لَنَا بِشَرَابٍ طَيِّبٍ وَطَعَامٍ
فَقَالَ : اتَّجَمُّوا أَصْحَابَكُمْ لَطْعَامَنَا فَقُلْنَا : جَمَعْنَا الْقَوْمَ غَيْرَ غَلَامٍ (١)
ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي رِوَايَةِ يُونُسَ عَنْهُ ، وَذَكَرَ بَاقِيَ الشَّعْرِ .

مِفْظُ فِي الصَّغَرِ :

فصل : وَذَكَرَ مَا كَانَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَحْفَظُهُ بِهِ : أَنَّهُ كَانَ صَغِيرًا يَلْعَبُ
مَعَ الْغُلَمَانِ ، فَتَعَرَّى فَالْكَمَّةُ لَا كَمَّ . الْحَدِيثُ . وَهَذِهِ الْقِصَّةُ إِنَّمَا وَرَدَتْ
فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ فِي حِينِ بُنْيَانِ الْكَعْبَةِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — يَنْقُلُ الْحِجَارَةَ مَعَ قَوْمِهِ إِلَيْهَا ، وَكَانُوا يَجْعَلُونَ أُزْرُفَهُمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ
لِتَقْفِيَهُمُ الْحِجَارَةُ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — يَحْمِلُهَا عَلَى
عَاتِقِهِ ، وَإِذَا رَهُ مَشْدُودًا عَلَيْهِ ، فَقَالَ نَبِيُّ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يَا ابْنَ أَخِي !
لَوْ جَعَلْتَ إِزَارَكَ عَلَى عَاتِقِكَ ، فَقَعَلَ نَفْسُكَ مَفْشِيًا عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : إِزَارِي
إِزَارِي ! فَشَدَّ عَلَيْهِ إِزَارَهُ ، وَقَامَ يَحْمِلُ الْحِجَارَةَ (٢) ، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ : أَنَّهُ لَمَّا
سَقَطَ ، ضَمَّهُ الْعَبَّاسُ إِلَى نَفْسِهِ ، وَسَأَلَهُ عَنْ شَأْنِهِ ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ نُودِيَ مِنَ
السَّمَاءِ : أَنْ اشْدُدْ عَلَيْكَ إِزَارَكَ يَا مُحَمَّدُ ، قَالَ : وَإِنِّهِ لِأَوَّلُ مَا نُودِيَ . وَحَدِيثُ
ابْنِ إِسْحَاقَ ، إِنْ صَحَّ أَنَّهُ كَانَ ذَلِكَ فِي صَغَرِهِ ، إِذْ كَانَ يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَمَانِ : فَمَحْمَلُهُ عَلَى
أَنَ هَذَا الْأَمْرَ كَانَ مَرَّتَيْنِ : مَرَّةً فِي حَالِ صَغَرِهِ ، وَمَرَّةً فِي أَوَّلِ اكْتِهَالِهِ هُنْدَ
بُنْيَانِ الْكَعْبَةِ .

(١) تَبَدُّو فِي الشَّعْرِ رَائِحَةُ الْوَضْعِ ، فَمَا عَلَيْهِ مِنَ الْعَصْرِ الَّذِي قَبْلَ فِيهِ سِمَةٌ ،
وَلِهَذَا لَمْ يَرَوْهُ ابْنُ هِشَامٍ .
(٢) الْحَدِيثُ فِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ .

حرب الفجار

قال ابن هشام : فلما بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أربع عشرة سنة ، أو خمس عشرة سنة - فيما حدثني أبو عبيدة النحوي ، عن أبي عمرو بن العلاء - هاجت حرب الفجار بين قريش ، ومن معها من كنانة ، وبين قيس عيلان . وكان الذي هاجها أن عروة الرحّال بن عتبة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، أجار لطيمة للنعمان ابن المنذر ، فقال له البرّاض بن قيس ، أحد بني صمرة بن بكر بن عبد مناة ابن كنانة : أتجبرها على كنانة ؟ قال : نعم ، وعلى الخلق ، فخرج فيها عروة الرحّال ، وخرج البرّاض يطلب غفنته ، حتى إذا كان بتيمن ذي طلال بالعالية ، غفل عروة ، فوثب عليه البرّاض ، فقتله في الشهر الحرام ، فذلك سُمّي : الفجار . وقال البرّاض في ذلك :

وداهية تهمّ الناس قبلي شدّدت لها - بني بكر - ضلوعي
هدمت بها بيوت بني كلاب وأرضعت الموالى بالضرع
رفعت له بذى طلال كفي فبحر يمد كالجدع الصريع

وقال لبید بن مالك بن جعفر بن كلاب :

أبلغ - إن عرضت - بني كلاب وعامر والخطوب لها موالى
وبلغ إن عرضت بني ثمير وأحوال القتل بني هلال
بأن الوافد الرحّال أمسى مقبياً عند تيمن ذي طلال

وهذه الأبيات في أبيات له فيما ذكر ابن هشام .

قال ابن هشام : فأتى آت قريشا ، فقال : إِنَّ الْبَرَّاضَ قَدْ قَتَلَ عُرْوَةَ ، وهم في الشهر الحرام بِمَسْكَاطٍ ، فارتحلوا ، وهوازنُ لَا تَشْعُرُ ، ثم بلغهم الخبرُ فأتبعوهم ، فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم ، فاقتتلوا حتى جاء الليل ، ودخلوا الحرم ، فأمسكت عنهم هوازنُ ، ثم التَقَوْا بعد هذا اليوم أياما ، والقومُ مُتَسَانِدُونَ ، على كُلِّ قَبِيلٍ من قريش وكنانة رئيسٌ منهم ، وعلى كُلِّ قَبِيلٍ من قَيْسٍ رئيسٌ منهم .

وشهد رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بعض أيامهم ، أخرجه أعمامُهم معهم ، وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : كنتُ أَنْبِلُ على أعمامى ، أى : أُرَدُّ عنهم ، نَبِلَ عدوهم ، إِذَا رَمَوْهم بها .

قال ابن إسحاق : هاجت حربُ الْفِجَارِ ، ورسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - ابنُ عشرين سنة ، وإِنَّمَا سُمِيَ يَوْمُ الْفِجَارِ ، بما استحلَّ هذانِ الْحَيَّانُ : كِنَانُهُ وَقَيْسُ عَيْلَانَ فِيهِ الْمَحَارِمُ بَيْنَهُمْ .

وكان قائدَ قريش وكنانة حَرْبُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ، وكان الظَّفَرُ في أوَّلِ النهارِ لَقَيْسٍ على كِنَانَةٍ ، حتى إِذَا كَانَ فِي وَسْطِ النَّهَارِ كَانَ الظَّفَرُ لِكِنَانَةٍ على قَيْسٍ .

قال ابن هشام : وحديثُ الْفِجَارِ أَطْوَلُ مِمَّا ذَكَرْتُ ، وإِنَّمَا مَنَعْنِي مِنْ اسْتِقْصَائِهِ قَطْعُهُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

حديث تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله عنها

قال ابن هشام : فلما بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خمساً وعشرين سنة ، تزوج خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ، فيما حدثني غير واحد من أهل العلم عن أبي عمرو المدنى .

قال ابن إسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ، ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال في مالها ، وتضاربهم إياه ، بشئ تجعلهم ، وكانت قريش قومًا تجاراً ، فلما بلغها عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما بلغها ، من صدق حديثه ، وعظم أمانته ، وكرم أخلاقه ، بعثت إليه ، فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجراً ، وتُعطيَه أفضل ما كانت تُعطي غيره من التجار ، مع غلام لها يقال له : ميسرة ، فتمسك به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منها ، وخرج في مالها ذلك ، وخرج معه غلامها ميسرة ، حتى قدم الشام .

فنزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب من الرهبان ، فاطلع الراهب إلى ميسرة ، فقال له : مَنْ هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة ؟ قال له ميسرة : هذا رجل من قريش من أهل الحرم ، فقال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي .

ثم باع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سِلْعَةً التي خرج بها ، واشترى ما أراد أن يشتري ، ثم أقبل قافلاً إلى مكة ، ومعه مَيْسِرَةٌ ، فكان مَيْسِرَةٌ - فيما يزعمون - إذا كانت الهَاجِرَةُ ، واشتدَّ الحرُّ ، يرى مَلَكَ كَيْنٍ يُظِلُّانَهُ من الشمس - وهو يسير على بعيره ، فلما قَدِمَ مكةَ على خديجة بئالها ، باعَتْ ما جاء به ، فأضعف أو قريياً . وحدثها مَيْسِرَةٌ عن قول الراهب ، وعمّا كان يرى من إضلال المَلَكَ كَيْنِ إِيَّاهُ ، وكانت خديجة امرأةً حازمةً شريفةً لبيبةً ، مع ما أراد الله بها من كرامته ، فلما أخبرها مَيْسِرَةٌ بما أخبرها به ، بعثت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت له - فيما يزعمون : يَا بَنَ عَمٍّ ، إني قد رَغِبْتُ فَيْكَ لِقَرَابَتِكَ ، وَسِطَّتِكَ فِي قَوْمِكَ وَأَمَانَتِكَ ، وَحُسْنِ خَلْقِكَ ، وَصِدْقِ حَدِيثِكَ ، ثم عرضت عليه نفسها ، وكانت خديجة يومئذٍ أوسطَ نساء قريش نسبا ، وأعظمهنَّ شرفا ، وأكثرهنَّ مالا ، كلُّ قومها كان حريصا على ذلك منها لو يقدر عليه .

وهي خديجة بنت خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ أُوَيٍّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرٍ . وأمها : فاطمة بنت زائدة بن الأصمِّ بْنِ رِزَاحَةَ بْنِ حَجَرِ بْنِ عَبْدِ مَعِيصِ بْنِ عَامِرِ بْنِ أُوَيٍّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرٍ . وأم فاطمة : هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن عمرو بن مُنْقِذِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَعِيصِ بْنِ عَامِرِ بْنِ أُوَيٍّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرٍ . وأم هالة : قِلَابَةُ بنت سَعِيدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ سَهْمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ هُصَيْنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ أُوَيٍّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرٍ . فلما قالت ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذَكَرَ ذَلِكَ لِأَعْمَامِهِ ، فخرج معه عمُّه حمزة بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ - رحمه الله - حتى دخل على خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدٍ فخطبها إليه ، فتزوجها .

قال ابن هشام : وأصدقها رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — عشرين بَكْرَةً ، وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت ، رضى الله عنها .

قصة الفجار

والفجار بكسر الفاء بمعنى : المفاجرة كالقتال والمقاتلة ، وذلك أنه كان قتالا في الشهر الحرام ، ففجروا فيه جميعاً ، فسمى : الفِجَارَ ، وكانت للعرب فِجَارَاتٌ أربع ، ذكرها المسعودي ، آخرها : فِجَارُ الْبَرَاثِ (١) المذكور في السيرة . وكان لسكنانة ولقيس فيه أربعة أيام مذكورة : يوم شمطة ، ويوم الشرب ، وهو أعظمها يوماً ، وفيه قيد حربُ بن أمية وسُفْيَانُ وأبوسُفْيَانُ أبناء أمية أنفسهم كي لا يفرّوا ، فسمّوا : العنابس (٢) ، ويوم الحريرة عند نخلة ، ويوم الشرب انهزمت قيسٌ إلا بني نضير منهم ، فانهزموا ، وإنما يقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مع أعمامه ، وكان ينبلُ عليهم ، وقد كان بلغ سن القتال ؛ لأنها كانت حرب فِجَارٍ ، وكانوا أيضاً كلهم كفاراً ، ولم يأذن الله تعالى لمؤمن أن يقاتل إلا لتكون كلمة الله هي العليا .

(١) هي : فجار الرجل ، أو فجار بدر بن معشر ، وفجار القرد ، وفجار المرأة ، والاولى بين سكنانة وهوازن ، والثانية أيضاً بينهما ، والثالثة : بين قريش وهوازن ، وكانت البراث بين قريش وسكنانة كلها وبين هوازن . وتسمى : ثلاثة الفجارات . الاول : أيام الحج الأول . أما البراث فالفجار الآخر .

(٢) العنابس من أسماء الاسد ، والعنابس من قريش أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر ، وهم ستة ، منهم الذين ذكرهم السهيلي والآخرون هم : أبو حرب ، وعمرو وأبو عمرو ، وسموا بالاسد ، والباقيون يقال لهم : الاعياص

وَاللَّطِيْمَةُ : عَيْرٌ تَحْمِلُ الْبَرْءَ وَالْعِطَرَ .

وقوله : بذى طَلَّالٍ (١) بتشديد اللام ، وإنما خففه لِيَبِيدَ في الشعر الذي ذكره ابن إسحاق ههنا للضرورة .

ضع تنوين العلم :

وقول البراءض : رفعتُ له بذى طَلَّالٍ كَفَى . فلم يَصْرِفْهُ ، يجوز أن يكون جعله اسمَ بُقْعَةٍ ، فتَرَكْ إجراء الاسم للتأنيث والتعريف ، فإن قلت : كان يجب أن يقول : بذاتِ طَلَّالٍ ، أَى : ذات هذا الاسم للمؤنث ، كما قالوا : ذو عمرو أَى : صاحبُ هذا الاسم ، ولو كانت أنثى ، لقالوا : ذاتُ هذا ، فالجواب : أن قوله : بذى يجوز أن يكون وَضْعًا لطريق ، أو جانب مضافٍ إلى طَلَّالٍ اسم البقعة . وأحسنُ من هذا كُلهُ أن يكون طَلَّالُ اسْمًا مذكرًا علمًا ، والاسمُ العلمُ يجوز تركُ صرفِهِ في الشعر كثيرًا ، وسيأتى في هذا الكتاب من الشواهدِ عليه ما يدلُّك على كثرتِهِ في الكلام ، ونؤخرُ القولَ في كشفِ هذه المسئلةِ وإيضاحِها إلى أن تأتى تلك الشواهدُ - إن شاء الله - ووقع في شعر البراءض مُشَدَّدًا ، وفي شعر لَبِيدٍ الذي بعد هذا مُخَفَّفًا ، وقلنا : إن لَبِيدًا خففه للضرورة ، ولم يَقُلْ : إنه شَدَّدَ للضرورة ، وإن الأصل فيه التخفيف ، لأنه فَعَالٌ من الطَّلِّ ، كأنه موضعٌ يكثر فيه الطَّلُّ ، فَطَلَّالٌ بالتخفيف لا معنى له ، وأيضًا ؛ فإننا وجدناه في الكلام المنشور مُشَدَّدًا ، وكذلك تقييد في كلام ابن

(١) تتلَّق بالظاء أيضًا ، وتيمن ذى طلال ، قيل : إنه واد إلى جنب فذك ، والصحيح : أنه بعالية نجد ، كما ذكر ابن هشام . والعالية : كل ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعماتها إلى تهامة . وما كان دون ذلك : فالسافلة

إسحاق هذا في أصل الشيخ أبي بَحرٍ (١).

من تفسير سمر البراصه :

وقوله في البيت الثاني : وألحقتُ الموالى بالضرُوع (٢). جمع : ضرُوع ، هو في معنى قوْلهم : لَيْثِيْمٌ راضِعٌ ، أى : ألحقتُ الموالى بمنزلتهم من اللوْثِمْ . ورَضاعُ الضُّرُوع ، وأظهرت فسالتهم (٣) وهتكتُ بيوتَ أشرافِ بني كِلابٍ وصُرَحائِمٍ .

وقول لييد : بَيْنَ تَيْمَنَ ذِي طَلالٍ . بكسر التيم وبفتحتها ، ولم يَصْرِفُهُ لَوَزْنِ النِّعَلِ ، والتعريف ؛ لأنه تَفْعِلُ ، أو تَفْعَلُ من التَّيْمَنِ أو التَّيْمَنِ .
أضربُ أَمْرَ الفِجَارِ :

وكان آخرُ أَمْرِ الفِجَارِ أَنْ هَوَازِنَ وَكِنانَةٍ تَواعَدوا للعامِ القابِلِ بِمُكَاطَظِ فجاءوا للوعدِ ، وكان حَرْبُ بَنِ أُمَيَّةَ رَئِيسَ قُرَيْشٍ وَكِنانَةٍ ، وكان عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ يَتِيماً فِي حِجْرِهِ ، فَضَنَّ بِهِ حَرْبُهُ ، وَأَشْفَقَ مِنْ خُرُوجِهِ مَعَهُ ، فَخَرَجَ عُتْبَةُ بِغَيْرِ إِذْنِهِ ، فَلَمْ يَسْمَعُوا إِلَّا وَهُوَ عَلَى بَعِيرِهِ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ ينادى : يَا مَعْشَرَ مُضَرَ ، عَلَّامَ تَقَاتِلُونَ ؟ فَقَالَتْ لَهُ هَوَازِنُ : مَا تَدْعُو إِلَيْهِ ؟ فَقَالَ : الصَّاحِ ، عَلَى أَنْ نَدْفَعَ إِلَيْكُمْ دِيَةَ قَتْلَاكُمْ ، وَنَعْفُو عَنْ دِمَائِنَا ، قَالُوا : وَكَيْفَ ؟ قَالَ : نَدْفَعُ إِلَيْكُمْ رَهْناً مِنَّا ، قَالُوا : وَمَنْ لَنَا بِهَذَا ؟ قَالَ : أَنَا . قَالُوا : وَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ، فَرَضُوا وَرَضِيَتْ كِنانَةُ ، وَدَفَعُوا إِلَى هَوَازِنَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا . فِيهِمْ : حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ [بَنِ خُوَيْلِدٍ] ، فَلَمَّارَاتُ بَنُو عَامِرِ بْنِ صَفْصَعَةَ الرَّهْنِ

(١) انظر عن هذا ص ٦١ شرح السيرة للنخشي .

(٢) في السيرة : وأرضعت .

(٣) الفصل من الرجال : الرذل .

فى أيدىهم ، عَفَوْا عن الدماء ، وأطلقوهم وانقضت حَرْبُ الْفِجَارِ (١) ، وكان يقال : لم يَسُدَّ من قریشٍ مُمْلِقٌ إِلَّا عُتْبَةُ وأبو طالب ، فإنهما سادا بغير مال .

فصل فى تزويجه عليه السلام خديجة رضى الله عنها

شرح قول الراهب :

ذكر فيه قول الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة إِلَّا نَبِيٌّ . يريد : ما نزل تحتها هذه الساعة إِلَّا نَبِيٌّ ، ولم يُرد : ما نزل تحتها قط إِلَّا نَبِيٌّ ؛ لبعد العهد بالأنبياء قبل ذلك ، وإن كان فى لفظ الخبر : قَطَّ ، فقد تكلم بها على جهة التوكيد للنفى ، والشجرة لا تُعَمَّرُ فى العادة هذا العمر الطويل حتى يَدْرِي أنه لم يَنْزِلْ تحتها إِلَّا عيسى ، أو غيره من الأنبياء - عليهم السلام - وَيَبْعُدُ فى العادة أيضاً أن تكون شجرة تخلو من أن يَنْزِلَ تحتها أحدٌ ، حتى يحىء نبي إِلَّا أن تُصَحِّحَ رواية من قال فى هذا الحديث : لم يَنْزِلْ تحتها أحدٌ بعد عيسى بن مريم - عليه السلام - وهى رواية عن غير ابن إسحاق ، فالشجرة على هذا مخصوصة بهذه الآية والله أعلم . وهذا الراهب ذكروا أن اسمه نَسْطُوراً (٢) وليس هو بخيراً المتقدم ذكره .

(١) ومن حديث حرب الفجار نفس ما ياتى : اللطيمة : الإبل تحمل التجارة والطيب والبر وأشباههم . القوم متساندون : ليس لهم أمير واحد يجمعهم . ولم يرد فى حضور النبي د ص ، حرب الفجار حديث يعقده به .
(٢) قلت : إن الصليبية استغلت هذه الأكذوبة ، فادعى أحدهم وهو =

تحقيق معنى الوسط :

وقول خديجة - رضى الله عنها : لِسِطَتِكَ فى عَشِيرَتِكَ ، وقوله فى وصفها :
هى أَوْسَطُ قُرَيْشٍ نَسَبًا . فالسَّطَةُ : من الوَسْطِ ، مَصْدَرٌ كَالْعِدَّةِ وَالزَّيْنَةِ ، وَالْوَسْطُ
من أوصاف المدح والتفضيل ، ولكن فى مقامين : فى ذكر النسب ، وفى ذكر
الشهادة . أما النسب ؛ فلأن أَوْسَطَ القَبِيلَةِ أَعْرَفُهَا ، وأولاهها بالصميم وأبعدُها
عن الأطراف والوسيط ، وأجدرُ أن لاتضاف إليه الدعوة ؛ لأن الآباء والأمهات
قد أحاطوا به من كل جانب ، فكان الوَسْطُ من أجل هذا مدحًا فى النسب
بهذا السبب ، وأما الشهادة فنحو قوله سبحانه : (قال أوسطهم) وقوله :
﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ البقرة : ١٤٣
فكان هذا مدحًا فى الشهادة ؛ لأنها غاية العدالة فى الشاهد أن يكون وَسَطًا
كاليزان ، لا يميل مع أحد ، بل يُصَمَّمُ على الحقِّ تصميماً ، لا يجذبُه هوى ،
ولا يميل به رغبة ، ولا رهبة من ههنا ، ولا من ههنا ، فكان وصفه بالوَسْطِ
غايةً فى التزكية والتعديل ، وظن كثير من الناس أن معنى الأَوْسَطِ : الأفضلُ
على الإطلاق ، وقالوا : معنى الصلاة الوُسْطَى : التُّفْضِلُ ، وليس كذلك ، بل هو
فى جميع الأوصاف لَامَدْحٌ وَلَا ذَمٌّ ، كما يقتضى لفظ التَّوَسُّطِ ، فإذا كان وَسَطًا فى
السَّمَنِ ، فهى بين المُمِخَّةِ ^(١) والعَجْفَاءِ . والوسطُ فى الجمال بين الحسناءِ

== نيكولس ، أن اثنين من اليهود ، ومسيحياً يعقوبياً يدعى : بحيرى أمدأ
محمدًا بكثير من المعلومات التى استفاد منها فى دينه ص ٣٠٣ الحضارة الإسلامية ،
ويزعم « أندريا داندولو » ، أن هذا الراهب النسطورى « نسبته إلى فرقة مسيحية »
أراد محاربة الكنيسة ، فاستغل محمدًا فى هذا . وكأها مقتربات من تن فرية خبيثة
انظر خدا بخش الحضارة الإسلامية .

(١) فى اللسان : الممخة بضم فكسر نحاء مشددة مفتوحة : السمينة
وفى المثل : بين الممخة والعجفاء .

والشَوْهَاءُ ، إلى غير ذلك من الأوصاف ، لا يعطى مدحا ، ولا ذما ، غير أنهم قد قالوا فى المثل : أنقل من مُغْنٍ وَسَطٍ على الذم ؛ لأن المغنى إن كان مُجيدا جدا أمتع وأطرب ، وإن كان بارداً جداً أضحك وأكفى ، وذلك أيضاً مما يمتنع . قال الجاحظ : وإنما السكرَبُ الذى يَجْنُمُ على القلوب ، ويأخذ بالأنفاس الغناء الفاتر الوَسَطُ الذى لا يمتنع بِمُسْنٍ ، ولا يُضْحِكُ بِلَهْوٍ ، وإذا ثبت هذا فلا يجوز أن يقال فى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — هو : أَوْسَطُ الناس . أى : أفضاهم ، ولا يوصف بأنه وَسَطٌ فى العلم ، ولا فى الجود ، ولا فى غير ذلك إلا فى النسب والشهادة ، كما تقدم ، والحمد لله ، والله الحمود .

من الذى زوج خديجة ؟

فصل : وذكر مشى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إلى خُوَيْلِدِ بْنِ أُسْدٍ مع عمه حمزة — رضى الله عنه — وذكر غيرُ ابنِ إسحاق أن خُوَيْلِداً كان إذ ذاك قد هلك ، وأن الذى أنسكح خديجة — رضى الله عنها — هو عمُّها عَمْرُو بْنُ أُسْدٍ ، قاله المبرد وطائفة معه ، وقال أيضاً : إن أبا طالب هو الذى نهض مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهو الذى خَطَبَ خُطْبَةَ النكاح ، وكان مما قاله فى تلك الخطبة : « أما بعد : فإن محمداً يَمُنُّ لا يُؤازِرُ به فتى من قريش إلا رَجَحَ به شرفاً ونُبلاً وفضلاً وعقلاً ، وإن كان فى المال قُلٌّ ، فإنما المال ظل زائل ، وعارية مُسْتَرْجَعَةٌ ، وله فى خديجة بنت خُوَيْلِدٍ رغبة ، ولها فيه مثل ذلك » فقال عمرو : هو الفحل الذى لا يَقْدَعُ أنفه ، فأنسكحها منه ، ويقال : قاله وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ ، والذى قاله المبرد هو الصحيح ؛ لما رواه

(١) ونص الخطبة فى نهاية الأرب : والحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم =

الطَّبْرِيُّ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَعَنْ عَائِشَةَ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كُلِّهِمْ — قَالَ : إِنْ عَمَرُو بَنَ أَسَدَ هُوَ الَّذِي أَنْكَحَ خَدِيجَةَ رَسُولَ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — وَأَنْ خُوَيْلِدًا كَانَ قَدْ هَلَكَ قَبْلَ الْفِجَارِ ، وَخُوَيْلِدُ ابْنِ أَسَدٍ هُوَ الَّذِي نَازَعَ تَبَعًا الْآخَرَ حِينَ حَجَّ ، وَأَرَادَ أَنْ يَحْتَمِلَ الرِّكْنَ الْأَسْوَدَ مَعَهُ إِلَى الْبَيْنِ ، فَقَامَ فِي ذَلِكَ خُوَيْلِدٌ ، وَقَامَ مَعَهُ جَمَاعَةٌ ، ثُمَّ إِنْ تَبَعًا رُوِّعَ فِي مَنْامِهِ تَرْوِيْعًا شَدِيدًا حَتَّى تَرَكَ ذَلِكَ ، وَانْصَرَفَ عَنْهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

فصل : وذكر الزُّهْرِيُّ فِي سِيَرِهِ ، وَهِيَ أَوَّلُ سِيَرَةِ أُلْفَتِ فِي .

= وزرع إسماعيل ، وَضَعِيْعُهُ مَعَهُ أَى مَعْدَنَهُ وَأَصْلَهُ ، وَعَنْصَرُ مَضَرَ ، وَجَعَلْنَا حَضَنَةَ بَيْتِهِ ، وَوَسَّوْاسَ حَرَمِهِ ، وَجَعَلْنَا لَنَا بَيْتًا مَحْجُوجًا ، وَحَرَمًا آمِنًا ، وَجَعَلْنَا الْحِسْكَامَ عَلَى النَّاسِ ، ثُمَّ إِنْ ابْنُ أَخِي هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ لَا يَوْزَنُ بِهِ رَجُلٌ إِلَّا رَجَحَ بِهِ ، فَإِنْ كَانَ فِي الْمَالِ قُلٌّ ، فَإِنَّ الْمَالَ ظَلَّ زَائِلٌ ، وَأَمْرٌ حَائِلٌ ، وَمُحَمَّدٌ مَنْ قَدْ عَرَفْتُمْ قَرَابَتَهُ ، وَقَدْ خُطِبَ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وَبَذَلَ لَهَا مِنَ الصَّدَاقِ مَا آجِلُهُ وَعَاجِلُهُ مِنْ مَالٍ كَذَا . وَهُوَ وَاللَّهُ بَعْدَ هَذَا نَبَأٌ عَظِيمٌ ، وَخُطِبَ جَلِيلٌ ، ص ٩٨ - ١٦ نِهَآيَةُ الْأَرْبِ . وَفِي رَوَايَةٍ أَنَّ صَدَاقَهَا كَانَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَوْقِيَّةً ذَهَبًا وَثَمَنًا ، وَقَالَ الْمَحَبُّ الطَّبْرِيُّ فِي السَّمَطِ الثَّمَنِ : إِنَّهُ كَانَ عَشْرِينَ بَكْرَةً . وَفِي الْمُنْتَقَى : أَرْبَعُمِائَةِ دِينَارٍ . وَفِيهِ أَيْضًا أَنَّ نُوْفَلَ خُطِبَ بَعْدَ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلْنَا كَمَا ذَكَرْتَ ، وَفَضَّلْنَا عَلَى مَا عُدَدْتَ ، فَتَحَنَّنَ سَادَةُ الْعَرَبِ وَقَادَتُهَا ، وَأَنْتُمْ أَهْلُ ذَلِكَ كُلِّهِ ، لَا تَنْكُرُ الْعَشِيرَةَ فَضْلَكُمْ ، وَلَا يَرُدُّ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ شَفْرَكُمْ وَشَرَفَكُمْ ، وَقَدْ رَغَبْنَا فِي الْإِتِّصَالِ بِجَبَلِكُمْ وَشَرَفِكُمْ ، فَاشْهَدُوا عَلَيَّ يَا مَعْاشِرَ قُرَيْشٍ بَأَنِّي قَدْ زَوَّجْتُ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ ، مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ . عَلَى أَرْبَعُمِائَةِ دِينَارٍ ثُمَّ سَكَتَ ، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ ، قَدْ أَحْبَبْتَ . أَنْ يَشْرَكَكَ عَمُّهُ ، فَقَالَ عَمُّهُ : اشْهَدُوا عَلَيَّ يَا مَعْاشِرَ قُرَيْشٍ أَنِّي قَدْ أَنْكَحْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ ، وَشَهِدَ عَلَى ذَلِكَ صَنَادِيدُ قُرَيْشٍ .

الإسلام ، كذا روى عن [عبد العزيز بن محمد بن عبيد] الدَّرَاوَرْدِيُّ أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال لشريكه الذى كان يَتَجَرُّ معه فى مالٍ خديجة : هَلُمَّ فَلَمَنَّا حَدَّثَ عِنْدَ خَدِيجَةَ ، وكانت تُسَكِّرُ مُهْمًا وَتُتَجَفِّهُمَا (١) ، فلما قاما من عندها جاءت امرأة مُسْتَعْدِثَةٌ (٢) — وهى السكاهنة — كذا قال الخطابى فى شرح هذا الحديث ، فقالت له : جئت خاطبا يا محمد ، فقال : كلا ، فقالت : ولم ؟! فوالله ما فى قريش امرأة ، وإن كانت خديجة إلا تراك كُفْنًا لها ، فرجع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — خاطبا لخديجة مُسْتَعْجِيا منها ، وكان خويلدٌ أبوها سكران من الخمر ، فلما كُتِّمَ فى ذلك أنسكحها ، فألقت عليه خديجة حُلَّةً وَضَمَّتْهُ بِخُلُوقٍ (٣) فلما صحا من سُكْرِهِ قال : ما هذه الحُلَّةُ والطَّيِّبُ ؟ فقيل : إنك أنسكحت محمدا خديجة ، وقد ابتنى بها ، فأنسكرك ذلك ، ثم رَضِيَهُ وأَمْضَاهُ ، ففى هذا الحديث أن أباهما كان حيا ، وأنه دى أنسكحها . كما قال ابن إسحاق . وقال راجزٌ من أهل مكة فى ذلك :

لَا تَزْهَدِى خَدِيجَ فى مُحَمَّدٍ نَجْمٌ بَصِيءٌ كَالْبَضَاءِ الْفَرَقْدِ (٤)

(١) التحفة بالضم وكهمزة : البر والطف والطفرة .

(٢) كانت من مولات قريش ، يقال : يستنشى الأخبار ، أى : يبحث عنها . وقال الأزهري : إن مُسْتَعْدِثَةً علم امتلك السكاهنة .

(٣) الخلق : ضرب من الطيب . والضمخ : لطح الجسد بالطيب .

(٤) الفرقد : النجم الذى يهتدى به ، وفى شرح المواهب : « كما ضياء الفرقد ، بدلا من « كالبضياء الفرقد » .

أولاده صلى الله عليه وسلم منها :

قال ابن إسحاق : فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وَلَدَهُ كُلُّهُمْ إِلَّا إبراهيم : القاسم ، وبه كان يُكْنَى صلى الله عليه وسلم ، والطاهر ، والطَّيِّب ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة ، عليهم السلام .

قال ابن هشام : أكبرُ بَنِيهِ : القاسم ، ثم الطَّيِّب ، ثم الطاهر ، وأكبر بناته : رقية ، ثم زينب ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة .

قال ابن إسحاق : فأما القاسم ، والطَّيِّب ، والطاهرُ فلهكوا في الجاهلية وأما بناته فكلهن أدركن الإسلام ، فأسلمن وهاجرن معه صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : وأما إبراهيم فأمه : ماريةُ القبطية . حدثنا عبد الله بن وهب عن ابن كهيعة ، قال : أم إبراهيم : ماريةُ سُرَّيَّةُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم التي أهداها اليه الْمُتَوَقِّسُ مِنْ حَفْنٍ مِنْ كُورَةِ أَنْصِنَا .

قال ابن إسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد قد ذكرت لورقة بن نوفل ابن أسد بن عبد العزى - وكان ابن عمها ، وكان نصرانياً قد تنبّع الكتب ، وعلم من علم الناس - ما ذكر لها غلامها ميسرة من قولِ الراهب ، وما كان يرى منه إذ كان المَلَكُانِ يُظْلانهُ ، فقال ورقة : لئن كان هذا حقاً يا خديجة ، إن محمداً لنبي هذه الأمة ، وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبيٌ يُنْتَظَرُ ، هذا زمانه ، أو كما قال :

فَجَعَلَ وَرَقَةً يُسَبِّطُ الْأَمْرَ وَيَقُولُ : حَتَّى مَتَى ؟ فَقَالَ وَرَقَةٌ فِي ذَلِكَ :

لَحِجْتُ وَكُنْتُ فِي الذِّكْرِ جُوجَا	إِيَّاهُمْ طَالَمَا بَعَثَ النَّسِيجَا
وَوُصِفَ مِنْ خَدِيجَةٍ بَعْدَ وَصْفِ	فَقَدْ طَالَ انْتِظَارِي يَا خَدِيجَا
يَبْطُنُ الْمَكْتَنِينَ عَلَى رَجَائِي	حَدِيثَكَ أَنْ أَرَى مِنْهُ خُرُوجَا
بِمَا خَبَرْتَنَا مِنْ قَوْلِ قَسٍّ	مِنَ الرَّهْبَانِ أَكْرَهُ أَنْ يَعُوجَا
بِأَنَّ مُحَمَّدًا سَيَسُودُ فِينَا	وَيُخْصِمُ مَنْ يَكُونُ لَهُ حَاجِيجَا
وَيُظْهَرُ فِي الْبِلَادِ ضِيَاءُ نُورٍ	يَقِيمُ بِهِ الْبَرِيَّةَ أَنْ تَمُوجَا
فَيَلْقَى مَنْ يُحَارِبُهُ خَسَارًا	وَيَلْقَى مَنْ يُسَالِمُهُ فُلُوجَا
فِيَالَيْسَتِي إِذَا مَا كَانَ ذَاكُمْ	شَهِدْتُ فَكُنْتُ أَوْلَهُمْ وَلُوجَا
وَلُوجَا فِي الَّذِي كَرِهْتُ قُرَيْشٌ	وَلَوْ عَجَّتْ بِمَكَّتِهَا عَجِيجَا
أُرْجَى بِالَّذِي كَرِهُوا جَمِيعَا	إِلَى ذِي الْعَرْشِ إِنْ سَقَلُوا عُرُوجَا
وَهَلْ أَمْرُ السَّفَالَةِ غَيْرُ كُفْرٍ	بِمَنْ يَخْتَارُ مَنْ سَمَكَ الْبُرُوجَا
فَإِنْ يَبْقُوا وَأَبْقَى تَكُنْ أُمُورٌ	يَضِجُ الْكَافِرُونَ لَهَا ضَجِيجَا
وَإِنْ أَهْلِكَ فَكُلُّ فِتَى سَيَلْقَى	مِنَ الْأَقْدَارِ مَقْلَفَةً حُرُوجَا

وقيل : إن عمرو بن خويلد أخاها هو الذي أنكحها منه ، ذكره ابن إسحاق في آخر الكتاب .

أولاده من خديجة :

فصل : وذكر ولده منها - صلى الله عليه وسلم - فذكر البنات ، وذكر القاسم والطاهر والطيب ، وذكر أن البنين هلكوا في الجاهلية ، وقال

الزبير — وهو أعلم بهذا الشأن — ولدت له القاسم وعبد الله ، وهو الطاهر ، وهو الطَّيِّبُ سُمِّيَ بالطاهر ، والطَّيِّبُ لأنه وُلِدَ بعد النبوة ، واسمُهُ الذي سُمِّيَ به أَوَّلُ هو : عبد الله ، وبلغ القاسمُ النشْأَ ، غير أن رضاعته لم تسكن كملت ، وقع في مُسْنَدِ الْفَرَّايْنِ أن خديجة دخل عليها رسولُ الله — صلى الله عليه وسلم — بعد موت القاسم ، وهى تبكى : فقالت : يا رسول الله دَرَّتْ لُبَيْنَةُ القاسمِ فلو كان عاش حتى يستكمل رضاعة لهوَّنَ على ، فقال : إن له مُرَضِعًا فى الجنة تستكمل رضاعته ، فقالت : لو أعلم ذلك لهون على ، فقال : إن شئتُ أسمعُكَ صوته فى الجنة ، فقالت : بل أصدق الله ورسوله . قولها ، لُبَيْنَةُ هى تصغير لَبْنَةٍ ، وهى قِطْعَةٌ مِنَ اللَّبَنِ ، كَالْعَسَلَةِ ، تصغير عَسَلَةٍ ذكر سيبويه اللَّبْنَةُ وَالْعَسَلَةُ وَالشُّهْدَةُ على هذا المعنى . قال المؤلف : وهذا من فتمَّها — رضى الله عنها — كرهت أن تُؤْمِنَ بهذا الأمر مُعَايِنَةً ، فلا يكون لها أَجْرُ التَّصَدِيقِ وَالْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ ، وإنما أثنى الله تعالى على الذين يؤمنون بالغيب . وهذا الحديث يدل أيضاً على أن القاسم لم يهلك فى الجاهلية . واختافوا فى الصُّغْرَى وَالْكُبْرَى مِنَ الْبَنَاتِ ، غير أن أُمَّ كَثُومٍ لم تسكن الكبرى من البنات ، ولا فاطمة ، والأصحُّ فى فاطمة أنها أصغرُ من أم كَثُومٍ (١)

(١) فى نسب قريش ص ٢١ : و فولد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — القاسم ، وهو أكبر ولده ، ثم زينب ، ثم عبد الله ، ثم أم كَثُومٍ ، ثم فاطمة ، ثم رقية هم هكذا الأول فالأول ، ثم مات عبد الله ، ثم ولدت له مارية بنت شمعون ابنه إبراهيم ، وفى زاد المعاد : وقد قيل فى كل واحدة منهم إنها أسن من اختها ، وقد ذكر عن ابن عباس : رقية أسن الثلاث ، وأم كَثُومٍ أصغرهن

خديجة وحمير وتسميها :

وخديجة بنت خويلد تسمى : الطاهرة في الجاهلية والإسلام ، وفي سير
الأنبياء . أنها كانت تسمى : سيدة نساء قريش ، وأن النبي - صلى الله عليه وسلم -
حين أخبرها عن جبريل ، ولم تكن سمعت باسمه قط ، ركبته إلى بحيرى الراهب ،
واسمه سرجس^(١) فيما ذكر السعوى ، فسأته عن جبريل ، فقال : قُدُّوسٌ
قُدُّوسٌ يا سيدة نساء قريش أنى لك بهذا الاسم ؟ ! فقالت : بغلى وابن عمى
محمد أخبرنى أنه يأتيه ، فقال : قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ ما علم به إلا نبيٌّ مُقَرَّبٌ ، فإنه
السفير بين الله وبين أنبيائه ، وإن الشيطان لا يجترأ أن يتمثل به ، ولا أن
يتسمى باسمه ، وكان بمكة غلامٌ لعُتْبَةَ بن ربيعة سيأتى ذكره ، اسمه : عَدَّاسٌ
عنده علم من الكتاب ، فأرسلت إليه تسأله عن جبريل ، فقال : قُدُّوسٌ
قُدُّوسٌ !! أنى لهذه البلاد أن يذكر فيها جبريلُ يا سيدة نساء قريش ، فأخبرته
بما يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال عَدَّاسٌ مثل مقالته الراهب ،
فكان مما زادها الله تعالى به إيماناً وبقيناً .

وذكر ابن إسحاق نسب أمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم ، ولم يذكر اسم
الأصم ، وذكره الزبير وغيره ، فقال : جُنْدُب بن هِذَم بن حَجَر ، بفتح الحاء والجيم
من حَجَر . كذا قيده الدارقطني^(٢) ، وأخوه : حُجَيْر بن عبد بن معيص بن عامر ،

(١) استغلت الصليبية هذا الإفك المقتري ، فهنت القديسة العظيمة خديجة
بأنها كانت على صلة بهذا الراهب المزعوم .

(٢) صوب الحشنى أيضاً في ضبط حجر رواية الدارقطني ص ٦٢ وفي نسب
ص ٢١ ، ٢٣٠ قريش عن أم خديجة : وأمها : فاطمة بنت زائدة بن جندب ، وهو
الأصم بن هدم بن رواحة بن حجير بن عبد بن معيص ، وضبط حَجَر بضم الحاء .

وأما حَجْر بسكون الجيم ففي حَى ذى رُعَيْنٍ وإليه ينسب الحَجْرِيُون ، وأما حَجْر بكسر الحاء ، ففي بنى الدِّيَّان: عبدُ الحَجْر بن عبد المَدَّان ، وهم من بنى الحارث ابن كعب بن مَذْحِج ، وذكر يونس عن ابن إسحاق نسب أم خديجة ، كما ذكر في رواية ابن هشام ، وزاد فقال: كانت أم فاطمة بنت زائدة هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن عبد بن مُنْقِذ بن عَمْرُو بن مَعِيص بن عامر بن لُؤَيٍّ ، وأمها قِلَابَة ، وهى العَرِيقَة بنت سَعِيد بن سَعْد (١) بن سهم بن عمرو بن هُصَيْن بن كعب بن لُؤَيٍّ وأمها: أُمَيْمَة بنت عامر بن الحارث بن فِهْر (٢) .

من تزوجت فمريم قبل الرسول ؟

وكانت خديجة قبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند أبي هالة ، وهو هند بن زُرَّارَة ، وقد قيل فى اسمه : زُرَّارَة ، وهند : ابنه ، ابن النَّبَّاش من بنى عَدِيٍّ ابن جِرْوَة بن أُسَيْد (٣) ابن عمرو ابن تميم ، فهو أُسَيْدِي بالتخفيف ، منسوب إلى أُسَيْد بالقشديد ، كذا قال سيبويه فى النسب إلى أُسَيْد . وعدى بن جِرْوَة ، يقال

(١) فى نسب قريش : « قِلَابَة ، وهى العَرِيقَة بنت سعيد بن سهم بن عمرو الخ . وأما قِلَابَة بنت سعيد بن سعد بن سهم فلا تلقب بالعَرِيقَة انظر ص ٢٢ ، ٤٠٦ ، ٤٠٨ ، ٤٣٨ نسب قريش . وفى نسب هالة جدة خديجة المذكور فى ابن هشام مخالفة لما فى نسب قريش ، فهو فى هذا كما يأتى « هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن منقذ بن عمرو بن معيص ، ص ٢٢ و ص ٤٣٨

(٢) فى نسب قريش : « أُمَيْمَة بنت عائش بن ظرب بن الحارث بن فِهْر .

(٣) فى مشابه القبائل لابن حبيب : « أن كل شىء فى العرب أُسَيْد - بفتح الهمزة وكسر السين سوى أُسَيْد بن عمرو فى بنى تميم فإنه على مثال التصغير . ص ٤٥١ ج ٢ المزمع .

إن الزُّبَيْرَ صَحَّفَهُ ، وإنما هوى عِذَى بن جِرْوَةَ ، وكانت قبل أبي هَالَةَ عند عَتِيق (١) بن عائذ بن عبد الله بن عمرو بن نخزوم ، ولدت له عبد مناف بن عَتِيق ، كذا قال ابن أبي خَيْثَمَةَ ، وقال الزُّبَيْرُ : ولدت لعَتِيقٍ جاريةً اسمُها : هندُ (٢) وولدت لهند أبي هَالَةَ ابناً اسمُه : هِنْدُ (٣) أيضاً ، مات بالطاعون طاعونِ البُصْرَةِ ؛ وكان قد مات في ذلك اليوم نحو من سبعين ألفاً ، فشغل الناسُ بجنازتهم عن جنازته ، فلم يوجد من يحملها ، فصاحت نادبته : واهند بن هنداه !! واربيب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلم تبق جنازةٌ إلا تُركت ، واحتُمِلَتْ جنازته على أطراف الأصابع إعظاماً لريب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذكره الدُّوَلَانِي ، وخديجةٌ من أبي هَالَةَ ابنان غير هذا ، اسم أحدهما : الطاهرُ ، واسم الآخر : هَالَةُ . واختلف في سنّته - صلى الله عليه وسلم - حين تزوّج خديجةً فقيل ما قاله ابن إسحاق ، وقيل : كان ابن ثلاثين سنةً ، وقيل ابن إحدى وعشرين سنةً (٤) .

مارية وإبراهيم :

فصل : وذكر أن خديجةً - رضى الله عنها - ولدت للنبي صلى الله عليه وسلم ولده كلهم إلا إبراهيم ، فإنه من مارية التي أهداها إليه المَقَوْسُ ،

(١) وقيل : إن عتيق تزوجها بعد أبي هالة والقولان في الإصابة .

(٢) قيل : لأنها أسلت ولها حجة .

(٣) صحابي روى حديث صفة النبي شهد بدرا ، وقيل : أحدا . وذكر الدارقطني وابن بكار أنه قتل مع علي يوم الجمل .

(٤) في البيهقي والحاكم أن عمره كان خمسا وعشرين ، وعمرها خمسا وثلاثين .

وقد تقدم اسمُ الْمُتَوَقِّسِ ، وأنه جُرْنَجُ بن مينا ، وذكرنا معنى الْمُتَوَقِّسِ في أول الكتاب ، وذكرنا أنه أهدى ماريةَ مع حَاطِبِ بن أَبِي بَلْتَمَةَ ، ومع جَبْرِ مَوْلَى أَبِي رُفْهِمِ الْغِفَارِيِّ ، واسمُ أَبِي رُفْهِمِ : كَلْثُومُ بن الْحَصَيْنِ . وذلك حين أرسلها إليه رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - يدعوهُ إلى الإسلام ، وأهدى معها أختها سيرينَ ، وهى التى وهبها رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - لِحَسَّانِ ابنِ ثَابِتٍ - رضى الله عنه - فأولدها عبد الرحمن بن حسان ، وأهدى معها الْمُتَوَقِّسُ أيضاً غلاماً خَصِيّاً اسمه : مَابُورُ ، وبغلةً تسمى : دُلْدُلُ ، وقدحاً من قَوَارِيرَ كان رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - يشرب فيه ، وتُوفيت ماريةَ - رضى الله عنها - سنةً ستَّ عَشْرَةَ في خلافةِ عُمَرَ - رضى الله عنه - وكان عمرُ هو الذى يَحْشُرُ الناسَ إلى جنازتها بنفسه ، وهى ماريةُ بنتُ شَمْعُونِ (١) الْقَبْطِيَّةُ من كُورَةِ حَنْنَ . وأما إبراهيمُ ابنُ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - فمات ، وهو ابن ثمانيةَ عَشَرَ شَهْراً في سنة عَشْرِ من الهجرة في اليوم الذى كُسِفَتْ فيه الشمسُ ، وكانت قابلهُ ، سَلَمَى امرأةُ أَبِي رَافِعٍ ، وأرضعته أُمُّ بُرْدَةَ بنتُ الْمُنْذِرِ النَّجَّارِيَّةِ امرأةُ الْبَرَاءِ بنِ أَوْسٍ ، وسَلَمَى : هى مَوَلَاةُ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - وقابلةُ بنى فاطمةَ كلَّهم ، وهى غَسَلَتْها مع أسماءَ بنتِ عُمَيْسٍ الْخُثَمِيَّةِ ، وغسلها معها عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ - كَرَّمَ الله وجهه - - وفى المُسْنَدِ من طريقِ أَنَسٍ أَنَّ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - حين

(١) زاد في نسب قريش بعد شمعون : ابن إبراهيم .

ولدت له مارية ابنة إبراهيم وقع في نفسه منه شيء، حتى نزل جبريل عليه السلام، فقال له : السلام عليك يا أبا إبراهيم (١).

زهره ورقة :

وذكر ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ، وأم ورقة : هند بنت أبي كبير بن عبد بن قصي ، ولا عقب له (٢) ، وهو أحد من آمن بالنبي .

(١) في زاد المعاد : أن الطيب والطاهر لقبان لولده المسمى : عبد الله الذي ولد بعد النبوة . وأما إبراهيم فذكر ابن القيم أنه ولد في العام الثامن من الهجرة . وأن الذي بشره به هو أبو رافع مولاه ، فوهب له عبدا ، أما الحديث المروى عن طريق أنس ، ففيه ابن لهيعة ، ولا يعتد بحديث يروى عن طريقه ، وفي روايات الحديث أن مابورا هذا كان يدخل كثيرا على مارية ، فهل يصدق مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأذن لمثل هذا أن يغشى بيته هكذا ١٩١ وقد اختلف في مابور ، فقيل إنه أخوها ، وقيل أيضا : إنه ابن عمها ، وهو خصي ، ويقول ابن أبي الحديد — على تشيعه — في شرحه لنهج البلاغة وهو يتحدث عما بهتت به عائشة ، وعن براءتها في سورة النور ، وقوم من الشيعة زعموا أن الآيات التي في سورة النور لم تنزل فيها ، وإنما أنزلت في مارية القبطية ، وما قذفت به مع الأسود القبطي . وجحدهم لإنزال ذلك في عائشة جحد لما يعلم ضرورة من الأخبار المتواترة . ص ٤٤٢ طبع لبنان ، وأما المرتضى صاحب كتاب الآمال المعروف باسمه ، فافترض صحة الحديث ، وراح يزول الفاظه انظر ص ٥٤ ج ١ آمالي المرتضى ط ١ .

(٢) اسم أبي كبير : منب بضم الميم وسكون النون وكسر الهاء انظر ص ٧٧ م ٧ نسب قریش ، ٢٥٦ وما بعدها .

صلى الله عليه وسلم - قبل التَّبَثِّ (١) ، وروى التِّرْمِذِيُّ أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : رأيتُه في المنام ، وعليه ثيابٌ بيضٌ ، ولو كان من أهل النار ، لم تكن عليه ثيابٌ بيضٌ ، وهو حديثٌ في إسناده ضَعْفٌ لأنه يدور على عُثْمَانَ بن عبد الرحمن ، ولكن يُقَوِّيه ما يأتي بعد هذا من قوله عليه السلام : رأيتُ النَّفْسَ يعني ، وَرَقَّةً وعليه ثيابٌ حرير ، لأنه أولُ مَنْ آمَنَ بي ، وصدقني ، وسيأتي بقيةُ من خبره (٢) فيما بعد - إن شاء الله - وقد أَلْفَيْتُ للحديث الذي خَرَّجَه التِّرْمِذِيُّ في وَرَقَّةٍ إسنادا جيِّداً غير الذي ذكره التِّرْمِذِيُّ ، وهو ما رواه الزُّبَيْرُ بن أبي بكر عن عبد الله بن مُعَاذٍ الصَّنْعَانِيُّ عن مَعْمَرٍ عن الزُّهْرِيِّ عن عُرْوَةَ بن الزُّبَيْر - رضى الله عنه - قال : سئل رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - عن ورقة بن نوفل ، كما بلغنا فقال : رأيتُه في المنام ، عليه ثيابٌ (٣) بيضٌ ، فقد أظن أن لو كان من أهل النار لم أر عليه البياض ، وكان يذكر الله في سفره في الجاهلية ، وبسبحه ، وهو الذي يقول :

(١) يقول ابن عساكر : « لا أعرف أحداً قال إنه - أى ورقة - أسلم .

(٢) رواه البيهقي في الدلائل وقال : إنه منقطع .

(٣) أخرجه أحد عن طريق ابن لهيعة ، ولا يعتد بحديث يروى عن طريقه . وهكذا كل حديث يتحدث عن إسلام ورقة أو آخرته ، فهو ضعيفه وحسبنا ما ورد عنه في الصحيحين .

لقد نصحت لأقوام ، وقلت لهم : أنا النذير ، فلا يفرزكم أحد
لا تعبدن (١) إلهًا غير خالقكم فإن دعواكم (٢) فقولوا : بيننا جدد (٣)
سبحان ذي العرش سبحانًا يدوم له وقبلنا (٤) سبح الجودي والجود
مُسخر كل ما تحت السماء له لا ينبغي أن يناوى (٥) مُلكه أحد
لا شيء مما ترى تبقى بشاسته يبقى الإله ويودي المال والولد
لم تن عن هُرمز يوما خزائنه وأخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سُليمان إذ تجرى الرياح به والإنس والجن فيما بينها مرد (٦)
أين الملوك التي كانت لعزها من كل أوب إليها وافد يقد
خوض هنالك موزود بلا كذب لا بد من وزده يوما كما وردوا (٧)

(١) في نسب قريش جعل لا نافية فأثبت الواو وهو خطأ - كما اعتقد - من
بحقق الكتاب .

(٢) في النسب « فإن أبيتم » .

(٣) في الأغاني وفي النسب « حدد ، بالخاء لا بالجيم » .

(٤) « في الأغاني » نعوذ به ، وقبل قد » .

(٥) في النسب : يساوى ، وفي الأغاني كما هنا .

(٦) في الأغاني : « والجن والإنس تجرى بينها البرد ، وكذلك في نسب قريش
بدون الواو قبل « الجن » .

(٧) هذا البيت غير موجود في الأغاني ص ١١٥ مجلد ٣ والقصيدة في
نسب قريش ، وبينها وبين ما هنا اختلافات وزيادات مثل :

سبحان ذي العرش فقد ورد هكذا في نسب قريش

سبحان ذي العرش لا شيء يعادله رب البرية فرد واحد صمد

وورد بعده في نسب قريش :

نسبه أبو الفرج (١) إلى وَرَقَةَ ، وفيه أبيات تُنسب إلى أُمَيَّةَ بن أبي الصَّلْتِ ، ومن قوله فيما خبرته به خديجة — رضى الله عنها — عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بِالرَّجَالِ اصْرَفِ الدَّهْرَ وَالْقَدَرِ (٢)	وَمَا لَشَيْءٍ قَضَاهُ اللَّهُ مِنْ غَيْرِ
حَتَّى خَدِجَةُ تَدْعُونِي لِأُخْبِرَهَا	أَمْرًا أَرَاهُمْ سَيَأْتِي النَّاسَ مِنْ آخِرِ (٣)
نَحْيَ بَرَّتْنِي بِأَمْرِ قَدْ سَمِعْتُ بِهِ	فِي مَا مَضَى مِنْ قَدِيمِ الدَّهْرِ وَالْعَصْرِ
بَأَنَّ أَحْمَدَ يَأْتِيهِ فَيُخْبِرُهُ	جَبْرِيلُ : إِنَّكَ مَبْعُوثٌ إِلَى الْبَشَرِ
فَقُلْتُ : عَلَّ الَّذِي تَرَجَّيْنِ يَنْجِزُهُ	لَكَ الْإِلَهُ فَرَجَّيْ الْخَيْرَ وَانْتَظِرِي
وَأَرْسَلْتَهُ إِلَيْنَا كَيْ نَسْأَلَهُ	عَنْ أَمْرِهِ مَا يَرَى فِي النَّوْمِ وَالسَّهَرِ
فَقَالَ حِينَ أَنَا مِنْ مَنْطِقَا عَجَبًا	يَقِفُ مِنْهُ أَعَالَى الْجِلْدِ وَالشَّعَرِ
إِنِّي رَأَيْتُ أَمِينَ اللَّهِ وَاجِهِنِي	فِي صُورَةٍ أَكْمَلَتْ فِي أَهْيَابِ الصُّوَرِ
ثُمَّ اسْتَمَرَّ فَكَانَ الْخَوْفُ يَذْعُرُنِي	مِمَّا يُسَلِّمُ مِنْ حَوْلِي مِنَ الشَّجَرِ

== سبحانه ثم سبحانه يعود له وقبل سبحانه الجودى والحمد
والبيتان الاخيران فى الروض غير مذكورين فى النسب انظر نسب قريش
ص ٢٠٨ .

(١) يعنى صاحب كتاب الاغانى .

(٢) فى الإصابة د وصرف الدهر . .

(٣) فى الإصابة .

هذه خديجة تأتيني لاجبرها ومالنا بخفى الغيب من خبر

فقلت : ظنى وما أدرى أَيْصَدُقْنِي أَنْ سَوْفَ تُبْعَثَ تَقْلُومُنْزَلِ الشُّورِ
وسوف أبليك إن أغلنت دعوتهم من الجهاد بِلَا مَنٍّْ وَلَا كَدَرٍ
متنى يفصّر به المفرد :

فصل : وفى شعر وَرَقَّة :

بِطْنِ الْمَسْكَيْنِ عَلَى رَجَائِي حَدِيثُكَ أَنْ أَرَى مِنْهُ خُرُوجًا
ثَنِيَّ مَكَّةَ ، وَهِيَ وَاحِدَةٌ ؛ لِأَنَّ لَهَا بَطَاحًا وَظَوَاهِرَ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْ أَهْلِ
الْبَطَاحِ ، وَمَنْ أَهْلُ الظُّوْهِرِ فِيهَا قَبْلَ ، عَلَى أَنَّ الْعَرَبَ مَذْهَبًا فِي أَشْعَارِهَا فِي
تَثْنِيَةِ الْبُقْعَةِ الْوَاحِدَةِ ، وَجَمْعِهَا نَحْوُ قَوْلِهِ : وَمَيِّتُ بَغْرَاتٍ . يُرِيدُ : بَغْزَةً وَبَغَادِينَ .
فِي بَغْدَادَ ، وَأَمَّا التَّثْنِيَةُ فَكَثِيرٌ نَحْوُ قَوْلِهِ :

بِالرَّقْمَتَيْنِ لَهُ أَجْرٌ وَأَعْرَاسُ وَالْحُمَّتَيْنِ سَقَاكَ اللَّهُ مِنْ دَارِ (١)
وَقَوْلُ زَهِيرٍ : وَدَارُهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ (٢) . وَقَوْلُ وَرَقَّةَ مِنْ هَذَا : بِبَطْنِ

(١) فِي اللِّسَانِ : الرَّقَّةُ : الرُّوضَةُ ، وَرَقَّةُ الْوَادِي حَيْثُ يَجْتَمِعُ الْمَاءُ ، وَأَجْرٌ :
جَمْعُ جَرٍ ، وَجَمْعُ الْعَرَسِ وَهِيَ امْرَأَةُ الرَّجُلِ وَرَجُلُهَا ، وَلِبْوَةُ الْأَسَدِ : أَعْرَاسُ
وَقَدْ اسْتَعَارَهُ الْهَذَلِيُّ لِلْأَسَدِ فَقَالَ :

لَيْتَ مِمَّنْ زَبْرٌ مُدِلٌ حَوْلَ غَابَتِهِ بِالرَّقْمَتَيْنِ لَهُ أَجْرٌ وَأَعْرَاسُ
قَالَ ابْنُ بَرِيٍّ : الْبَيْتُ لِلْمَلِكِ بْنِ خُوَيْلِدٍ الْخُزَيْمِيِّ وَقَبْلَهُ .

يَا مِي لَا يَعْجِزُ الْإِيَّامُ بِجَهْرِ مِي فِي حَوْمَةِ الْمَوْتِ رَزَامٌ وَفَرَسٌ
الرَّزَامُ الَّذِي لَهُ زَبْرٌ ، وَالْفَرَسُ الَّذِي يَدُقُّ عُنُقَ فَرِيدَتِهِ

(٢) الرَّقْمَانُ — كَمَا فِي اللِّسَانِ — رَوْضَتَانِ بِنَاحِيَةِ الصَّخْرَتَيْنِ ، وَإِيَّاهُمَا أَرَادَ زَهِيرٌ .
وَدَارُهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا مَرَاجِعُ وَشْمٍ فِي نَوَاسِرِ مَعْصَمٍ

الْمُسْكَيْنِ . لا مَعْنَى لِإِدْخَالِ الظَّوَاهِرِ تَحْتَ هَذَا اللَّفْظِ ، وَقَدْ أَضَافَ إِلَيْهَا
الْبَطْنَ ، كَمَا أَضَافَهُ الْمُبْرِقُ حِينَ قَالَ :

بِطْنِ مَكَّةَ مَقْهُورٌ وَمَقْتُونٌ .

وإنما يقصد العربُ في هذا الإشارةَ إلى جانبي كل بلدة ، أو الإشارةَ إلى
أعلى البلدة وأسفلها ، فيجعلونها اثنين على هذا المغزى ، وقد قالوا : صِدْنَا
بِقَنْوَيْنِ ^(١) وهو قنا اسم جبل ، وقال عَنَتْرَة .

شَرِبْتُ بِمَاءِ الدِّ حُرْضَيْنِ ^(٢) .

وهو من هذا الباب في أَصَحِّ القولين ، قال عنترة أيضا ،

بِعَنْزَيْنِ وَأَهْلُنَا بِالْعَيْلِ ^(٣)

(١) في القاموس : الْقَنْسَوَانُ . جبلان

(٢) الدِّ حُرْضَانُ : موضعان أحدهما : دحرض ، والآخر : وسيع وقال
الجوهري : الدِّ حُرْضَانُ : اسم موضع . وقال : وسيع ودحرض ماءان ثناهما
بلفظ الواحد ، وببت عنترة :

شَرِبْتُ بِمَاءِ الدِّ حُرْضَيْنِ ، فأصبحت

زَوْراً تَنْفِرُ عَنْ حِجَاضِ الدَّيْلِ

(٣) في المراصد : عَنَزَة . موضع بين البصرة ومكة ، وأيضاً : بَرْعَى مِيلِينَ مِنْ
الْقَرِيَتَيْنِ بِطْنِ الرَّمَةِ ، وَعَنَزَة مِنْ أَوْدِيَةِ الْيَمَامَةِ قَرِبَ سَوَاحِ ، وَقَرَى عَنَزَة بِالْبَحْرَيْنِ
وَعَنَزَتْنِ ثَنِيَّةُ الَّذِي قَبْلَهُ . قِيلَ : هُوَ مَوْضِعُ آخِرٍ ، وَقِيلَ : هُوَ الَّذِي قَبْلَهُ ، ثَنِيَّ كَمَا
قَالُوا فِي عِمَايَةِ : عِمَايَتَانِ ، وَفِي رَامَةِ : رَامَتَانِ وَأَمْثَالُهُ كَثِيرٌ .

وَالْعَيْلُ بِالْعَيْنِ لَا بِالْعَيْنِ . فِي الْمَرَاصِدِ . وَاللَّسَانُ : الْعَيْلُ : مَوْضِعٌ فِي شَعْرِ عَنَتْرَة .

كَيْفَ الْمَزَارِ وَقَدْ تَرَجَّعَ أَهْلُهَا بِعَنْزَيْنِ وَأَهْلُنَا بِالْعَيْلِ

وَعُتْبِيزَةُ اسم موضع ، وقال الفرزدق :

عُتْبِيزَةُ سَالِ الْمِرْبَدَانِ كِلَاهُمَا (١)

وإنما هو مِرْبَدُ البصرة . وقولهم :

تَسَالَنِي بَرَامَتَيْنِ سَلْجَمًا (٢)

(١) الشعر للفرزدق :

عُتْبِيزَةُ سَالِ الْمِرْبَدَانِ كِلَاهُمَا عَجَاجِيَةٌ مَوْتٌ بِالسُّيُوفِ الصَّوَارِمِ
والمِرْبَدُ : المِسْكَانُ الَّذِي يَحْبُسُونَ فِيهِ الْإِبِلَ وَبِهِ سَمِي مِرْبَدُ الْبَصْرَةِ وَبِهِ كَانَتْ
مُفَاخِرَاتُ الشُّعْرَاءِ ، وَبِجَالِسِ الْخُطَبَاءِ . وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ فِي بَيْتِ الْفَرَزْدَقِ لِأَنَّهُ عَنَى
بِهِ سَكَّةَ الْمِرْبَدِ بِالْبَصْرَةِ ، وَالسَّكَّةُ الَّتِي تَلِيهَا مِنْ نَاحِيَةِ بَنِي تَمِيمٍ جَعَلَهُمَا الْمِرْبَدَيْنِ كَمَا يَقَالُ
الْأَحْوَصَانِ وَهُمَا : الْأَحْوَصُ وَعُوفُ بْنُ الْأَحْوَصِ ، وَاللَّسَانُ الْمُرَاصِدُ ، يَأْقُوتُ ،
(٢) رَامَةٌ : مَنْزِلٌ فِي طَرِيقِ الْبَصْرَةِ إِلَى مَكَّةَ وَبَعْدَهُ بِمَرْحَلَةٍ أُخْرَى دِيَارُ بَنِي تَمِيمٍ ،
وَقِيلَ : جَبَلُ ابْنِي دَارِمٍ ، وَرَامَةٌ أَيْضًا مِنْ قَرْيَةِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ ، وَلِلسَّلْجَمِ عِدَّةُ مَعَانٍ مِنْهَا
أَنَّهُ نَبْتٌ ، وَقِيلَ : هُوَ ضَرْبٌ مِنَ الْبَقُولِ . قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ السَّلْجَمُ : مَعْرَبٌ وَأَصْلُهُ بِالسِّينِ
وَالْعَرَبُ لَا تَسْكُلُهُ بِهِ إِلَّا بِالسِّينِ ، وَكَذَا ذَكَرَهُ سَيِّبُوهُ بِالسِّينِ فِي بَابِ عِلَلٍ
مَا يَجْعَلُهُ زَائِدًا فَقَالَ : وَتَجْعَلُ السِّينَ زَائِدَةً إِذَا كَانَتْ فِي مِثْلِ سَلْجَمٍ . وَقِيلَ لِرَامِي .
لَمْ يَزِرْعَمْ السَّلْجَمَ ، فَقَالَ مُعَانِدَةٌ لِقَوْلِهِ :

تَسَالَنِي بَرَامَتَيْنِ سَلْجَمًا

بَاقِي لَوْ سَأَلْتَ شَيْئًا أَمَّا

جَاءَ بِهِ الْكَسْرُ أَوْ تَجَشَّمَا

لَوْ أَنَّهَا تَطْلُبُ شَيْئًا أَمَّا

وَفِي اللَّسَانِ ، فَأَمَّا لِكُثْرَتِهِمْ مِنْ ثَلَاثِينَ رَاصَةً فِي الشُّعْرِ فَعَلَى قَوْلِهِمْ لِلْبَعِيرِ . ذُو عَثَانَيْنِ .
كَأَنَّهُ قَسَمَهَا جَزَائِنَ . وَيَقُولُ ابْنُ سَيِّدَةَ إِنَّهَا سَمِيَتْ رَامَتَيْنِ لِلضَّرُورَةِ لِأَنَّهُمَا لَوْ
كَانَا أَرْضَيْنِ لَقِيلَ : الرَّامَتَيْنِ .

وإنما هو رامة وهذا كثير . وأحسن ما تكون هذه التثنية إذا كانت في ذكر جنة وبستان ، فتسميها جنتين في فصيح الكلام ، إشعاراً بأن لها وجهين ، وأنتك إذا دخلتها ، ونظرت إليها يمينا وشمالا رأيت من كلتا الناحيتين ما يملأ عينيك قُرَّةً ، وصدرَكَ مَـرَّةً ، وفي التنزيل : ([لقد كان لِسَبَأٌ في مَسْكَنِهِمْ آيَةً . جَنَّاتٍ [عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ) إلى قوله سبحانه : ﴿ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْنِ ﴾ . سبأ : ١٥ . وفيه : ﴿ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ ﴾ الآية . السكهف : ٣٢ ، وفي آخرها : (ودخل جَنَّتَهُ) فأفرد بعد مائتي ، وهي (١) هي ، وقد حمل بعض العلماء على هذا المعنى قوله سبحانه ﴿ وَلَمْ يَنْ خَافْ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ الرحمن : ٤٦ ، والقول في هذه الآية يتسع ، والله المستعان .

النور والضياء :

فصل : وقال في هذا الشعر : ويظهر في البلاد ضياء نور . هذا البيت بوضوح لك . معنى النور ومعنى الضياء ، وأن الضياء هو المنتشر عن النور ، وأن النور هو الأصل للضوء ، ومنه مبدؤه ، وعنه يصدر ، وفي التنزيل : ﴿ فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِم ﴾ البقرة : ١٧ . وفيه : ﴿ جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً ، وَالْقَمَرَ نُورًا ﴾ يونس : ٥ . لأن نور القمر ، لا ينتشر عنه من الضياء ما ينتشر من الشمس ، [و] لاسيما في طرفي الشهر ، وفي الصحيح : الصلاة نور ، والصبر ضياء ، وذلك أن الصلاة هي

(١) في اليبضاوى : « أفراد الجنة ، لأن المراد . ما هو جنته ، وهي ما منع به في الدنيا تلبيها على أنه لا جنة له غيرها ، ولاحظ له في الجنة التي وعد المتقون ، أولا اتصال كل واحد من جنتيه بالآخرى ، أو لأن الدخول يكون في واحدة . وهو أجود .

عمود الإسلام ، وهى ذكر وقرآن ، وهى تنهى عن الفحشاء والمنكر ، فالصبر عن المنكرات ، والصبر على الطاعات هو : الضياء الصادر عن هذا النور الذى هو القرآن ، والذكر ، وفى أسماء البارى سبحانه (الله نور السموات والأرض) النور : ٣٥ . ولا يجوز أن يكون الضياء من أسمائه - سبحانه - وقد أمّيت فى غير هذا الكتاب من معنى نور السموات والأرض ما فيه شفاء ، والحمد لله .

نوره الوقاية فى إبه وأقوانها :

فصل : وفى شعر ورقة : فياليتنى إذا ما كان ذاكم . بحذف نون الوقاية ، وحذفها مع ليت ردىء ، وهو فى لعل أحسن منه ، لقرب مخرج اللام من النون ، حتى لقد قالوا : لعلّ وَلَعَنَّ ولأن بمعنى واحد ، ولاسيما وقد حكى يعقوب أن من العرب من يخفض بالعل ، وهذا يؤكّد حذف النون من لعلنى ، وأحسن ما يكون حذف هذه النون فى إنَّ وأنَّ ولكنَّ وكان لاجتماع النونات ، وحسنه فى لعل أيضاً كثرة حروف الكلمة ، وفى التنزيل : ﴿أَعْلَى أَرْجَع إِلَى النَّاسِ﴾ يوسف : ٤٦ . بغير نون ، ويجىء هذه الياء فى ليتى بغير نون مع أن ليت ناصبة ، بذلك على أن الاسم المضمّر فى ضربنى هو الياء ، دون النون كما هو فى : ضربك ، وضربه حرف واحد ، وهو الكاف ، ولو كان الاسم هو النون مع الياء - كما قالوا فى الخفوض : مَنَّى وعَتَّى بنونين نون : من ، ونون أخرى مع الياء ، فإذاً الياء وحدها هى الاسم فى حال الخفض ، وفى حال النصب .

مول تقدم صدّ المصدر عليه :

فصل : وفيه : حديثك أن أرى منه خروجاً . قوله منه الماء راجعة على الحديث ،

وحرف الجر متعلق بالخروج ، وإن كره النحويون ذلك ؛ لأن ما كان من صلة
 للمصدر عندهم ، فلا يتقدم عليه ؛ لأن المصدر مقدّر بأن والفعل ، فما يعمل فيه هو من
 صلة أن ، فلا يتقدم ، فمن أطلق القول في هذا الأصل ، ولم يخص مصدراً من
 مصدر ، فقد أخطأ المَفْصِل ، وناهى في تَضَلُّلٍ ؛ ففي التنزيل : ﴿أَكان للناس عَجَباً أَنْ
 أَوْحَيْنَا [إلى رجلٍ منهم]﴾ يونس : ٢ . ومعناه : أكان عجباً للناس أن أوحينا ،
 ولا بد للام هاهنا أن تتعلق بعجب ؛ لأنها ليست في موضع صفة ، ولا موضع حال
 لعدم العامل فيها ، وفيه أيضاً : ﴿لَا يَبْتَغُونَ عنها حِوْلاً﴾ الكهف : ١٠٨ : ﴿ولم
 يَجِدُوا عنها مَصْرِفاً﴾ الكهف : ٥٣ . وفيه أيضاً : ﴿لَوْلَيْتَ منهم فرارا﴾
 الكهف : ١٨ . وتقول : لى فيك رغبة ، ومالى عنك مُعَوَّلٌ ، فيحسن كلُّ
 هذا بلا خلاف ، وقد أجاز ابن السراج أبو بكر ، و[محمد بن يزيد] المبرِّد أيضاً
 فى ضَرْباً زِيداً ، إذا أردت الأمر : أن تقدم المفعول المنصوب بالمصدر ، وقال :
 لأن ضَرْباً هاهنا فى معنى : اضرب ، فقد خصص لك ضرباً من المصادر بجواز
 تقديم معمولها عليها فإن كان المصدر غير أمر ، وكان نكرة لم يتقدم المفعول
 خاصة عليه ، بخلاف المجرور والظرف ، فالواجب إذا رُبِطَ هذا الباب وتفصيله .

متى يجوز تقديم معمول المصدر ؟

فنقول : كل مصدر نكرة غير مضاف إلى ما بعده يجوز تقديم معموله عليه
 إلا المفعول لأن المصدر النكرة لا يتقدر بأن والفعل ؛ لأنك إن قدرته بأن والفعل
 بقى الفعل بلا فاعل ، وما كان مضافاً إلى ما بعده ، فالمضاف إليه فاعل فى المعنى
 أو مفعول ؛ فإذ لك يصير المصدر مقدراً بأن والفعل ، فقف على هذا الأصل ، فمنه
 (م ١٧ - الروض الأنف ج ٢)

حُسْنُ قول ورقة : أن أرى منه خُرُوجًا ، أى : أرى خروجا منه ، وكذلك لو ذكر الدخولُ ، فقال : أرى فيه دخولا ، يريد : دخولا فيه ، لَكُنْ حسنا ، وتقول : اللهم اجعل من أمرنا فرجًا ونُجْرًا ، فَمِنْ أمرنا : متعلق بما بعده ، وهو مصدر ، ولا خفاء في حُسْن هذا التقديم لما ذكرناه .

ومن قول وَرَقَةَ بن نوفل في معنى ما تقدم من رواية يونس عن ابن إسحاق :

أُنْبِكِرُ أم أنت العَشِيَّةَ رَاحُ وفي الصدر من إضمارِكَ الحزن قَادِحُ (١)
لِفُرْقَةٍ قومٍ لا أحب فِرَاقَهُمْ كأنك عنهم بعد يومين نازح
وأخبارِ صِدْقٍ خَبَرْتُ عن محمد يخبرها عنه إذا غاب ناصح
فتاك الذى وجهت ياخيرَ حُرَّةَ يغور وبالنجد بن حيث الصَّاحِصُ (٢)
إلى سُوقٍ بُصِّرَى فى الركاب التى غدت وهُنَّ من الأحمال قُفُصٌ دَوَالِحُ (٣)
نُفِّرْنَا عن كلِّ خيرٍ بعلمه ولالحق أبوابُ أهْنٍ مَفَاتِحُ

(١) إما أن تكون اسم فاعل من قدح الزند ، أو هى أكال يقع فى الشجر والاسنان ، وهى الصدع فى العود .

(٢) الغور : ما بين ذات عرق إلى البحر ، وكل ما انحدر مغربا عن تهامة ، وموضع بديار بنى سليم . والنجد : ما خالف الغور أى تهامة : أعلاه : تهامة واليمن ، وأسفله : العراق والشام ، وأوله من جهة الحجاز . ذات عرق ، والصاحص : جمع صحصح الأرض الجرداء المستوية .

(٣) دلح كمنع مشى بحمله منقبض الخطو لثقله ، والقفص : الموت السريع والقعاص : داء فى الصدر كأنه يكسر العنق ، وشاة قعوص : تضرب حالبة وتمنع الدرة .

حديث بذيان الكعبة وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم

بين قريش في وضع الحجر

قال ابن إسحاق : فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمساً وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبنيان الكعبة ، وكانوا يَهُمُّونَ بذلك ، لِيُسَقُّوْهَا وَيَهَابُونَهَا ، وإِنَّمَا كَانَتْ رَمًا فَوْقَ الْقَامَةِ ، فَأَرَادُوا رَفْعَهَا وَتَسْقِيفَهَا ، وَذَلِكَ أَنَّ نَفَرًا سَرَقُوا كَنْزًا لِلْكَعْبَةِ ، وَإِنَّمَا كَانَ يَكُونُ فِي بئرٍ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ ، وَكَانَ الَّذِي وَجَدَ عِنْدَهُ الْكَنْزَ دُوَيْكَا مَوْلَى لِبْنِي مُلَيْحِ بْنِ عَمْرِو بْنِ خَزَاعَةَ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : فَقَطَّعَتْ قَرِيشٌ يَدَهُ . وَتَزَعَمَ قَرِيشٌ أَنَّ الَّذِينَ سَرَقُوهُ وَضَعُوهُ عِنْدَ دُوَيْكَا وَكَانَ الْبَحْرُ قَدْ رَمَى بِسَفِينَةٍ إِلَى جُدَّةَ لِرَجُلٍ مِنْ تَجَّارِ الرُّومِ ، فَتَحَطَّطَتْ ، فَأَخَذُوا خَشْبَهَا فَأَعَدُّوهُ لَتَسْقِيفِهَا ، وَكَانَ بِمَكَّةَ رَجُلٌ قِبْطِيٌّ تَجَّارٌ ، قَتَبَهَا لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ بَعْضُ مَا يُصَاحِبُهَا وَكَانَتْ حَيَّةٌ تَخْرُجُ مِنْ بئرِ الْكَعْبَةِ الَّتِي كَانَ يُطْرَحُ فِيهَا مَا يَهْدِي لَهَا كُلَّ يَوْمٍ ، فَتَتَشَرَّقُ عَلَى جِدَارِ الْكَعْبَةِ ، وَكَانَتْ مَمَّا يَهَابُونَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ لَا يَدْنُو مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا اخْزَأَّتْ وَكَشَّتْ ، وَفَتَحَتْ فَاهَا ، وَكَانُوا يَهَابُونَهَا . فَبَيْنَمَا هِيَ ذَاتَ يَوْمٍ تَتَشَرَّقُ عَلَى جِدَارِ الْكَعْبَةِ ، كَمَا كَانَتْ تَصْنَعُ

بأن ابن عبد الله أحمد مرسلاً إلى كل من ضمت عليه الأباطح
وظني به أن سوف يبعث صادقاً كما أرسل العبدان هوداً وصالحاً
وموسى وإبراهيم حتى يرى له بهاءً ومنشور من الذكر واضح
ويتبعه حياً لؤي جماعة شياهم والأشقيون الجعاجج^(١)

بِئْسَ اللَّهُ إِلَيْهَا طَائِرًا فَاخْتَطَفَهَا ، فَذَهَبَ بِهَا ، فَقَالَتْ قَرِيشٌ : إِنْ أَلْزَجُوا أَبَا
بَكْرٍ اللَّهُ قَدْ رَغِيَ مَا أَرَدْنَا ، عِنْدَنَا عَامِلٌ رَفِيقٌ ، وَعِنْدَنَا خَشَبٌ ، وَقَدْ كَفَانَا
اللَّهُ الْحَيَّةَ .

فَلَمَّا أَجْعَلُوا أَمْرَهُمْ فِي هَدْمِهَا وَبِنَائِهَا ، قَامَ أَبُو وَهَبٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَائِدِ بْنِ
عَبْدِ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ مَخْزُومٍ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : عَائِدُ بْنُ عِمْرَانَ بْنِ مَخْزُومٍ . فَتَنَاولَ
مِنَ السَّكْبَةِ حَجْرًا ، فَوَثَبَ مِنْ يَدِهِ ، حَتَّى رَجَعَ إِلَى مَوْضِعِهِ . فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ
قَرِيشَ ، لَا تُدْخِلُوا فِي بِنَائِهَا مِنْ كَسْبِكُمْ إِلَّا طَيِّبًا ، لَا يَدْخُلُ فِيهَا مَهْرُ بَنِيٍّ
وَلَا بَيْعُ رَبَا ، وَلَا مَظْلَمَةٌ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ ، وَالنَّاسُ يَنْحَلُونَ هَذَا الْكَلَامَ الْوَالِدَ بْنَ
الْمُعْتِرَةِ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَخْزُومٍ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَدْ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي نَجِيحٍ السَّكِّيُّ أَنَّهُ حَدَّثَ عَنْ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ بْنِ وَهَبٍ بْنِ حَذَافَةَ بْنِ جُمَحٍ بْنِ عَمْرِو
ابْنِ هُصَيْصٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ . أَنَّهُ رَأَى ابْنَا الْجَعْدَةِ بْنِ هُبَيْرَةَ بْنِ أَبِي وَهَبٍ
بْنَ عَمْرِو يَطُوفَ بِالْبَيْتِ ، فَسَأَلَ عَنْهُ ، فَقِيلَ : هَذَا ابْنُ الْجَعْدَةِ بْنِ هُبَيْرَةَ ، فَقَالَ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَفْوَانَ عِنْدَ ذَلِكَ : جَدُّ هَذَا ، يَعْنِي : أَبَا وَهَبٍ الَّذِي أَخَذَ حَجْرًا مِنْ
السَّكْبَةِ حِينَ أَجْمَعْتَ قَرِيشٌ لِهَدْمِهَا ، فَوَثَبَ مِنْ يَدِهِ ، حَتَّى رَجَعَ إِلَى مَوْضِعِهِ ، فَقَالَ
عِنْدَ ذَلِكَ : يَا مَعْشَرَ قَرِيشَ : لَا تُدْخِلُوا فِي بِنَائِهَا مِنْ كَسْبِكُمْ إِلَّا طَيِّبًا . لَا تُدْخِلُوا
فِيهَا مَهْرَ بَنِيٍّ ، وَلَا بَيْعَ رَبَا ، وَلَا مَظْلَمَةَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ .

فَإِنْ أَبْقَى حَتَّى يُدْرِكَ النَّاسَ دَهْرُهُ فَإِنِّي بِهِ مُسْتَبْشِرٌ الْوَدَّ فَارِحٌ
وَالَا فَإِنِّي يَا خَدِيجَةُ — فَأَعْلَى عَنْ أَرْضِكَ فِي الْأَرْضِ الْعَرِيضَةِ سَاحِجٌ

قال ابن اسحاق : وأبو وهب : خال أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وكان شريفاً ، وله يقول شاعر من العرب :

ولو بأبي وهب أنخت مطيئتي غدت من نداء رخلها غير خائب
بأبيض من فرعى لؤي بن غالب إذا حصلت أنسابها في الدواب
أي لأخذ الضيم يرتاح للندى توسط جداه فروع الأطايب
عظيم رماد القدر يملأ جفانه من الخبز يملأهن مثل السباب

ثم إن قريشا تجزأت الكعبة ، فكان شق الباب لبني عبد مناف وزهرة
وكان ما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم ، وقبائل من قريش
انضموا إليهم ، وكان ظهر الكعبة لبني جحج وسهم ، ابني عمرو بن هصيص بن
كعب بن لؤي . وكان شق الحجر لبني عبد الدار بن قصي ، ولبنى أسد بن
العزى بن قصي ، ولبنى عدي بن كعب بن لؤي وهو الحطيم .

ثم إن الناس هابوا هدمها وفرقوا منه . فقال الوليد بن المغيرة : أنا
أبدؤكم في هدمها ، فأخذ المِعْوَل ، ثم قام عليها ، وهو يقول : اللهم لم ترع - قال
ابن هشام : ويقال : لم ترغ - اللهم إنا لا نريد إلا الخير ، ثم هدم من ناحية
الركنين ، فتربص الناس تلك الليلة ، وقالوا : ننظر ، فإن أصيب لم نهدم
منها شيئاً ورددناها كما كانت ، وإن لم يصبه شيء ، فقد رضى الله صنعنا ،
فهدمنا . فأصبح الوليد من ليلته غادياً على عمله ، فهدم وهدم الناس معه ،
حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس أساس إبراهيم عليه السلام أفضوا إلى
حجارة خضر كالأسنمة أخذ بعضهم بعضها .

قال ابن إسحاق : فحدثني بعض مَنْ يَرَوِي الحديث : أن رجلاً من قُرَيْشٍ ، ممن كان يهدمها ، أدخل عَتَلَةً بين حَجَرَيْنِ منها ليقْلَعَ بها أحدهما ، فلما تحرك الحجر تَنَقَّضَتْ مَكَّةُ بِأَسْرَها ، فاتَّهوا عن ذلك الأساس .

قال ابن إسحاق : وحدثت أن قريشاً وجدوا في الركن كتاباً بالسريانية ، فلم يدروا ما هو ، حتى قرأه لهم رجل من يهود ، فإذا هو : « أنا الله ذو بَكَّةُ ، خلقتها يوم خلقتُ السموات والأرض ، وصورتُ الشمس والقمر ، وحففتُها بسبعة أملاكٍ حنفاء ، لا تزول حتى يزول أخشابها ، مُبَارَكٌ لأهلها في الماء واللبن » . قال ابن هشام : أخشابها : جبالها .

قال ابن إسحاق : وحدثت أنهم وجدوا في المقام كتاباً فيه : « مكة بيت الله الحرام يأتيها رزقها من ثلاثة سُبُل ، لا يُحْلُها أوَّلُ من أهلها » .

قال ابن إسحاق : وزعم ليثُ بن أبي سليم أنهم وجدوا حجراً في الكعبة قبل مَبْعَثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأربعين سنة - إن كان ما ذكر حقاً - مكتوباً فيه : « مَنْ يَزْرَعْ خَيْراً ، يَحْصُدْ غَيْبَةً ، ومن يزرع شراً ، يَحْصُدْ نَدَامَةً . تعملون السيئات ، وتُجْزَوْنَ الحسنات ! أَجَلٌ ، كما لا يُجْتَنَى من الشُّوكِ الْعَنْبِ » .

قال ابن إسحاق : ثم إن القبائل من قُرَيْشٍ جَمَعَتِ الحجارة لبنائها ، كلُّ قبيلة تجمع على حِدَةٍ ، ثم بَنَوُها ، حتى بلغ البُنيان موضع الركن ، فاختصموا فيه ، كلُّ قبيلة تُريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى ، حتى تحاوروا

وتحالفوا ؛ وأعدّوا للقتال ، فقربت بنو عبد الدار جَفَنَةً مَمْلُوءَةً دِماً ، ثم تعافدوا هم وبنو عدى بن كَعْب بن لُؤَيٍّ على الموت ، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة ، فَسَّؤُوا : لَعَنَةُ الدِّمِ ، فمكثت قُرَيْشٌ على ذلك أربع ليالٍ أو خمساً ، ثم إنهم اجتمعوا في المسجد ، وتشاوروا وتناصفوا .

فزعم بعضُ أهل الرواية : أن أبا أُمَيَّة بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمر بن حَزُوم ، وكان عامِئذٍ أَسَنَ قُرَيْشٍ كلها ، قال : يا معشرَ قُرَيْشٍ ! اجعلوا بينكم - فيما تختلفون فيه - أولَ من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه ، ففعلوا : فكان أولَ داخلٍ عليهم رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، رَضِينَا ، هذا محمد ، فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبرَ ، قال صلى الله عليه وسلم : هَلُمَّ إِلَى ثَوْبَا ، فَأَتَى بِهِ ، فَأَخَذَ الرُّكْنَ فَوَضَعَهُ فِيهِ بِيَدِهِ ، ثُمَّ قَالَ : لِنَأْخُذْ كُلَّ قَبِيلَةٍ بِنَاحِيَةٍ مِنَ الثَّوْبِ ، ثُمَّ أَرْفَعُوهُ جَمِيعاً ، ففعلوا : حتى إذا بلغوا به موضعه ، وضعه هو بيده ، ثم بنى عليه .

وكانت قُرَيْشٌ تَسْمَى رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - قبل أن ينزل عليه الوحي : الأمين . فلما فرغوا من البنیان ، وبنَوْها على ما أرادوا ، قال الزُّبَيْر بن عبد المطلب ، فيما كان من أمر الحية التي كانت قريش تهاب بُنَيَانَ الكعبة لها .

عَجِبْتُ لِمَا تَصَوَّبَتِ الْعُقَابُ إِلَى الثُّعْبَانِ وَهِيَ لَهَا اضْطِرَابُ
وَقَدْ كَانَتْ يَكُونُ لَهَا كَشِيشٌ وَأَخِيَانًا يَكُونُ لَهَا وَثَابُ
إِذَا قُمْنَا إِلَى التَّاسِيسِ . شَدَّتْ تَهَيَّبُنَا الْبِنَاءُ . وَقَدْ تَهَابُ

فلما أن خَشِينَا الرَّجْزَ . جَاءَتْ عُقَابٌ تَتَلَثَّبُ لَهَا انْصِباب
 فَضَمَّتْهَا إِلَيْهَا ، ثُمَّ خَلَّتْ لَنَا الْبُنْيَانُ ، لَيْسَ لَهُ حِجَاب
 فَقُمْنَا حَاشِدِينَ إِلَى بِنَاءِ لَنَا مِنْهُ الْقَوَاعِدُ وَالتُّرَاب
 غَدَاةَ تَرْفَعُ التَّاسِيسَ مِنْهُ وَلَيْسَ عَلَى مَسَوِينَا نِيَاب
 أَعَزَّ بِهِ الْمَلِكُ بَنِي لُؤْيٍ فَلَيْسَ لِأَصْلِهِ مِنْهُمْ ذَهَاب
 وَقَدْ حَشَدَتْ هُنَاكَ بَنُو عَدِيٍّ وَمُرَّةٌ قَدْ تَقَدَّمَهَا كِلَاب
 قَبَّوْنَا الْمَلِكُ بِذَلِكَ عِزًّا وَعِنْدَ اللَّهِ يُلْتَمَسُ الشَّوَاب

قال ابن هشام : وَيُرْوَى :

وليس على مَسَاوِينَا نِيَاب

وكانت الكعبة على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثمانى عَشْرَةَ
 ذِرَاعًا ، وكانت تُكْسَى الْقَبَاطِي ، ثُمَّ كُسِيتَ الْبُرُود . وَأَوَّلُ مَنْ كَسَاهَا
 الدِّيَابِجُ : الْحِجَّاحُ بْنُ يَوْسَفَ .

بنيان الكعبة

ففى خبرها أنها كانت رَحْمًا فوق القامة . الرَّحْمُ : أَنْ تُنْضَدَ الْحِجَارَةُ بَعْضُهَا
 عَلَى بَعْضٍ مِنْ غَيْرِ مِلَاطٍ ^(١) كما قال :

رُزِئْتُهُمْ فِي سَاعَةٍ جَرَّعْتُهُمْ كُتُوسَ النِّبَايَا تَحْتَ صَخْرٍ مُرَضِّمٍ

وقوله : فوق القامة ، كلامٌ غيرُ مُبَيَّنٍ لِمَقْدَارِ ارْتِفَاعِهَا إِذْ ذَاكَ ، وَذَكَرَ

(١) الطين يجعل بين ساق البناء ، ويملأ به الحائط .

غيره أنها كانت تسع أذرع من عهد إسماعيل ، ولم يكن لها سقف ، فلما بنتها قريش قبل الإسلام زادوا فيها تسع أذرع ، فكانت ثمان عشرة ذراعا ، ورفعوا بابها عن الأرض ، فكان لا يصعد إليها إلا في درج أو سلم ، وقد ذكرنا أول من عمل لها غلقاً ، وهو تبع . ثم لما بناها ابن الزبير زاد فيها تسع أذرع ، فكانت سبعا وعشرين ذراعا ، وعلى ذلك هي الآن ، وكان بناؤها في الدهر خمس مرات . الأولى : حين بناها شيث بن آدم ^(١) ، والثانية : حين بناها إبراهيم على القواعد الأولى ، والثالثة : حين بنتها قريش قبل الإسلام بخمسة أعوام ، والرابعة : حين احترقت في عهد ابن الزبير بشرارة طارت من أبي قُبَيْس ، فوقعت في أستارها ، فاحترقت ، وقيل إن امرأة أرادت أن تُجْمرها ، فطارت شرارة من المِجْمَر ^(٢) في أستارها ، فاحترقت ، فشاور ابن الزبير في هدمها من حضره ، فهابوا هدمها ، وقالوا : نرى أن تصلح ما وهى ، ولا تهدم . فقال : لو أن بيت أحدكم احترق لم يرض له إلا بأكل صلاح . ولا يكمل إصلاحها إلا بهدمها . فهدمها حتى أفضى إلى قواعد إبراهيم ، فأمرهم أن يزيدوا في الحفر . فحركوا حَجَرًا فَرَأَوْا تَحْتَهُ نَارًا وَهَوًّا ^(٣) . فأمرهم أن يُقَرُّوا

(١) أول من بناها إبراهيم .

(٢) ما يوضع فيه الجمر بالدخنة ، والعود نفسه . ويقال أيضاً بضم الميم .

الأولى وفتح الثانية .

(٣) لم يرد في الحديث الذى أخرجه مسلم ذكر لهذه النار بل ورد : ونفقوه .

أى بناء الكعبة - حتى بلغوا به الأرض ، فجعل ابن الزبير أعمدة يستر عليها الستور حتى ارتفع بناؤه . وفيه أنه زاد فيه خمسة أذرع ، وأن طول الكعبة كان ثمانية عشر ذراعا ، فلما زاد فيه استقصره ، فزاد في طوله عشرة أذرع وجعل له بابين .

أحدهما : يدخل منه ، والآخر يخرج منه .

القواعد ، وأن يبنوا من حيث انتهى الحفر . وفي الخبر أنه سترها حين وصل إلى القواعد ، فطاف الناس بتلك الأستار ، فلم تخل قط من طائف حتى لقد ذكر أن يوم قتل ابن الزبير اشتدت الحرب ، واشتغل الناس فلم ير طائف يطوف بالكعبة إلا أجل يطوف بها ، فلما استتم بنائها ، ألصق بابها بالأرض ، وعمل لها خلفاً أى : باباً آخر من ورائها ، وأدخل الحجر فيها ، وذلك لحديث حديثه به خالته عائشة ، عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : ألم ترى قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم حين عجزت بهم النفقة ، ثم قال عليه السلام : لولا حذنان عهد قومك بالجاهلية لهدمتها ، وجعلت لها خلفاً^(١) وألصقت بابها بالأرض ، وأدخلت فيها الحجر أو كما قال — عليه السلام — قال ابن الزبير : فليس بنا اليوم عجز عن النفقة ، فبناها على مقتضى حديث عائشة ، فلما قام عبد الملك بن مروان ، قال : لسنا من تخليط أبي خبيب^(٢) بشئ ، فهدمها وبناها على ما كانت عليه في عهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فلما فرغ من بنائها جاءه الحارث بن أبي ربيعة المعروف بالقباع^(٣) ، وهو أخو عمر بن أبي ربيعة الشاعر ، ومعه رجل آخر ،

(١) وردت في معناه أحاديث رواها البخارى ومسلم وأحمد وأبو داود والنسائي والترمذى .

(٢) هو عبد الله بن الزبير ، ويقال عنه وعن ابنه أو أخيه مصعب : الخبيان

(٣) القباع بضم القاف وفتح الباء : مكيال ضخمة ، ولقد لقب الحارث بهذا

لأنه اتخذ ، أو لأنه قال لأهل البصرة حين ولى عليهم وأتوه بمكيال : إن مكيالكم هذا لقباع ، وهو : الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة . وقد سقط من

الروض : ابن عبد الله ، وأمه : بنت أبرهة . ويقال إنه وجد الصليب فى =

فحدثناه عن عائشة ، عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بالحدِيث المتقدم ،

= عنقها حين ماتت ، فخرج إلى الناس ، فقال : انصرفوا رحمكم الله ، فإن لها أهل دين هم أولى بها منا ومنكم ، فاستحسن ذلك منه . يقول عنه ابن سبة : « كان الحارث ابن عبد الله شريفا كريما ديننا وسيدا من سادات قريش ، وله قصص طريفة مع أخيه الشاعر عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة . انظر ص ٣١٨ نسب قريش ط ١ وص ١١٤ المجلد الأول من الأغاني طبع لبنان . »

وفي حديث مسلم عما ذكره الروض عن هذا أن الحجاج لما قتل ابن الزبير كتب إلى عبد الملك يخبره أن ابن الزبير قد وضع البناء على أس نظر إليه العدول من أهل مكة ، فكتب إليه عبد الملك : إنا لسنا من تلطيخ ابن الزبير في شيء ، أما ما زاده في طوله فأفره ، وأما ما زاد فيه من الحجر ، فردّه إلى بنائه ، وسد الباب الذي فتحه ، فنقضه وأعادّه إلى بنائه . وفي رواية أخرى أن الحارث بن عبد الله وفد على عبد الملك بن مروان في خلافته ، فقال عبد الملك : ما أظن أبا مخشيب سمع من عائشة ما كان يزعم أنه سمعه منها ، فقال الحارث : « بلى أنا سمعته منها . قال : سمعتها تقول ماذا ؟ قال : قالت : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إن قومك استقصروا من بنيان البيت ولولا حدائنه عهدهم بالشرك أعدت ما تركوا ، فإن بدا لقومك من بعدى أن يبنوه فهل لي لأريك ما تركوا منه ، وأراها قريبا من سبعة أذرع . هذا حديث عبد الله بن عبيد بن عمير في مسلم ، وزاد عليه الوليد بن عطاء : قال النبي صلى الله عليه وسلم : ولجعلت لها بابين موضوعين في الأرض ، شرقيا وغربيا ، وهل تدرين لم كان قومك رفعوا بابها ؟ قالت : قلت : لا . قال : تعززا ألا يدخلها إلا من أرادوا ، فكان الرجل إذا هو أراد أن يدخلها يدعونه حتى يرتقى ، حتى إذا كاد أن يدخل دفعوه فسقط . » وفي رواية : أن عبد الملك قال : قاتل الله ابن الزبير حيث يكذب على أم المؤمنين — ثم ذكر حديث عائشة — فقال الحارث لا نقل هذا يا أمير المؤمنين ؛ فإنني سمعت أم المؤمنين تحدث هذا . قال : لو كنت سمعته قبل أن أهدمه لتركته على ما بنى ابن الزبير . ويقول ابن كثير : فهذا الحديث

فندم ، وجعل يَنْكُتُ في الأرض بِمِخْصَرَةٍ في يده ، ويقول : وَدِدْتُ أَنِّي تركت أبا خُبَيْبٍ ، وما تَحْمَلُ من ذلك ، فهذه المرة الخامسة ، فلما قام أبو جعفر المنصور ، وأراد أن يبينها على مابناها ابن الزبير ، وشاور في ذلك ، فقال مالك بن أنس : أَسْأَلُكَ اللَّهُ يا أمير المؤمنين ، وأن تجعل هذا البيتَ مَلْعَبَةً للملوك بعدك ، لا يشاء أحد منهم أن يُغَيِّرَهُ إلا غَيْرَهُ (١) فتذهب هيئته من قلوب الناس ، فصرفه عن رأيه فيه ، وقد قيل : إنه بنى في أيام جُرْهم مرة أو مرتين ؛ لأن السيل كان قد صدع حائطه ، ولم يكن ذلك بنيانا على نحو ما قدمنا ، إنما كان إصلاحاً لما وَهَى منه ، وجداراً بُنى بينه وبين السيل ، بناه عامر الجارود (٢) ، وقد تقدم هذا الخبر ، وكانت الكعبة قبل أن يبينها شيثٌ عليه السلام خيمةً من يا قوتة حمراء يطوف بها آدم ، ويأنس إليها ؛ لأنها أنزلت إليه من الجنة ، وكان قد حج إلى موضعها من الهند ، وقد قيل : إن آدم هو أول من بناها ، ذكره ابن إسحاق في غير رواية البُكَائِي . وفي الخبر أن موضعها كان غُثَاءَةً على الماء قبل أن يخلق الله السموات والأرض ، فلما بدأ الله بخلق الأشياء خلق التُّرْبَةَ قبل السماء ، فلما

== كالملقطوع به إلى عائشة ؛ لأنه قد روى عنها من طرق صحيحة متعددة ، فدل هذا على صواب ما فعله ابن الزبير ، فلو ترك لكان جيداً . ولكن بعد ما رجع الأمر إلى هذا الحال ، فقد كره بعض العلماء أن يغير عن حاله .

(١) نقل النووى وعياض أن هذا حدث من الرشيد أو أبيه المهدي ، وأن ما لسا قال : مالك يا أمير المؤمنين . لا تجعل كعبة الله ملعبة للملوك لا يشاء أحد أن يهدمها إلا هدمها .

(٢) انظر ص ١٤ من نسب قريش ،

خلق السماء ، وقضاهن سبع سموات دحا الأرض ، أى : بسطها ، وذلك قوله سبحانه : ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها ﴾ النازعات : ٣ . وإنما دحاها من تحت مكة ؛ ولذلك سُمِّيَتْ أم القرى ، وفى التفسير أن الله سبحانه حين قال للسموات والأرض ﴿ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ فصلت : ١١ لم تجبه بهذه المقالة من الأرض إلا أرض الحرم ^(١) ، فلذلك حرّمها . وفى الحديث : أن الله حرم مكة قبل أن يخلق السموات والأرض ، فصارت حرمتها كحرمة المؤمن ، لأن المؤمن إنما حرّم دمه وعرضه وماله بطاعته لربه ، وأرض الحرم لما قالت : أتينَا طَائِعِينَ ، حرّم صيدها وشجرها وخلاها إلا الإذخر ^(٢) ، فلا حرمة إلا لذي طاعة ، جعلنا الله رِئْيسَ أطاعه .

(١) هذا من كلام كعب الاحبار وهو معروف بإسرائيلياته . وكل ما قيل عن حج آدم ، وعن أصل الكعبة وعن موضعها قبل إبراهيم وعن إجابة أرض الحرم . كل هذا أكاذيب مفتراة . ومن عيوب السبيل أنه يأتى أحياناً بأسطورة ثم يقيم عليها بناء يتوهمه ثابتاً ، فليست أرض الحرم وحدها هى التى أطاعت الله ، بل الأرض كلها ، كما بين القرآن فإلها لم تحرم ١ ؟

(٢) فى حديث أخرجه البخارى ومسلم . د إن هذا البلد حرمه الله تعالى يوم خلق السموات والأرض ، فبى حرام بحرمة الله تعالى إلى يوم القيامة ، ومعناه : أن الله قضى هذا كما قضى كل أمر له . هذا وفى حديث رواه مسلم : د إن إبراهيم حرم مكة ، وإلى أحرم ما بين لابتها ، وفى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عن المدينة . د اللهم إني أحرم ما بين جبلها مثل ما حرم إبراهيم مكة ، وفى حديث رواه البخارى : د إن إبراهيم حرم مكة ، ودعا لها ، وحرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة ، وهذه الأحاديث تؤكد أن إبراهيم هو الذى حرم مكة ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم حرم المدينة كما حرم إبراهيم مكة . . =

سبب آفة بنيان البيت :

وروى في سبب بنيان البيت خير آخر ، وليس بمعارض لما تقدم ، وذلك أن الله سبحانه لما قال للملائكة : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ، قَالُوا : أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ البقرة : ٢٩ .

خافوا أن يكون الله عاتباً عليهم لاعتراضهم في علمه ، فطافوا بالعرش سبعاً ، يسترضون ربهم ، ويتضرعون إليه ، فأمرهم سبحانه أن يبنوا البيت المعمور في السماء السابعة ، وأن يجعلوا طوافهم به ، فكان ذلك أهون عليهم من الطواف بالعرش ، ثم أمرهم أن يبنوا في كل سماء بيتاً ، وفي كل أرض بيتاً ، قال مجاهد : هي أربعة عشر بيتاً ، كل بيت منها منّا صاحبه ، أى : في مقابلته ، لو سقطت اسقطت بعضها على بعض .

حول بناء الكعبة مرة أخرى :

روى أيضاً أن الملائكة حين أسست الكعبة انشقت الأرض إلى منتهائها ، وقذفت فيها حجارة أمثال الإبل ، فذلك التواعد من البيت التي رفع إبراهيم وإسماعيل ، فلما جاء الطوفان رفعت ، وأودع الحجر الأسود أبا قبيس ^(١) .

= وفي هذا نظر ، فانه جل شأنه هو الذى يحل ويحرم لا النبيون ، ولم يذكر تحريم المدينة في القرآن كما ذكر تحريم مكة ، والإذخر : الحشيش الطيب الرائحة . (١) ليس لكل ما قاله عن الملائكة هنا سند صحيح ، ولم يرد حديث طواف الملائكة المذكور هنا سوى : « أبو الفرج » ، في كتابه « مشير الغرام » ، وليس من البر في الدين أن تفتري الأكاذيب لتعظيم أمر ، شأنه بالصدق في النفوس أعظم ، والحق لا يحويه لباطل ، والجمال يشينه الكذب

وذكر ابن هشام أن الماء لم يعلها حين الطوفان ، ولكنه قام حولها ، وبقيت في هواء إلى السماء (١) ، وأن نوحا قال لأهل السفينة ، وهي تطوف بالبيت : إنكم في حرم الله ، وحول بيته ، فأحرموا الله ، ولا يمس أحد امرأة ، وجعل بينهم وبين السماء حاجزا ، فتعدى حام ، فدعا عليه نوح أن يسودّ لون بنيه ، فاسودّ كوش بن حام ونسله إلى يوم القيامة ، وقد قيل في سبب دعوة نوح على حام غير هذا (٢) ، والله أعلم .

وذكر في الخبر عن ابن عباس ، قال : أول من عاذ بالكعبة حوت صغير ، خاف من حوت كبير ، فعاذ منه بالبيت ، وذلك أيام الطوفان . ذكره يحيى بن سلام ، فلما نضب ماء الطوفان ، كان مكان البيت ربوة من مدرّة (٣) وحج إليه هود وصالح ، ومن آمن معهما ، وهو كذلك (٤) .

(١) كلام لا سند له ، وقد روى أن من أسباب بنائها احتراقها أو تصدعها من السيل ، فكيف لم ترتفع إلى الهواء .
هذا وفي السيرة عن السفينة أنها كانت لرجل من تجار الروم ، ولكن ورد عن الاموى أنها كانت لقيصر ملك الروم تحمل آلات البناء من الرخام والخشب والحديد سرحها قيصر مع باقوم الرومى إلى الكنيسة التي أحرقها الفرس للحبشة وقيل عن باقوم القبطى لأنه كان مولى سعيد بن العاصى بن أمية وفي الإصابة أن اسم الرجل الذى بنى الكعبة لقريش باقوم وكان روميا ، وكان فى سفينة حبستها الريح ، فخرجت إليها قريش ، وأخذوا خشبها ، وقالوا له : ابنها على بناء الكنائس .

(٢) لانه رأى عورة أبيه لإصحاح ٩ سفر التكوين .

(٣) المدر — محرّكة — قطع الطين اليابس ، أو العلك الذى لا رمل فيه واحدة مدرّة .

(٤) لم يرد هذا فى نقل صحيح .

وَبَذَرَ أَنْ يَعْرِبَ قَالَ لَهْودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَلَا نَبْنِيهِ ؟ قَالَ : إِنَّمَا يَبْنِيهِ نَبِيٌّ كَرِيمٌ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي يَتَّخِذُهُ الرَّحْمَنُ خَلِيلًا ، فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ وَشَبَّ اسْمَعِيلُ بِمَكَّةَ أَمَرَ إِبْرَاهِيمُ بِنَاءَ الْكَعْبَةِ ، فَدَلَّتهُ عَلَيْهِ السَّكِينَةُ ^(١) ، وَظَلَّلَتْ لَهُ عَلَى مَوْضِعِ الْبَيْتِ ، فَكَانَتْ عَلَيْهِ كَالْجُحْفَةِ ^(٢) ، وَذَلِكَ أَنَّ السَّكِينَةَ مِنْ شَأْنِ الصَّلَاةِ ، فَجُعِلَتْ عَلَمًا عَلَى قِبْلَتِهَا حِكْمَةً مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ^(٣) ، وَبَنَاهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ خَمْسَةِ أَجْبَلٍ ، كَانَتْ الْمَلَأْسُكَةُ تَأْتِيهِ بِالْحِجَارَةِ مِنْهَا ، وَهِيَ : طَوْرُ تَيْنًا ، وَطَوْرُ زَيْتَا ^(٤) الَّذِينَ بِالشَّامِ ، وَالْجُودَى وَهُوَ بِالْجَزِيرَةِ ^(٥) ، وَتُبْنَانٌ ^(٦) وَحِرَاءٌ وَهِيَ بِالْحَرَمِ ، كُلُّ هَذَا جَمْعُهُ مِنْ آثَارِ مَرْوِيَةٍ . وَانْتَبَهَ لِحِكْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ جَعَلَ بِنَاءَهَا مِنْ خَمْسَةِ أَجْبَلٍ ، فَشَاكِلُ ذَلِكَ مَعْنَاهَا ؛ إِذْ هِيَ قِبْلَةٌ لِلصَّلَاةِ الْخَمْسِ وَعُمُودُ الْإِسْلَامِ ، وَقَدْ بَنَى عَلَى خَمْسٍ ، وَكَيْفَ دَلَّتْ عَلَيْهِ السَّكِينَةُ ؛ إِذْ هِيَ قِبْلَةٌ لِلصَّلَاةِ ، وَالسَّكِينَةُ مِنْ شَأْنِ الصَّلَاةِ . قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « وَأَتَوْهَا

(١) وَهِيَ عِنْدَ رَوَاةِ هَذَا : رِيحُ خُجُوجٍ ، وَلَهَا رَأْسَانِ ، فَاتَّبَعَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ حَتَّى انْتَهَتْ إِلَى مَكَّةَ ، فَطَوَّاتِ عَلَى مَوْضِعِ الْبَيْتِ كَطَى الْجُحْفَةِ . وَالْخُجُوجُ : الرِّيحُ الشَّدِيدَةُ الْمَرَّ ، أَوِ الْمَلْتَوِيَّةُ فِي هَبْوِهَا .

(٢) بَقِيَّةُ الْمَاءِ فِي جَوَانِبِ الْحَوْضِ .

(٣) مَرَّةً أُخْرَى يَبْنِي عَلَى أَسْطُورَةٍ رَأْيَا وَحْدِيثِ السَّكِينَةِ لَيْسَ لَهُ سَنَدٌ صَحِيحٌ

(٤) تَيْنَا تَقَالُ بِالْكَسْرِ وَبِالْفَتْحِ وَيَقُولُ الْقَامُوسُ وَتَيْنَا هِيَ بِمَعْنَى سَيْنَاءَ

(٥) يَعْنِي جَزِيرَةَ ابْنِ عَمْرِو بْنِ شَرْقِيٍّ دَجَلَةٌ مِنْ أَعْمَالِ الْمُوَصَّلِ

(٦) فِي الْمَرَادِدِ ، لِبْنَانِ جَبَلَانِ قَرِبَ مَكَّةَ يُقَالُ لَهَا ، ابْنُ الْأَسْفَلِ وَابْنُ الْأَعْلَى

وَفَوْقَ ذَلِكَ جَبَلٌ يُقَالُ لَهُ : الْمُبْرَكُ بَرَكَ الْقَبِيلُ بِهِ

وعليكم السكينة^(١) » فلما بلغ إبراهيم الركن جاءه جبريل بالحجر الأسود من جوف أبي قُبَيْس ، وروى الترمذى عن ابن عباس عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : « أنزل الحجر الأسود من الجنة أشد بياضا من اللبن ، فسودته خطايا بني آدم^(٢) » ، وروى الترمذى أيضاً من طريق عبد الله بن عمرو مرفوعاً أن الركن الأسود والركن اليماني ياقوتتان من الجنة ، ولولا ما طُمِسَ من نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب ، وفي رواية غيره : لأبرءا من استلمهما من الحرس والجذام والبرص^(٣) ، وروى غير الترمذى من طريق على رحمه الله أن العهد الذى أخذه الله على ذرية آدم حين مسح ظهره ألا يشركوا به شيئاً كتبه في صكٍّ ، وألقمه الحجر الأسود ؛ ولذلك يقول المستمل له : إيماننا بك ، ووفاء بعهدك^(٤) ، وذكر هذا الخبر الزبير ، وزاد عليه أن الله سبحانه أجرى نهراً أطيب

(١) فى حديث رواه الجماعة إلا الترمذى : « إذا سمعتم الإقامة ، فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ، ولا تسرعوا ، فما أدركتم ، فصلوا ، وما فاتكم فاتموا ،

(٢) لا يعتمد بمثل هذا . وفى البخارى : « فجعل إسماعيل يأتى بالحجارة ، وهما - أى إبراهيم وإسماعيل - يقولان : ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم » وهو عند ابن أبى حاتم من كلام السدى ، ولم يرو البخارى ولا مسلم شيئاً من هذا .

(٣) الأحاديث الصحيحة تخالف ما رواه الترمذى ، وتخالف ما رواه بعده ، والقرآن يؤكد أن الله هو الذى بيده الشفاء لا الركن اليماني . إنما هو مكر الأساطير بدين الله الحق ١١

(٤) لا يشهد لما قاله حديث صحيح ، ولا آية من كتاب الله ، وإليك التفسير الصحيح لآية أخذ العهد عن الحسن البصرى ، كما رواه عنه جماعة من السلف والخلف = (١٨ م - الروض الأنف ٢٠)

من اللبن ، وأمين من الزبد ، فاستمد منه القلم الذى كتب العهد ، قال : وكان أبو قُبَيْس يسمي : الأمين ؛ لأن الركن كان مُودعا فيه ، وأنه نادى إبراهيم حين .

== (وإذ أخذ ربك من بنى آدم) ولم يقل من آدم (من ظهورهم) ولم يقل من ظهره (ذرياتهم) أى جعل نسلهم جيلا بعد جيل ، وقرناً بعد قرن ، كقوله تعالى (وهو الذى جعلكم خلائف الأرض) وقال : (وجعلكم خلفاء الأرض) وقال : (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) ثم قال : (وأشهدهم على أنفسهم : أأنت بربكم ، قالوا : بلى) أى : أوجدكم شاهدين بذلك ، قائلين له حالا . وقال : أى الحسن البصرى - والشهادة تكون تارة بالقول ، وتارة تكون حالا . كما أن السؤال تارة يكون بالمقال ، وتارة يكون بالحال . قالوا - يعنى جماعة من السلف والخلف - وما يدل على أن المراد بهذا هذا أن جعل هذا الإشهاد حجة عليهم فى الإشراك ، فلو كان قد وقع هذا - يعنى استخراج الذرية من ظهر آدم واستنطاق الله لها - كما قال من قال لسان كل أحد يذكره ليكون حجة له) ثم فسروا هذا الإشهاد بأنه الفطرة التى فطر الله الناس عليها من الإقرار بالتوحيد . انظر ابن كثير فى تفسير الآية . هذا وقد حكم الطبرى بعدم صحة نسبة ما روى من أحاديث فى هذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالحديث موقوف على ابن عمر . ولهذا قال : الظاهر يدل على أنه خبر من الله عن قيل بنى آدم بعضهم لبعض ، لأنه جل ثناؤه قال : « وأشهدهم على أنفسهم . أأنت بربكم ؟ » قالوا : بلى شهدنا . فكانه قيل : فقال الذين شهدوا على المقرين حين أقروا . فقالوا : بلى شهدنا عليكم بما أقررتم به على أنفسكم . وفى مكان آخر : « وأشهدهم على أنفسهم ، أى : أشهد بعضهم على بعض بإقرارهم بذلك . ويقول المرتضى فى أماليه . « وقد ظن بعض من لا بصيرة له ، ولا فطنة عنده أن تأويل هذه الآية أن الله استخرج من ظهر آدم جميع ذريته ، وهم فى خلق النور ، فقرروهم بمعرفته ، وأشهدهم على أنفسهم وهذا التأويل مع أن العقل يبطله ويحيله عما يشهد ظاهر القرآن بخلافه ، لأن الله تعالى قال : وإذ أخذ ربك من بنى آدم ، ولم يقل . من آدم ، وقال : من ظهورهم ، ولم يقل : من ظهره ، وقال : ذريتهم ، ولم يقل . ذريته ، ثم أخبر تعالى بأنه ==

باغ بالبنيان إلى موضع الركن ، فأخبره عن الركن فيه ، ودله على موضعه (١) منه ،
وانتبه من ههنا إلى الحكمة في أن سوّده خطايا بني آدم دون غيره من حجارة
الكعبة وأستارها ، وذلك أن العهد الذي فيه هي الفطرة التي فطر الناس عليها
من توحيد الله ، فكل مولود يولد على تلك الفطرة ، وعلى ذلك الميثاق ، فلولا أن
أبويه يهودانه وينصرّانه ويمجّسانه ، حتى يسودّ قلبه بالشرك ، لما حال عن
العهد ، فقد صار قلب ابن آدم محلاً لذلك العهد والميثاق ، وصار الحجر محلاً لما
كتب فيه من ذلك العهد والميثاق ، فتناسبا ، فأسودّ من الخطايا قلب ابن آدم
بعدما كان ولد عليه من ذلك العهد ، واسود الحجر بعد ابيضاضه ، وكانت
الخطايا سببا في ذلك حكمته من الله سبحانه ، فهذا ما ذكر في بنيان الكعبة
ملخصا ، منه ما ذكر المأوردى ، ومنه ما ذكره الطبري ، ومنه ما وقع في كتاب
التمهيد لأبي عمر ، ونبد أخذتها من كتاب فضائل مكة لرزين بن معاوية ، ومن
كتاب أبي الوليد الأزرق في أخبار مكة ، ومن أحاديث في المسندات المروية ،
وسنورد في باقي الحديث بعض ما باغنا في ذلك مستعينين بالله . وأما الركن

= فعل ذلك ، لئلا يقولوا : إنهم كانوا عن هذا غافلين ، أو يعتذروا بشرك آبائهم ،
وأنهم نشموا على دينهم وسنتهم ، وهذا يقتضى أن الآية لم تتناول ولد آدم لصلبه ،
وأنها تناولت من كان له آباء مشركون ، وهذا يدل على اختصاصها ببعض ولد
آدم ، فهذه شهادة الظاهر بطلان تأويله ، ثم استشهد بدليل عقلي على بطلانه
أيضا . واستدل ببعض النقول الصحيحة ، انظر ص ٢٠ وما بعدها ط ١

(١) لست أدري — والسهيل رجل كبير العقل — كيف يردد هذه الاساطير

اليماني فسُمي باليماني - فيما ذكر القَتَبِيُّ - لأن رجلا من اليمين بناه اسمه : أُبَيُّ بن سالم وأنشد :

لنا الركنُ من بيتِ الحرامِ ورائةً بقيةً ما أبقي أُبَيُّ بنُ سالم

مول بناء المسجد الحرام :

وأما المسجدُ الحرامُ فأول من بناه عمر بن الخطاب ، وذلك أن الناس ضيقوا على الكعبة ، وألصقوا دورهم بها ، فقال عمر : إن الكعبة بيت الله ، ولا بد للبيت من فناء ، وإنكم دخلتم عليها ، ولم تدخل عليكم ، فاشتري تلك الدورَ من أهلها وهدمها ، وبنى المسجدَ المحيطَ بها ، ثم كان عثمان ، فاشتري دورا أخرى ، وأغلى في ثمنها ، وزاد في سعة المسجد فلما كان ابنُ الزبير زاد في إنقائه ، لافى سَعَتَهُ ، وجعل فيه عمداً من الرُخَامِ ، وزاد في أبوابه ، وحسَّنَها ، فلما كان عبد الملك بن مروان زاد في ارتفاع حائطِ المسجد ، وحمل إليه السَّوَارِي في البحر إلى جُدَّةَ ، واحتملت من جُدَّةَ على العجل إلى مكة ، وأمر الحجاج بن يوسف فكساها الديباجَ ، وقد كنا قدَّمنا أن ابنَ الزبير كساها الديباجَ قبل الحجاج ، ذكره الزبير بن بكار ، وذكرنا أيضا أن خالد بن جعفر بن كلابٍ ممن كساها الديباجَ قبل الإسلام ، ثم كان الوليدُ بن عبد الملك ، فزاد في حُلِيِّها ، وصرف في مِيزَابِها وسَقْفِها ما كان في مائدة سليمان بن داود عليهما السلام من ذهبٍ وفضةٍ ، وكانت قد احتملت إليه من طُلَيْطَلَةَ من جزيرة الأندلس ، وكانت لها أطواقٌ من ياقوتٍ وزبرجدٍ ، وكانت قد احتملت على بغل قوى فتفسَّخَ تحتها ، فضرَبَ منها الوليدُ حِلِيَةَ

للكعبة ، فلما كان أبو جعفر المنصور وابنه محمد المهدي زاد أيضا في إتيان المسجد ، وتحسين هيئته ، ولم يحدث فيه بعد ذلك عملٌ إلى الآن . وفي اشتراء عمر وعثمان الدور التي زادا فيها دليلٌ على أن رباع أهل مكة ملكٌ لأهلها ، يتصرفون فيها بالبيع والشراء إذا شاءوا ، وفي ذلك اختلاف .

كنز الكعبة والتجار القبطي :

فصل : وذكر ابن إسحاق دويكاً الذي سرق كنز الكعبة ، وتقدم أن سارقاً سرق من مالها في زمن جرهم ، وأنه دخل البئر التي فيها كنزها فسقط عليه حجر فخبس فيها ، حتى أخرج منها ، وانزع المال منه ، ثم بعث الله حيّة لها رأس كراس الجدي ، بيضاء البطن سوداء العنق ، فكانت في بئر الكعبة خمسمائة عام فيما ذكر رزين ، وهي التي ذكرها ابن إسحاق ، وكان لا يدنو أحدٌ من بئر الكعبة إلا اخزألت^(١) أي : رفعت ذنبها ، وكسّت أي : صوّتت^(٢) . وذكر ابن إسحاق أن سفينة رماها البحر إلى جدة ، فتحطمت ، وذكر غيره عن ابن منيّة أن سفينة خجّتها الريح إلى الشعبية ، وهو مرفأ السفن من ساحل بحر الحجاز ، وهو كان مرفأ مكة ومرسى سفنها قبل جدة . والشعبية بضم الشين ذكره البكري ، وفسر الخطابي خجّتها : أي دفعها بقوة ، من الريح الخججوج أي : الدفوع .

(١) في الأصل ، وفي شرح السيرة للخشي : اخزألت بالخاء ، وهو خطأ صوبته من نسخ أخزى للسيرة ومن اللسان والقاموس .
(٢) وللخشي : الكشيش صوت جلدها إذا تقبض بعضه في بعض . وفيه السيرة . تشرق : أي تبرز للشمس .

قال ابن إسحاق : وكان بمكة نجار قبطى ، وذکر غيره أنه كان عابجا (١)
فى السفينة التى خبّتها الريحُ إلى الشَّعْبِيَّة ، وأن اسمَ ذلك النجار : يا قوم (٢)
وكذلك روى أيضا فى اسم النجار الذى عمل منبر رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - من طَرَفَاء الغابة ، ولعله أن يكون هذا ، فالله أعلم .

الحبة والدابة :

فصل : وذکر خبر العُقَابِ ، أو الطائر الذى اختطف الحية من بئر الكعبة ،
وقال غيره : طرحها الطائر بالحجّونِ ، فالتصمتها الأرض . وقال محمد بن الحسن
المقرئ هذا القول ، ثم قال : وهى الدابة التى تكلم الناس قبل يوم القيامة ،
واسمها : أَقْصَى ، فيما ذَكَر ، ومحمد بن الحسن المقرئ هو النَّقَّاشُ ، وهو من
أهل العلم - والله أعلم بصحة ما قال ، غير أنه قد روى فى حديث آخر أن موسى
عليه السلام سأل ربّه أن يُريّه الدابة التى تُكَلِّمُ الناسَ ، فأخرجها له من
الأرض ، فرأى منظرا هالكا وأفرغه ، فقال : أَى رَبِّ : رُدَّهَا ، فَرَدَّهَا (٣) .

لم نزع :

وذکر ابن إسحاق حديثَ الحَجَرِ الذى أُخِذَ من الكعبة ، فوثب من يده
أخذه ، حتى عاد إلى موضعه ، وقال غيره : ضربوا بالأمّول فى حجر من أحجارها ،

(١) الرجل من كفار العجم .

(٢) وقيل . يا قوم أوبا قول . وقد سبق وانظر ص ٦٣ شرح
السيرة للخشنى .

(٣) لا يروى فى حقيقة صفات الدابة حديث يعتد به . والدابة تطلق على الإنسان .
فلنقف عند القرآن والنقاش بكذب ويروى المناكير وليس فى تفسيره حديث صحيح .

فلمعت برقة كادت تخطف أبصارهم ، وأخذ رجل منهم حجرا ، فطار من يده ،
وعاد إلى موضعه . وذكر ابن إسحاق قولهم : اللهم لم ترع ، وهى كلمة يقال
عند تسكين الرّوع ، والتأنيس ، وإظهار اللين والبر في القول ، ولاروع في هذا
الموطن فيُنْفَى ، ولكن الكلمة تقتضى إظهار قصد البر ؛ فذلك تكلموا بها ،
وعلى هذا يجوز التكلم بها في الإسلام ، وإن كان فيها ذكر الرّوع الذى هو
مُحال في حق البارئ تعالى ، ولكن لما كان المقصود ما ذكرنا ، جاز النطقُ
بها (١) ، وسيأتى في هذا الكتاب إن شاء الله زيادة بيان عند قوله : فاغفر فداءً
لك ما اقتنينا .

ويروى أيضاً : اللهم لم ترع ، وهو جلي لا يشكل .

من تفسير صبر أبي لرب : وذكر قولهم : لا تُدْخِلُوا في هذا البيت مهر
بغى وهى الزانية ، وهى فعول من البغاء ، فاندغمت الواو فى الياء ، ولا يجوز
عندهم أن يكون على وزن فعيل ، لأن فعيلاً بمعنى : فاعل يكون بالهاء فى المؤنث
كرحيمة وكريمة . وإنما يكون بغير هاء إذا كان فى معنى : مفعول نحو :
امرأة جريح وقتيل .

وقوله : ولا بيع رباً يدل على أن الربا كان محرماً عليهم فى الجاهلية ، كما
كان الظلم والبغاء ، وهو الزنا محرماً عليهم ، يعلمون ذلك ببقية من بقايا شرع

(١) الرّوع : الفزع ، ولا يجوز مطلقاً نسبته إلى الله ، ثم لأنه لم يرد قول صحيح
عن النبي صلى الله عليه وسلم فى هذا . وفى شرح الزرقاني على المواهب : اللهم لم
ترع . أى : لم تفرع الكعبة ، فأضمرها لتقدم ذكرها ، وهذا أولى من إعادة
السهيل الضمير لله ، وهو نقد حق ، وهو رأى الحشنى فى شرحه للسيرة . هذا إن
كان للحديث سند صحيح .

إبراهيم عليه السلام ، كما كان بقي فيهم الحجُّ والعُمرة وشيء من أحكام الطلاق والعِتق وغير ذلك . وفي قوله سبحانه : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۚ ﴾ البقرة : ٢٧٥ دليل على تقدم التحريم .

الحجر النوى كله مكتوباً :

فصل : وذكر الحجر الذي وجد مكتوباً في الكعبة ، وفيه : أنا الله ذوبكة . لحديث . روى مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ فِي الْجَامِعِ عَنْ الزَّهْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّ قُرَيْشًا حِينَ بَنَوْا الْكُعْبَةَ ، وَجَدُوا فِيهَا حَجَرًا ، وَفِيهِ ثَلَاثَةُ صُفُوحٍ (١) فِي الصَّفْحِ الْأَوَّلِ : أَنَا اللَّهُ ذُوبَكَّةُ صُفْتُهَا يَوْمَ صُفْتُ (٢) الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ إِلَى آخِرِ كَلَامِ بْنِ إِسْحَاقَ ، وَفِي الصَّفْحِ الثَّانِي : أَنَا اللَّهُ ذُوبَكَّةُ ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ ، وَاسْتَمْتُ لَهَا اسْمًا مِنْ أَسْمَى ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتَهُ ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَدَّثَهُ ، وَفِي الصَّفْحِ الثَّلَاثِ : أَنَا اللَّهُ ذُوبَكَّةُ (٣) ، خَلَقْتُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ ، فُطُوْبِي لِمَنْ كَانَ الْخَيْرَ عَلَى يَدَيْهِ ، وَوَيْلٌ لِمَنْ كَانَ الشَّرَّ عَلَى يَدَيْهِ ، وَفِي حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ : لَا يُحِثُّهَا أَوْلُ مِنْ أَهْلِهَا ، يَرِيدُ - وَاللَّهِ أَعْلَمُ - مَا كَانَ مِنْ اسْتِحْلَالِ قُرَيْشٍ الْقِتَالِ .

(١) فِي الْبَدَايَةِ وَأَصْفَحَ ، وَهُوَ أَنْسَبُ وَصْفَةٍ الشَّيْءِ : جَانِبُهُ

(٢) . فِي الْبَدَايَةِ : صَنَعْتُهَا وَهُوَ يَنْاسِبُ رَوَايَةَ : خَلَقْتُهَا الَّتِي فِي السَّيْرَةِ

(٣) فِي الْبَدَايَةِ : «إِنِّي أَنَا اللَّهُ ، فِي جَمِيعِ الْمَوَاضِعِ . وَالْقِصَّةُ وَلَا شَكَّ مَصْنُوعَةٌ . وَوَرَاءَ بَعْضِهَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، فَقِيًّا ذَكَرَ السَّهْلِيُّ وَابْنُ هَشَامٍ مَا يَدُلُّ عَلَى هَذِهِ النِّسْبَةِ . وَإِنْ كَانَتْ كَلِمَاتٌ حَقٌّ . فَقِيَ الْإِصْحَاحُ الْخَامِسُ وَالسَّادِسُ وَالسَّابِعُ مِنْ إِنْجِيلِ مَتَّى بِبَعْضِ كَلِمَاتِهِ . أَمَا قَوْلُهُ : « خَلَقْتُ الرَّحِمَ » - إِلَى تَبَتُّهِ ، لِحَدِيثِ رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيِّ « أَنَا اللَّهُ وَأَنَا الرَّحْمَنُ ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا مِنْ أَسْمَى ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتَهُ وَمَنْ قَطَعَهَا بَدَّثَهُ » ،

فيها أيام ابن الزبير ، وحُصَيْن بن مُخَيْرٍ ثم الحجاج بعده ، ولذلك قال ابن أبي ربيعة :

ألا مَنْ لَقِبَ مُعَنَّى غَزَلٍ يُحِبُّ الْمُحِلَّةَ أُخْتِ الْمُحِلِّ

يعنى بالحل : عبد الله بن الزبير لقتاله في الحرم .

مول الحُجْر الأسود وقواعد البيت :

فصل : وذكر اختلافهم في وضع الركن ، وأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو الذي وضعه بيده ، وذكر غيره أن إبليس كان معهم في صورة شيخ نَجْدِيٍّ ، وأنه صاح بأعلى صوته : يامعشر قريش : أرضيتم أن يضع هذا الركن ، وهو شرفكم غلامٌ يتيمٌ دون ذوى أسنانكم ، فسكاد يثير شرًّا فيما بينهم ، ثم سكنوا ذلك . وأما وضع الركن حين بُنيت الكعبة في أيام ابن الزبير ، فوضعه في الموضع الذي هو فيه الآن حمزة بن عبد الله بن الزبير ، وأبوه يصلى بالناس في المسجد اغتم شغل الناس عنه بالصلاة لما أحسن منهم التنافس في ذلك ، وخاف الخلاف ، فأقره أبوه . ذكر ذلك الزبير بن أبي بكر . وذكر ابن إسحق أيضًا أنهم أفضوا إلى قواعد البيت ، وإذا هي خُضْرٌ كالأسنمة ، وليست هذه رواية السيرة ، إنما الصحيح في الكتاب : كالأسنة ، وهو وهم من بعض النقلة عن ابن إسحق والله أعلم ؛ فإنه لا يوجد في غير هذا الكتاب بهذا اللفظ لا عند الواقدي ولا غيره ، وقد ذكر البخاري في بنیان الكعبة هذا الخبر ، فقال فيه عن يزيد بن رومان : فنظرت إليها ، فإذا هي كأسنمة الإبل ، وتشبيهها بالأسنة لا يشبه إلا في الزرقة ، وتشبيهها بأسنمة

الإبل أولى ، لعظمها ، ولما تقدم في حديث بنيان الملائكة لها قبل هذا (١) .

سهر الزبير بن عبد المطلب :

فصل : وذكر شعر الزبير بن عبد المطلب : عجبت لما تصوّبت العقاب . إلى قوله : تتلّبت لها انصباب . قوله : تتلّبت ، يقال : اتلّبت على طريقه إذا لم يُعرج يَمْنَةً (٢) ولايسرة ، وكأنه منجّوت من أصلين كما تقدم في مثل هذا من تلا : إذا تبع ، وألب : إذا أقام ، وأبّ أيضاً قريب من هذا المعنى . يقال : أبّ إجابة - من كتاب العين - إذا استقام وتها ، فكانه مُقيم مُستمر على ما يتاوه ويتبعه مما هو بسبيله ، والاسم من اتلّبت : التلايبة على على وزن الظمانينة والقشعريرة ، قاله أبو عبيد .

وقوله : وليس على مُسوّينا ثياب . أى : مُسوّى البنيان . وهو في

(١) عند أبي ذر الخشني في تفسير تشبيهها بالاسنة . وأراد أن الحجارة دخل بعضها في بعض كما تدخل عظام السنام بعضها في بعض ، ومن رواه كالاسنة فهو جمع سنان الرمح شبهها بالاسنة في الخضرة ، وفي القصيدة البائية في السيرة . الذوائب : يريد الانساب الكريمة . والسيائب : جمع سبيبة وهي ثياب رفاق بيض فُتِبه الشحم الذي يملأ الجفان بها . عن الخشني ، والحطيم : سمي حطيماً ؛ لأن الناس يزدحون فيه ، حتى يحطم بعضهم بعضاً ، وقيل : لأن الثياب كانت تجرد فيه عند الطواف . وذومكة : اسم المسجد ، ومكة : اسم البلدة . تحاوزوا : انحازت كل قبيلة إلى جهة . هلم إلى ثوبا : هي كلمة سمي بها الفعل . ومعناه : أقبّلوا إلينا تتائب : تتابع في انقضاءها

(٢) وفي القاموس : استقام وانتصب

حديث الخمس

قال ابن إسحاق : وقد كانت قُرَيْش - لا أدري أقبَل القيل أم بعده - ابتدعت رأى الخمس رأياً رَأَوْهُ وأَدَارُوهُ ، فقالوا : نحن بنو إبراهيم ، وأهل الحُرمة ، وولاية البيت ، وقُطَّان مكة وساكنها ، فليس لأحدٍ من العرب مثلُ حَقِّنَا ، ولا مثلُ منزلتنا ، ولا تَعْرِفُ له العربُ مثلَ ما تعرف لنا ، فلا تعظموا شيئاً من الحِلِّ كما تعظمون الحرم ، فإنكم إن فعلتم ذلك استخفت العربُ بِحُرْمَتِكُمْ ، وقالوا : قد عَظَّمُوا من الحِلِّ مثل ما عظموا من الحرم . فتركوا الوقوفَ على عَرَفَةَ ، والإفاضة منها ، وهم يَعْرِفُونَ وَيُقَرِّونَ أنها من المشاعر والحجِّ ودين إبراهيم - صلى الله عليه وسلم - وَيَرَوْنَ لسائر العرب أن يُفِيضُوا منها ، إلا أنهم قالوا : نحن أهلُ الحَرَمِ ، فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحُرمة ، ولا نعظم غيرها ، كما نُعَظِّمُ نحن الخمس ، والخمس : أهلُ الحرم ، ثم جاءوا لمن وَلَدُوا من العرب من ساكنِ الحِلِّ والحَرَمِ مثلَ الذي لهم ، بولادتهم إياهم ، يحلُّ لهم ما يحلُّ لهم ، ويَحْرُمُ عليهم ما يَحْرُمُ عليهم . وكانت كُنَانَةُ وَخَزَاعَةُ قد دخلوا معهم في ذلك .

قال ابن هشام : وحدثني أبو عُبَيْدَةَ النخعي : أن بني عامر بن صعصعة معاوية بن بكر بن هوازن دخلوا معهم في ذلك ، وأنشدني لعمرو بن معد يكرب :

معنى الحديث الصحيح في نقلهم الحجارة إلى السكبة أنهم كانوا ينقلونها عُرَاءً ، ويرون ذلك دِيناً ، وأنه من باب التَّشْمِيرِ والجِدِّ في الطاعة . وقول ابن هشام : ويروى : مَسَاوِينَا ، يريد : السَّوَاءَاتِ ، فهو جمع مَسَاءَةٍ ، مفعلة من السَّوَاءِ والأصل مَسَاوِيءٌ ، فسهلت الهمزة .

أَعْبَاسُ لَوْ كَانَتْ شِيَاراً جِيَادُنَا بَتَثْلِيثَ مَا نَاصَبْتَ بَعْدِي الْأَحَامِسُ

قال ابن هشام : تثلث : موضع من بلادهم . والشَّيار : الحسان . يعنى بالأحامس :
بنى عامر بن صعصعة . وبعباس : عباس بن مرداس الشَّلمى ، وكان أغار
على بنى زُبَيْد بتثلث . وهذا البيت فى قصيدة لعمرؤ .

وَأُنْشَدْنِي لِلْقَيْطِ بْنِ زُرَّارَةَ الدَّارِمِ فِي يَوْمِ جَبَلَةَ :

أَجْذِمُ إِلَيْكَ إِنَّمَا بَنُو عَبْسٍ الْمَعَشَرُ الْجِلَّةُ فِي الْقَوْمِ الْحَسْرِ

لأن بنى عبس كانوا يوم جَبَلَةَ حُلَفَاءَ فِي بَنِي عامر بن صعصعة .

ويومُ جَبَلَةَ : يومٌ كان بين بنى حَنْظَلَةَ بن مالك بن زيد مَنَاةَ بن تَمِيمَ ،
وبين بنى عامر بن صعصعة ، فكان الظَّفَرُ فيه لِبَنِي عامر بن صعصعة على بنى
حَنْظَلَةَ ، وَقُتِلَ يَوْمَئِذٍ لَقَيْطُ بْنُ زُرَّارَةَ بن عُدُسَ ، وَأُسِرَ حَاجِبُ بْنُ زُرَّارَةَ بن
عُدُسَ ، وانهزم عمرو بن عمرو بن عُدُسَ بن زيد بن عبد الله بن دارِمَ بن
مالك بن حَنْظَلَةَ . ففيه يقول جرير للفرزدق :

كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ لَقَيْطًا وَحَاجِبًا وَعَمَرَ بْنَ عَمْرِو إِذْ دَعَوْا بِالْدَّارِمِ

وهذا البيت فى قصيدة له :

نَمِ التَّقْوَا يَوْمَ ذِي نَجَبٍ فَكَانَ الظَّفَرُ لِحَنْظَلَةَ عَلَى بَنِي عامر ، وَقُتِلَ
يَوْمَئِذٍ حَسَّانُ بْنُ مُعَاوِيَةَ الْكِنْدِيُّ ، وَهُوَ أَبُو كَبْشَةَ . وَأُسِرَ يَزِيدُ بْنُ الصَّمْعِ

السكلابي، وانهزم الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب، أبو عامر بن الطفيل .
ففيه يقول الفرزدق :

ومنهنّ إذ نجى طفيل بن مالك على قوزل رجلا ركوض الهزائم
ونحن ضربنا هامة ابن خويلد يزيد على أم النراخ الجوائم
وهذان البيتان في قصيدة له :

فقال جرير :

ونحن خضبتنا لابن كنبشة ناجة ولاقى امرأ في ضمة الخيل مصقما
وهذا البيت في قصيدة له .

وحديث يوم جبة ، ويوم ذى نجب أطول مما ذكرنا . وإنما منعى من
استقصائه ما ذكرت في حديث يوم الفجار .

قال ابن إسحاق : ثم ابتدعوا في ذلك أمورا لم تكن لهم ، حتى قالوا :
لا ينبغي للحُمس أن يأتقوا الأقط ، ولا يسئلوا السمن وهم حُرُم ، ولا يدخلوا
بيتا من شعير ، ولا يستظلوا - إن استظلوا - إلا في بيوت الأدم ما كانوا
حُرُمًا ، ثم رفعوا في ذلك ، فقالوا : لا ينبغي لأهل الحِل أن يأكلوا من طعام
جاءوا به معهم من الحِل إلى الحرم إذا جاءوا حُجَّاجًا أو عُمَّارًا ، ولا يطوفوا
بالبيت إذا قَدِموا أول طوافهم إلا في ثياب الحُمس . فإن لم يجدوا منها شيئا
طافوا بالبِيت عُرَّةً ، فإن تَكَرَّم منهم مُتَكَرِّمٌ من رجل أو امرأة ، ولم يجد

ثياب الحُمس . فطاف في ثيابه التي جاء بها من الحِلِّ ، ألقاها إذا فرغ من طوافه ، ثم لم ينتفع بها ، ولم يمسّها هو ، ولا أحدٌ غيره أبداً .

وكانت العرب تسمى تلك الثياب : الآتَى ، فحملوا على ذلك العربَ . فدانت به ، ووقفوا على عرفات ، وأفاضوا منها ، وطافوا بالبيت عُرَاءً ، أمّا الرجال فيطوفون عراة . وأمّا النساء فتضع إحداهنّ ثيابها كلّها إلا درعاً مُفَرَّجاً عليها ، ثم تطوف فيه ، فقالت امرأة من العرب ، وهى كذلك تطوف بالبيت :

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ ، أَوْ كُلُّهُ وَمَا بَدَأَ مِنْهُ فَلَا أُحِلُّهُ

وَمَنْ طَافَ مِنْهُمْ فِي ثِيَابِهِ الَّتِي جَاءَ فِيهَا مِنَ الْحِلِّ أَلْقَاهَا ، فَلَمْ يَنْتَفِعْ بِهَا هُوَ وَلَا غَيْرُهُ ، فَقَالَ قَائِلٌ مِنَ الْعَرَبِ يَذْكُرُ شَيْئاً تَرَكَهُ مِنْ ثِيَابِهِ ، فَلَا يَقْرُبُهُ - وَهُوَ يُحِبُّهُ - :

كَفَى حَزْناً كَرَّمَى عَلَيْهَا كَأْنُهَا لِقَى بَيْنَ أَبْدَى الطَّائِفِينَ حَرِيمُ
يَقُولُ : لَا تُمَسُّ .

فكانوا كذلك حتى بعث الله تعالى محمداً - صلى الله عليه وسلم - فأنزل عليه حين أحكم له دينه . وشرع له سنن حجّه : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ . إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ البقرة : ١٩٩ . يعنى قرىشا ، والناس : العرب ، فرفعهم في سنة الحج إلى عرفات ، والوقوف عليها والإفاضة منها ،

وأنزل الله عليه فيما كانوا حَرَّمُوا عَلَى النَّاسِ مِنْ طَعَامِهِمْ وَلِبَاسِهِمْ عِنْدَ الْبَيْتِ . حِينَ طَافُوا عُرَاءً ، وَحَرَّمُوا مَا جَاءُوا بِهِ مِنَ الْحِلِّ مِنَ الطَّعَامِ : « يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ، وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا . إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ . قُلْ : مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ . قُلْ : هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ . كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » الْأَعْرَافُ : ٣١ : ٣٣ . فَوَضَعَ اللَّهُ تَعَالَى أَمْرَ الْحُمْسِ ، وَمَا كَانَتْ قُرَيْشٌ ابْتَدَعَتْ مِنْهُ ، عَنْ النَّاسِ بِالْإِسْلَامِ ، حِينَ بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

قال ابن إسحاق : حدثني عبدُ الله بنُ أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن عثمان بن أبي سُلَيْمَانَ بن جُبَيْر بن مُطْعِمٍ ، عَنْ عَمِّهِ نَافِعِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ أَبِيهِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ . قَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ ، وَإِنَّهُ لَوَاقِفٌ عَلَى بَعِيرٍ لَهُ بَعْرَفَاتٌ مَعَ النَّاسِ مِنْ بَيْنِ قَوْمِهِ حَتَّى يَذْفَعَ مَعَهُمْ مِنْهَا تَوْفِيقًا مِنَ اللَّهِ لَهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

الحُمْسُ

فصل : وذكر الحُمْسَ ، وما ابتدعته قُرَيْشٌ فِي ذَلِكَ ، وَالتَّحْمُسَ : التَّشَدُّدَ ، وَكَانُوا قَدْ ذَهَبُوا فِي ذَلِكَ مَذْهَبَ التَّزْهُّدِ وَالتَّأَلُّهِ (١) ، فَكَانَتْ نِسَاؤُهُمْ

(١) فِي الْبَدَايَةِ أَنَّهُمْ لَقَبُوا بِهَذَا مِنَ الشَّدَةِ فِي الدِّينِ وَالصَّلَابَةِ ، لِأَنَّهُمْ عَظَمُوا الْحَرَّمَ تَعْظِيمًا زَائِدًا بِحَيْثُ التَّزَمُوا بِسَبِيهِ أَلَّا يَخْرُجُوا مِنْ لَيْلَةٍ عَرَفَةٍ . . فَكَانُوا لَا يَقِفُونَ بِعَرَفَاتٍ مَعَهُمْ أَنَّهُمْ مِنْ مَشَاعِرِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، حَتَّى لَا يَخْرُجُوا عَنْ نِظَامِ مَا كَانُوا قَرَرُوهُ مِنَ الْبِدْعَةِ الْفَاسِدَةِ

لَا يَنْسُجَنَّ الشَّعَرَ وَلَا الْوَبَرَ، وَكَانُوا لَا يَسْلُثُونَ السَّمْنَ، وَسَلَّ السَّمْنَ أَنْ
يُطْبَخَ الزُّبْدُ، حَتَّى يَصِيرَ سَمْنًا، قَالَ أَبِرْهَة :

إِنْ لَنَا صِرْمَةٌ مُحْيِيَّةٌ نَشْرَبُ أَلْبَانَهَا وَنَسَلُّوْهَا (١)

ذكر قول ابن معد يكرب : أعباسُ لو كانت شياراً جِيادُنا . البيت :
شياراً من الشارة الحسفة يعنى : سماناً حساناً وبعد البيت :

وَلَسَكُنْهَا قِيدَتْ بِصَعْدَةٍ مَرَّةً فَأَصْبَحْنَا مَائِشِينَ إِلَّا تَكَارُسًا (٢)

وَأَشْدُ أَيْضًا : أَجْذِمُ إِلَيْكَ إِنَّهَا بَنُو عَبَسَ (٣) . أَجْذِمُ : زَجَرٌ
معروفٌ للخيول وكذلك : أَرْحَبُ ، وَهَبٌ وَهَقَطٌ وَهَقَطٌ وَهَقَبٌ (٤) .

(١) صرمة بكسر الصاد: الإبل. مخيسة: لم تشرح ، وإنما حُبِستَ للنحر أو القسم
(٢) تَكَارُسُ الشَّىءِ : تَوَاقَمُ وَتَلَازِبُ ، وَنَاصَبَتْ فِي الْبَيْتِ الَّذِي قَبْلَهُ فِي السَّيْرِ
بِالْيَاءِ وَالْبَاءِ مَعًا — كَمَا يَقُولُ الْخَشَنِيُّ — مَعْنَاهَا وَهِيَ بِالْيَاءِ : عَارِضَتْ ، وَأَرَدَتْ
الْمَسَاوَاةَ فِي الْمَنْزِلَةِ ، وَقَدْ يَكُونُ نَاصَبَتْ : بِمَعْنَى لِمُظَاهَارِ الْعَدَاوَةِ ، وَتَثْلِيثُ
مَوْضِعٍ بِالْحِجَازِ قَرَبَ مَكَّةَ

(٣) فِي السَّيْرِ : دِ الْمَعْشَرِ الْجَلَّةِ ، الْجَلَّةُ : الْعِظَاءُ ، وَمَنْ رَوَاهُ الْجَلَّةُ ، فَمَعْنَاهُ الَّذِينَ
يَسْكُنُونَ الْحُلَّ ، وَفِي رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ الْمَعْشَمُ — وَزَنْ مَقْعَدٌ — بَدَلًا مِنْ مَعْشَرٍ

(٤) هَقَطُ : تَكَرَّرَ مِنَ الطَّبْعِ ، وَفِي اللِّسَانِ : أَرْحَبِي أَيْضًا ، وَلَمْ أَجِدْ فِي مَادَّةِ
هَبٍ إِلَّا دَهَبَ إِذَا زَجَرَ ، وَفِي مَادَّةِ رَحَبٍ رَوَى بَيْتُ السَّكَيْتِ بْنِ مَعْرُوفٍ
نَعَلَهَا هَبِي وَهَلَا وَأَرْحَبِي وَفِي أَيْبَاتِنَا وَلَنَا افْتَلَيْنَا

يوم جبلة :

وذكر يوم جبلة . وجبلة^(١) هضبة عالية ، كانوا قد أحرزوا فيها عيالهم وأموالهم ، وكان معهم في ذلك اليوم رئيسُ نجرانَ ، وهو ابنُ الجونِ الكنديِّ وأخُ للنعمانِ بنِ المنذر ، أحسب اسمه : حسانَ بنَ وَبَرَةَ ، وهو أخو النعمانِ لأُمِّه ، وفي أيام جبلة كان مولدُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولثنتين وأربعين سنةً من ملك أنوشروانَ بن قباد ، وكان مولد أبيه عبد الله لأربع وعشرين مَضَتْ من ملك أنوشروان المذكور ، فبينه - عليه السلام - وبين أبيه عبد الله نحو من ثمانِ عشرة سنة .

عرس والمخز والطلس :

وذكر زُرارة بن عُدُس بن زيد ، وهو : عُدُس بضم الدال عند جميعهم إلا أبا عبيدة ، فإنه كان يفتح الدال منه ، وكل عُدُسٍ في العرب سواء فإنه مفتوح الدال . وذكر الحلة وهم ماعدا الخمس ، وأنهم كانوا يطوفون عُرارة إن لم يجدوا ثيابَ أحمس ، وكانوا يَقْصِدُونَ في ذلك طَرَحَ الثياب التي اقترفوا فيها الذنوبَ عنهم ، ولم يذكر الطلس من العرب ، وهم صِنْفٌ ثالث غير الحلة ، والخمس كانوا يأتون من أقصى اليمن طُلُسا من الغبار ، فيطوفون بالبيت في تلك الثيابِ الطلسِ ، فسُمُّوا بذلك . ذكره محمد بن حبيب .

(١) في ٢٥ من نهاية الارب كلام طويل عن أيام العرب . وفيه عن يوم جبلة أنه كان قبل الإسلام بأربعين سنة ، وفي الأغاني بتسع وخمسين سنة ، وفي النقائص بسبع وخمسين . وأم الفراعخ : الرماح . الجوائم : الساكنة اللاطئة مع الارض ، وسيأتى تفسير السهيل لهما ، وهو مخالف للخشني

اللقى :

فصل : وذكر اللقى وهو الثوب الذى كان يُطْرَح بعد الطواف فلا يأخذه أحدٌ ، وأنشد :

كفى حَزَنَا كَرَّيْ عَالِيهِ كَأَنَّهُ لَقِيَ بَيْنَ أَيْدِي الطَّائِفِينَ حَرِيمٌ
حريم : أى مُحَرَّم ، لا يؤخذ ، ولا ينتفع به ، وكل شئ مُطْرَح ، فهو لَقَى .
قال الشاعر يصف فرخ قَطَاً :

تَرَوِى أُنْقَى الْقَى فِي مَنَصَفٍ (١) تَضْهُرُهُ الشَّمْسُ ، فَمَا يَنْصَحِرُ

تَرَوِى بفتح التاء أى : تَسْتَقِى لَهُ ، ومن اللقى : حديث فاختة أم حكيم
ابن حزام ، وكانت دَخَلَتِ السَّكْبَةَ وهى حامل مُتِمَّةً بِحَكِيمِ بْنِ حَزَامٍ ، فَأَجَاءَهَا
الْمَخَاضُ ، فَلَمْ تَسْتَطِعْ الْخُرُوجَ مِنَ السَّكْبَةِ ، فَوَضَعَتْ فِيهَا ، فَلَفَّتْ فِي الْأَنْطَاعِ
هِيَ وَجَنِينُهَا ، وَطَرِحَ مَشْرِهُهَا (٢) وَثِيَابُهَا الَّتِي كَانَتْ عَالِيَهَا ، فَجُعِلَتْ لَقَى
لأنه تقرب .

رمز المرأة الطائفة :

فصل : وذكر قول المرأة : اليوم يبدو بعضه ، أو كله (٣) البيتين ويذكر

(١) البيت لابن أحرر ، والصفصف : المستوى من الأرض

(٢) الموضع تلد فيه المرأة

(٣) فى مسلم والنسائى وابن جرير عن ابن عباس قال : كانوا يطوفون بالبيت
عراة الرجال والنساء . الرجال بالنهار والنساء بالليل ، وكانت المرأة تمول ،
ثم ذكر البيت : اليوم يبدو بعضه الخ

أن هذه المرأة ، هي ضُبَاعَة بنت عامر بن صَعَصَعَة ، ثم من بنى سَلَمَة بن قُشَيْر ،
وذكر محمد بن حبيب أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم خطبها ، فذكرت
له عنها كِبَرَة ، فتركها ، فقيل : إنها ماتت كمكداً وحُزنًا على ذلك قال المؤلف :
إن كان صحيح هذا ، فما أخرها عن أن تكون أمًّا للمؤمنين ، وزوجًا لرسول
رب العالمين إلا قولها : اليوم يبدو بعضه أو كله . تَكْرِمَة من الله لنبيه وعِلمه
منه بغيرته ، والله أَغْيَرُ منه .

أَسْطُورَة :

ومما ذكر من تَعَرَّيْهِمْ فِي الطَّوَافِ أَنْ رَجُلًا وَامْرَأَةً طَافَا كَذَلِكَ ،
فَانْفَضَّ الرَّجُلُ إِلَى الْمَرْأَةِ تَلَذُّذًا وَاسْتِمْتَاعًا ، فَاصْطَقَّ عَضْدُهُ بِعَضْدِهَا ، فَفَزَعَا عِنْدَ
ذَلِكَ ، وَخَرَجَا مِنَ الْمَسْجِدِ ، وَهُمَا مُلْتَصِقَانِ ، وَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدُهُمَا عَلَى فَلَكَ عَضْدِهِ
مِنْ عَضْدِهَا ، حَتَّى قَالَ لَهَا قَائِلٌ : تَوْبَا مِمَّا كُنْتَ فِي ضَمِيرِكَ ، وَأَخْلَصَا لِلَّهِ التَّوْبَةَ ،
فَفَعَلَا ، فَانْخَلَّ أَحَدُهُمَا مِنَ الْآخِرِ (١)

قُرْزُلٌ وَطِفِيلٌ :

وَأَشَدُّ لِلْفَرَزْدَقِ :

وَمِنْهُنَّ إِذْ نَجَى طُفَيْلٌ بْنُ مَالِكٍ عَلَى قُرْزُلٍ رَجُلًا رَكِبَهُ مِنَ الْهَزَانِمِ (٢)

قُرْزُلٌ : اسم فرسه ، وكان طفيل يسمى : فارس قُرْزُل ، وقُرْزُل : القيد
سمى الفرس به ، كأنه يتقيد ما يسابقه (٣) ، كما قال امرؤ القيس :

(١) هي أسطورة تروى .

(٢) في التقائض : أرخى : ورجل .

(٣) وله عدة معانٍ آخر .

بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ

وُطْفَيْلٌ هَذَا هُوَ : وَالِدُ عَامِرِ بْنِ الطَّفِيلِ ، عَدُوُّ اللَّهِ وَعَدُوُّ رَسُولِهِ ،
وَأَخُو طَفِيلِ هَذَا : عَامِرٌ مُلَاعِبُ الْأَسِنَّةِ ، وَسَنَدُ كَرِّ لَمْ تُسَمَّ مَلَاعِبُ ، وَنَذَكَرُ
بِإِخْوَتِهِ وَأَلْقَابِهِمْ فِي السِّكِّتَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

الرَّهَامَةُ :

وَقَوْلُهُ : عَلَى أُمِّ الْفِرَاحِ الْجَوَائِمِ . يَعْنِي : الْهَامَةُ ، وَهِيَ الْبُومُ ، وَكَانُوا
يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا قُتِلَ خَرَجَتْ مِنْ رَأْسِهِ هَامَةٌ تَصِيحُ : اسْقُونِي
اسْقُونِي ، حَتَّى يُؤْخَذَ بِثَأْرِهِ . قَالَ ذُو الْإِصْبَعِ الْقَمَدَوَانِي :
أَضْرِبْ بِكَ حَتَّى تَقُولَ الْهَامَةُ اسْقُونِي (١)

سَمِعْتُ بَيْتَ جَبْرِ :

فَصَل : وَأَنْشُدَ الْجَرِير :

وَنَحْنُ خَضَبْنَا لَابْنَ كَنْدَشَةَ تَاجَهُ وَلَاقَى أَمْرًا فِي ضَمَّةِ الْخِيلِ مِصْطَعًا

وَجَدْتُ فِي حَاشِيَةِ الشَّيْخِ أَبِي بَحْرٍ هَذَا الْبَيْتَ . الْمَعْرُوفُ فِي اللُّغَةِ أَنَّ - الْمِصْطَعَ :
الْخَطِيبُ الْبَاطِنُ ، وَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعُهُ ، لَكِنْ يُقَالُ فِي اللُّغَةِ : صَمَّعَهُ : إِذَا ضَرَبَهُ عَلَى
شَيْءٍ مُصَمَّتٍ يَابَسَ ، قَالَهُ الْأَصْمَعِيُّ ، فَيُشَبَّهُ أَنْ يَكُونَ مِصْطَعٌ فِي هَذَا الْبَيْتِ مِنْ

(١) الْبَيْتُ مِنْ مَيْمُونِ قَصَائِدِهِ ، وَالشُّطْرَةُ الْأُولَى مِنْهُ :

يَا عَمْرُو لَا تَدْعُ شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي

هذا المعنى ، فيقال منه : رجل مضطرب كما يقال : مضطرب وفي الحديث : إن سعدا لمضطرب^(١) ، يعني [ابن] أبي وقاص.

ما نزل من القرآن في أمر الخمس :

فصل : وذكر ما أنزل الله تعالى في أمر الخمس ، وهو قوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾ الآية . «الأعراف : ٣٠»
فقوله : وكُلُوا وَاشْرَبُوا إشارة إلى ما كانت الخمس حرمته من طعام الحج إلا طعام أحمس ، وخذوا زِينَتَكُمْ : يعني اللباس ، وَلَا تَتَعَرَّوْا ، ولذلك افتتح بقوله : يَا بَنِي آدَمَ ، بعد أن قص خبر آدم وزوجه ، إذ يُخَصِّفَانِ عليهما من وَرَقِ الجنة ،
أى : إن كنتم تحتجون بأنه دين آبائكم ، فآدم أبوكم ، ودينه : سترُ العورة ،
كما قال : ملة أبيكم إبراهيم ، أى : إن كانت عبادة الأصنام دين آبائكم ،
فإبراهيم أبوكم ، ولم يكن من المشركين ، ومما نزل في ذلك : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَامًا وَتَصَدِيكًا ﴾ الأنفال : ٣٥ . ففى التفسير أنهم كانوا يطوفون عُرَاةً ، ويصفقون بأيديهم ويصفقون ، فالسكاء : الصغير ، والتصدية : التصفيق^(٢) قال الراجز : وأنا من غرِّ الهوى أضدئ . ومما نزل من أمر الخمس : ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ﴾ البقرة : ١٨٩ .

(١) تتشابه ألفاظه هنا بالخشنى فى شرح السيرة . يقال : رجل حرب بفتح فسكون ، وحرب - بوزن منبر - ومحارب : شديد الحرب شجاع

(٢) رواه ابن أبى حاتم ، وقال مجاهد : وإنما كانوا يصنعون ذلك ، ليخلطوه بذلك على النبي ، ص ، صلاته . وقال الزهرى : يستهزئون بالمؤمنين

لأنَّ الحُمْسَ لَا يَدْخُلُونَ تَحْتَ سَقْفٍ ، وَلَا يَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ عَتَبَةُ بَابٍ وَلَا غَيْرَهَا ، فَإِنْ احتَاجَ أَحَدُهُمْ إِلَى حَاجَةٍ فِي دَارِهِ تَسْتَمُّ الْبَيْتَ مِنْ ظَهْرِهِ ، وَلَمْ يَدْخُلْ مِنَ الْبَابِ ، فَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ وَأَنْتُمْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ الْبَقَرَةُ : ١٨٩ (١) .

وقوف النبي بعرفة قبل الهجرة والنبوة :

وذكر وقوف النبي صلى الله عليه وسلم بعرفة مع الناس قبل الهجرة ، وقبل النبوة توفيقاً من الله ، حتى لا يفوته ثوابُ الحج ، والوقوف بعرفة . قال جبير بن مطعم حين رآه واقفاً بعرفة مع الناس : هذا رجل أحَسُّ ، فما به لا يقف مع الحُمْسِ حيث يقفون (٢) ؟ !

(١) في هذا ورد عن البراء في البخاري : « كانوا إذا أحرَمُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ اتَّوَا الْبَيْتَ مِنْ ظَهْرِهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : « وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا » ، وقال الحسن البصري : كان أقوام من أهل الجاهلية إذا أرادوا أحدهم سفراً ، وخرج من بيته يريد سفره الذي خرج له ، ثم بدا له بعد خروجه أن يقيم ، ويدع سفره لم يدخل البيت من بابه ، ولكن يتسوره من قبل ظهره ، فقال الله تعالى : « وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا » . الآية . أقول : وهذا أقرب إلى مفهوم الآية وكذلك ما ذكر عن عطاء بن أبي رباح : كان أهل يثرب إذا رجعوا من عيدهم دخلوا منازلهم من ظهورها ، ويرون أن ذلك أدنى إلى البر . وسورة البقرة مدنية . (٢) أخرج البخاري عن عائشة . قالت : كانت فريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة ، وكانوا يسمون : الحُمس ، وسائر العرب يقفون بعرفات ، فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه — صلى الله عليه وسلم — أن يأتي عرفات ، ثم يقف بها ، ثم يفيض منها ، فذلك قوله : « من حيث أفاض الناس » ، وكذا قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة والسدي وغيرهم ، واختاره ابن جرير ، وحكى عليه الإجماع =

إخبار الكهان من العرب ، والأخبار من يهود والرهبان من النصارى

قال ابن إسحاق : وكانت الأخبار من يهود ، والرهبان من النصارى ،
والكُهان من العرب ، قد تحدثوا بأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل
مبعثه ، لما تقارب من زمانه . أما الأخبار من يهود ، والرهبان من النصارى ،
فعمما وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه ، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم
فيه ، وأما الكُهان من العرب : فأتتهم به الشياطين من الجن فيما سترق من
السمع إذ كانت وهى لا تُحجب عن ذلك بالقذف بالنجوم ، وكان الكاهن
والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكْرُ بعضِ أموره ، لا تُلقى العرب لذلك فيه
بالأ ، حتى بعثه الله تعالى ، ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرون .
فعرفوها .

فلما تقارب أمرُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحضر مبعثه .
حُجبت الشياطين عن السَّمْع ؛ وحِيلَ بينها وبين المقاعد التي كانت تُمعد
لاستراق السمع فيها ، فرُموا بالنجوم ، فعرفت الجن أن ذلك لأمرٍ حدث من

== وأخرج الإمام أحمد عن جبير بن مطعم قال : أضللت بعيرى إلى بعرفة . فذهبت
أطلبه فإذا النبي - صلى الله عليه وسلم - واقف ، قلت : إن هذا من الخمس
ما شأنه هنا ، وأخرجه البخارى ومسلم ، ثم رواه البخارى من حديث موسى
ابن شعبة عن كريب عن ابن عباس بما يفيد أن المراد من الإفاضة هى الإفاضة
من المزدلفة لرمى الجمار .

أمر الله في العباد ، يقول الله تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم حين بعثه ، وهو يقصّ عليه خبر الجنّ إذ حُجبوا عن السَّمْع ، فعرفوا ما عرفوا ، وما أنكروا من ذلك حين رأوا ما رأوا : ﴿ قُلْ : أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ . فَقَالُوا : إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ ، فَآمَنَّا بِهِ ، وَآَنُ نَشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا . وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا ، مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا . وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ، وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنِّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا . وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالُ مِنَ الْإِنسِ يَعْبُودُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ ، فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۚ ۝ إِلَى قَوْلِهِ : « وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ، فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا . وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ ، أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۚ ﴾ الجن : ١ - ٦ ثم ٩ ، ١٠

فلما سمعت الجن القرآن عرفت أنها إنما منعت من السَّمْع قبل ذلك ، لئلا يشكّل الوحيُ بشيء خبّر السماء ، فيلتبس على أهل الأرض ما جاءهم من الله فيه ، لو قوع الحجة ، وقطع الشبهة . فآمنوا وصدقوا ، ثم : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَبَلُوا مِنْهُمْ مُنْذِرِينَ . قَالُوا : يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ، وَ إِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ . . . الآية . الأحقاف : ٣٠

وكان قول الجن : « وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعْبُودُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ ، فَزَادُوهُمْ رَهَقًا » . أنه كان الرجلُ من العرب من قرّيش وغيرهم .

إذا سافر فنزل بَطْنٍ وادٍ من الأرض لَيْبِتَ فيه ، قال : إني أعوذ بعزير هذا الوادى من الجنّ الليلة من شرّ ما فيه .

قال ابن هشام : الرهق : الطغين والسفّه . قال رؤبة بن العجاج .

إِذْ تَسْتَبِي الْحَيَّامَةَ الْمُرْهَقَا

[رَمَقَتْنِي رِيمٌ وَحِيدٌ أَرْشَقَا]

وهذا البيت فى أرجوزة له . والرّهقُ أيضا : طلبك الشئ . حتى تدنو منه . فتأخذه . أو لا تأخذه . قال رؤبة بن العجاج يصف سمير وحش :

بَصِصَئْنِ وَأَقْشَعَرَرْنَ مِنْ خَوْفِ الرَّهَقِ

[يَمْتَصَعْنَ بِالْأَذْنَابِ مِنْ لَوْحٍ وَبَقِ]

وهذا البيت فى أرجوزة له . والرّهقُ أيضا : مصدر لِقَوْلِ الرجل : رَهَقْتُ الْإِثْمَ أو الْعُسْرَ ، الذى أَرَهَقْتَنِي رَهَقًا شَدِيدًا ، أى : حملتُ الْإِثْمَ أو الْعُسْرَ الذى حملتنى حملا شديداً ، وفى كتاب الله تعالى : ﴿ فَنَخْشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ السكهف : ٨٠ ، وقوله : ﴿ وَلَا تُرْهَقْنِي مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴾ السكهف : ٧٣ .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حدث أن أوّل العرب فزّرع للرّمى بالنجوم - حين رُمى بها - هذا الحى من ثقيف ، وأنهم جاءوا إلى رجل منهم يقال له : عمرو بن أمية أحد بنى عِلاجٍ - قال : وكان أدهمى العرب وأنكرها رأيا - فقالوا له : يا عمرو : ألم تر ما حدث فى السماء من القذف بهذه النجوم ؟ قال : بلى فانظروا ، فإن كانت معالم النّجوم

التي يُهتدى بها في البر والبحر ، وتُعرف بها الأنواء من الصيف والشتاء ،
لِما يُصالح النَّاس في معاشهم ، هي التي يُرمى بها ، فهو والله طَيُّ الدنيا ،
وهلاكُ هذا الخلق الذي فيها ، وإن كانت نجومًا غيرها ، وهي ثابتة على
حاملها ، فهذا لأمرٍ أراد الله به هذا الخلق ، فما هو ؟

وقال ابن إسحاق : وذكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن عليّ
ابن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، عن عبد الله بن العباس ، عن نفر من الأنصار :
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال لهم : « ماذا كنتم تقولون في هذا الذَّجَم الذي
يُرمى به ؟ قالوا : يا نبيّ الله كُفّا نقول حين رأيناها يُرمى بها : مات مَلِك ، مُلْك
مَلِك ، وُلد مولود ، مات مَوْلودٌ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس ذلك
كذلك ، ولكن الله تبارك وتعالى كان إذا قضى في خَدْمَةِ أَمْرٍ سمعه سَحَلَةً
العرش ، فسَبَّحُوا ، فسَبَّحَ مَنْ تَحْتَهُمْ ، فسَبَّحَ لتَسْبِيحِهِمْ مَنْ تَحْتَ ذَلِكَ ،
فلا يزال التَّسْبِيحُ يَهْبِطُ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فسَبَّحُوا ثُمَّ
يقول بعضهم لبعض : مِمَّ سَبَّحْتُمْ ؟ فيقولون : سَبَّحَ مَنْ فَوْقَنَا فسَبَّحْنَا
لتَسْبِيحِهِمْ ، فيقولون : أَلَا تَسْأَلُونَ مَنْ فَوْقَكُمْ : مِمَّ سَبَّحُوا ؟ فيقولون مثل
ذلك ، حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى سَحَلَةِ الْعَرْشِ ، فيقال لهم : مِمَّ سَبَّحْتُمْ ؟ فيقولون :
قضى الله في خَدْمَةِ كَذَا وَكَذَا ، لِلأَمْرِ الَّذِي كَانَ ، فَيَهْبِطُ بِهِ الْخَبَرُ مِنْ سَمَاءٍ
إِلَى سَمَاءٍ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيَتَحَدَّثُونَ بِهِ ، فَتَسْتَرِقُهُ الشَّيَاطِينُ بِالسَّمْعِ ،
عَلَى تَوْهَمٍ وَاخْتِلَافٍ ، ثُمَّ يَأْتُوا بِهِ السَّكَّانَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ، فَيَتَحَدَّثُونَ بِهِ ،
فَيُخْطِئُونَ وَيَصِيبُونَ ، فَيَتَحَدَّثُ بِهِ السَّكَّانُ ، فَيَصِيبُونَ بَعْضُهُمْ يُخْطِئُونَ بَعْضًا . ثُمَّ

إن الله عز وجل حجب الشياطين بهذه النجوم التي يُتذفون بها ، فانقطعت
السكّانة اليوم ، فلا كهانة .

قال ابن إسحاق : وحدثني عمرو بن أبي جعفر ، عن محمد بن عبد الرحمن
ابن أبي لبيبة ، عن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه بمثل حديث
ابن شهاب عنه .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم : أن امرأة من بنى سهم يقال لها
الغَيْطَانَةُ ، كانت كاهنة في الجاهلية ، فلما جاءها صاحبها في ليلة من الليالي ،
فَأَنْقَضَ تحتها ، ثم قال : أَذِرْ مَا أَذِرْ . يوم عَقْرٍ وَنَحْرٍ ، فقالت قُرَيْش حين
بلغها ذلك : ما يريد ؟ ثم جاءها ليلة أخرى ، فَأَنْقَضَ تحتها ، ثم قال :
شُعُوبٌ ، ماشِعُوبٌ ، تُصرع فيه كَغَبٍّ لِحْجُوبٌ : فلما بلغ ذلك قريشا ،
قالوا : ماذا يريد ؟ إن هذا الأمر هو كائن ، فانظروا ما هو ؟ فما عرفوه
حتى كانت وقعة بدرٍ وأحد بالشَّعب ، فمرفوا أنه الذي كان جاء به إلى صاحبه .

قال ابن هشام : الغَيْطَانَةُ : من بنى مَرْكَاة بن عَبْدِ مَنَاة بن كِنانة ،
إخوة مُدَلِج بن مرة ، وهى أم الغياطل الذين ذكر أبو طالب في قوله :

لَقَدْ سَمُوتَ أَحْلَامُ قَوْمٍ تَبَدَّلُوا بَنِي خَلَفٍ قَيْضًا . بنا والغياطل
ثقل لولدها : الغياطل ، وهم من بنى سهم بن عمرو بن هُصَيْنٍ . وهذا
البيت في قصيدة له ، سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى .

قال ابن إسحاق : وحدثني علي بن نافع الجَرَشِيُّ : أن جَنْبًا بَطْنًا

من اليمن ، كان لهم كاهنٌ في الجاهلية ، فلما ذكر أمر رسول الله صلى الله وسلم ، وانتشر في العرب ، قالت له جَنَّبَ : انظرْ لنا في أمر هذا الرجل ، واجتمعوا له في أسفل جبله ، فنزل عليهم حين طلعت الشمس ، فوقف لهم قائماً مُتَّكِئاً على قوس له ، فرفع رأسه إلى السماء طويلاً ، ثم جعل يَنْزُو ، ثم قال : أيها الناس ، إن الله أكرم محمداً واصطفاه ، وطهر قلبه وحشاه ، ومُكِّنْهُ فيكم أيها الناس قليل ، ثم اشتدَّ في جبله راجعاً من حيث جاء .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن عبد الله بن كعب ، مولى عثمان بن عفَّان ، أنه حدَّث : أن عمر بن الخطاب ، بينما هو جالس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ أقبل رجل من العرب داخلاً المسجد ، يريد عمر بن الخطاب ، فلما نظر إليه عمر رضى الله عنه ، قال : إن هذا الرجل لَعَلِّي شَرَّكَه ما فارقه بعدُ ، أو لقد كان كاهناً في الجاهلية . فَسَلَّمَ عليه الرجلُ ، ثم جلس ، فقال له عمر - رضى الله عنه : هل أسلمت ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال له : فهل كنت كاهناً في الجاهلية ؟ فقال الرجل : سُبْحَانَ اللَّهِ يا أمير المؤمنين ! لقد خِلْتُ فيَّ ، واستقبلتني بأمر ما أراك قلته لأحد من رَعِيَّتِكَ منذ وَلَّيتَ ما وليتَ ، فقال عمر : اللَّهُمَّ غَفِّراً ، قد كُنَّا في الجاهلية على شرٍّ من هذا ، نعبد الأصنام ، ونعتنق الأوثان ، حتى أكرمنا الله برسوله وبالإسلام ، قال : نعم ، والله يا أمير المؤمنين ، لقد كنتُ كاهناً في الجاهلية ، قال : فأخبرني ما جاءك به صاحبُك ، قال : جاءني قبل الإسلام بشهر أو شَيعَةٍ ، فقال : ألم تَرِ إلى الجنِّ وإِبِلَسها ، وإِياسها من دينها ، ولُحوقها بالقلاص وأُخلاسها .

قال ابن هشام : هذا الكلام سجع ، وأيس شعر .

قال عبد الله بن كعب : فقال عمرُ بن الخطاب عند ذلك يُحَدِّثُ
الناس : والله إني لَعِنْدَ وَثْنٍ من أوثان الجاهلية في نَفَرٍ من قريش ، قد ذَمَّحَ
له رجل من العرب عَجْلاً ، فنحن نَنْتَظِرُ قَسْمَهُ لِيَقْسِمَ لَنَا مِنْهُ ، إذ سمعت من
جوف العجل صوتاً ما سمعت صوتاً قَطُّ أَنْفَدَ مِنْهُ ، وذلك قُبَيْلَ الْإِسْلَامِ بِشَهْرِ
أَوْشَيْعِهِ ، يقول : يَا ذَرِيحُ ، أَمْرٌ تَجِيحُ ، رجلٌ يَصِيحُ ، يقول : لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ .

قال ابن هشام : ويقال : رجلٌ يَصِيحُ ، بلسان فصيح ، يقول : لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ . وَأُنْشِدْنِي بَعْضَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ .

عَجِيتُ لِلْجِنِّ وَإِبْلِيسَ شَدَّهَا الْعِيسَ بِأَحْلَاسِهَا
تَهْوَى إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهُدَى مَا مُؤْمِنُو الْجِنِّ كَانُوا بِهَا

قال ابن إسحاق : فهذا ما بلغنا من السكَّهَانِ مِنَ الْعَرَبِ .

فصل في الكهانة

رُوي في ماثور الأخبار أن إبليسَ كان يَخْتَرِقُ السَّمَوَاتِ قَبْلَ عِيسَى ،
فلما بُعِثَ عِيسَى ، أُوْلدَ حُجِيبٌ عَنْ ثَلَاثِ سَمَاوَاتٍ ، فلما وُلِدَ مُحَمَّدٌ حُجِيبٌ
عَنْهَا كُلِّهَا ، وَقُدِّفَتِ الشَّيَاطِينُ بِالنُّجُومِ وَقَالَتْ قَرِيشٌ حِينَ كَثُرَ الْقَذْفُ بِالنُّجُومِ :
قَامَتِ السَّاعَةُ ، فقال عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ : انظروا إِلَى الْعَمُوقِ (١) فَإِنْ كَانَ رُمَى بِهِ ،
فَقَدْ آتَى قِيَامُ السَّاعَةِ ، وَإِلَّا فَلَا ، وَمِنْ ذَكَرِ هَذَا الْخَبَرَ الزَّيْبِيُّ بْنُ أَبِي بَكْرٍ .

(١) نجم أحمر مضيء في طرف الحجرة الأيمن يتلو الثريا لا يتقدمها .

رمي الشياطين :

وذكر ابن إسحاق في هذا الباب ما رُميت به الشياطين ، حين ظهر القذف بالنجوم ، مثلاً بلنديس بالوحى ، وليكون ذلك أظهر للحجة ، وأقطع للشبهة ، والذي قاله صحيح : ولكن القذف بالنجوم قد كان قديماً ، وذلك موجود في أشعار القدماء من الجاهلية . منهم : عوف بن الجزع ، وأونس بن حَجَر ، ويثرب بن أبي خازم ، وكلهم جاهلي ، وقد وصفوا الرمي بالنجوم ، وأبياتهم في ذلك مذكورة في مُشْكِل ابن قُتَيْبَةَ في تفسير سورة الجن (١) ، وذكر عبد الرزاق في تفسيره عن مَعْمَرٍ عن ابن شهاب أنه سئل عن هذا الرمي بالنجوم : أكان في الجاهلية ؟ قال : نعم ، ولكنه إذ جاء الإسلام غُلِّظَ وشُدِّد ، وفي قول الله سبحانه : ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فوجدناها مُمْلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ﴾ الجن : ٨ الآية ولم يقل : حُرست دلائل على أنه قد كان منه شيء ، فلما بُعث النبي - صلى الله عليه وسلم - مُلِئَتْ حرساً شديداً وشُهَبًا ، وذلك لِإِيْمَنِهِمْ بِأَمْرِ الشَّيَاطِينِ ، وتخليطهم ، ولتسكون الآية أبين ، والحجة أقطع ، وإن وجد اليوم كاهن ، فلا يدفع ذلك بما أخبر الله به من طرد الشياطين عن استراق السمع ، فإن ذلك التغليظ والتشديد كان زمن النبوة ، ثم بقيت منه ، أعنى من استراق السمع بقايا يسيرة

(١) انظر ص ١٨٤ ط ٢ ١ كتاب القرطين الذي هذب فيه ابن مطرف الكنتاني كتابي مشكل القرآن أو غريبه لابن قتيبة ، وفي هذا يقول ابن قتيبة : وفي أيدي الناس كتب الأعاجم ، وسيرهم تنبيه عن انقضاخ النجوم في كل عصر ، وكل زمان ، وفيه بشر بن خازم وهو خطأ صوابه ما أثبتته ، انظر ترجمة ابن أبي خازم في الشعر والشعراء لابن قتيبة ،

بدليل وجودهم على النذور في بعض الأزمنة ، وفي بعض البلاد . وقد سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الكهَّان فقال : ليسوا بشيء ، فقيل : إنهم يتكلمون بالكلمة ، فتسكون كما قالوا ، فقال : تلك الكلمة من الجن يحفظها الجنى ، فيقرؤها في أذن وليه قرَّ الزجاجة ، فيخلط فيها أكثر من مائة كذبة ، ويروى : قرَّ الدَّجاجة بالدال ، وعلى هذه الرواية تسكلم قاسم بن ثابت في الدلائل . والزجاجة بالزاي أولى ؛ لما ثبت في الصحيح ، فيقرؤها في أذن وليه ، كما تُقرَّ القارورة ، ومعنى يُقرَّها : يصبُّها ويُفرِّغها ، قال الرازي :

لَا تُفَرِّغَنَّ فِي أُذُنِي قَرَّهَا مَا يَسْتَفِرُّ فَرِيكَ فَقَرَّهَا

وفي تفسير ابن سلام عن ابن عباس ، قال : إذا رمى الشهابُ الجنى لم يُحْطِطْهُ ، ويحرق ما أصاب ولا يقتله ، وعن الحسن قال : في أسرع من طرفة العين ، وفي تفسير ابن سلام أيضا عن أبي قتادة أنه كان مع قوم ، فرمى بنجم ، فقال : لَا تُتْبِعُوهُ أَبْصَارَكُمْ ، وفيه أيضا عن حفص أنه سأل الحسن : أَيْتَبِعُ بَصَرَدَ السُّكُوبِ ، فقال : قال سبحانه : ﴿ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ﴾ الملك : ٥٠ . وقال : ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ الأعراف : ١٨٥ ، قال : كيف نعلم إذا لم ننظر إليه ، لَا تُتْبِعَنَّ بَصْرِي .

الجن الذين ذكرهم القرآن :

وذكر النفر من الجن الذين نزل فيهم القرآن والذين : ﴿ وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ

(١) وفي رواية : قرَّ الزجاجة بالزاي ، أى : بصوتها إذا صب فيها الماء .

مُنْذِرِينَ، قَالُوا: يَا قَوْمَنَا إِنْ سَمِعْنَا كِتَابًا أَنْزَلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى الْأَحْقَابِ: ٣٠. وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ جِنِّ نَصِيبِينَ^(١). وَفِي التَّفْسِيرِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهُودًا؛ وَلِذَلِكَ قَالُوا: مَنْ بَعْدَ مُوسَى، وَلَمْ يَقُولُوا مِنْ بَعْدِ عِيسَى ذِكْرَهُ ابْنُ سَلَامٍ^(٢). وَكَانُوا سَبْعَةً، قَدْ ذُكِرُوا بِأَسْمَائِهِمْ فِي التَّفَاسِيرِ وَالْمُسْنَدَاتِ. وَهُمْ: شَاعِرٌ، وَمَامِرٌ، وَمَنْشَى، وَلَا شَى، وَالْأَحْقَابِ، وَهَؤُلَاءِ الْخَمْسَةُ ذَكَرَهُمُ ابْنُ دُرَيْدٍ، وَوَجَدْتُ فِي خَبَرٍ حَدَّثَنِي بِهِ أَبُو بَكْرٍ بْنُ طَاهِرٍ الْإِسْبِيلِيُّ الْقَيْدِيُّ عَنْ أَبِي عَدْنَانَ النَّسَائِيِّ فِي فَضْلِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ: بَيْنَمَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَمْشِي فِي أَرْضِ فَلَاحٍ فَإِذَا حَيَّةٌ مَيِّتَةٌ فَكَفَّفَهَا بِفَضْلَةٍ مِنْ رِدَائِهِ، وَدَفَنَهَا فَإِذَا قَائِلٌ يَقُولُ: يَا سُرَّقَ أَشْهَدُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — يَقُولُ لَكَ: سَتَمُوتُ بِأَرْضِ فَلَاحٍ، فَيَكْفِنُكَ وَيُدْفِنُكَ رَجُلٌ صَالِحٌ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ - يَرْحَمُكَ اللَّهُ - فَقَالَ: رَجُلٌ مِنَ الْجَنِّ الَّذِينَ تَسْمَعُوا الْقُرْآنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا أَنَا وَسُرَّقٌ، وَهَذَا سُرَّقٌ قَدْ مَاتَ. وَذَكَرَ ابْنُ سَلَامٍ مِنْ طَرِيقِ أَبِي إِسْحَاقَ [عَمَرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ] السَّيِّدِيُّ عَنْ أَشْيَاخِهِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ كَانَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

(١) ذَكَرَ أَنَّ مِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَعْرِبُهَا كَجَمْعِ الْمَذْكُورِ السَّلَامِ، فَيَقُولُ: هَذِهِ نَصِيبُونَ وَهِيَ مَدِينَةٌ عَامِرَةٌ مِنْ بِلَادِ الْجَزِيرَةِ عَلَى جَادَةِ التَّوَاوُلِ مِنْ مَوْصِلَ إِلَى الشَّامِ وَنَصِيبِينَ أَيْضًا مِنْ قَرْيَةِ حَلَبٍ، وَنَصِيبِينَ كَذَلِكَ: مَدِينَةٌ عَلَى شَاطِئِ الْفَرَاتِ كَبِيرَةٌ تَعْرِفُ بِنَصِيبِينَ الرُّومِ.

(٢) مَا هَذَا الَّذِي يَنْقُلُهُ عَنْ ابْنِ سَلَامٍ؟ لِأَنَّهُ تَهْوِيْمَةٌ خِيَالٌ. وَلَعَلَّهُمْ قَالُوا: مَنْ بَعْدَ مُوسَى، لِأَنَّهُ لَمْ يَنْزَلْ بَعْدَ التَّوْرَةِ كِتَابٌ تَشْرِيعٌ يَنْسَخُ الشَّرَائِعَ قَبْلَهُ سِوَى الْقُرْآنِ، أَمَّا الْإِنْجِيلُ فَيَذْكَرُ بِمَا فِي التَّوْرَةِ

يَمُشُونَ فَرُفَعَهُمْ إِعْصَارًا ، ثُمَّ جَاءَ إِعْصَارًا أَعْظَمُ مِنْهُ ، ثُمَّ انْقَشَعَ ، فَإِذَا حَيَّةٌ قَتِيلَةٌ ، فَعَمَدَ رَجُلٌ مِنْهَا إِلَى رِدَائِهِ فَشَقَّهُ ، وَكَفَّنَ الْحَيَّةَ بِبَعْضِهِ وَدَفَنَهَا ، فَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ إِذَا امْرَأَتَانِ تَتَسَاءَلَانِ : أَيُّكُمْ دَفِنَ عَمْرُو بْنُ جَابِرٍ ؟ فَقُلْنَا : مَا نَدْرِي مَنْ عَمْرُو بْنُ جَابِرٍ ؟ فَقَالَا : إِنْ كُنْتُمْ ابْتَغَيْتُمُ الْأَجَرَ فَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ . إِنْ فَسَقَتَا الْجَنِّ اقْتَتَلَا مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ ، فَقُتِلَ عَمْرُو ، وَهُوَ الْحَيَّةُ الَّتِي رَأَيْتُمْ ، وَهُوَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ اسْتَمَعُوا الْقُرْآنَ مِنْ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثُمَّ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ !!

ابن عسكروا والجن :

فصل : وأما ما ذكره في معنى قوله سبحانه : ﴿ وَوَأَن كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعْبُوا بَرَّجَالٍ مِنَ الْجِنِّ ﴾ الآية : الجن : ٦ . فقد رُوي في معنى ذلك عن حجاج ابن علاط السَّعَمِي ، وهو والد نصر بن حجاج الذي قيل فيه :

أُم لا سبيلَ إلى نصرِ ابنِ حجاج (١)

(١) يقول البغدادي في الخزانة : وحكى السهيلي في الروض الأنف هذه الحكاية على خلاف ما تقدم . قال : الحجاج بن علاط : وهو والد نصر الذي خلق عمر رأسه ، فنفاه من المدينة ، فأتى الشام ، فنزل على أبي الأعور السلمي فهو يته امرأته ، وهويها ، وفطن أبو الأعور لذلك ، بسبب يطول ذكره ، فابتنى له قبة في أقصى الحى ، فكان بها ، فاشتد ضناه بالمرأة حتى مات كلما بها ، وسمى المضنى ، وضربت به الأمثال ، وذكر الأصماني في كتاب الأمثال له خبره بطوله ، انتهى . أقول : والقصة مشهورة في كتب الأدب والأمثال . قالوا : أول من عس بالليل في الإسلام : عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فبينما يعس ليلة سمع امرأة تقول :

== ياليت شعري عن نفسي أذاهقة مني ، ولم أقض ما فيها من الحاج
ألا سبيل إلى خمر فأشربها أم لا سبيل إلى نصر بن حجاج
إلى فتى ماجد الأخلاق ذي كرم سهل المحيا كريم غير فجفاج
تنميه أعراق صدق حين تنسبه ذي نجات عن المكروب فراج
سامي النواظر من بهزله كرم تضىء سنته في الحالك الداجي
نعم الفتى في سواد الليل نصرته ليائس أو للمهوف ومحتاج
يامنية لم أرب فيها بضائرة والناس من صادق فيها ومن داجي

قالوا : فدعا عمر المرأة وهي الذلعة. لقب فريعة بنت همام أم الحجاج - وضربها
بالدرة ضربات، ثم سأل عنها، فلم يخبر عنها إلا بخير، وأتى بنصر، وأمر بشعره خلق.
ثم أرسل به إلى البصرة إلى مجاشع بن مسعود السلمي، فسكن ما كان منه مما ذكره
السبيل مختصراً - كما جاء في خزائن البغدادى : وقيل إن المرأة أرسلت إلى عمر
بهذه الأبيات :

قن للإمام الذى تخشى بواده مالى وللخمر أو لنصر بن حجاج
إنى فتنت أبا حفص بغيرهما شرب الحليب وطرف فاتر ساجي

أخ قالوا : فبكاء عمر ، وقال : الحمد لله الذى حبس الهوى التقوى . وبعث عمر
إلى المرأة : لم يبلغنا عنك إلا خير ، وقد ضرب المثل بالمرأة هذه ، فقالوا : « أصاب من
المتمنية ، وبنصر ، فقالوا : « أدنف من المتمنى ، وقالوا : إن هذه المتمنية هي
الفريعة بنت همام أم الحجاج بن يوسف الثقفي . والبيت الأول يروى : « ألا سبيل إلى
خمر فأشربها ، وهي - كما يقص البغدادى - رواية الجاحظ وحمزة الأصمى
والسبيل لكنك ترى الرواية في الروض « أم لا سبيل أخ . وروى المدائني وغيره :
هل من سبيل ، ويروى الزجاج المصراع المذكور في الروض :

أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج

ودواه أبو علي الفارسي في إيضاح الشعر عن أبي عبيدة :

أولا سبيل إلى نصر بن حجاج

أنه قدِم مكة في ركب ، فأَجَنَّهُم لليلِ بوادٍ مُحَوِّفٍ مُوحِشٍ ، فقال له
الركب : قم خذ نفسك أماناً ، ولأصحابك ، فجعل يطوف بالركب ويقول :

أَعِيذُ نَفْسِي وَأَعِيذُ صَاحِبِي

مَنْ كُلِّ جَيْءٍ بِهَذَا النَّقْبِ

حَتَّى أَهْوَبَ سَالِمًا وَرَكْبِي

فسمع قارئاً : ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتِطَعْتُمْ أَنْ تَتَفَكَّهُوا مِنْ
أَفْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ [فَاْتَفَكَّهُوا ، لَا تَتَفَكَّهُوْنَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ] ﴾ الآية .
الرحمن : ٣٣ . فما قدِم مكة خَبَرَ كُفْرَ قُرَيْشٍ بما سمع ، فقالوا : أصبت (١)
يا أبا كلابٍ . إن هذا يزعم محمد أنه أنزل عليه ، فقال : والله لقد سمعته
وسمعه هؤلاء معي ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، وهاجر إلى المدينة ، وابتدئ بها
مَسْجِداً فهو يُعْرَفُ به (٢) .

= على أن أو بمعنى : الواو . وروايته « ألا ، يستشهد بها النحويون على أن
« ألا ، تستعمل للتمنى . ويقول البغدادي : وقال قوم : هذا الشعر مصنوع
إلا البيت الأول « ألا سبيل أخ ، وقد جمع البغدادي كل أطراف القصة ، وقال
عن الشعر : « ولا يحق ما فيه من الاختلاف من جميع الجهات حتى في البيت الشاهد ،
انظر ص ٥٩ وما بعدها » ط السلفية خزائن الأدب للبغدادي والأمثال
للبيداني في حرف الصاد ما جاء منه على وزن أفعل . و ص ٥١٣ > ٢ ألفه
بإم ليوسف بن محمد البلوي .

(١) روى البلوي نفس القصة ، وفيها « صبات ، بدلا من أصبت وهو الالتيق

(٢) ما ذكره هنا لا سند له . وسنذكر ما ورد من أحاديث حول استماع الجن . روى

البيهقي في الدلائل عن ابن عباس : ما قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على =

الجن ولا رآهم . انطلق رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين إلى قومهم ، فقالوا : ما لكم ؟ فقالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا الشهب ، قالوا : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، وانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء ، فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها يبتغون ما هذا الذي حال بينهم وبين خبر السماء ، فانصرف أولئك نفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهو بنخلة عامداً إلى سوق عكاظ ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن استمعوا له ، فقالوا : هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء ، فهناك حين رجعوا إلى قومهم : قالوا : يافومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد ، فأما به ، ولن نشرك بربنا أحداً ، وأنزل الله على نبيه — صلى الله عليه وسلم — : (قل : أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن) وإنما أوحى إليه قول الجن ، ورواه البخاري عن مسدد بنحوه ، وأخرجه مسلم عن شيبان بن فروخ عن أبي عوانة به ، ورواه الترمذي والنسائي في التفسير من حديث أبي عوانة ، وروى أحمد عن ابن عباس أنه قال : كان الجن يستمعون الوحي ، فيسمعون الكلمة ، فيزيدون فيها عشرة ، فيكون ما سمعوا حقاً ، وما زادوا باطلاً ، وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك ، فلما بعث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كان أحدهم لا يأتي بمقعدة إلا رمى بشهاب يحرق ما أصابت .

فشكروا ذلك إلى إبليس فقال : ما هذا إلا من أمر قد حدث ، فبث جنوده فإذا بالنبي — صلى الله عليه وسلم — يعلى بين جبلي نخلة فأتوه ، فأخبروه . فقال : هذا الحدث الذي حدث في الأرض . ورواه الترمذي والنسائي في كتابي التفسير وقال الترمذي : حسن صحيح . وروى البخاري ، قال : حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو قال : سمعت عكرمة ، يقول : سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول : إن نبي الله — صلى الله عليه وعلى آله وسلم — قال : إذا قضى الله تعالى الأمر في السماء —

== ضربت الملائكة بأجنحتها خضعوا لقوله كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فرغ عن قلوبهم، قالوا: ما ذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق، وهو العلي الكبير، فيسمعون مسترق السمع، ومسترقوا السمع هكذا بعضه فوق بعض - وصفه سفيان بكفه خرفاء - وبدد بين أصابعه - فيسمع الكلمة، فيلقها إلى من تحته، ثم يلقها الآخر إلى من تحته، حتى يلقها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقها - وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قاله لنا يوم كذا وكذا: كذا، وكذا، فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء، انفرد بإخراجه البخاري دون مسلم من هذا الوجه، وقد رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة والله أعلم. وروى أحمد عن ابن عباس قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالسا في نفر من أصحابه، فرمى بنجم، فاستنار، فقال - صلى الله عليه وسلم - ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية؟ قالوا: كنا نقول: يولد عظيم، أو يموت عظيم، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإني لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياة، ولكن ربنا تبارك وتعالى إذا قضى أمرا سبج حلة العرش، ثم سبج أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح السماء الدنيا، ثم يستبج أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح السماء الدنيا، ثم يستبج أهل السماء الذين يلون حلة العرش. فيقول الذين يلون حلة العرش حلة العرش: ما ذا قال ربكم؟ فيخبرونهم، ويخبر أهل كل سماء سماء حتى ينتهي الخبر إلى هذه السماء، وتخطفه الجن السمع، فيرمون، فما جاءوا به على وجهه، فهو حق، ولكنهم يفرقون فيه ويزيدون، وقد أخرجه مسلم في صحيحه من حديث صالح بن كيسان والأوزاعي ويونس ومعقل بن عبيد الله، أربعتهم، عن الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن رجل من الأنصار به. وكذا رواه النسائي في التفسير من حديث الزبيدي عن الزهري به، ورواه الترمذي فيه عن الحسين بن حريث عن الوليد بن مسلم عن الأوزاعي. عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن رجل من الأنصار - رضي الله عنه، وحسب المؤمن في مثل هذا وغيره أن يتدبر القرآن أولا، ثم الصحيح المشهود له بالصحة القوية من الحديث ==

مول انقطاع الكهانة :

فصل : وذكر ابن إسحاق حديث ابن عباس وفيه : كنا نقول إذا رأينا : يموت عظيم أو يولد^(١) عظيم ، وفي هذا دليل على ما قدمناه من أن القذف بالنجوم كان قديماً ، ولكنه إذ بُعث الرسول عليه السلام غُظِّظَ وشُدِّدَ — كما قال الزهري — وملئت السماء حرساً . وقوله في آخر الحديث : وقد انقطعت الكهانة اليوم ، فلا كهانة . يدل قوله : اليوم على تخصيص ذلك الزمان كما قدمناه ، والذي انقطع اليوم ، وإلى يوم القيامة أن تدرك الشياطين ما كانت تدركه في الجاهلية الجَهْلَاء ، وعند تمسكها من سماع أخبار السماء ، وما يوجد اليوم من كلام الجن على ألسنة المجانين إنما هو خَبَرٌ منهم عما يروونه في الأرض ، مما لا نراه نحن كسرقه سارق ، أو خبيثته في مكان خبي^(٢) ، أو نحو ذلك ، وإن أخبروا بما سيكون كان تحرُّصاً وتظنُّياً ، فيصيبون قليلاً ، ويخطئون كثيراً .

وذلك القليل الذي يصبون هو مما يتكلم به الملائكة في العنسان ، كما

== لأن موضوع الجن من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله ، ولا يعرف إلا عن الوحي .
وقول الله تعالى في سورة الأحقاف وسورة الجن يؤكد أنه صلى الله عليه وسلم لم ير الجن الذين استمعوا له .

(١) ذكرته من قبل

(٢) هذا لافك يفتريه الدجاجة . وأحب أن أذكر بقصة الجن الذين مات سليمان أمام أعينهم دون أن يعلموا (فلما خر تَسَبَّحَت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) فلتدبر هذه الآية المحكمة تؤمن بأن الجن لا يعرفون غيباً كما بين الله . بل إنهم لم يعرفوا حتى ما وقع تحت عيونهم !!

في حديث البخاري ، فيطردون بالنجوم ، فيضيئون إلى الكلمة الواحدة أكثر من مائة كذبة - كما قال عليه السلام - في الحديث الذي قدمناه ، فإن قلت : فقد كان صاف بن صياد ، وكان يتهكمهن ، ويدعى النبوة ، وخبأ له النبي - صلى الله عليه وسلم - خبيئاً ، فعلمه ، وهو الدُّخُّ (١) فأين انقطاع الكهانة في ذلك الزمان ؟ قلنا : عن هذا جوابان ، أحدهما ذكره الخطابي في أعلام الحديث قال : الدُّخُّ نبات يكون من النخيل ، وخبأ له عليه السلام : ﴿ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ﴾ الدخان : ١٠ ، فعلى هذا لم يصب ابن صياد ما خبأ له النبي - صلى الله عليه وسلم .

(١) بضم الدال وفتحها : الدخان ، ويقول ابن الأثير في النهاية : وفسر في الحديث أنه أراد بذلك : (يوم تأتي السماء بدخان مبين) وقيل إن الدجال يقتله عيسى عليه السلام بجبل الدخان . انتهى . فيحتمل أن يكون أرادته تعريضاً بقتله ، لأن ابن صياد كان يظن أنه الدجال ، وحديث ابن صياد متفق عليه ، وفيه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لابن صياد : ماذا ترى ؟ قال ابن صياد : يأتيني صادق وكاذب ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خلط عليك الأمر ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لاني خبأت لك خبيئاً وخبأ له . (يوم تأتي السماء بدخان مبين) فقال : هو الدُّخُّ ، فقال : اخساً : فلن تعدو قدرك الحديث . وإذا كان الله سبحانه قد نفي علم الغيب عن الجن وعن الملائكة وعن الرسل ، فكيف يجوز لنا أن ننسب إلى دجال كابن صياد أنه كان يعرف الغيب ؟ ولا أظن أن رسول الله ص - علي فرض الصحة - قصد من الاختبار هل يعرف ابن صياد الغيب أو لا ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم يؤمن قبل هذا بأن الله وحده هو عالم الغيب ، وأنه لا ابن صياد ، ولا غيره يعلمون من الغيب شيئاً . إنما قصد الرسول بالاختبار أن يظهر أمام الحضور وأن يوضح حقيقة ابن صياد . وهي أنه مفسر كذاب ، وأن علم الغيب إنما هو لله وحده .

الثاني : أن شيطانه كان يأتيه بما خفي من أخبار الأرض ، ولا يأتيه بخبر السماء لمكان القذف والرجم ، فإن كان أراد بالدُّخِّ الدخانَ بقوة جُعِلَتْ لهم في أسماعهم ليست لنا ، فأنتى الكلمة عن لسان صافي وحدها ، إذ لم يُمكن سماع سائر الآيات ؛ ولذلك قال له النبي - عليه السلام : احْسَأْ فلن تعدّوا قدر الله فيك أي : فلن تعدّوا منزلتك من العَجْز عن علم الغيب ؛ وإنما الذي يمكن في حقه هذا القدرُ دون مزيد عليه ، على هذا النحو فسرّه الخطابي .

الغَيْطَلَةُ السَّطَّاهَةُ وَكَرْبَانَتُهَا :

فصل : وذكّر حديث الغَيْطَلَةِ السَّكَاهَةِ ، قال : وهي من بني مُرَّةَ بن عبد مَنَاةَ بن كِنانة أخى مُدَلِجٍ ، وهي : أمُّ الغَيَّاطِلِ الذي ذكر أبو طالب ، وسنذكر معنى الغَيْطَلَةِ عند شعر أبي طالب إن شاء الله . ونذكر هاهنا ما ألفتُهُ في حاشية كتاب الشيخ أبي بحر في هذا الموضع . قال : الغَيْطَلَةُ بنت مالك بن الحارث بن عمرو بن الصَّعِقِ ابن شَنُوق بن مُرَّةَ ، وشَنُوق أخو مُدَلِجٍ ، وهكذا ذكر نسبها الزبير .

وذكر قولها : شُعُوبٌ وما شُعُوبٌ ، تُصْرَعُ فيها كَعَبٌ لَجُنُوبٌ . . كَعَبٌ ههنا هو : كَعَبُ بن أُوَيٍّْ ، والذين صُرِعُوا لجنوبهم بيدرٍ وأحدٍ من أشرف قريش ، معظمهم من كعب بن أُوَيٍّْ ، وشُعُوبٌ ههنا أحسبه بضم الشين ، ولم أجده مقيدا ، وكأنه جَمْعُ شِعْبٍ ، وقول ابن إسحاق يدل على هذا حين قال : فلم يُدرَ ما قالت ، حتى قُتِلَ مَنْ قُتِلَ بيدرٍ وأحدٍ بالشَّعْبِ (١) .

(١) ومن رواه بفتح الشين فهو اسم للنسبة لا يصرف ص ٦٨ الحشني

وذكر قول التابع : أَدْرِ مَا أَدْرِ ، وقيد عن أبي عليٍّ فيه رواية أخرى : وما بَدْر ؟ وهى أُبَيْنُ من هذه ، وفى غير رواية البَكَّاغِيِّ عن ابن إسحاق أن فاطمة بنت النعمان النَجَّارِيَّة كان لها تابعٌ من الجن ، وكان إذا جاءها اقتحم عليها فى بيتها ، فلما كان فى أول البعث أتاها ، فقمعد على حائطِ الدار ، ولم يدخل فقالت له : لم لا تدخل ؟ فقال : قد بُعث نبيٌ بتحريم الزَّنا ، فذلك أول ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة^(١) .

ثَقِيفٌ وَلَهَبٌ وَالرَّمَى بِالنَّجُومِ :

فصل : وذكر إنكارَ ثَقِيفٍ للرَّمَى بِالنَّجُومِ ، وما قاله عمرو بن أمية . أحد بنى عِلَاجٍ إلى آخر الحديث ، وهو كلام صحيح لثَقِيفٍ ، لكن فيه إبهاما لقوله : وإن كانت غير هذه النجوم فهو لأمرٍ حدث ، فما هو وقد فعل ما فعلت ثَقِيفٌ بنو لَهَبٍ عند فرغهم للرَّمَى بِالنَّجُومِ ، فاجتمعوا إلى كاهن لهم يقال له : خَطَرٌ ، فبين لهم الخبر ، وما حدث من أمر النبوة . روى أبو جعفر العَقِيلِي فى كتاب الصحابة عن رجل من بنى لَهَبٍ يقال له : نَهْبٌ أو لَهَيْبٌ^(٢) . وقد تكلمنا على نسب لَهَبٍ فى هذا الكتاب . قال لَهَيْبٌ : حضرت مع رسول

(١) لا أدري كيف يلتقى السبيل وأمثاله آذانهم إلى مثل هذا الخرف ، وإلى الباطل الذى يؤكد القرآن أنه باطل . ولتندبر عشرات الآيات فى القرآن التى تنفى علم الغيب عن غير الله . وتابعتها : شيطان إنسى بدليل الزنا !!

(٢) فى الأصل : لهيب أو لَهَبٌ ، وهو خطأ صوبته من الإصابة ، فابن منده يقول : ولهيب بالتصغير بن مالك الهبى ، وأبو عمر يقول : لهب مكبرا وبه جزم الرشاطى ، .

الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرت عنده الكهانة ، فقالت : بأبى وأمى نحن أول من عرف جراحة السماء ، وزجر الشياطين ، ومنعهم من استراق السمع عند قذف النجوم ، وذلك أنا اجتمعنا إلى كاهن لنا يقال له : خطر بن مالك ، وكان شيخاً كبيراً ، قد أنت عليه مائتا سنة وثمانون سنة ، وكان من أعلم كهاننا ، فقلنا : يا خطر هل عندك علم من هذه النجوم التي يرمى بها ، فإننا قد فرغنا لها ، وخشينا سوء عاقبتها ؟ فقال :

إِنِّتُونِي بِسَحَرٍ
أُخْبِرْكُمْ أَخْبِر
أَجِيرِ أَمْ ضَرِر
أَوْ لَأْمَنْ أَوْ حَذِر

قال : فأنصرفنا عنه يومنا ، فلما كان من غد في وجه السحر أتيناها ، فإذا هو قائم على قدميه ، شاخص في السماء بعينه ، فناديناه : أخطر يا خطر ؟ فأوماً إلينا : أن أمسكوا ، فانقض نجم عظيم من السماء ، وصرخ الكاهن رافعا صوته :

أَصَابَهُ إِصَابُهُ خَامَرُهُ عِقَابُهُ
عَاجِلُهُ عَذَابُهُ أَحْرَقَهُ شَهَابُهُ
زَالِلُهُ جَوَابُهُ
يَا وَيَا مَا حَالُهُ بَنِينُهُ بَلْبَالُهُ
عَاوَدَهُ خَبَالُهُ تَقَطَّعَتْ حَبَالُهُ
وَعُيِّرَتْ أَحْوَالُهُ

ثم أمسك طويلاً وهو يقول :

يا مَعْشَرَ بَنِي قَحْطَانٍ أَخْبِرْكُمْ بِالْحَقِّ وَالْبَيَانِ
أَقْسَمْتُ بِالْكَعْبَةِ وَالْأَرْكَانِ وَالْبَلَدِ الْمُؤْتَمَنِ الشَّدَانِ
لَقَدْ مُنِعَ السَّمْعَ عَتَاةُ الْجَانِ بِنَاقِبِ بَسْكَفَ ذِي سُلْطَانِ
مَنْ أَجَلَ مَبْعُوثٍ عَظِيمِ الشَّانِ يُبْعَثُ بِالتَّنْزِيلِ وَالْقُرْآنِ
وَبِالْهُدَى وَفَاصِلِ الْقُرْآنِ تَبْطُلُ بِهِ عِبَادَةُ الْأَوْتَانِ

قال : فقلنا : وَيَحْكُ يا خَطَرَ إِنَّكَ لَتَذْكُرُ أَمْراً عَظِيماً ، فإِذَا تَرَى لِقَوْمَكَ ؟ فقال :

أَرَى لِقَوْمِي مَا أَرَى لِنَفْسِي أَنْ يَتَّبِعُوا خَيْرَ نَسَبِي الْإِنْسِ
بُرْهَانُهُ مِثْلُ شُعَاعِ الشَّمْسِ يُبْعَثُ فِي مَكَّةَ دَارِ الْخُسِ
يُحْكَمُ التَّنْزِيلِ غَيْرِ اللَّبْسِ

فقلنا له : يا خَطَرُ ، وَمَنْ هُوَ ؟ فقال : وَالْحَيَاةُ وَالْعَيْشُ . إِنَّهُ لَمِنْ
قُرَيْشٍ ، مَا فِي حِمَاهِ طَيْشُ ، وَلَا فِي خَلْقِهِ هَيْشُ ^(١) يَكُونُ فِي جَيْشٍ ، وَأَيُّ
جَيْشٍ ، مِنْ آلِ قَحْطَانَ وَآلِ أَيْشٍ ، فَقُلْتُ لَهُ : بَيْنَ لَنَا : مَنْ أَى قُرَيْشٍ هُوَ ؟
فقال : وَالْبَيْتُ ذِي الدُّعَامِ ، وَالرَّكْنُ وَالْأَحَامِ ، إِنَّهُ كَيْنُ نَجْلِ هَاشِمٍ ، مِنْ
مَعْشَرَ كُرَاشٍ ، يُبْعَثُ بِالْمَلَا حِمٍ ، وَقَتْلُ كُلِّ ظَالِمٍ ، ثُمَّ قَالَ : هَذَا هُوَ الْبَيَانُ ،
أَخْبَرَنِي بِهِ رَيْسُ الْجَانِ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ ، وَانْقَطَعَ عَنِ
الْجَنِّ الْخَبَرُ - ثُمَّ سَكَتَ وَأَغْنَى عَلَيْهِ ، فَمَا أَفَاقَ إِلَّا بَعْدَ ثَلَاثَةِ ، فَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا

(١) لَيْسَ فِي طَبِيعِهِ وَسَجِيَّتِهِ قَوْلُ قَبِيحٍ .

الله ؛ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : لقد نطق عن مثل نبوءة ، وإنه
لَيُبْعَثُ يوم القيامة أمة وحده (١) .

أصل ألف إصابه :

قال المؤلف : في هذا الخبر قوله : إصابه إصابه ، هكذا قيده بكسر الهمزة
من إصابه على أبي بكر بن طاهر ، وأخبرني به عن أبي علي الغساني ، ووجهه
أن تكون الهمزة بدلا من واو مكسورة مثل وشاح وإشاح [ووسادة
وإسادة] ، والمعنى : إصابه وصابه جمع : وصب مثل : بجل وجمالة ،
معنى كلمة أئيش والأصائم :

وقوله : من آل قحطان وآل أئيش ، يعني بآل قحطان : الأنصار ؛ لأنهم من
قحطان . وأما آل أئيش فيحتمل أن تكون قبيلة من الجن المؤمنين ، ينسبون إلى
أئيش ، فإن يكن هذا ، وإلا فله معنى في الملاح غريب ، تقول : فلان أئيش هو وابن
أئيش ، ومعناه : أى شئ أى شئ عظيم فسكانه أراد من آل قحطان ، ومن المهاجرين
الذى يقال فيهم مثل هذا ، كما تقول : هم ، وما هم ؟ وزيد وما زيد ، وأى شئ زيد ،
وأئيش فى معنى : أى شئ ، كما يقال وَيُئَمُّه فى معنى : ويل أمه (٢) على الحذف .

(١) هو فى الإصابة مع اختصار واختلاف يسير عما هنا . وعيب السبيل
أنه يصدق مثل هذا ، ويعلق عليه كأنه صحيح . بينما يقول أبو عمر : إسناده
ضعيف ، ورواته مجهولون ، وعامة بن زيد راوى الحديث اتهموه بوضع الحديث .
(٢) ويل أمه : أى هو داهية . ويقول ابن جني : وأما وزن قوله : ويلمه
فإن حكيت أصله ، فوزنه (فع لُ غله) وإن وزنت على ما صار إليه بعد
التركيب فثالثها (فيعلة) بسكون الياء وضم العين وتضعيف اللام مع فتح فإن قلت :
فإن هذا مثال غير موجود ، قيل : إنما ينكر هذا : لو كان المثال أصلا برأسه
، فامأ وهو فرع أدى إليه التركيب شيئا بعد شئ ، فلا ينكر ذلك ... ويجوز =

لكثرة الاستعمال ، وهذا كما قال : هو في جيش أيما جيش ، والله أعلم . وأحسبه أراد بآل أيش : بنى أقيش ، وهم حلفاء الأنصار من الجن ؛ فحذف من الاسم حرفا ، وقد تفعل العرب مثل هذا ، وقد وقع ذكر بنى أقيش في السيرة في حديث البَيْعَةِ . وذكر الركن والأحائم يجوز أن يكون أراد : الأحوام بالواو ، فهمز الواو لانكسارها ، والأحوام : جمع أحوام والأحوام جميع حَوَم ، وهو الماء في البئر ، فسكانه أراد : ماء زمزم ، والحَوَم أيضا : إبل كثيرة ترد الماء ، فعبر بالأحائم عن وُرَاد زمزم ، ويجوز أن يريد بها الطير وحمام مكة التي تحوم على الماء ، فيكون بمعنى الحوائم ، وقلب اللفظ ، فصار بعد فواعل : أفاعل ، والله أعلم .

دى جنب :

فصل : وذكر أن جَنَبًا وهم حَيَّ من اثنين اجتمعوا إلى كاهن لهم ، فسألوه عن أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - حين رمى بالنجوم إلى آخر الحديث : جَنَبٌ هم من مذحج ، وهم : عَيْدُ الله ، وأنس الله ، وزَيْدُ الله ، وأَوْسُ الله ، وجُعْفَى ، والحكَم ، وجِرْوَة ، بنو سعد العشيرة ^(١) بن مذحج ، ومذحج هو : مالك بن أدد ، وسموا : جنبا لأنهم جانبوا بنى عمهم صداء = أن يكون قولهم : (ويله) أصله : ويل لأمه ، ثم حذف حرف الجر والهمزة - التي هي فاء - والتثنية ، وألم ينون ، لأنه نوى المعرفة كغاق ، فبقى : ويله) ص ١٦ التمام في تفسير أشعار هذيل ط بغداد . وقال ابن الشجرى ، أنها تنال بضم اللام وكسرهما ، وانظر ص ٢٥١ > ٣ خزائن البغدادى ط السلفية ، فقد فصل القول فيها . وفيه أن معناها مدح خرج بلفظ الذم . وأنها تنال للاستجداد وللدهية . (١) في جهرة ابن حزم عن ولد سعد العشيرة أنهم : الحكم - وبه كان يكنى - والصعب ونمرة لأمهات شتى ، وجعنى وعائد الله ، وأوهن الله ، وزيد الله . وأنس الله ، والحر أمهم : أسماء بنت أبي بكر بن عبد مناة بن كنانة ص ٣٨٣

وزيدا بنى سعد العشيرة بن مذحج (١) . قاله الدارقطني . وذكر في موضع آخر خلافاً في أسمائهم ، وذكر فيهم بنى غلّ بالعين ، وليس في العرب غلّ غير ، قال مهمل :

أُنْكَحَهَا فَقَدْهَا الْأَرَاقِمَ فِي جَنْبٍ ، وَكَانَ الْجِبَاهُ مِنْ أَدَمَ

منى خلت في وسبع

فصل : وذكر حديث عمر ، وقوله للرجل : أ كنت كاهناً في الجاهلية؟ فقال الرجل : سُبْحَانَ اللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ خِلْتُ (٢) في ، واستقبلتني بأمر ما أراك استقبلت به أحداً منذ وليت ! وذكر الحديث ، وقوله : خِلْتُ في هو من باب حذف الجملة الواقعة بعد خِلْتُ وظننت ، كقولهم في المثل : مَنْ يَسْمَعُ يَخْلُ ، ولا يجوز حذف أحد المفعولين مع بقاء الآخر ، لأن حكمهما حكم الابتداء والخبر ، فإذا حذفت الجملة كلها جاز ؛ لأن حكمهما حكم المفعول ، والمفعول قد يجوز حذفه ، ولكن لا بد من قرينة تدل على المراد ، ففي قولهم : مَنْ يَسْمَعُ يَخْلُ دليل يدل على المفعول ، وهو يسمع ، وفي قوله ، خِلْتُ في دليل أيضاً ، وهو قوله : في ، كأنه قال : خِلْتُ الشَّرَفِ أو نحو ، هذا وقوله : قبل الإسلام بشهر أو شيعه أي : دونه بقليل ، وشيع كل شيء : ما هو تبع له ، وهو من

(١) في الاشتقاق لابن دريد وهو يتكلم عن مذحج (ومن بطونهم بنو منبه ابن حرب بن يزيد والحارث والغلي وسبحان وشمران وهـنَّان يقال لهم جنب لأنهم جانبوا قومهم) ص ٤٥٥ .

(٢) يقال : خلت بالكسر إخال وهو الإفصح ، وبنو أسد يقولون : أخال بالفتح وهو القياس . المعنى : من يتسمع أخبار الناس ومعاييم ، يقع في نفسه عليهم المكروه .

الشَّيَاع وهي : حَظَب صَفَار تجعل مع الكبار تبعالها ، ومنه : المُشَيِّعَة ، وهي :
الشاة تنبع الغم ، لأنها دونهما في القوة .

جلبج وسواد بن قارب :

والصوت الذي سمعه عمر من العجلى جَلْبِج^(١) سمعت بمض أشياء
يقول : هو اسم شيطان ، والجلبج في اللغة : ما تطاير من رؤوس النبت ، وخف
نحو القطن وشبهه ، والواحدة : جايحة ، والذي وقع في السيرة : ياذريج ، وكأنه
يسد للـعجل المذبح لقولهم : أحمر ذَرِيحِي ، أى : شديد الحمرة ، فصار وصفا
للعجل الذبيح من أجل الدم : ومن رواه : يا جايح ، فمآله إلى هذا المعنى ؛ لأن
العجل قد جُلِح أى : كشف عنه الجلد ، فأنه أعلم ، وهذا الرجل الذي كان كاهنا
هو سواد بن قارب الدوسى في قول ابن السكبي ، وقال غيره : هو
سَدُوسِي^(٢) وفيه يقول القائل :

أَلَا لِّلّٰهِ عِلْمٌ لَا يُجَارَى إِلَى الْغَايَاتِ فِي جَنْبِ سَوَادٍ
أَتَيْنَاهُ نَسَائِلَهُ امْتَحَانًا فَلَمْ يَبْعَلْ ، وأخبر بالسَّداد^(٣)

وهذان البيتان في شعر وخبر ذكره أبو علي القالى في أماليه ، وروى غير
ابن إسحاق هذا الخبر عن عمر على غير هذا الوجه ، وأن عمر مازحه ، فقال : ما فعلت :

(١) هذه رواية البخارى .

(٢) قال ابن حبيب : كل سدوس في العرب مفتوح إلا سدوس بن أجمع
ابن أبي عبيد بن ربيعة بن نصر .

(٣) في الأمالى (وتحسب أن سيعمد العناد) والخبر كما قال مطولا في الأمالى
ص ٢٨٩ ط ٢ والشعر منسوب إلى عارف الشاعر . وهو كلام خصب
كلام لا يحنو عليه عقل ، ولا يصلحه دين

كَمَا نَتُّكَ يَا سَوَادُ! ففَضِيبٌ ، وَقَالَ : قَدْ كُنْتُ أَنَا وَأَنْتَ عَلَى شَرٍّ مِنْ هَذَا مِنْ
عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَأَكْلِ الْمَيْتَاتِ ، أَفْتُمِرُنِي بِأَمْرِ تَبْتُ مِنْهُ ؟! فَقَالَ عَمْرٌ حِينَئِذٍ :
اللَّهُمَّ غَنِّرَا . وَذَكَرَ غَيْرُ ابْنِ إِسْحَاقَ فِي هَذَا الْخَبَرِ سِيَّاقَةً حَسَنَةً وَزِيَادَةً مَفِيدَةً ،
وَذَكَرَ أَنَّهُ حَدَّثَ عَمْرٌ أَنَّ رَأْيِيَّةَ جَاءَ ثَلَاثَ لَيَالٍ مُتَوَالِيَاتٍ ، هُوَ فِيهَا كَانَهَا بَيْنَ النَّأْمِ
وَالْيَقْظَانِ ، فَقَالَ : قِمِ يَا سَوَادُ ، وَاسْمَعْ مَقَالَتِي ، وَاعْقِلْ إِنْ كُنْتَ تَعْقِلُ ، قَدْ بُعِثَ
رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ ،
وَأَنْشَدَهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنَ الثَّلَاثِ الْمِيَالِي ثَلَاثَةَ أَيْيَاتٍ مَعْنَاهَا وَاحِدٌ وَقَافِيَتُهَا
مُخْتَلَفَةٌ :

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَتَطْلَابِهَا	وَشَدَّهَا الْعَيْسَ بِأَفْتَابِهَا
تَهَوَّى إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهَدَى	مَا صَادَقُ الْجِنَّ كَكَذَابِهَا
فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ	لَيْسَ قُدَامَاهَا (١) كَاذُ نَابِهَا

وَقَالَ لَهُ فِي الثَّانِيَةِ :

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَإِبْلَاسِهَا	وَشَدَّهَا الْعَيْسَ بِأَخْلَاسِهَا
تَهَوَّى إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهَدَى	مَا طَاهَرُ الْجِنِّ كَأَنْجَاسِهَا
فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ	لَيْسَ ذُنَابِي الطَّيْرِ مِنْ رَأْسِهَا (٢)

(١) فِي الْخُصَائِصِ لِلْسَيُوطِيِّ : قَدَامٌ ، وَهُوَ صَحِيحُ الْمَعْنَى أَيْضًا .

(٢) فِي الْبَدَايَةِ لِابْنِ كَثِيرٍ ، وَفِي الْخُصَائِصِ لِلْسَيُوطِيِّ : مَا مَوْزُونُهَا مِثْلُ أَرْجَاسِهَا -
وَاسْمُ بَعِينِيكَ إِلَى رَأْسِهَا . وَفِي السَّيْرَةِ الْخَلْبِيَّةِ : مَا خَيْرُ الْجِنِّ كَأَنْجَاسِهَا ، وَارْمِ
بَعِينِيكَ إِلَى رَأْسِهَا ، بَدَلًا مِنْ : « مَا طَاهَرُ الْجِنِّ الْخُ » وَلَيْسَ ذُنَابِي الطَّيْرِ الْخُ .

وقال له في الثالثة :

عجبت لِجَنِّ وَتَمْفَارِهَا (١) وَشَدَّهَا الْعِيسَ بِأَكْوَارِهَا
تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْعَى الْمَدَى مَأْمُونُ الْجِنِّ كَكْفَارِهَا (٢)
فَارْحَلْ إِلَى الْأَتَمِينَ مِنْ هَاهُمْ لَيْسَ قُدَامَاهَا كَأَدْبَارِهَا (٣)

وذكر تمام الخبر، وفي آخر شعر سواد قدم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأشده ما كان من الجنى رَئِيَّةً ثلاث ليال متواليات، وذلك قوله :

أَتَانِي نَجِّي بِمَدِّ هَذِهِ وَرَقْدَةٍ (٤) وَلَمْ يَكْ فِيمَا قَدْ بَلَوْتُ بِكَاذِبِ
ثَلَاثَ لَيَالٍ قَوْلُهُ كُلَّ لَيْلَةٍ أَتَاكَ نَبِيٌّ (٥) مِنْ لَوْئِيٍّ بِنِ غَالِبِ
فَرَفَعْتُ أَذْيَالَ الْإِزَارِ وَشَمَرْتُ بَنِي الْعَرِمَسِ الْوَجْنَاهُ جُولِ السَّبَاسِبِ (٦)
فَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَا شَيْءَ غَيْرُهُ وَأَنْتَ مَأْمُونٌ عَلَى كُلِّ غَائِبِ

(١) في الخصائص : وتجسارها.

(٢) في الخصائص : ليس ذو الشر كأخيارها .

(٣) في الخصائص : مأمونو الجن ككفارها .

(٤) في الخصائص : درئي ، وليل وهجمة .

(٥) في الخصائص : رسول .

(٦) في الخصائص :

فشمزت عن ساقِي الْإِزَارِ ، ووسطت فِي الذَّعْلِبِ الْوَجْنَاءِ عِنْدَ السَّبَاسِبِ
وَالْعَرِمَسِ : النَاقَةُ الصَّلْبَةُ . وَالْوَجْنَاءُ : الْعَظِيمَةُ الْوَجْنَتَيْنِ . وَالْهَجُولُ : جَمْعُ
هَجَلٍ : الْمَطْمِنُ مِنَ الْأَرْضِ . وَالسَّبَاسِبِ : جَمْعُ . سَبَسَبَ ، وَهِيَ الْمَفَازَةُ مِنَ
الْأَرْضِ ، أَوِ الْأَرْضِ الْبَعِيدَةُ الْمُسْتَوِيَّةُ . وَالذَّعْلِبُ بِكسر الذال واللام أَوِ الذَّعْلَبَةُ :
النَاقَةُ السَّرِيعَةُ .

وَأَنْتَ أَدْنَى الْمُرْسَلِينَ وَرِسِيلَةٍ (١) إِلَى اللَّهِ يَا بَنِي الْأَكْرَمِينَ الْأَطْيَابِ
فَمُرُّنَا بِمَا يَأْتِيكَ مِنْ وَحْيِ رَبِّنَا (٢) وَإِنْ كَانَ فَمَا جُمْتُ شَيْبُ الذَّوَائِبِ .
وَكُنْ لِي شَفِيعًا يَوْمَ لَا ذُو شَفَاعَةٍ بِمُغْنٍ (٣) فَتَيْلَأَنَّ سَوَادِ بْنِ قَارِبٍ

- (١) فِي الْخَصَائِصِ : شَفَاعَةٌ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ نَفْهَمَ أَنَّهُ وَرِسِيلَةٌ إِلَى اللَّهِ إِلَّا بِالْمَعْنَى الشَّرْعِيَّةِ الْمَحْكَمَةِ الَّتِي يَنْبَغِي الشُّرْكَ ، وَيُثَبِّتُ التَّوْحِيدَ ، وَالْوَسِيلَةُ هُنَا : حُبُّهُ وَحُبُّ اللَّهِ . وَطَاعَتُهُ وَطَاعَةُ اللَّهِ ، أَيْ : اتِّبَاعُ مَا جَاءَ بِهِ ، وَالْإِتِّهَامُ عَمَّا نَهَى عَنْهُ . أَمَّا الْمَعْنَى الشَّرْكِيَّةُ الَّتِي يَنْبَغِي الْإِيمَانَ ، فَهُوَ أَنْ تَتَوَسَّلَ بِذَاتِهِ أَوْ قَبْرِهِ لَا بِطَاعَتِهِ وَحُبِّهِ .
- (٢) فِي الْخَصَائِصِ : يَا خَيْرَ مَنْ مَشَى ، وَفِي رِوَايَةٍ : يَا خَيْرَ مُرْسَلٍ .
- (٣) فِي الْخَصَائِصِ : سَوَائِكَ . وَطَلَبُ الشَّفَاعَةِ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ هُوَ طَلَبُهَا عَنْ لَا يَمْلِكُهَا ، وَلَا يَنْبَغِي لِمُسْلِمٍ أَنْ يَطْلُبَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ الشَّفَاعَةَ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَمْلِكُهَا ، وَإِنَّمَا لَهُ أَنْ يَطْلُبَهَا مِنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَلِتَتَدَبَّرَ مَعَا قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ : « مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ » ، وَغَيْرِهَا . مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي تَقْطَعُ بِأَنَّ أَحَدًا لَا يَمْلِكُ مِنْ أَمْرِ الشَّفَاعَةِ شَيْئًا إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ ، وَهَذَا الْبَيِّنَاتُ يُؤَكِّدُ أَنَّ الْقِصَّةَ مَوْضُوعَةٌ ، وَأَنَّ الْقِصْدَةَ مَوْضُوعَةٌ ، فَلَمْ يَكُنْ مِنْ دِينِ صَحَابِيٍّ ، بَلْ لَمْ يَكُنْ مِنْ دِينِ مُسْلِمٍ أَنْ يَتَوَجَّهَ بِطَلَبِ الشَّفَاعَةِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَص . وَالْبَيِّنَاتُ مِنَ الْبَيِّنَاتِ الَّتِي يَسْتَشْهَدُ بِهَا النَّحْوِيُّونَ . وَالشَّاهِدُ فِيهِ قَوْلُهُ : « بِمُغْنٍ » ، حَيْثُ أَدْخَلَ الْبَاءَ الزَّائِدَةَ . فِي خَبَرٍ لَا ، كَمَا تَدْخُلُ فِي الْخَبَرِ الْمُنْفَى بِلَيْسَ وَمَا ، وَذَاكَ قَلِيلٌ ، وَهَذِهِ الْبَاءُ لَتَأْكِيدِ النَّفْيِ عِنْدَ الْكُوفِيِّينَ ، أَمَّا عِنْدَ الْبَصَرِيِّينَ فَهِيَ لِدَفْعِ تَوْحُمِ الْإِثْبَاتِ . وَرَأَى الْكُوفِيُّونَ هُوَ الصَّحِيحُ . وَلَا نَافِيَةَ حِجَازِيَّةٍ تَعْمَلُ عَمَلُ لَيْسَ ، وَلِهَذَا رَفَعْتُ ذُو . وَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ قِصَّةَ سَوَادِ بْنِ قَارِبٍ فِي إِسْلَامِ عُمَرَ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَلِيمَانَ الْخَوْفِيِّ عَنْ ابْنِ وَهْبٍ ، عَنْ عُمَرُو - وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ - أَنَّ سَالِمًا حَدَّثَهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - بِنَحْوِ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ هِشَامٍ . وَسَوَادُ بْنُ قَارِبٍ مِنْ أَهْلِ السَّرَاقَةِ - كَمَا قِيلَ - مِنْ جِبَالِ الْبَلْقَاءِ لَهُ صُحْبَةٌ - كَمَا يَحْكِي - وَوَفَادَةٌ . وَقِيلَ : كَانَ مِنْ أَشْرَافِ الْيَمَنِ ، وَهُنَاكَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ الَّتِي رَوَى مِنْهَا هَذَا الْحَدِيثُ مَا يُشِيرُ حَوْلَهُ الشُّكُّ ، بَلْ فِي الْإِظْهَارِ نَفْسَهَا . وَالْقُرْآنُ لَا يَشْهَدُ لَهُ ، وَتَدَبَّرْ قَوْلَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ : (إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ

سوار وروس عند وفاة الرسول « ص » :

ولسَوَادِ بْنِ قَارِبٍ هَذَا مَقَامٌ حَمِيدٌ فِي دَوْنِ حِينَ بَلَغَهُمْ وَفَاةُ رَسُولِ اللَّهِ -
صلى الله عليه وسلم - فقام حينئذ سوادٌ، فقال : يامعشر الأزدِ، إن من سعادة القوم
أن يتعضوا بغيرهم ، ومن شقاءهم ألا يتعضوا إلا بأنفسهم، ومن لم تنفعه التجارب
ضرته ، ومن لم يَسْمَعْ الحق لم يَسْمَعْ الباطلُ ، وإنما تسلمون اليوم بما أسلمتم
به أمس ، وقد علمتم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد تناول قوما أبعدَ
منكم فظفر بهم ، وأودع قوما أكثر منكم فأخافهم ، ولم يمنعه منكم عُدَّةٌ
ولا عدد ، وكل بلاء مَنَسِيٌّ إلا ما بقى أثره في الناس، ولا ينبغي لأهل البلاء إلا
أن يكونوا أذكُر من أهل العافية للعافية ، وإنما كفَّ نبيَّ الله عنكم ما كفَّكم
عنه ، فلم تَرَوْا إخراجين مما فيه أهلُ البلاء ، داخلين مما فيه أهلُ العافية ، حتى
قدم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خطيبكم ونقيبكم فَعَبَّرَ الخطيبُ عن
الشاهد ، ونَقَّبَ النقيب عن الغائب ، ولست أدرى لعله تكون للناس جَوَالةٌ
فإن تسكن ، فالسَّلامَةُ منها: الأناةُ ، والله يُحِبُّهَا ، فأجَبُواها . فأجابهُ القوم وسمعوا
قوله ، فقال في ذلك سوادُ بن قارب :

== لا تروهم ، والجليح - كما فسر - هو الوقح المكافح بالعداوة ، وفي رواية .
يا آل ذريح ، وهو بطن مشهور في العرب ، والقلاص : جمع قلاص ، وهذه جمع
قلاص : الفتية من النياق ، والأحلاس : جمع حلس ما يوضع على ظهر البعير ليقى
الرجل من الدبر ، وألبس الرجل : سكت ذليلاً أو مغلوباً ، والعيس : الإبل
الكرام . انظر ص ١٤٤ > ٧ فتح الباري ، و ص ٢٥٢ > ١ الخصائص السيوطي
> ١ دار الكتب الحديثة ، ص ٦٨ شرح السيرة للخشنى ، وبلوغ الأرب > ٣
ص. ٢٣ ، ٣٠٢ ، وجمع الزوائد للهيتمي .

جَلَّتْ مَصِيبُكَ الْغَدَاةَ سَوَادُ وَأَرَى الْمَصِيبَةَ بَعْدَهَا تَزْدَادُ
أَبْقَى لَنَا فَقَدْ النَبِيَّ مُحَمَّدٍ - صلى الله عليه - مَا يَعْتَادُ
حُزْنَا لَعْمُرُكَ فِي الْفَوَادِ مُحَامِرًا أَوْهَلْ لِمَنْ فَقَدْ النَبِيَّ فَوَادُ؟
كُنَّا نَحُلُّ بِهِ جَنَابًا مُمَرِّعًا جَفَّ الْجَنَابُ ، فَأَجْدَبَ الرُّوَادُ
فَبَكَتْ عَلَيْهِ أَرْضُنَا وَسَمَاؤُنَا وَتَصَدَّعَتْ وَجْدًا بِهِ الْأَكْبَادُ
قَلَّ الْمَتَاعُ بِهِ ، وَكَانَ عِيَانُهُ خُمَا تَضَمَّنَ سَكْرَتَيْهِ رِقَادُ
كَانَ الْعِيَانُ هُوَ الطَّرِيفَ وَحِرْنُهُ بَاقٍ لَعْمُرُكَ فِي النَفُوسِ زِلَادُ
إِنِ النَّبِيَّ وَفَاتِهِ كَحَيَاتِهِ الْحَقُّ حَقٌّ وَالْجَهَادُ جِهَادُ
لَوْ قِيلَ : تَقْدُونُ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا بُذِلَتْ لَهُ الْأُمُالُ وَالْأَوْلَادُ
وَتَسَارَعَتْ فِيهِ النَفُوسُ بِبَذْلِهَا هَذَا لَهُ الْأَغْيَابُ وَالْأَشْهَادُ
هَذَا ، وَهَذَا لَا يَرِدُ نَدْبَيْنَا لَوْ كَانَ يَقْدِيهِ فِدَاهُ سَوَادُ
أَتَى أَحَاذِرُ وَالْخَوَادِثُ جَمَّةُ أَمْرًا لِعَاصِفِ رِيحِهِ إِرْعَادُ
إِنْ حَلَّ مِنْهُ مَا يُخَافُ فَأَنْتُمْ لِلْأَرْضِ - إِنْ رَجَفَتْ بِنَا - أَوْتَادُ
لَوْ زَادَ قَوْمٌ فَوْقَ مُنْيَةِ صَاحِبِ زِدْتُمْ ، وَنِيسَ لِمُنْيَةِ زِدَادُ

هذه قريش

فَتَعَجَّبَ الْقَوْمَ شِعْرُهُ ، وَقَوْلُهُ : فَأَجَابُوا إِلَى مَا أَحَبَ ، وَمِنْ هَذَا الْبَابِ خَبَرُ
سَوْدَاءَ بِنْتِ زُهْرَةَ بْنِ كَلَابٍ ، وَذَلِكَ أَنَّهَا حِينَ وُلِدَتْ وَرَأَاهَا أَبُوهَا زَرْقَاءُ
شَيْمَاءَ (١) أَمْرٌ بِوَادِيهَا ، وَكَانُوا يَتَدُونُ مِنَ الْبَنَاتِ مَا كَانَ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ
فَأَرْسَلَهَا إِلَى الْحُجُونِ لَتَدْفِنَ هُنَاكَ ، فَلَمَّا حَفَرُهَا الْخَافِرُ ، وَأَرَادَ دَفْنَهَا سَمِعَ هَاتِفًا يَقُولُ :
(١) صَافِيَةُ الْبَيَاضِ فِيهَا شَامَةٌ ، تَعْطِيهَا جَمَالًا .

لَا تَذُنُ الصَّبِيَّةَ ، وَخَلَّهَا فِي الْبَرِيَّةِ ، فَالْتَفَتَ فَلَمْ يَرِ شَيْئًا ، فَعَادَ لِدَفْنِهَا ، فَسَمِعَ الْهَاتِفَ يَهْتَفِ بِسَجْعٍ آخَرَ فِي الْمَعْنَى ، فَرَجَعَ إِلَى أَبِيهَا ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا سَمِعَ ، فَقَالَ : إِنْ لَهَا لِسَانًا ، وَتَرَكَهَا ، فَكَانَتْ كَاهِنَةً قُرَيْشَ ، فَقَالَتْ يَوْمًا لِبَنِي زُهْرَةَ : إِنْ فِيكُمْ نَذِيرَةٌ ، أَوْ تِلْدٌ نَذِيرًا ، فَأَعْرِضُوا عَلَيَّ بِنَاتِكُمْ ، فَعَرَضْنَ عَلَيْهَا ، فَقَالَتْ فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ قَوْلًا ظَهَرَ بَعْدَ حِينٍ ، حَتَّى عَرَضَتْ عَلَيْهَا أَمْنَةُ بِنْتُ وَهَبٍ ، فَقَالَتْ : هَذِهِ النَّذِيرَةُ ، أَوْ تِلْدُ النَّذِيرَا ، وَهُوَ خَيْرٌ طَوِيلٌ ذَكَرَ الزُّبَيْرُ مِنْهُ يَسِيرًا ، وَأَوْرَدَهُ بِطَوَلِهِ أَبُو بَكْرٍ النَّقَّاشُ ، وَفِيهِ ذَكَرُ جَهَنَّمَ — أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْهَا — وَلَمْ يَكُنْ اسْمُ جَهَنَّمَ ، مَسْنُوعًا بِهِ عِنْدَهُمْ ، فَقَالُوا لَهَا : وَمَا جَهَنَّمَ ، فَقَالَتْ : سَيُخْبِرُكُمْ النَّذِيرُ عَنْهَا (١) .

(٢) ليس صدق النبوة في حاجة إلى أن تكذب له ، وتصديق مثل هذه المفتريات تكذيب للقرآن الذي يؤكد أن علم الغيب إنما هو لله وحده . وإذا كان محمد ص. نفسه لم يكن يعرف الإيمان قبل النبوة ، ولم يكن يعرف بالتالي أنه نبي ، فكيف نسب هذا العلم إلى غيره من طواغيت الوثنية ؟ ! هذا وبعض اللغويين يقول عن جهنم : لأنها معربة ، والأكثرون على أنها عربية أصيلة من جهنم مثلثة الجيم - يقال : ركية جهنم أو جهنم : بعيدة القعر وحديث عاصم بن عمرو هو في البداية عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري ، وفي تفسير ابن كثير : عاصم بن عمرو عن قتادة . ورواه ابن إسحاق أيضا عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة ، أو سعيد ابن جبير عن ابن عباس أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ، فلما بعثه الله من العرب كسفروا به ووجدوا ما كانوا يقولون فيه ، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور وداود ابن سلمة : يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ونحن أهل شرك ، وتخبروننا بأنه مبعوث ، وتصفونه بصفته ،

إنذار يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن سحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن رجال من قومه ، قالوا : إن ما دعانا إلى الإسلام ، مع رحمة الله تعالى وهُداه ، إِيَّا كُنَّا نَسْمَعُ من رجال يهود ، كُنَّا أَهْلَ شِرْكٍ أَصْحَابَ أَوْثَانٍ ، وَكَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ ، عِنْدَهُمْ عِلْمٌ لَيْسَ لَنَا ، وَكَانَتْ لَا تَزَالُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ شُرُورٌ ، فَإِذَا نِيلْنَا مِنْهُمْ بَعْضَ مَا يَكْرَهُونَ ، قَالُوا لَنَا : إِنَّهُ تَقَارِبُ زَمَانُ نَبِيِّ يُبْعَثُ الْآنَ نَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرَمَ ، فَكُنَّا كَثِيرًا مَا نَسْمَعُ ذَلِكَ مِنْهُمْ ، فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجَبْنَاهُ حِينَ دَعَانَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَعَرَفْنَا مَا كَانُوا يَتَوَعَّدُونَنَا بِهِ ، فَبَادَرْنَاهُمْ إِلَيْهِ ، فَأَمَّنَّا بِهِ ، وَكَفَرُوا بِهِ ، فَفِينَا وَفِيهِمْ نَزَلَ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ مِنَ الْبَقَرَةِ : (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ ، وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ؛ فَلَقْنَاهُ اللَّهَ عَلَى الْكَافِرِينَ) . الْبَقَرَةُ : ٧٩

قال ابن هشام : يَسْتَفْتِحُونَ : يَسْتَنْصِرُونَ ، وَيَسْتَفْتِحُونَ أَيْضًا : يَشْعَاكُمُونَ ، وَفِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى : (رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ، فَقَالَ سَلَامٌ بِنَ مَشْكَمَ أَخُو بَنِي النَّضِيرِ : مَا جَاءَنَا بِشَيْءٍ نَعْرِفُهُ ، وَمَا هُوَ إِلَّا الَّذِي كُنَّا نَذْكُرُ لَكُمْ .

وقال أبو العالية في تفسير الآية : كَانَتِ الْيَهُودُ تَسْتَنْصِرُ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مُشْرِكِي الْعَرَبِ يَقُولُونَ : اللَّهُمَّ ابْعَثْ هَذَا النَّبِيَّ الَّذِي نَجِدُهُ مَكْتُوبًا عِنْدَنَا حَتَّى نَعَذِّبَ الْمُشْرِكِينَ وَنَقْتُلَهُمْ ، فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَرَأَوْا أَنَّهُ مِنْ غَيْرِهِمْ كَفَرُوا بِهِ حَسَدًا لِلْعَرَبِ ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَرَوَى الْيَهُودِيُّ : كَانَتِ الْيَهُودُ تَقُولُ : اللَّهُمَّ ابْعَثْ لَنَا هَذَا النَّبِيَّ يَحْكُمُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ النَّاسِ ، يَسْتَفْتِحُونَ بِهِ ، أَيْ : يَسْتَنْصِرُونَ بِهِ .

وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ) . الأعراف : ٨٩ .

قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن محمود بن أبيد أخى بنى عبد الأشهل عن سلمة بن سلمة بن وقش - وكان سلمة من أصحاب بدر - قال : كان لنا جار من يهود فى بنى عبد الأشهل ، قال : نخرج علينا يوماً من بيته ، حتى وقف على بنى عبد الأشهل - قال سلمة : وأنا يومئذ أحدث من فيه شيئاً ، على برودة لى ، مضطجع فيها بفناء أهلى - فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار ، قال : فقال ذلك لقوم أهلى شرك أصحاب أوثان ، لا يرون أن بعثنا كائن بعد الموت ، فقالوا له : ونحكك يا فلان !! أوترى هذا كائناً ، أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار ، يجزون فيها بأعمالهم ؟ قال : نعم ، والذي يحلف به ، وبود أن له بحظه من تلك النار أعظم تنوير فى الدار ، يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطعنونه عليه ، بأن ينجو من تلك النار غداً ، فقالوا له : ونحكك يا فلان ! فما آية ذلك ؟ قال : نبى مبعوث من نحو هذه البلاد - وأشار بيده إلى مكة واليمن - فقالوا : ومتى تراه ؟ قال : فنظر إلى ، وأنا من أحدثهم شيئاً ، فقال : إن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه . قال سلمة : فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمداً رسوله - صلى الله عليه وسلم - وهو حى بين أظهرنا ، فأمنأ به ، وكفر به بغياً وحسداً . قال : فقلنا له : ونحكك يا فلان !! ألسنت الذى قلت لنا فيه ما قلت ؟ قال : بلى . ولكن ليس به .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بنى قريظة قال :

قال لي : هل تدري عمّ كان إسلام ثعلبة بن سفيّة وأسيّد بن سفيّة وأسد ابن عبيد نقر من بني هذيل ، إخوة بني قريظة ، كانوا معهم في جاهليتهم . ثم كانوا ساداتهم في الإسلام . قال : قلت : لا ، قال : قلن رجلاً من يهود من أهل الشام ، يقال له : ابن الهيثيان ، قدّم علينا قبيل الإسلام بسنين ، فحل بين أظهرنا ، لا والله ما رأينا رجلاً قطّ لا يصلّي الخمس أغضل منه ، فأقام عندنا فكنا إذا قحط عنا الطرُّ قلنا له : اخرج يا ابن الهيثيان فاستسقى لنا ، فيقول : لا والله ، حتى تقدّموا بين يدي تخرّجكم صدقة ، فتقول له : كم ؟ فيقول : صاع من تمر : أو مدّين من شعير . قال : فتخرجها ، ثم يخرج بنا إلى ظاهر حرّتنا ، فيستسقى الله لنا . فوالله ما يبرح يحمله ، حتى تمرّ السحابة ونسقي ، قد فعل ذلك غير مرّة ولا مرتين ولا ثلاث . قال : ثم حصرته الوفاة عندنا . فلما عرّف أنه ميّت ، قال : يا معشر يهود ، ما تروته أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع ؟ قال : قلنا : إياك أعلم ، قال : فإني إنما قدّمت هذه البلدة أتوكّف خروج نبي قد أظللّ زمانه ، وهذه البلدة مهاجرة ، فكنت أرجو أن يبعث ، فأبعثه ، وقد أظلكم زمانه ، فلا تسبقنّ إليه . يا معشر يهود ، فإنه يبعث بشفك الدماء ، وسبي التّراري والنساء بمن خالفه . فلا يمنعكم ذلك منه . فلما بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحاصر بني قريظة ، قال هؤلاء الفتيّة ، وكانوا شبّاباً أحداثاً : يا بني قريظة ، والله إنه للنبي الذي كان عهد إليكم فيه ابن الهيثيان ، قلوا : ليس به ، قالوا : بلى والله ، إنه هو يصفه ، فزولوا وأسلموا ، وأخزوا دماءهم وأموالهم وأهلهم .

قال ابن إسحاق : فهذا ما يلقا عن أخبار يهود .

حديث - المحم :

فصل : وذكر ابن إسحاق حديث سلمة بن سلامة بن وقش ، وما سمع من اليهودي حين ذكر الجنة والنار ، وقال : آية ذلك نبي : مبعوث قد أطل زمانه إلى آخر الحديث ، وأيس فيه إشكال ، وابن وقش يقال فيه : وقش . بتحريك القاف وتسكينها ، والوقش : الحركة (١) .

حديث ابن الهيثام وبنو سعية :

فصل : وذكر حديث ابن الهيثام (٢) ، وما بشر به من أمر النبي — صلى الله عليه وسلم — وأن ذلك كان سبب إسلام ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسدي بن سعية ، وهم من بني هذيل ، والهيثم من المسمين بالصفات ، يقال : فطن هيثم أي : مفتش ، وأنشد أبو حنيفة :

(١) روى حديث ابن وقش أحمد ، وصححه ابن حبان من طريقه ، ورواه البيهقي عن الحاكم بإسناده من طريق يونس بن بكير ج ٦ ص ٤٥٤ فتح الباري ، ص ٣٠٩ ج ٢ البداية . وقد ورد أن اسم الجار اليهودي هو : يوشع ، وهناك بعض كلمات في أحمد تخالف ما هنا . فقد ذكر فروة مكان بردة ، ويطلبونه مكان يطينونه . ووضع كلمة نحو مكان : إلى في قوله : إلى مكة . وذكر : ومتى نراه بدلا من : متى نراه ؟

(٢) معناها : الكثير والجبان والتهيب والراعي والتراب وزبد أفواه الإبل ، وقد يخفف ، وقد يقال : هيفان . بتضعيف الياء مع فتحها . وقوله في حديث ابن الهيثام : أتوكف خروج نبي : أنتظر وأستشعر . أطل زمانه : أشرف وقرب .

تُطِيرُ الْمَغَامَ الْهَيَّيَّانَ ، كَأَنَّهُ جَنَى عُمَيْرٍ تَغْفِيهِ أَشْدَاقُهَا الْهَدَلُ (١)
وَالْهَيَّيَّانَ أَيْضًا : الْجَبَانُ ، وَقَدْ قَدِمْنَا الْاِخْتِلَافَ فِي هَذَا ، وَأَمَّا أُسَيْدُ
ابْنِ سَعْنَةَ ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفِ الْمَدَنِيِّ ،
عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ ، وَهُوَ أَحَدُ رَوَاةِ الْمَغَازِي عَنْهُ أُسَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ بِضَمِّ الْأَلْفِ ، وَقَالَ
يُونُسُ بْنُ بَكِيرٍ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، وَهُوَ قَوْلُ الْوَاقِدِيِّ وَغَيْرِهِ أُسَيْدُ بَفَتْحِهَا قَالَ :
الدَّارُ قُطْنِي : وَهَذَا هُوَ الصَّوَابُ ، وَلَا يَصِحُّ مَا قَالَهُ إِبْرَاهِيمُ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ،
وَبَنُو سَعْنَةَ هَؤُلَاءِ فِيهِمْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (٢) مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ
قَائِمَةٌ ﴿ آلَ عِمْرَانَ : ١١٣ آيَةَ ، وَسَعْنَةَ أَبُوهُمْ يَقَالُ لَهُ : ابْنُ الْعَرِيضِ ، وَهُوَ
بِالسَّيْنِ الْمَهْمَلَةِ ، وَالْيَاءِ الْمَنْقُوطَةِ بَاثْنَيْنِ .

(١) الْبَيْتُ لَذِي الرِّمَّةِ يَصِفُ لِبَلَاءِ وَلِإِزْبَادِ مَشَافِرِهَا ، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : وَجَى
الْعَشْرُ : يَخْرُجُ مِثْلُ رِمَاةٍ صَغِيرَةٍ ، فَتَنْشَقُّ عَنْ مِثْلِ الْقَرْ ، فَشَبَّهَ لَغَامَهَا بِهِ . . .
وَهُوَ فِي اللِّسَانِ : تَمَجُّجٌ . وَاللِّغَامُ : زَبْدُ أَفْوَاهِ الْإِبِلِ . وَالْعَشْرُ : نَوْعٌ مِنَ الشَّجَرِ ،
يَحْشَى فِي الْخَادِ . وَالْهَدَلُ : اسْتِرْخَاءُ الْمَشْفَرِ الْأَسْفَلَ مِنَ الْجَمَلِ ، أَوْ عَظَمُ الشِّفَةِ
وَاسْتِرْخَاؤُهَا . وَهَذَا : جَمْعُ هَدَلَاءَ . وَفِي الرُّوضِ : خَبِيْ عَشْرُ تَبْقِيَةٍ وَهُوَ خَطَأٌ .

(٢) فِي ابْنِ كَثِيرٍ نَقْلًا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيمَنْ آمَنَ مِنْ أَجْبَارِ أَهْلِ
الْكِتَابِ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَسَدِ بْنِ عُبَيْدٍ ، وَثَعْلَبَةَ بْنِ شَعْبَةَ . وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ عَنْ
ابْنِ مَسْعُودٍ : أَخْرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الْعِشَاءِ . ثُمَّ خَرَجَ إِلَى
الْمَسْجِدِ ، فَإِذَا النَّاسُ يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ فَقَالَ : أَمَّا إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْأَدْيَانِ
أَحَدٌ يَذْكُرُ اللَّهَ هَذِهِ السَّاعَةَ غَيْرَكُمْ . فَنَزَلَتْ : (لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
— إِلَى قَوْلِهِ — وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ) .

سنة الحبر وإسلام :

وأما سُنَّةُ بالنون ، فزيد بن سَعْنَةَ حبر من أحبار يهود ، كان قدداين النبيَّ — صلى الله عليه وسلم — فجاءه يتقاضاه قبل الأجل ، فقال : ألا تَقْضِيَنِي يا محمد ، فإنكم يا بني عبد المطلب مُظْلَمُونَ ، وما أردت إلا أن أعلم علمكم ، فارتعد عمر ، ودار ، كأنه في فَلَّك ، وجعل يلحظ يميناً وشمالاً ، وقال : تقول هذا لرسول الله يا عدُوَّ الله ؟ ! فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا إلى غير هذا منك أحوَجُ يا عمر : أن تأمرني بحسن الأداء ، وتأمره بحسن التَّيَبُّعَةِ ، قم فاقْضِهِ عني ، فو الله ما حل الأجلُ ، وزده عشرين صاعاً بما رَوَّعْتَهُ ، وفي حديث آخر : أنه قال : دعه ؛ فإنَّ لصاحب الحق مقبلاً ، ويذكر أنه أسلم^(١) لما رأى من موافقة وصف النبي عليه السلام لما كان عنده في التوراة ، وكان يحده موصوفاً بالحلم ، فلما رأى من حِلْمِهِ ما رأى أسلم ، وتوفي غاز يامع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في غزوة تَبُوكَ ، ويقال في اسمه : سَفِيَّةُ بالياء كما في الأول ، ولم يذكره الدارقطني إلا بالنون .

(١) روى قصة إسلامه الطبراني وابن حبان والحاكم وأبو الشيخ في كتاب أخلاق النبي - صلى الله عليه وسلم - وغيرهم من طريق الوليد بن مسلم عن محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده عن عبد الله بن سلام ، قال زيد بن سَعْنَةَ : ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في وجه محمد حين نظرت إليه إلا خصلتين . لم أخبرهما منه : يسبق حِلْمُهُ جَهْلُهُ ، ولا يزيدُه شِدَّةُ الجَهْلِ عليه إلا حِلْمًا . . فذكر الحديث بطوله . . ومدار الحديث على محمد بن أبي السرى الراوى له عن الوليد ، وثقه ابن معين ، ولينه أبو حاتم ، وقال ابن عدى : محمد كثير الغلط . وأخرجه أبو نعيم في الدلائل .

حديث إسلام سلمان رضي الله عنه

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصمُ بنُ عمر بن قتادة الأنصاري ، عن محمود بن لبيد ، عن عبد الله بن عباس ، قال : حدثني سلمان الفارسي من فيه قال : كنتُ رجلاً فارسياً من أهل إصْبَهان من أهل قَرْيَةٍ يُقال لها : جَبَى ، وكان أبي دِهْمَتَانَ قَرِيبَتَهُ ، وكنتُ أَحَبَّ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيْهِ ، لم يزل به حُبُّهُ إِيَّايَ حتى حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ كَمَا تُحْبَسُ الْجَارِيَةُ ، واجتهدت في الجوسية حتى كنتُ قَاطِنَ النَّارِ الَّذِي يُوقَدُهَا ، لا يتركها نَحْبُو سَاعَةٍ . قال : وكانت لأبي ضِيعَةٌ عَظِيمَةٌ ، قال : فَشُغِلْتُ فِي بُنْيَانٍ لَهُ يَوْمًا ، فَقَالَ لِي : يَا بُنَى ، إِنِّي قَدْ شُغِلْتُ فِي بُنْيَانِي هَذَا الْيَوْمَ عَنْ ضِيعَتِي ، فَادْهَبْ إِلَيْهَا ، فَاطْلَعْهَا - وَأَمَرَنِي فِيهَا بِبَعْضِ مَا يُرِيدُ - ثُمَّ قَالَ لِي : وَلَا تَحْتَبِسْ عَنِّي ؛ فَإِنَّكَ إِنْ احْتَبَسْتَ عَنِّي كُنْتَ أَهْمٌ إِلَى مِنْ ضِيعَتِي ، وَشَغَلْتَنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِي . قال : فَخَرَجْتُ أُرِيدُ ضِيعَتَهُ الَّتِي بَعَثَنِي إِلَيْهَا ، فَمَرَرْتُ بِكَنِيسَةٍ مِنْ كَنِائِسِ النَّصَارَى ، فَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ فِيهَا وَهُمْ يَصَلُّونَ ، وَكُنْتُ لَا أَدْرِي مَا أَمْرُ النَّاسِ ، لِخَبَسِ أَبِي إِيَّايَ فِي بَيْتِهِ ، فَلَمَّا سَمْتُ أَصْوَاتَهُمْ دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ ، أَنْظَرُ مَا يَصْنَعُونَ ، فَلَمَّا رَأَيْتَهُمْ ، أَعْجَبْتَنِي صَلَاتُهُمْ ، وَرَغِبْتُ فِي أَمْرِهِمْ ، وَقُلْتُ : هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدِّينِ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ ، فَوَاللَّهِ مَا بَرِحْتُهُمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ ، وَتَرَكْتُ ضِيعَةَ أَبِي فَلَمْ آتِهَا ، ثُمَّ قَالَتْ لَهُمْ : أَيْنَ أَصْلُ هَذَا الدِّينِ ؟ قَالُوا : بِالشَّامِ . فَرَجَعْتُ إِلَى أَبِي ، وَقَدْ بَعَثَ فِي طَلْبِي ، وَشَغَلْتَهُ عَنْ عَمَلِهِ كُلِّهِ ، فَلَمَّا جِئْتُهُ قَالَ : أَيْ .

بني أين كنت؟ أولم أكن عهدي إليك ما عهدي؟ قال: قلت له: يا أبت، مررت بأناس يصاؤون في كنيسة لهم، فأعجبني ما رأيت من دينهم، فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس، قال: أي بني، ليس في ذلك الدين خير، دينك، ودين آبائك خير منه، قال: قلت له: كلا والله، إنه لخير من ديننا. قال: تخافني، فجعل في رجلي قيداً، ثم حبسني في بيته.

قال: وبعثت إلى النصارى فقلت لهم: إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبروني بهم. قال: فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى، فأخبروني بهم، فقلت لهم: إذا قضاوا حوائجهم، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم، فأذوني بهم: قال: فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم، أخبروني بهم، فألقيت الحديد من رجلي، ثم خرجت معهم، حتى قدمت الشام فلما قدمتها قلت: من أفضل أهل هذا الدين إلما؟ قالوا: الأسقف في الكنيسة.

قال: فجئته، فقلت له: إني قد رغبت في هذا الدين، فأحببت أن أكون معك، وأخذمك في كنيستك، فأتعلم منك، وأصلي معك، قال: ادخل، فدخلت معه. قال: وكان رجل سوء، يأمرهم بالصدقة، ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا إليه شيئاً منها اكتنزها لنفسه، ولم يعط المساكين، حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق. قال: فأبغضته بغضا شديداً، لما رأيته يصنع، ثم مات، فاجتمعت إليه النصارى، أيدفونوه، فقلت لهم: إن هذا كان رجل سوء، يأمركم بالصدقة، ويرغبكم فيها، فإذا جتمعوا بها، اكتنزها لنفسه، ولم يعط المساكين منها شيئاً. قال: فقالوا لي: وما علمك بذلك؟

قال : قلت لهم : أنا أدلكم على كنزه ، قالوا : فدُئنا عليه ، قال : فأرَيْتهم موضِعَه ، فاستخرجوا سَبْعَ قِلَالٍ مملوءة ذهباً وَوَرَقاً . قال : فلما رأوها قالوا : والله لا ندْفنه أبداً . قال : فصأبوه ، ورجموه بالحجارة ، وجاءوا برجل آخر ، فجعلوه مكانه .

قال : يقول سلمان : فما رأيتُ رجلاً لا يصلّي الخمس ، أرى أنه كان أفضل منه ، وأزهد في الدنيا ، ولا أرغب في الآخرة ولا أدأب ليلاً ولا نهاراً منه . قال : فأحببته حبّاً لم أحبه شيئاً قبله مثله . قال : فأقمتُ معه زماناً ، ثم حضرته الوفاة ، فقلتُ له : يا فلان ، إني قد كنت معك ، وأحببتك حبّاً لم أحبه شيئاً قبلك ، وقد حضرك ماترى من أمر الله تعالى ، فإلى مَنْ تُوصي بي ؟ وبِم تأمرني ؟ قال : أيُّ بُنيّ ، والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنتُ عليه ، فقد هلك الناس ، وبدّ لو اوتركوا أكثر ما كانوا عليه ، إلا رجلاً لمَوْصِل ، وهو فلان ، وهو على ما كنتُ عليه فالحق به .

فلما مات وَغُيِبَ لحقتُ بصاحب المَوْصِل ، فقلت له : يا فلان ، إن فلانا أوصاني عند موته أن ألحق بك ، وأخبرني أنك على أمره ، قال : فقال لي : أَرِمَ عندي ، فأقمتُ عنده ، فوجدته خيرَ رجلٍ على أمرٍ صاحبه ، فلم يلبث أن مات ، فلما حضرته الوفاة ، قلت له يا فلان : إن فلانا أوصى بي إليك ، وأمرني بالحق بك ، وقد حضرك من أمر الله ماترى ، فإلى مَنْ تُوصي بي ؟ وبِم تأمرني ؟ قال : يا بنيّ ، والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنتُ عليه ، إلا رجلاً بنَصِيبين ، وهو فلان ، فالحق به .

فلما مات وعُيِّب لحقت بصاحب نصيبين ، فأخبرته خبري ، وما أمرني به .
صاحباي ، فقال : أقم عندى ، فأقمْتُ عنده فوجدته على أمر صاحبيه . فأقمْتُ مع
خير رجلٍ ، فوالله ما لبث أن نزل به الموتُ ، فلما حضر ، قلت له : يا فلان ،
إن فلانا كان أوصى بى إلى فلان ، ثم أوصى بى فلان إليك ، فأبى من
توصى بى ؟ وبِمَ تأمرنى ؟ قال : يا بنى ، والله ما أعلمه بقى أحدٌ على أمرنا
أمرُك أن تأتية إلا رجلاً بعمورية من أرض الروم ، فإنه على مثل ما نحن
عليه ، فإن أحببت فإنه ، فإنه على أمرنا .

فلما مات وعُيِّب لحقت بصاحب عمورية ، فأخبرته خبري ، فقال : أقم
عندى ، فأقمْتُ عند خير رجلٍ ، على هدى أصحابه وأمرهم . قال : واكتسبت
حتى كانت لى بقرات وغنيمة . قال : ثم نزل به أمر الله ، فلما حضر ، قلت
له : يا فلان ، إني كنت مع فلان ، فأوصى بى إلى فلان ، ثم أوصى بى فلان إلى
فلان ، ثم أوصى بى فلان إليك ، فأبى من توصى بى ؟ وبِمَ تأمرنى ؟ قال : أبى
بنى ، والله ما أعلمه أصبح اليوم أحد على مثل ما كنا عليه من الناس أمرُك به .
أن تأتية ، ولكنه قد أظل زمان نبى ، وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام ،
يخرج بأرض العرب ، مهاجرة إلى أرض بين حرتين ، بينهما نخل ، به علامات
لا تخفى ، يأكل الهدية ، ولا يأكل الصدقة ، وبين كتمه خاتم النبوة ، فإن
استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل .

قال : ثم مات وعُيِّب ، ومكثت بعمورية ماشاء الله أن أمكث ، ثم مررت
نفر من كلب تجار ، فقلت لهم : احملوني إلى أرض العرب ، وأعطيكم بقراتى

عنده وغُصِمَتِي هذه ، قالوا : نعم فَأَعْطَيْنَاهُمُوهَا ، وحمّلوني معهم ، حتى إذا بلغوا وادي القريّ ظلموني ، فباعوني من رجل يهودي عبداً ، فكنت عنده ، ورأيت النخل ، فرجوت أن يكون البلد الذي وُصِفَ لي صاحبي ، ولم يحقّ في نفسي ، فبينما أنا عنده ، إذ قدّم عليه ابنُ عمّ له من بني قريظة من المدينة ، فابتاعني منه ، فاحتملني إلى المدينة ، فوالله ما هو إلا أن رأيتهما ، فعرفتهما بِصَفَةِ صاحبي ، فأقمت بهما ، وبُعِثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقام بمكة ما أقام ، لا أسمع له بذكر ، مع ما أنا فيه من شغل الرقّ ، ثم هاجر إلى المدينة ، فوالله إني لفي رأس عَذْقٍ لسيدى أعمل له فيه بعضَ العمل ، وسيدى جالس تحتي ، إذ أقبل ابنُ عمّ له ، حتى وقف عليه ، فقال : يا فلان ، قاتل الله بني قَيْلَةَ ، والله إنهم الآن لاجتمعون بِقُبَاءٍ على رجل قدّم عليهم من مكّة اليوم ، يزعمون أنه نبيّ .

قال ابن هشام : قيلة : بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن زيد بن لَيْث ابن سوّد بن أسلم بن الحاف بن قُضاعة ، أم الأوس والخزرج .

قال النعمان بن بشير الأنصاري يمدح الأوس والخزرج :

بها ليلُ من أولاد قَيْلَةَ لم يَحِدْ عليهم خَلِيطٌ في مُحَالِطَةِ عَتَبَا
مساميح أبطال يُرْأَحُون للندى يَرَوْنَ عليهم فِئَلُ آبائهم نَحْبَا

وهذان البيتان في قصيدة له :

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري ، عن محمود

ابن أبيد ، عن عبد الله بن عباس ، قال : قال سلمان : فلما سمعتموها أخذتني العُرُواء . قال ابن هشام : العُرُواء : الرُّعدة من البرد والانتفاض ، فإن كان مع ذلك عَرَقَ فِيهِ الرِّحَاءُ ، وكلاهما ممدود - حتى ظننتُ أني سأسقط على سيدي ، فنزلت عن النخلة ، فجعلت أقول لابن عمه ذلك : ماذا تقول ؟ ماذا تقول ؟ فغضب سيدي ، فلكني لَكَمَةً شديدة ، ثم قال : مالك ولهذا ؟ أَقْبِلْ عَلَى عَمَلِكَ . قال : قلت : لا شيء ، إنما أردت أن أَسْتَشِيْبَهُ عما قال .

قال : وقد كان عندي شيء قد جمعته ، فلما أمسيتُ أخذته ، ثم ذهبت به إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو بَقِيَاءُ ، فدخلت عليه ، فقلت له : إنه قد بلغني أنك رجلٌ صالح ، ومعك أصحاب لك غرباء ذَوُو حَاجَةٍ ، وهذا شيء قد كان عندي للصدقة ، فرأيتكم أحقَّ به من غيركم ، قال : فقرَّبته إليه ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه : كلوا ، وَأَمْسَكَ يَدَهُ ، فلم يأكل . قال : فقلت في نفسي : هذه واحدة . قال ثم انصرفتُ عنه ، فجمعت شيئاً ، وتحول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة ، ثم جئت به ، فقلت له : إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة ، فهذه هَدِيَّةٌ أَكْرَمْتُكَ بِهَا . قال : فأكل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منها ، وأمر أصحابه ، فأكلوا معه . قال : فقلت في نفسي : هاتان اثنتان ، قال : ثم جئت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو بِبَقِيْعِ الْغَرَقَدِ ، قد نَبَعَ حِنَاةَ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، عَلَى شِمْلَتَانِ لِي ، وهو جالس في أصحابه ، فسأمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره ، هل أرى الخاتمَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي ، فلما رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -

اسْتَدْبَرْتُهُ ، عَرَفَ أَنِّي أَسْتَدْبَيْتُ فِي شَيْءٍ وَصَفَ لِي ، فَأَتَى رِداَهُ عَنْ ظَهْرِهِ .
فَنَظَرْتُ إِلَى الْخَاتَمِ فَعَرَفْتُهُ ، فَأَكْبَبْتُ عَلَيْهِ أَقْبَلَهُ ، وَأَبْكَى . فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : تَحَوَّلْ ، فَتَحَوَّلْتُ لِحَاسَتُ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ حَدِيثِي ،
كَمَا حَدَّثْتُكَ يَا بَنَ عَبَّاسَ ، فَأَعْجَبَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ -
أَنْ يَسْمَعَ ذَلِكَ أَصْحَابُهُ . ثُمَّ شَغَلَ سَلْمَانَ الرَّقْءُ حَتَّى فَاتَهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِدَرُوهُ أُخِذَ .

قَالَ سَلْمَانُ : ثُمَّ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كَاتِبُ يَاسَلْمَانَ .
فَسَكَتَبْتُ صَاحِبِي عَلَى ثَلَاثَةِ نَحْلَةٍ أَخِيهَا لَهُ بِالْفَقِيرِ ، وَأَرْبَعِينَ أَوْقِيَةً . فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِأَصْحَابِهِ : أَعَيْنُوا أَخَاكُمْ ، فَأَعَانُونِي بِالنَّخْلِ ،
الرَّجُلُ بِثَلَاثِينَ وَدِيَّةً ، وَالرَّجُلُ بِعَشْرِينَ وَدِيَّةً ، وَالرَّجُلُ بِخَمْسَةِ عَشْرَةَ وَدِيَّةً ،
وَالرَّجُلُ بِعَشْرِ ، يُعِينُ الرَّجُلَ بِقَدَرِ مَا عِنْدَهُ ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ لِي ثَلَاثَانِ وَدِيَّةً ،
فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اذْهَبْ يَا سَلْمَانُ فَفَقَّرْ لَهَا ، فَإِذَا فَرَّغْتَ .
فَأَتَنِي ، أَكُنْ أَنَا أَضَعُهَا بِيَدِي . قَالَ : فَفَقَّرْتُ ، وَأَعَانَنِي أَصْحَابِي ، حَتَّى إِذَا
فَرَّغْتُ جِئْتُهُ ، فَأَخْبَرْتُهُ ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَعِيَ إِلَيْهَا ،
فَجَعَلْنَا نَقْرُبُ إِلَيْهِ الْوَدِيَّ ، وَيَضَعُهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِيَدِهِ ،
حَتَّى فَرَّغْنَا . فَوَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ ، مَا مَاتَتْ مِنْهَا وَدِيَّةٌ وَاحِدَةً . قَالَ :
فَأَدَيْتُ النَّخْلَ ، وَبَقِيَ عَلَى الْمَالِ . فَأَتَنِي رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِمِثْلِ
بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ ، مِنْ بَعْضِ الْعَمَّادِينَ ، فَقَالَ : مَا فَعَلَ الْفَارِسِيُّ
الْمُسَكَاتَبُ ؟ قَالَ : فَدُعِيتُ لَهُ ، فَقَالَ : خُذْ هَذِهِ ، فَأَدِّهَا مِمَّا عَلَيْكَ يَا سَلْمَانُ .

قال : قلت : وأين تقع هذه يا رسول الله ممّا على ؟ فقال : خذها ، فإنّ الله سيؤدّي بها عنك . قال : فأخذتها ، فوزنت لهم منها - والذي نفس سلمان بيده - أربعين أوقية ، فأوفيتهم حقهم منها ، وعتق سلمان . فشهدت مع رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - أخذت حرّاً ، ثم لم يفتني معه مشهد .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن رجل من عبّد القيس عن سلمان : أنه قال : لما قلت : وأين تقع هذه من الذي على يا رسول الله ؟ أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلّبها على لسانه ، ثم قال : خذها فأوفيتهم منها . فأخذتها ، فأوفيتهم منها حقهم كلّ ، أربعين أوقية .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : حدثني من لا أتهم عن عمر بن عبد العزيز بن مروان ، قال : حدثت عن سلمان الفارسي : أنه قال : لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين أخبره خبره : إنّ صاحب عمورية قال له : أتت كذا وكذا من أرض الشام ، فإن بها رجلاً بين غيظتين ، يخرج في كل سنة من هذه الغيضة إلى هذه الغيضة مستحيزاً ، يعترضه ذوو الأسقام ، فلا يدعو لأحدٍ منهم إلا شفى ، فأسأله عن هذا الدين الذي تبتغي ، فهو يخبرك عنه ، قال سلمان : فخرجت حتى أتيت حيث وصف لي ، فوجدت الناس قد اجتمعوا بمرضاهم هنالك ، حتى خرج لهم تلك الليلة ، مستحيزاً من إحدى الغيظتين إلى الأخرى ، فغشيهم الناس بمرضاهم ، لا يدعو لمريض إلا شفى ، وغابوني عليه ، فلم أخلص إليه حتى دخل الغيضة التي يريد أن يدخل ،

إِلَّا مَنْكِبُهُ . قَالَ : فَنَتَوَلَّيْتُهُ : فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ وَالتَفَتَ إِلَى ، فَقَالَتْ : يَرْحَمُكَ
اللهُ ، أَخْبَرَنِي عَنِ الْحَنْظَلِيَّةِ دِينَ إِبْرَاهِيمَ . قَالَ : إِنَّكَ لَتَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ مَا يَسْأَلُ
عَنْهُ النَّاسُ الْيَوْمَ ، قَدْ أَظْلَكَ زَمَانُ نَبِيٍّ يُبْعَثُ بِهِذَا الدِّينِ مِنْ أَهْلِ الْحَرَمِ ، فَأَنَّهُ
فَهُوَ يَحْمَلُكَ عَلَيْهِ . قَالَ : ثُمَّ دَخَلَ . قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - لِسُلَيْمَانَ : لَئِنْ كُنْتَ صَدَقْتَنِي يَا سُلَيْمَانُ ، لَأَقْدِمَنَّ لِقَيْتَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ
عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ السَّلَامُ .

حديث - سلمان :

فصل : وَذَكَرَ حَدِيثَ سُلَيْمَانَ بِطَوْلِهِ ، وَقَالَ : كُنْتُ مِنْ أَهْلِ إِصْبَهَانَ
هَكَذَا قَيْدَهُ الْبَكْرِيُّ فِي كِتَابِ الْمُعْجَمِ بِالْكَسْرِ فِي الْهَمْزَةِ (١) ، وَإِصْبَهَ بِالْعَرَبِيَّةِ :
فَرَسٌ ، وَقِيلَ : هُوَ الْعَسْكَرُ ، فَمَعْنَى السَّكْمَةِ : مَوْضِعُ الْعَسْكَرِ أَوْ الْخَيْلِ (٢) ،
أَوْ نَحْوِ هَذَا . وَابْسَ فِي حَدِيثِ سُلَيْمَانَ عَلَى طَوْلِهِ إِشْكَالٌ ، وَوَقَعَ فِي الْأَصْلِ

(١) فِي الْمُرَادِ : فَتَحَ الْهَمْزَةُ هُوَ الْآكُثَرُ وَالْأَشْهَرُ .

(٢) فِي الْبَكْرِيِّ : إِصْبَهَ بِلِسَانِ الْفَرَسِ : الْبَلَدُ ، وَهَانَ : الْفَرَسُ . فَمَعْنَاهُ : بَلَدُ
الْفَرَسانِ ، وَقَالَ : إِنَّ إِصْبَهَ بِالْفَارْسِيَّةِ : الْعَسْكَرُ ، وَإِنْ هَانَ مَعْنَاهُ : ذَاكَ ، فَمَعْنَى الْأَسْمِ :
الْعَسْكَرُ ذَاكَ . وَفِي الْمُرَادِ : إِنَّهَا لَنَظَرٌ مُعَرَّبٌ مِنْ سَبَاهَانَ بِمَعْنَى : الْجَيْشِ ، فَيَكُونُ
مَعْنَاهُ عَلَى حَذْفِ الْمُضَافِ : مَدِينَةُ الْجَيْشِ . وَإِصْبَهَانَ - كَمَا فِي الْمُرَادِ - مَدِينَةٌ
عَظِيمَةٌ ، مَشْهُورَةٌ مِنْ أَعْلَامِ الْمَدَنِ وَأَعْيَانِهَا . وَأَصْبَهَانَ : اسْمٌ لِلْأَقْلِيمِ بِأَسْرِهِ ، وَكَانَتْ
مَدِينَتَهَا أَوَّلًا : جِيٍّ ، ثُمَّ صَارَتْ الْيَهُودِيَّةَ ، وَهِيَ مِنْ نَوَاحِي الْجَبَلِ .

في هذا الحديث : فلما رآني رسول الله — صلى الله عليه وسلم — استَدْبَرْتُهُ ،
ورأيت في حاشية الشيخ : أَسْتَدِيرُ به ، وكذلك وقع فيه : أحياها له
بالْفَقِير ، وفي حاشية الشيخ : الوجه التَّفْقِير .

أَسْمَاءُ النَّخْلَةِ :

وَالْفَقِيرُ لِلنَّخْلَةِ ^(١) . يقال لها في الكَرَمَةِ : حَيَّيَّةٌ ، وجمعها : حَيَايَا ، وهي
الحَفِيرَةُ ، وإذا خرجت النخلة من النواة فهي : عَرِيْسَةٌ ، ثم يقال لها : وَدِيَّةٌ ،
ثم فَسِيلَةٌ ، ثم أَسَاءَةٌ ، فإذا فانت اليد فهي : جَبَّارَةٌ ، وهي العَضِيدُ ، والكَتِيلَةُ ،
ويقال للتي لم تخرج من النواة ، لكنها اجْتُمَتَتْ من جنب أمها : قَلْعَةٌ وَجَيْثَةٌ ،
وهي الْجَنَائِثُ وَالْهَرَاءُ ، ويقال للنخلة الطويلة : عَوَانَةٌ بلغة عمان ، وعَيْدَانَةٌ
بلغة غيرهم ، وهي فَيْعَالَةٌ مِنْ عَدَنَ ^(٢) بِالْمَسْكَانِ ، واختلف فيها قول صاحب
كتاب العين ، فجعلها تَارَةً : فَيْعَالَةٌ مِنْ عَدَنَ ، ثم جعلها في باب المعتل العين
فَعْلَانَةً .

ومن الْفَسِيلَةِ حديث أنس : أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم —

(١) في الْحَشْنَى د أحياها له بالفقير ، أي : بالحفر وبالغرس ، يقال ، فقر
الأرض : إذا حفرها ، ومنه سميَتِ الْبُرُ : فقيرا . وقال الوقشي : الصواب هنا:
التفقير . وأراد الوقشي هنا : المصدر ، وهو الاحسن . والفقير أيضا : الْبُرُ
تغرس فيها النخلة الصغيرة ، والمسكان السهل يحفر فيه ، ويخرج الماء من القناة
(٢) لزوم المسكان ، فلم يبرحه .

قال : إن قامت الساعة ، وبَيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ ، فاستطاع أن يفرسها قبل أن تقوم الساعة ، فليفرسها^(١) من مصنف حماد بن سلمة . والذين صحبوا سلمان من النصارى كانوا على الحقِّ على دين عيسى بن مريم ، وكانوا ثلاثين يُداولونه سيّداً بعد سيّد^(٢) .

من فقه عربيّ سلّماني :

وذكر في آخر الحديث أنه جمع شيئاً ، ف جاء به النبيّ — صلى الله عليه وسلم — ليختبره : أياكل الصدقة ، أم لا ، فلم يستلّه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أحرُّ أنت أم عبْدٌ ، ولا : من أين لك هذا ، ففي هذا من الفقه : قبول الهدية وترك سؤال المُهدى ، وكذلك الصدقة .

حكم المبرقة للنبي ومصدر مال سلّماني :

وفي الحديث : مَنْ قُدِّمَ إِلَيْهِ طَعَامٌ فَلْيَأْكُلْ وَلَا يَسْتَلْ . وذكر أبو عبيد في كتاب الأموال حديث سلمان حُجَّةٌ على من قال إن العبد لا يملك ، وقال : لو كان لا يملك ما قبل النبي — صلى الله عليه وسلم — صدقته ، ولا قال لأصحابه : كلوا صدقته . ذكر غير ابن إسحاق في حديث سلمان الوجه الذي جمع منه سلمان ما أهدى للنبي — صلى الله عليه وسلم — فقال : قال سلمان : كنت عبداً لامرأة ، فسألتُ سيدي أن تهب لي يوماً ، فعملت في ذلك اليوم على صاع أو

(١) أحد في مسنده ، والبخارى في الأدب المفرد ، وقال السيوطي : ضعيف

(٢) في البخارى : تداول سلمان بضعة عشر من رب إلى رب .

صاعين من تمر ، وجئت به النبي - صلى الله عليه وسلم - فلما رأيته لا يأكل الصدقة ، سألت سيدتي أن تهب لي يوماً آخر ، فعملت فيه على ذلك ، ثم جئت به هدية للنبي - صلى الله عليه وسلم - فقبله وأكل منه ، فبين في هذا الرواية الوجه الذي جمع منه سلمان ما ذكر في حديث ابن إسحاق ، والصدقة التي قال النبي عليه السلام : لا تحلُّ لحمد ، ولا لآل محمد هي المفروضة دون التطوع ، قاله الشافعي ، غير أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يكن تحل له صدقة الفرض ولا التطوع ، وهو معنى قول مالك .

وقال الثوري : لا تحلُّ الصدقة لآل محمد فرضها ولا نفلها ولا لمواليهم ، لأن موالى القوم من أنفسهم ، بذلك جاء الحديث . وقال مالك : تحل لمواليهم ، وقالت جماعة ، منهم أبو يوسف : لا تحلُّ لآل محمد صدقة غيرهم ، وتحلُّ لهم صدقة بعضهم على بعض ، وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب (١) .

(١) في حديث رواه مسلم : إنا لا نأكل الصدقة ، وفي حديث رواه أحمد بإسناد قوى : إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة . ويقول الفسطلاني : والحكمة في ذلك صيانة منصب الشريف عن أوساخ أموال الناس : ويقول الزرقاني عن الصدقة ، ولأنها تنفي عن ذل الآخذ وعز المأخوذ منه . ص ٢٢٠ وما بعدها ج ه المواهب اللدنية . أما الهدية فكان يقبلها ، ففي البخاري أنه أهديت إليه ديباج مزررة بالذهب ، فقسمها في ناس من أصحابه ، وعزل منها واحداً لخرمة بن نوفل . وفيه أيضاً أن ملك أيلة أهدى إليه بغلة بيضاء ، فكساه رسول الله بردة . وكان أصحابه يهدون إليه ، فيكافئهم أضماها . وفي حديث سلمان بضع كلمات إليك معناها . دهقان : شيخ القرية العارف بالفلاحة ، وما يصلح الأرض . فطن النار =

أول من مات بعد الهجرة :

وقول سلمان : فأتيت رسول الله وهو في جنازة بعض أصحابه . صاحبه .
الذى مات في تلك الأيام : كلثوم بن الهدم الذى نزل عليه النبي - صلى الله
عليه وسلم . قال الطبرى : أول من مات من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم
بعد قدومه المدينة بأيام قليلة : كلثوم بن الهدم ^(١) ، ثم مات بعده أسعد بن
زُرارة .

فصل : وذكر ابن إسحاق فى مكانة سلمان أنه فقّر لثلاثمائة ودية
أى : حفر ، وأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وضعها كلها بيده ، فلم
تمت منها ودية واحدة ، وذكر البخارى حديث سلمان كما ذكره ابن إسحاق
غير أنه ذكر أن سلمان غرس بيده ودية واحدة ، وغرس رسول الله -

==خادها . الاسقف فى الكنيسة : هو عالم النصارى الذى يقيم لهم أمر دينهم ، ويقال :
أسقف بتخفيف الغاء أو تضعيفها مع ضم الهمزة وإسكان السين وضم القاف . العذق بفتح
العين : النخلة . وبكسرهما : الكباسة وهى عنقود النخلة وبها ليل : جمع لؤلؤ ، السيد .
يراحون : يهتزون . النحب : النذر . العرواء : الرعدة . الشملة . الكساء الغليظ
يلتحف به .

(١) ابن امرئ القيس بن الحارث بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن
عوف بن مالك بن الأوس الانصارى الاوسى . ذكر ابن عتبة وغيره أنه
النبي د ص ، نزل عليه بقباء أول ما قدم المدينة . وآخرون قالوا : إنه نزل على
سعد بن خيشم . قال الواقدي : كان نزوله على كلثوم ، وكان يتحدث فى بيت سعد .
ابن خيشم ؛ لأن منزله كان منزل القرآن .

صلى الله عليه وسلم - سائرهما ، فعاشت كلها إلا التي غرس سلمان . هذا معنى حديث البخارى .

أسطورة نزول عيسى قبل بعثة النبی :

فصل : وذكر عن داود بن الحصين قال : حدثني مَنْ لا أنهم عن عمر ابن عبد العزيز قال : قال سلمان للنبي - صلى الله عليه وسلم - وذكر خبر الرجل الذي كان يخرج مُسْتَجِيرًا من غَيْضَةٍ إلى غَيْضَةٍ ، ويلقاه الناسُ بمرضاهم . فلا يدعوا لمريض إلا شفى ، وأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : إن كنت صدقتني يا سلمان ، فقد رأيت عيسى بن مريم . إسناده هذا الحديث مقطوع ، وفيه رجل مجهول ، ويقال : إن ذلك الرجل هو الحسن بن عماره ^(١) ، وهو ضعيف بإجماع منهم ، فإن صح الحديث ، فلا تَكْارَةَ في مَتْنِهِ ، فقد ذكر الطبري أن المسيح عليه السلام نزل بعد ما رفع ، وأمه وامرأة أخرى عند الجذع الذي فيه الصليب يَتَكَيَّئَان ^(٢) ، فكلمهما ، وأخبرهما أنه لم يُقْتَل ، وأن الله رفعه .

(١) وقيل عن الرجل المبهم إنه شيخ عاصم بن عمر بن قتادة . والحديث أيضا منقطع بل معضل بين عمر بن العزيز وسلمان رضى الله عنه . وقوله : لئن كنت صدقتني الخ غريب جداً بل منكر - كما ذكر ابن الأثير في البداية .
ص ٣١٤ > ٢ .

(٢) إنها كذبة صافية لا يجوز ترددها . والتدبر أن الله سبحانه لم يذكر لعيسى عليه السلام سوى ثلاثة أطوار كسل البشر : هو السلام على يوم وُلِدَ ، ويوم أُمِّسَوت ، ويوم أُنْصَبَتْ حيا ، كما قيلت تماما عن يحيى ، والصليبيون يزعمون أنه سينزل ، ويجعل العالم كله يكرز بالإنجيل ، وآيات نزوله : عودة ملك سليمان إلى اليهودا ومن =

وأرسل إلى الخواريين ، ووجههم إلى البلاد ، وإذا جاز أن ينزل مرة جاز أن ينزل مرارا، ولكن لا يعلم أنه هو حتى ينزل النزول الظاهر فيكسر الصليب ويقتل الخنزير كما جاء في الصحيح والله أعلم ، ويروى أنه إذا نزل تزوج امرأة من جذام^(١) ، ويدفن إذا مات في الروضة التي فيها النبي عليه السلام .

== ابن جاء الطبري وغيره بما زعموه عن نزول عيسى؟ وقد يقال هنا — كما قالوا — لنصح الخبر ، فإنه يدل على أن عيسى قد هرب من الذي جاءوا يطلبونه ليصلبوه ، وأن هؤلاء الطالبين أخذوا غيره ، وأن الذين رأوا عيسى بعد هذا ظنوا أنه بعث بعد صلبه ؛ إذ كانوا يظنون أنه قد أخذ ، وصلب .

(١) لا يستفيد من ترديد مثل هذا سوى الذين يحبون القضاء على الإسلام . وقد روى حديث نزول عيسى الشيخان والترمذي وأحمد ، أما ترجمه فقد ذكره ابن الجوزي في كتاب الوفا . وقد قيل : إن هذا الحديث معارض في دلالة بما تدل عليه أحاديث أخرى ، كالحديث الذي ورد في الصحيحين دالا على أن الحبش سينقضون الكعبة ، والحديث الذي ورد في البخاري مؤكدا أن بين يدي الساعة أى : قرب مجيئها — أياما ينزل فيها الجهل ، ويرفع العلم ، ويكثر فيها الهرج — أى القتل — وكالحديث الذى شكافه بعض الناس لأنس من ظلم الحجاج فقال لهم : اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم ، سمعته من نبيكم . على حين يذكر في حديث عيسى أنه سيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، وأن المال سيفيض حتى لا يقبله أحد ، كما يؤكد زوال الشحناة والتباغض والتحاسد ، فأين هذا من ذلك؟ وهل يعتبر هذا شرا من أيامنا هذه ، كما يقول الحديث السابق؟ وقيل : إنه معارض أيضا بقوله سبحانه الذى يقص به قول عيسى يوم القيامة : « ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن أعبدوا الله ربي وربكم ، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم . فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شئ شهيد ، فأين الحديث هنا عن كسر الصليب وقتل الخنزير؟ لماذا لم يقل : فلما أنزلتني فعلت وفعلت ، وعلمت أنهم غيروا ؟

ذكر ورقة بن نوفل بن أسد بن العزى وعبيد الله

ابن جحش وعثمان بن الحويرث وزيد بن عمرو بن نفيل

قال ابن إسحاق : واجتمعت قُرَيْشُ يوماً في عيدٍ لهم عند صنمٍ من أصنامهم ، كانوا يعظمونه وينحرون له ، ويعكفون عنده ، ويدبرون به ، وكان ذلك عيداً لهم ، في كل سنة يوماً ، فخلص منهم أربعة نفر نجياً ، ثم قال بعضهم لبعض : تصادقوا ، وإيكم بعضكم على بعض ، قالوا : أجل ، وهم : ورقة ابن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ، وعبيد الله بن جحش بن ريثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم ابن دودان بن أسد بن خزيمه ، وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب . وعثمان ابن الحويرث بن أسد بن عبد العزى بن قصى ، وزيد بن عمرو بن نفيل ابن عبد العزى بن عبد الله بن قُرْط بن رباح بن رزاح بن عدى بن كعب ابن لؤى ، فقال بعضهم لبعض : تعلموا والله ما قومكم على شيء ! لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم ! ما حَجَرُ نَطِيف به ، لا يسمع ولا يبصر ، ولا يضرب ولا ينفع ؟ ! يا قوم التمسوا لأنفسكم ، فإنكم والله ما أنتم على شيء ، فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية ، دين إبراهيم .

فأمَّا ورقة بن نوفل فاستحکم فی النصرانية ، واتبع الكتب من أهلها ، حتى علم علماً من أهل الكتاب . وأمَّا عبيد الله بن جحش ، فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم ، ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة ، ومعه امرأته أم

حبيبة بنت أبي سفيان مُسَلِّمَةً ، فلما قدمها تنصّر ، وفارق الإسلام ، حتى هلك هنالك نصرانياً .

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ؛ قال : كان عبيد الله ابن جعش — حين تنصّر — يَمُرُّ بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم هنالك من أرض الحبشة ، فيقول : فقَعْنَا وصَاصَاتِمُ ، أى : أبصرنا وأنتم تلتَمسون البصر ، ولم تُبصروا بعد ، وذلك أن وَلَدَ الْكَلْبِ إذا أراد أن يفتح عينيه لينظر ، صَاصاً ؛ لينظر . وقوله : فقَعَّ : فتح عينيه .

قال ابنُ إسحاق : وخَلَفَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعده على امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن عليّ بن حسين : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث فيها إلى النجاشي عمرو بن أمية الضمري ، فخطبها عليه النجاشي ؛ فزوجه إياها ، وأصدقها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعائة دينار . فقال محمد بنُ عليّ : ما نرى عبد الملك بن مروان وَقَفَ صَدَاقَ النساء على أربعائة دينار إلا عن ذلك . وكان الذي أَمْسَكَهَا لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم خَالِدُ بن سَعِيدِ بن العاص .

قال ابن إسحاق : وأما عثمان بن الحويرث ، فَقَدِمَ على قَيْصَرَ ملك الروم فتنصّر ، وحسنت منزلته عنده . قال ابن هشام : ولعثمان بن الحويرث عند قيصَرَ حديثٌ ، منعني من ذكره ما ذكرتُ في حديث حرب الفجار .

قال ابن إسحاق : وأما زيد بن عمرو بن مُنْقِل فوقف ، فلم يدخل في
يهودية ولا نصرانية ، وفارق دين قومه ، فاعتزل الأوثان والميتة والدم
والذبايح التي تذبح على الأوثان ، ونهى عن قتل الموءودة ، وقال : أعبد
رب إبراهيم ، وبادى قومه بعيب ما هم عليه .

قال ابن إسحاق : وحدثني هشام بن عروة عن أبيه ، عن أمه أسماء بنت
أبي بكر رضى الله عنهما ، قال : لقد رأيت زيد بن عمرو بن مُنْقِل شيخا كبيرا
مُسْنِدًا ظهره إلى الكعبة ، وهو يقول : يا معشر قريش ، والذي نفسُ زيد
ابن عمرو بيده : ما أصبح منكم أحدٌ على دين إبراهيم غيري ، ثم يقول : اللهم
لو أنى أعلم أى الوجوه أحب إليك عبدتك به ، ولكنى لا أعلمه ، ثم يسجد
على راحته .

قال ابن إسحاق : وحدثت أن ابنه سعيد بن زيد بن عمرو بن مُنْقِل
وعمر بن الخطاب ، وهو ابن عمه ، قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم :
أنتم مفر لزيد بن عمرو ؟ قال : نعم ، فإنه يُبعث أمةً وحده .

وقال زيد بن عمرو بن مُنْقِل في فراق دين قومه ، وما كان لقي منهم
في ذلك :

أرباً واحداً ، أم ألف ربٍّ أدين إذا تقسّمت الأمور
عزّت اللات والعزى جميعاً كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا العزى ، أدين ولا ابنتيها ولا صنتى بنى عمرو أزور

ولا هُبلاً أدينُ ، وكان رباً لنا في الدهر إذ حِينِي يَسِيرُ
مَحْبِتُ . وفي الآيالي مُعْجَبَاتُ وفي الأيامِ يَعْرِفُهَا الْبَصِيرُ
بأنَّ اللهَ قَدْ أَفْنَى رِجَالاً كثيراً كان شأنُهُمُ الْفُجُورُ
وأبقى آخرينَ بَرٍّ قَوْمُ قَبِيلٍ مِنْهُمْ الطُّفْلُ الصَّغِيرُ
وَبَيْنَا الْعَرَمُ يَعْتُرُ ثَابِ يوماً كما يَتَرَوَّحُ الْغُصْنُ الْمَطِيرُ
وَلَسَكِنْ أَعْبُدُ الرَّحْمَنَ رَبِّي لِيَغْفِرَ ذَنْبِي الرَّبُّ الْغَفُورُ
فَتَقْوَى اللهُ رَبَّكُمْ أَحْفَظُوهَا متى ما تَحْفَظُوهَا . لَا تَبُورُوا
تَرَى الْأَبْرَارَ . دَارُهُمْ جَنَّاتٌ وَلِلْكَفَّارِ حَامِيَةٌ سَعِيرُ
وَحِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ وَإِنْ يَمُوتُوا يُبْلَقُوا مَا تَضِيقُ بِهِ الصُّدُورُ

وقال زيد بن عمرو بن نفيل أيضاً — قال ابن هشام : هي لِأُمَيَّةَ بن أبي
الصَّلْتِ في قصيدة له . إلا البيتين الأولين والبيت الخامس وآخرها بيتا . وعجز
البيت الأول عن غير ابن إسحاق : —

إلى الله أَهْدَى مِدْحَتِي وَثَنَانِيَا وَقَوْلَا رَصِينَا لَا يَبْنِي الدَّهْرَ بَاقِيَا
إلى الْمَلِكِ الْأَعْلَى الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ إِلَهٌ ، وَلَا رَبٌّ يَكُونُ مُدَايِنِيَا
أَلَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِيَّاكَ وَالرَّادَى فَإِنَّكَ لَا تَخْضِي مِنْ اللَّهِ خَافِيَا
وإِيَّاكَ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ فَإِنَّ سَبِيلَ الرُّشْدِ أَصْبَحَ بَادِيَا
حَنَانِيكَ إِنْ الْجَنِّ كَانَتْ رَجَاءَهُمْ وَأَنْتَ إِلَهِي رَبُّنَا وَرَجَائِيَا
رَضِيتُ بِكَ . اللَّهُمَّ — رَبًّا فَلَنْ أَرَى أَدِينُ إِلَهًا غَيْرَكَ اللَّهُ ثَانِيَا

وَأَنْتَ الَّذِي مِنْ فَضْلٍ مَنْ وَرَحْمَةٍ بَعَثْتَ إِلَى مُوسَى رَسُولًا مُنَادِيًا
 فَقُلْتَ لَهُ : يَا أَذْهَبْ وَهَارُونَ فَادْعُوا إِلَى اللَّهِ فِرْعَوْنَ الَّذِي كَانَ طَاغِيَا
 وَقُولَا لَهُ : أَنْتَ سَوَّيْتَ هَذِهِ بِلَا وَتَدٍ ، حَتَّى اطْمَأَنَّتْ كَاهِيَا
 وَقُولَا لَهُ : أَنْتَ رَفَعْتَ هَذِهِ بِلَا عَمَدٍ ، أَرْفَقَ - إِذَا بَكَ بَانِيَا
 وَقُولَا لَهُ : أَنْتَ سَوَّيْتَ وَسْطَهَا مُنِيرًا ، إِذَا مَا جَنَّهُ اللَّيْلُ هَادِيَا
 وَقُولَا لَهُ : مَنْ يُرْسِلُ الشَّمْسَ غُدُوَّةً

فَيُصْبِحُ مَا مَسَّتْ مِنَ الْأَرْضِ ضَاحِيَا
 وَقُولَا لَهُ : مَنْ يُنْبِتُ الْحَبَّ فِي النَّزَى

فَيُصْبِحُ مِنْهُ الْبَقْلُ يَهْتَزُّ رَابِيَا
 وَيُخْرِجُ مِنْهُ حَبَّهُ فِي رُيُوسِهِ وَفِي ذَلِكَ آيَاتٌ لِمَنْ كَانَ وَاعِيَا
 وَأَنْتَ بِفَضْلٍ مِنْكَ نَجَّيْتَ يُوسَى وَقَدْ بَاتَ فِي أَعْصَافِ حُوتٍ لِيَالِيَا
 وَإِنِّي لَوْ سَبَّحْتُ بِاسْمِكَ رَبَّنَا لَا أَكْثِرُ - إِلَّا مَا غَفَرْتَ - خَطَايَا
 فَرَبِّ الْعِبَادِ أَلْقِ سَيْبَا وَرَحْمَةً عَلَيَّ ، وَبَارِكْ فِي بَنِيَّ وَمَالِيَا
 وَقَالَ زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو يَعَاتِبُ امْرَأَتَهُ صَفِيَّةَ بِنْتَ الْحَضْرَمِيِّ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَاسِمُ الْحَضْرَمِيِّ : عَبْدُ اللَّهِ أَحَدُ الصَّدَفِ ، وَاسِمُ الصَّدَفِ :
 عَمْرُو بْنُ مَالِكٍ أَحَدُ السَّكُونِ بْنِ أَشْرَسَ بْنِ كِنْدِيِّ ، وَيُقَالُ : كِنْدَةُ بْنُ
 ثَوْرَ بْنِ مُرْتَعٍ بْنِ عَقَيْرَ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مَرْثَةَ بْنِ أَدَدَ بْنِ زَيْدِ بْنِ مِهْسَعِ
 ابْنِ عَمْرٍو ابْنِ عَرِيبَ بْنِ زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ بْنِ سَبَأَ ، وَيُقَالُ : مُرْتَعِ بْنِ مَالِكِ بْنِ
 زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ بْنِ سَبَأَ .

قال ابن إسحاق : وكان زيد بن عمرو قد أجمع الخروجَ من مكة ، اضرب في الأرض يطلب الحنيفية دين إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، فكانت صفية بنت الحضرمي كلما رآته قد تهيأ للخروج ، وأرادته ، آذنت به الخطاب بن نفيل ، وكان الخطاب ابن نفيل عمه وأخاه لأمه ، وكان يعاتبه على فراق دين قومه ، وكان الخطاب قد وكل صفية به ، وقال : إذا رأيتيه قد هم بأمر فأذيني به - فقال زيد :

لَا تَحْبَسْنِي فِي الْهَوَا	نِ صَفِيٍّ مَادَانِي وَدَائِبُهُ
إِنِّي إِذَا خِفْتُ الْهَوَا	نِ ، مُشِيعٌ ذُلُّ رِكَابِهِ
دُعُوصُ أَبْوَابِ الْمَلُوكِ	لَكَ وَجَائِبٌ لِلخَرْقِ نَابُهُ
قَطَاعُ أَسْبَابِ نِزْلِ	بَغِيرِ أَقْرَانِ صِعَابِهِ
وَإِنَّمَا أَخَذَ الْهَوَا	نَ الْعَيْرُ إِذْ يُوهَى إِهَابُهُ
وَيَقُولُ : إِنِّي لَا أَذِلُّ	بِصُكِّ جَنْبِيهِ صَلَابِهِ
وَأَخِي ابْنُ أُمِّیَ ، ثُمَّ عَمِّي لَا يُوَاتِنِي خَطَابُهُ	
وَإِذَا يُعَاتِبُنِي بِسُو	ءِ قُلْتُ : أَعْيَانِي جَوَابُهُ
وَلَوْ أَشَاءَ لَقُلْتُ : مَا	عِنْدِي مَقَاتِحُهُ وَبَابُهُ

قال ابن إسحاق : وحدثت عن بعض أهل زيد بن عمرو بن نفيل : أن زيدا إذا كان استقبل الكعبة داخل المسجد ، قال : لبيك حقاً حقاً ، تمبداً ورقاً .

عُذْتُ بِمَا عَاذَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ ، مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ ، وَهُوَ قَائِمٌ
إِذْ قَالَ :

أَنْفِي لَكَ اللَّهُمَّ عَنِ رَاغِمٍ مَهْمَا تَجَسَّسْنِي فَإِنِّي جَائِمٌ
الْبَرِّ أَبْنَى لَا الْخَال ، لَيْسَ مُهَجَّرٌ كُنْ قَالَ .

قال ابن هشام : ويقال : البرُّ أَبْنَى لَا الْخَال ، لَيْسَ مُهَجَّرٌ كُنْ قَالَ : قال
، وقوله : « مُسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةِ » عن بعض أهل العلم .

قال ابن إسحاق : وقال زيد بن عمرو بن نفيل :

وَأَسَلْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسَلْتُ لَهُ الْأَرْضُ تَحْمِلُ صَخْرًا ثَقِيلًا
دَحَاها فَلَمَّا رَأَاهَا اسْتَوَتْ عَلَى الْمَاءِ ، أَرَسَى عَلَيْهَا الْجِبَالَ
وَأَسَلْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسَلْتُ لَهُ الْمُنَى تَحْمِلُ عَذْبًا زُلَالًا
إِذَا هِيَ سَيِّقَتْ إِلَى بَلَدَةٍ أَطَاعَتْ ، فَصَبَّتْ عَلَيْهَا سِجَالًا

وكان الخطاب قد آذى زيدا ، حتى أخرجته إلى أعلى مكة ، فنزل حِراءَ
مقابل مكة ، ووَكَّلَ به الخطابُ شُباباً من شباب قريش وسفهاء من سفاهم ،
فقال لهم : لا تتركوه يدخل مكة ، فكان لا يدخلها إلا سرّاً منهم ، فإذا علموا
بذلك ، آذَنُوا به الخطاب ، فأخرجوه ، وآذَوْه كراهية أَنْ يُفْسِدَ عليهم دينهم ،
وَأَنْ يُتَابِعَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى فِرَاقِهِ . فقال - وهو يعظم حرُمته على مَنْ اسْتَحَلَّ
منه ما استحل من قومه :

لَا تُحَرِّمُ إِنِّي مُحَرِّمٌ لَا حِلَّهٗ وَإِنَّ بَنِي أَوْسَطَ النِّجَلَةِ

عند الصَّفَا لَيْسَ بَنِي مَضَلَّةَ

ثم خرج يطلب دين إبراهيم عليه السلام ، ويسأل الرهبان والأخبار ، حتى بلغ الموصلَ والجزيرة كلها ، ثم أقبل فجاء الشام كله ، حتى انتهى إلى راهب بميمنة من أرض البلقاء ، كان ينتهي إليه علم أهل النصرانية فيما يزعمون ، فسأله عن الحنيفة دين إبراهيم ، فقال : إنك لتطلب ديناً ما أنت بواجده من يحملك عليه اليوم ، ولكن قد أظلل زمان نبي يخرج من بلادك التي خرجت منها ، يبعث بدين إبراهيم الحنيفة ، فاتحق بها ، فإنه مبعوث الآن ، هذا زمانه ، وقد كان شام اليهودية والنصرانية ، فلم ير ض شيئاً منهما ، فخرج سريعاً ، حين قال له ذلك الراهب ما قال ، يريد مكة ، حتى إذا توسط بلاد نجر ، عدوا عليه فقتلوه - فقال ورقة بن نوفل بن أسديبكيه :

رَشِدْتَ ، وَأَنْعَمْتَ ابْنَ عَمْرٍو ، وَإِنَّمَا تَجَنَّبْتَ نُوراً مِنَ النَّارِ حَامِئاً
بِدِينِكَ رَبّاً لَيْسَ رَبُّ كَمِثْلِهِ وَتَرَكْتَ أَوْتَانَ الْعَوَاغِي كَاهِياً
وإِذْ رَأَيْكَ الدِّينَ الَّذِي قَدْ طَلَبْتَهُ وَلَمْ تَكُ عَنْ تَوْحِيدِ رَبِّكَ سَاهِياً
فَأَصْبَحْتَ فِي دَارِ كَرِيمٍ مُقَامُهَا نَعَلْتُ فِيهَا بِالْكَرَامَةِ لَاهِياً
تُلَاقِي خَلِيلَ اللَّهِ فِيهَا ، وَلَمْ تَكُنْ مِنَ النَّاسِ جَبَّاراً إِلَى الدَّارِ هَاوِياً
وَقَدْ تُدْرِكُ الْإِنْسَانَ رَحْمَةُ رَبِّهِ وَلَوْ كَانَ تَحْتَ الْأَرْضِ سَبْعِينَ وَادِياً

قال ابن هشام : يُروى لِأُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ الْبَيْتَانِ الْأَوَّلَانِ مِنْهَا ، وَآخَرُهَا

بيتاً في قصيدة له . وقوله : « أوئان الطواغى » عن غير ابن إسحاق .

ذكر مريت ورقته بن نوفل :

فصل : وذكر حديث ورقة بن نوفل (١) ، وعبيد الله بن جحش ، وعثمان ابن الحويرث ، وزيد بن عمرو بن نفيل وما تناجوا به ، وقال : زيد بن عمرو ابن نفيل إلى آخر النسب ، والمعروف في نسبه ونسب ابن عمه عمر بن الخطاب : نفيل بن رباح (٢) بن عبد الله بن قُرَظ بن رِزاح (٣) بتقديم رباح على

(١) نسب ورقة ، هو ابن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب وقد تقدم الكلام عنه . وفي الصحيحين ما يدل على أنه لقي النبي ، ولكنه مات قبل أن يدعو رسول الله إلى الإسلام . وحديث رؤية النبي لورقة في الجنة حديث منقطع ، وحديث أنه سأل رسول الله « ص » عن كيفية مجيء الوحي ، وأنه قال : يأتيني من السماء وجناحه لؤلؤ ، وباطن قدميه أخضر . هذا مروي عن طريق روح بن مسافر ، وهو أحد الضعفاء ، والحديث في روايته سماع ابن عباس من ورقة ، وابن عساكر يقول : لم يسمع ابن عباس من ورقة ، ولا أعرف أحداً قال : إنه أسلم .

(٢) في الإصابة : نفيل بن عبد العزى بن رباح .

(٣) في الإصابة بعده : ابن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب . وإليك ما ذكر المصعب الزبيري عن هذا النسب : عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح ابن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر ٣٤٦ نسب قریش، ورزاح بكسر الراء وفتحها . والفتح عند الدارقطني . وقد وردت عن زيد عدة أحاديث ، منها ما رواه البخاري ، وفيه : « كان يحيي الموتى ودية يقول للرجل ، إذا أراد أن يقتل ابنته : لا تقتلها أنا أكتفيكها مؤنتها ، فياخذها ، فإذا ترعرعت قال لآبها : إن شئت دفعتها إليك ، وإن شئت كفيتك مؤنتها » .

وحديث إسناد ظهره إلى الكعبة . وسيأتي في الروض - أخرجه البخاري من =

عبد الله ، ورزاح بكسر الراء قيده الشيخ أبو بحر ، وزعم الدارقطني أنه رزاح بالفتح ، وإتما رزاح بالكسر : رزاح بن ربيعة أخو قُصَيٍّ لأمه الذي تقدم ذكره (١) .

الزواج من امرأة الأب في الجاهلية :

وأُمُّ زيد هي : الحليدَاء بنت خالد الفهمية ، وهي امرأة جده نُفَيْل ولدت له الخطَّابَ (٢) فهو أخو الخطاب لأمه ، وابن أخيه ، وكان ذلك مُباحا في الجاهلية بشرع متقدم (٣) ، ولم تسكن من الحرُمات التي انتَهَكوها ، ولا من المعطائم التي ابتدعوها ، لأنه أمر كان في عمود نسب رسول الله — صلى الله

طريق هشام من طريق الليث تعليقا ، والنسائي من طريق أبي أسامة ، والبخاري من طريق علي بن مسهر كلهم عن هشام ، وزادوا فيه : دبحي الموءودة يقول للرجل إن أراد أن يقتل ابنته : لا تَقْتُلْهَا ، فأنا أكفيك مئوتها ، وورد في رواية الطبراني أنه كان يسجد للكبعة بدلا من راحته وقال عنه ابن دريد في الجهرة : رفض الاوثان في الجاهلية ، وامتنع من أكل ما ذبح لغير الله — عز وجل — والتزم الحنيفية دين إبراهيم ، إلى أن قتله أهل ميفعة ، قرية من قرى البلقاء بقرب دمشق من الحنم أو جذام .

(١) والحديث الذي ذكره ابن إسحاق ، وفيه سؤال سعيد بن زيد وعمر ، بن الخطاب لرسول صلى الله عليه وسلم الاستغفار لزيد . . . في رواية أحمد والطبراني والبخاري أن سعيدا هو الذي سأل ، وقال البيهقي عن الحديث : فيه المسمودي وقد اختلط ، وبقيّة رجاله ثقات .

(٢) وكان عمرو بن نفيل قد خلف على امرأة أبيه بعد أبيه ، وكان لها من نفيل أخوه الخطاب .

(٣) من أين له هذا ؟

عليه وسلم — فـكِتَانَةٌ تَزُوجُ امْرَأَةَ أَبِيهِ خُزَيْمَةَ ، وَهِيَ بَرَّةٌ بِنْتُ مُرٍّ ، فَوُلِدَتْ لَهُ النَّضْرُ بْنُ كِنَانَةَ ، وَهَاشِمٌ أَيْضًا قَدْ تَزُوجُ امْرَأَةَ أَبِيهِ وَاقِدَةَ فَوُلِدَتْ لَهُ ضَعِيفَةُ ^(١) ، وَلَسَكَنٌ هُوَ خَارِجٌ عَنْ عَمُودِ نَسَبِ رَسُولِ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — لِأَنَّهُمَا لَمْ تَلِدْ جَدًّا لَهُ ، أَعْنَى : وَاقِدَةَ ، وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَنَا مِنْ نِكَاحِ لَا مِنْ سِفَاحِ ^(٢) ، وَلِذَلِكَ قَالَ سُبْحَانَهُ : (وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ) النِّسَاءُ : ٢٢ . أَيْ : إِلَّا مَا سَلَفَ مِنْ تَحْلِيلِ ذَلِكَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ : وَفَائِدَةُ هَذَا الِاسْتِثْنَاءِ الْأَوَّلُ يُعَابِ نَسَبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(٣) وَلِيَعْلَمَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي أَجْدَادِهِ مَنْ كَانَ لِفَيْئَةٍ ^(٤) وَلَا مِنْ سِفَاحٍ . أَلَا نَرَى أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ فِي شَيْءٍ نَهَى عَنْهُ فِي الْقُرْآنِ : إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ، نَحْوَ قَوْلِهِ : (وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا) وَلَمْ يَقُلْ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ : (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ) الْإِسْرَاءُ : ٣٠ وَلَمْ يَقُلْ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ، وَلَا فِي شَيْءٍ مِنَ الْمَعَاصِي الَّتِي نَهَى عَنْهَا إِلَّا فِي هَذِهِ ، وَفِي الْجَمْعِ بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ ؛ لِأَنَّ الْجَمْعَ بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ قَدْ كَانَ مَبَاحًا أَيْضًا فِي شَرْعٍ مِنْ قَبْلِنَا ، وَقَدْ جُمِعَ يَعْقُوبُ بْنُ رَاحِيلَ وَأَخْتُهَا لِيَا ^(٥) فَقَوْلُهُ : إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ

(١) يَقُولُ الْمُصْعَبُ الزُّبَيْرِيُّ فِي نَسَبِ قُرَيْشٍ ص ١٧ : « وَكَانَتْ ضَعِيفَةُ بِنْتُ هَاشِمٍ عِنْدَ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ زَهْرَةَ بْنِ كَلَابٍ ، فَوُلِدَتْ لَهُ عَيْدُ يَغُوثَ ، وَعَبِيدُ يَغُوثَ ، (٢) لَا رَيْبَ فِي طَهَارَةِ نَسَبِهِ الشَّرِيفِ ، وَلَا رَيْبَ فِي أَنَّهُ كَانَ مِنْ نِكَاحٍ صَحِيحٍ بَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَبِيهِ وَآمَنَةَ أُمِّهِ . لَكِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ الَّتِي تَرْفَعُ هَذِهِ الْكَلِمَةَ ، حَتَّى أَدْمُ أَحَادِيثَ ضَعِيفَةٍ ، وَلِهَذَا لَمْ يُخْرِجْهَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ الْكُتُبِ السَّيِّئَةِ ، فَلَا تَرَاهَا إِلَّا عِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ وَابْنِ عَسَاكَرٍ وَابْنِ أَبِي شَيْبَةَ . وَأَحْسَنُ تَعْبِيرٍ عَنْ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ جُزْءٌ مِنْ حَدِيثٍ أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ : « لَمْ يَلْتَقِ أَبَوَايَ قَطُّ عَلَى سِفَاحٍ » .

(٣) لَا يَجُوزُ قَصْرُ الْآيَةِ عَلَى مَا ذَكَرَ وَحْدَهُ .

(٤) الزَّانَا ، وَتَقَالُ بِكسْرِ الْغَيْنِ وَفَتْحِهَا .

(٥) هُمَا فِي سَفَرِ التَّسْكُونِ : رَاحِيلَ وَلَيْئَةَ ابْنَتَا لَابَانَ ، وَقَصَّتُهُمَا مَعَ يَصْعَاقَ وَب =

الْتَفَانَةَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى، وَتَذْيِيقَهُ عَلَى هَذَا الْمَغْزَى، وَهَذِهِ النِّسْبَةُ لَقِّنَتْهَا مِنْ شَيْخِنَا
الإمام الحافظ أبي بكر محمد بن العربي - رحمه الله - وزيد هذا هو: والد سعيد
ابن زيد أحد العشرة الذين شُهِدَ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَأُمُّ سَعِيدٍ: فَاطِمَةُ بِنْتُ نَعْمَةَ
ابن خُزَّافٍ الْخَزَاعِي [عند الزبير: بَعْمَجَةَ بن أُمَيَّة بن خُوَيْلِد بن خالد بن اليهم
بن خَزَاعَةَ].

تفسير بعض قول ابن محبس:

وذكر قول عبد الله بن جحش حين تنصر بالحبشة: فَمَحَّنَا وَصَأُ صَائِمٍ،
وشرح فَمَحَّنَا بقوله: فَفَتَحَ الْجُرُوءُ: إِذَا فَتَحَ عَيْنَيْهِ، وَهَكَذَا ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ،
وَزَادَ: جَصَّصَ أَيْضًا، وَذَكَرَ أَبُو عُبَيْدٍ: بَصَّصَ بِالْبَاءِ حَكَاهَا عَنْ أَبِي زَيْدٍ (١)،
وَقَالَ الْقَسَالَى: إِنَّمَا رَوَاهُ الْبَصَرِيُّونَ عَنْ أَبِي زَيْدٍ بَيَاءً مَنْقُوطَةً بِأَمْتَيْنِ، لِأَنَّ
الْيَاءَ تَبْدُلُ مِنَ الْجِيمِ كَثِيرًا كَمَا تَقُولُ: أَيْلٌ وَأَجْلٌ، وَلِرَوَايَةِ أَبِي عُبَيْدٍ وَجْهٌ،
وَهُوَ أَنْ يَكُونَ بَصَّصَ مِنَ الْبَصِصِ، وَهُوَ الْبَرِيقُ.

بعض الذين تنصروا:

فصل: وذكر عثمان بن الحويرث مع زيد، وورقة وعبيد الله بن جحش،
ثم قال: وَأَمَّا عثمان بن الحويرث فإنه ذهب إلى الشام، وله فيها مع قيصر خبر،
وَلَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ الْخَبْرَ، وَذَكَرَ الْبَرَقِيُّ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ الْحُوَيْرِثِ
قَدِمَ عَلَى قَيْصَرَ، فَقَالَ لَهُ: إِنِّي أَجْعَلُ لَكَ خَرَجًا عَلَى قَرِيشٍ إِنْ جَاءُوا

== في الإصحاح التاسع والعشرين من التكوين، وفيه أن لابان خدع معقوب وزوجه
غير التي كان يريد بها أولاً، لأنها الكبرى، ثم زوجته ليثة.

(١) في القاموس: يصص الجرو: جصص. وانظر ص ١٣٦ نوادر أبي زيد

الشام لتجارهم ، وإلا منعهم ، فأراد قيصر أن يفعل تخرج سعيد بن العاصي ابن أمية وأبو ذئب ، وهو : هشام بن شعبة بن عبد الله بن أبي قيس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر إلى الشام ، فأخذوا نجساً ، فمات أبو ذئب في الحبس ، وأما سعيد بن العاصي ، فإنه خرج الوليد بن المغيرة ، وهو أمية فتخلصوه في حديث طويل ، رواه ابن إسحاق عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة ابن الأَخْذَسِ . وأبو ذئب الذي ذكر هو : جد الفقيه محمد بن عبد الرحمن ابن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب ، يُكْنَى : أبا الحارث من فقهاء المدينة ، وأمه بُرَيْهَةُ بنت عبد الرحمن بن أبي ذئب ، وأما الزبير فذكر أن قيصر كان قد تَوَجَّعَ عُثْمَانَ ، ولولاه أمر مكة ، فلما جاءهم بذلك أنفوا من أن يدينوا الملك ، وصاح الأسود بن أسد بن عبد العزى : أَلَا إِنَّ مَكَّةَ حَيٌّ لَقَاحٌ لَا تَدِينُ لِمَلِكٍ ^(١) ، فلم يتم له مراده ، قال : وكان يقال له : الْبَطْرِيقُ ^(٢) ، ولا عقب له ، ومات بالشام مسموماً ، سمى عَمْرُو بْنُ جَنْمَةَ الْفَسَّافِي الْمَلِكُ .

اعتزال زبير بن عمر بن نفيل الأوثان :

فصل : وذكر اعتزال زيد الأوثان وتركه طوائفهم ، وتركه أكل ما نُحِرَ [على الأوثان] ^(٣) والنَّصَبِ . روى البخاري عن محمد بن أبي بكر ،

(١) أى لا تخضع للملوك .

(٢) في القاموس : البطريق : ككبريت ، القائد من قواد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل ، ثم الطرخان على خمسة آلاف ، ثم القَوَّه مَسَّ على مائتين ، والمختال .

(٣) ما بين القوسين زدته من السيرة .

قال : أخبرنا فضيل بن سليمان ، قال : أخبرنا موسى ، قال : حدثني سالم
ابن عبد الله ، عن عبد الله بن عمر : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لقي زيدا
ابن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح^(١) قبل أن ينزل على النبي - عليه السلام -
الوحي ، فقدّمت إلى النبي - صلى الله عليه وسلم ، سُفرةً أو قدّمتها إليه النبي
صلى الله عليه وسلم ، فأبى أن يأكل منها ، ثم قال زيد : إني لست آكل ما تذبجون
على أنصابكم ، ولا آكل إلا ما ذكر اسمُ الله عليه ، وأن زيد بن عمرو بن
نفيل كان يعيب على قريش ذبائحهم ، ويقول : الشاةُ خلقها الله ، وأنزل لها من
السما الماء ، وأنبت لها من الأرض الكَلأَ ، ثم تذبجونها على غير اسم الله ؟!
إنكاراً لذلك ، وإعظاماً له . قال موسى بن سالم بن عبد الله : ولا أعلم إلا
ما تحدّث به عن ابن عمر أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ،
ويَدْبِعُهُ ، فأتى عالماً من اليهود فسأله عن دينهم ، وقال له إني لعلّ أن أدين بدينكم ،
فأخبروني ، فقال : لا تكون على ديننا ، حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله ، قال
زيد : ما أفرُّ إلا من غضب الله ، ولا أحمل من غضب الله شيئاً أبداً ، وأتّى
أستطيعه ، فهل تدلّني على غيره ؟ قال : ما أعلمه إلا أن يكون حنيفاً ، قال : وما الحنيف ؟
قال : دين إبراهيم ، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ، ولا يعبد إلا الله ، فخرج زيد
فاتى عالماً من النصارى ، فذكر مثله ، فقال لن : تسكون على ديننا حتى تأخذ
بنصيبك من لعنة الله ، قال : ما أفرُّ إلا من لعنة الله ، ولا أحمل من لعنة الله ، ولا من
غضبه شيئاً أبداً ، وأتّى أستطيع ، فهل تدلّني على غيره ؟ قال : ما أعلمه إلا أن

(١) بلدح : واد قبل مكة من جهة المغرب ، أو مكان في طريق التنعيم .

يكون حنيفاً ، قال : وما الحنيف ؟ قال : دين إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ، ولا يعبد إلا الله ، فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم خرج ، فلما برز رفع يديه ، فقال : اللهم إني أشهدك أني على دين إبراهيم . وقال الليث : كتب إلى هشام بن عروة عن أبيه ، عن أسماء بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - قالت : رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائماً مُسنداً ظهره إلى الكعبة ، يقول : يا معشر قريش ، والله ما منكم على دين إبراهيم غيري ، وكان يُنحّي التَّوَهُودَةَ ، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته : لا تقتلها ، أ كفيك مئوتها ، فإذا ترعرعت قال لأبيها : إن شئت دفعتها إليك ، وإن شئت كفيتك مئوتها . إلى هاهنا انتهى حديث البخاري . وفيه سؤال يقال : كيف وفق الله زيدا إلى ترك أكل ما ذبح على النصب ، وما لم يذكر اسم الله عليه ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان أولى بهذه الفضيلة في الجاهلية لما ثبت الله له ؟ فالجواب من وجهين ، أحدهما : أنه ليس في الحديث حين اتيه ببِلَدَح ، فُقِدَّتْ إليه السُّفْرَةُ أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أكل منها ، وإنما في الحديث أن زيدا قال حين قُدِّمَت السفرة : لا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه : الجواب الثاني ^(١) : أن زيدا إنما فعل ذلك برأى

(١) جوابه الثاني غير مقبول ، وزعمه أن ما ذبح لغير الله لم يكن محرماً في دين إبراهيم قول بغير دليل . والآنصاب : أحجار كانت حول الكعبة يذبحون عليها للأضنام . وإليك بعض الآراء حول هذا الحديث . قال ابن بطال : كانت السفرة لقريش قدموها للنبي ، فأبى أن يأكل منها ، فقدمها النبي ، صلى الله عليه وسلم ، لزيد بن عمرو ، فأبى أن يأكل منها ، وقال مخاطباً لقريش الذين قدموها أولاً : إنا لأنأكل ما ذبح على أنصابكم . وقال صاحب الفتح : وما قاله محتمل ، لكن لا أحري من أين له الجرم بتلك .

رآه، لا بشرع متقدم ، وإنما تقدم شرع إبراهيم بتحريم الميتة، لا بتحريم ما ذُبح لغير الله ، وإنما نزل تحريم ذلك في الإسلام، وبعض الأصوليين يقولون : الأشياء قبل ورود الشرع على الإباحة ، فإن قلنا بهذا، وقلنا إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم كان يأكل مما ذُبح على النصب ، فإنما فعل أمراً مباحاً، وإن كان لا يأكل منها فلا إشكال ، وإن قلنا أيضاً : إنها ليست على الإباحة ، ولا على التحريم ، وهو الصحيح، فالذبايح خاصة لها أصل في تحليل الشرع المتقدم كالشاة والبعير ، ونحو ذلك ، مما أحله الله تعالى في دين من كان قبلنا ، ولم يقدح في ذلك التحليل المتقدم ما ابتدعوه ، حتى جاء الإسلام ، وأنزل الله سبحانه : (ولا تأكلوا مما لم يُذْكَر اسمُ الله عليه) الأنعام : ١٢١ . ألا ترى كيف بقيت ذبايح أهل الكتاب عندنا على أصل التحليل بالشرع المتقدم ، ولم يقدح في التحليل ما أحدثوه من

— وقال الخطابي . كان النبي - صلى الله عليه وسلم ، لا يأكل مما يذبحون عليها للأصنام ، وبأكل ما عدا ذلك ، وإن كانوا لا يذكرون اسم الله عليه ، لأن الشرع لم يكن نزل بعد ، بل لم ينزل الشرع بمنع أكل ما لم يذْكَر اسم الله عليه إلا بعد المبعث بمدة طويلة . وقال صاحب الفتح : وهذا الجواب أولى مما ارتكبه ابن بطال ، وعلى تقدير أن يكون زيد بن حارثة ذبح على الحجر المذكور ، فإنما يحمل على أنه إنما ذبح عليه لغير الأصنام . وأما قوله تعالى : وما ذبح على النصب ، فالمراد به ما ذبح عليها للأصنام ، وفي الفتح أيضاً : أن الجواب على قوله : فذبحنا شاة على بعض الأنصاب يعني : الحجارة التي ليست بأصنام ، ولا معبودة وإنما هي من آلات الجزاء التي يذبح عليها ؛ لأن النصب في الأصل حجر كبير ، فمنها ما يكون عندهم من جملة الأصنام ، فيذبحون له ، وعلى اسمه ، ومنها ما لا يعبد ، بل يكون من آلات الذبح ، فيذبح الذابح عليه لا للصنم ، وكان امتناع زيد منها حسماً للمادة .

الكُفْر، وعبادة الصُّنْبَان، فكذلك كان ما ذبحه أهلُ الأوثانِ مُحَلًّا بالشرع المتقدم، حتى خصه القرآن بالتحريم.

زبير وصعصعة والموءودة :

فصل : وذكر خبر الموءودة ، وما كان زيد يفعل في ذلك ، وقد كان صَعَصَعَةُ بن معاويةَ جدَّ الفرزدقِ رحمه الله يفعل مثل ذلك ، ولما أسلم سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم : هل لى في ذلك من أجر؟ فقال فى أصح الروايتين : لك أجره إذا منَّ الله عليك بالإسلام ، وقال المبرِّد فى السكامل عن النبي - صلى الله عليه وسلم - كلاما لم يصح لفظه ولا معناه ، ولا يشهد له أصل . والأصول تشهد له بهذه الرواية التى ذكرناها ؛ لما ثبت أن الكافر إذا أسلم ، وحسن إسلامه ، كتب له كلُّ حسنة كان زَلَفَهَا ، وهذا الحديث أخرجه البخارى ، ولم يَذْكُر فيه : كل حسنة كان زَلَفَهَا ، وذكرها الدارقُطنى وغيره ، ثم يكون القصاص بعد ذلك : الحسنة بمِثْلِ أمثالها ، والموءودة مَفْعُولَةٌ من وَاَدَّه إذا أثقله قال الفرزدق :

وَمِمَّا الَّذِى مَنَعَ الْوَاثِدَاتِ ، وَأَحْيَا الْوَثِيدَ ، فَلَمْ يُوَادِّ

يعنى : جدّه صَعَصَعَةُ بن معاوية بن ناجية بن عِمَال بن محمد بن سفيان بن مجاشع . وقد قيل : كانوا يفعلون ذلك غيرةً على البنات ، وما قاله الله فى القرآن هو الحق من قوله : (خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ) وذكر النقاش فى التفسير : أنهم كانوا يثدّون من البنات ، ما كان منهن زرقاء أو برشاء أو شياء أو

كَشَحَاءَ (١) تَشَاوُوا مِنْهُمْ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا التَّوْبَةُ وَدَّةٌ .
سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٢) ﴾ التَّكْوِير : ٨ : ٩ .

العزى :

فصل : وَذَكَرَ شِعْرَ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو وَفِيهِ : عَزَلْتُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى .
جَمِيعًا . فَأَمَّا اللَّاتُ فَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا ، وَأَمَّا الْعُزَّى ، فَكَانَتْ نَخْلَاتٍ مَجْتَمِعَةً ،
وَكَانَ عَمْرُو بْنُ لُحَيْيٍّ قَدْ أَخْبَرَهُمْ — فِيمَا ذَكَرَ — أَنَّ الرَّبَّ يُشَقِّى بِالطَّائِفِ عِنْدَ
اللَّاتِ ، وَيُصَيِّفُ بِالْعُزَّى ، فَعَظَمُوهَا وَبَنَوْا لَهَا بَيْتًا ، وَكَانُوا يَهْدُونَ إِلَيْهِ كَمَا
يَهْدُونَ إِلَى السَّكْبَةِ ، وَهِيَ الَّتِي بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ —
خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ لِيَسْكِرَهَا ، فَقَالَ لَهُ سَادَتُهَا : يَا خَالِدُ اخْذَرْهَا ؛ فَإِنَّهَا تَجْدَعُ

(١) الزرقاء : العمية أو من بها ذلك . والبرشاء : من فى لونها نقط مختلفة
حرام ، وأخرى سوداء أو غبراء . والشياخ : من كثرت فى بدنہا الشامات ، والشامة .
علامة فى البدن ، يخالف لونها لون سائرہ ، والكشجاء : الموسومة بالنار فى كشجاء .
بسبب داء فى كشجاء ، وربما كانت : الكشجاء .

(٢) ورد فى فتح البارى ص ١١٥ ج ٧ : « كان أهل الجاهلية يدفنون البنات ،
وهن بالحياة ، ويقال : كان أصلها من الغيرة عليهن لما وقع لبعض العرب حيث
سبى بنت آخر فاستفرشها ، فأراد أبوها أن يفتديها منه ، فخيرها ، فاختارت
الذى سبأها ، خلف أبوها : ليقتلن كل بنت تولد له ، فتبيع على ذلك ، غير أن
القرآن ذكر أن وأدهن كان خشية الفقر ، أو من الفقر . ولهذا قال سبحانه : « ونحن
نرزقهم وإياكم لمن كانوا يمدون خشية الفقر ، وقال لمن يمدون من الفقر : « ونحن
نرزقكم وإياهم . عجل لهم البشارة برزق الوالدين ، فهى فى هذا المقام أولى .
بالذكر .

وَتَسْكَنُ ، (١) فهدمها خالد وترك منها جذمها (٢) وأساسها ، فقال قَيْمُها :
والله لتعودنَّ ولتنتقمينَّ مِنَّي فعل بها هذا ، فذكر - والله أعلم - أن رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - قال لخالد : هل رأيت فيها شيئاً ؟ فقال : لا ، فأمره
أن يرجع ، ويستأصل بقيتها بالهدم ، فرجع خالد ، فأخرج أساسها ، فوجد فيها امرأة
سوداء مُنْتَفِشَةً الشعر تَحْدِشُ وجهها ، (٣) ، فقتلها ، وهرب القَيْمُ ، وهو
يقول : لا تُعْبِدُ الْعُزَّى بعد اليوم . هذا معنى ما ذكر أبو سعيد النيسابوري
في الْمُعْبَث . وذكره الأزرقي أيضاً ورزين .

معنى يربل :

وقوله : فَيَرْبِلُ مِنْهُمْ الطُّفْلُ الصَّغِيرُ . ألفت في حاشية الشيخ أبي بحر
رَبَلَ الطُّفْلُ يَرْبِلُ إذا شب وعظم . يربل بفتح الباء أى يكبر وينبت ،
ومنه أخذ تَرْبِيلُ الْأَرْضِ (٤) . وقوله : كَمَا يَتَرَوَّحُ الْفَصْنُ : أى : يَنْبُتُ
ورقه بعد سقوطه (٥) .

(١) في بعض الروايات ورد : أن ذلك كان حين أرسل خالد إلى ذي الخلصة
ليهدمها ، وفيها صنم يعبدونه ، فقال له السادن : لا تفعل ، فإنها مكنعتك ، بضم
الميم وفتح الكاف وتضعيف النون مع كسرهما أى مقبضة يديك ، ومشتبهما .

(٢) الجذم بكسر الجيم وفتحها : الأصل

(٣) يجب أن نفهم أنها إن صح الحديث شيطانة من الإنس كانت تخدع
الناس بحيلها ، فيظنون أن للزى حياة وقدرة أو جنيا يتلبس بها

(٤) في القاموس : ربّلوا يربّلون - بكسر الباء أو ضمها في المضارع ،
كثروا أو كثرت أموالهم وأولادهم وفي الحشنى : ربّل الطفل يربل بضم الباء
في المضارع : شب وعظم ، والربل : ما اخضر من الشجر

(٥) عند الحشنى : يهتز ويخضر

أعراب نعت النكرة المتفرد :

وقوله : وللكفار حامية سَمِير . نصب حامية على الحال من سمير ؛ لأن نعت النكرة إذا تقدم عليها نصب على الحال ، وأنشد سيديويه في مثله :

لَمِيَّةٌ مُوحِشًا طَلَلُ^(١)

وأنشد أيضاً [لذي الرِّمَّة] :

وتحت العوالي وأقنأ مُستَكِنَةً ظِيلاً أعارتها العيون الجاذرُ

(١) يرى ابن الحاجب في أماليه على أبيات المفصل أنه يجوز أن تكون كلمة موحشاً حالاً من الضمير في « لمية » ، لأن جعل الحال من المعرفة أولى من جعلها من النكرة متقدمة عليها ، لأن هذا هو الكثير الشائع ، وذلك قليل ، فكان أولى ، ويذهب ابن جني في شرح الحاسة والزخشرى في تفسير : « وجعلناها فجاً سبلاً » ، والخبيص في شرحه لكافية ابن الحاجب يذهبون إلى أن موحشاً حال من طلل ، لأنها وصف للنكرة ، وتقدمت عليها ، والكرمانى يرى أن موحشاً لا يجوز أن تكون حالاً من طلل ؛ لأنها مبتدأ ، والحال لا تكون إلا من الفاعل أو المفعول ، والبيت هو :

لَمِيَّةٌ موحشاً طلل يلوح كأنه خلل
والخلل - بكسر الخاء - جمع خلة وهى بطائن يغشى بها أجفان
السيوف منقوشة بالذهب وغيره والبيت ينسب لكثير
عزة كإفعل سيديويه ص ٢٧٦ ح الكتاب ، ومن يقول بهذا يرويه «لعزة موحشاً ،
لأن عزة اسم محبوبة كثير ، وقيل إن البيت لذى الرمة ، ومن يقول بهذا يرويه :
« لمية موحشاً » لأن مية اسم محبوبة ذى الرمة انظر ص ٣٤٤ ج ٢ ، ص ١٨٩ ج ٣ .
خزانة الأدب للبغدادى طبع السلفية وهناك آخر :
لَمِيَّةٌ موحشاً طلل قديم عفاه كل أسحم مستديم

والعامل في هذا الحال : الاستقرار الذي يعمل في الظرف ، ويتعاقب به حرف الجر ، وهذا الحال على مذهب أبي الحسن الأخفش لا اعتراض فيها ؛ لأنه يحمل النكرة التي بعدها مرتفعةً بالظرف ارتفاع الفاعل ، وأما على مذهب سيديويه ، فالمسئلة عسيرة جداً ؛ لأنه يلزمه أن يجعلها حالا من المضمر في الاستقرار ؛ لأنه معرفة ، فذلك أولى من أن يكون حالا من نكرة ، فإن قدر الاستقرار آخر الكلام ، وبعد المرفوع كان ذلك فاسداً ؛ لتقدم الحال على العامل المعنوي . وللاحتجاج له وعليه موضع غير هذا .

من معاني سمر زبير :

فصل : وأنشد أيضاً لزيد : إلى الله أهدى مدحى وثنائياً . وفيه : ألا أيها الإنسان إياك والردى . تحذير من الردى ؛ والردى هو الموت ، فظاهر اللفظ متروك ، وإنما هو تحذير مما يأتي به الموت ، ويبيده ويكشفه من جزاء الأعمال ؛ ولذلك قال : فإياك لا تخفى من الله خافياً . وفيه :

وإني وإن سبحتُ باسمك ربنا لأكثرُ إلا ما غفرت خطايا

معنى البيت : إني لأكثر من هذا الدعاء الذي هو باسمك ربنا إلا ما غفرت « وما » بعد إلا زائدة ، وإن سبحت : اعتراض بين اسم إن وخبرها ، كما تقول : إني لأكثر من هذا الدعاء الذي هو باسمك ربنا إلا والله يغفر لي لأفعل كذا ، والتسبيح هنا بمعنى الصلاة ، أي : لا أعتد وإن صليت إلا على دعائك واستغفارك من خطاياي .

تفسير هَنَانِيكَ :

وقوله : هَنَانِيكَ بالفتح التثنية ، قال النحويون : يريد هَنَانًا بعد هَنَانٍ ، كأنهم ذهبوا إلى التضعيف والتكرار ، لا إلى القصر على اثنين خاصة دون مزيد . قال المؤلف رحمه الله : ويجوز أن يريد هَنَانًا في الدنيا ، وهَنَانًا في الآخرة ، وإذا قيل هذا المخلوق نحو قول طَرَفَةَ :

أَبَا مُنْذِرٍ أَفَنَيْتَ فَاسْتَبَقِ بَعْضَنَا هَنَانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ
فإنما يريد : هَنَانًا دَفْعَ ، وَهَنَانًا نَفْعَ ؛ لَأَن كُلَّ مَنْ أَمَّلَ مَالًا ، فَإِنَّمَا
يُؤْمَلُهُ لِيُدْفَعَ عَنْهُ ضَرَرًا ، أَوْ لِيَجْلَبَ إِلَيْهِ خَيْرًا .

تريضة أربعين :

وقوله : فَانْ أَرَى أَدِينُ إِلَهًا . أَيْ : أَدِينُ لِإِلَهِ ، وَحَذَفَ اللَّامَ وَعَدَّى
الفعل ؛ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى : أَعْبُدُ إِلَهًا .

حول اسم الله :

وقوله : غَيْرِكَ اللهُ برفع الهاء ، أراد : يَا اللهُ ، وَهَذَا لَا يَجُوزُ فِيمَا فِيهِ الْأَلْفُ
وَاللَّامُ ، إِلَّا أَنْ حُكِمَ الْأَلْفُ وَاللَّامُ فِي هَذَا اللَّفْظِ الْمَعْظَمِ يَخَالِفُ حُكْمَهَا فِي سَائِرِ
الْأَسْمَاءِ ، أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ : يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ ، وَلَا يَنَادِي اسْمَ اللَّهِ بِبَيِّنَاتِهَا ،
وَتَقْطَعُ هَمْزَتَهُ فِي النِّدَاءِ ، فَتَقُولُ : يَا اللهُ ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ فِي اسْمِ غَيْرِهِ إِلَى
أَحْكَامٍ كَثِيرَةٍ يَخَالِفُ فِيهَا هَذَا الْاسْمُ لغيره مِنَ الْأَسْمَاءِ الْمَعْرُوفَةِ ، وَاعْلَمْ بِبَعْضِ

ذلك أن يُذكر فيما بعد - إن شاء الله - وقد استوفينا في غير هذا الكتاب ،
وفيه بيت حسن لم يذكره ابن إسحاق ، وذكره أبو الفرج ^(١) في أخبار
زيد وهو :

أدين إلهنا يُستجار ، ولا أرى أدين لمن لم يسمع الدهر داعياً

حذف المنادى مع بقاء الباء :

وفيه : قلت : ألا يا اذهب ^(٢) على حذف المنادى ، كأنه قال : ألا يا هذا
اذهب ، كما قرئ : ألا يا اسجدوا ، يريد : يا قوم اسجدوا ، وكما قال غيلان :

ألا يا سلمى يا دارمى على البلى ^(٣)

(١) في كتابه الأغاني .

(٢) للذي في السيرة : فقلت له : يا اذهب ، وفي بعض نسخها :
فقلت له : اذهب .

(٣) هو لذي الرمة ، غيلان بن عقبة من بني صعب بن مالك بن عبد مناف
ويكنى أبا الحارث . انظر ص ٧٤ ج ١ خزائن الأدب ، ففيها تفصيل الأسباب
التي من أجلها لقب غيلان بذى الرمة ، وفي الروض بعضها ، وبيت الشعر كما قال ، وبقية :
« ولا زال منهلاً بجرعائك القطر » . ويرى الجوهري في الصحاح أن قوله سبحانه :
« ألا يا اسجدوا » بالتحفيف معناه : يا هؤلاء اسجدوا ، لحذف المنادى اكتفاء
بحرف النداء . وقال غيره : إن ياقى هذا الموضع إنما هي للتنبيه ، كأنه قال :
ألا اسجدوا ، فلما أدخلت عليه ياء التنبيه سقطت الألف التي في اسجدوا ، لأنها
ألف وصل ، وذهبت الألف التي في « يا » لاجتماع الساكنين ، لأنها
والسين ساكتتان .

وفيه : اذهب وهارون ، عطفنا على الضمير في اذهب ، وهو قبيح إذا لم يؤكد ، ولو نصبه على المفعول معه لكان جيدا .

تصريف الطمأنات وأشباه :

وقوله : اطمأنت كما هيا ، وزنه أَفْلَعَت ، لأن الميم أصلها أن تسكون بعد الألف ، لأنه من تَطَأَمْنُ أَى : تَطَأَطَأَ ، وإنما قدموها لتباعد الهمزة التي هي عين الفعل من همزة الوصل ، فتسكون أخف عليهم في اللفظ كما فعلوا في أشياء . حين قلبوها في قول الخليل وسيبويه فرارا من تقارب الهمزتين ^(١) . كما هيا . ما . زائدة لَتَكْفَ السكاف عن العمل ، وتسهيل للدخول على الجمل ، وهى : اسم مبتدأ ، والخبر محذوف ، التقدير : كما هى عليه ، والسكاف في موضع نصب على الحال من المصدر الذى دل عليه ، اطمأن ، كما تقول : سِرْتُ مثل سير زيد ؛ فمثل حال من سِيرَكَ الذى سرتة ، وفيه : أَرَفِقْ إِذَا بَكَ بانيا . أَرَفِقْ تعجب ، وبك في موضع رفع لأن المعنى : رَفِقْتُ ، وبانيا تمييز ، لأنه يصلح أن يجر بمن ، كما تقول : أَحْسِنْ بَرِيدٍ مِنْ رَجُلٍ ، وحرف الجر متعلق بمعنى التعجب ؛ إذ قد

(١) وزن أشياء عند الاخفش : أفعلاء . وعند غيره أفعال ، وعند سيبويه والخليل ، لفعاء ، ويقول الخليل : أشياء اسم للجمع ، كان أصله : فعلاء ، شيئا فاستقللت الهمزتان ، فقلبوا الهمزة الاولى إلى أول الكلمة ، فجعلت لفعاء ، كما قلبوا أنوقا ، فقالوا : أينقا ، وكما قلبوا ، قووسا : قسيا . وقول الخليل هو مذهب سيبويه والمازنى ، وجميع البصريين إلا الزيادى منهم . أما الاخفش ، فيقول : أصل أشياء ، أشيئا على وزن أشيعاع ، فاجتمعت همزتان بينهما ألف فحذفت الهمزة الاولى .

علم أنك متعجب منه ، وَلِبَسْتَ هَذَا الْمَعْنَى وَكَشَفْتَهُ مَوْضِعَ غَيْرِ هَذَا - إِنْ شَاءَ
اللَّهُ - وَبَعْدَ قَوْلِهِ :

وَقَدْ بَاتَ فِي أَضْعَافِ حُوتٍ لِيَالِيَا

بَيْتٌ لَمْ يَذْكُرْهُ ابْنُ إِسْحَاقَ ، وَوَقَعَ فِي جَامِعِ ابْنِ وَهْبٍ وَهُوَ :
وَأَنْبَتَ يَقْطِينًا عَلَيْهِ بِرَحْمَةٍ مِنْ اللَّهِ لَوْلَا ذَلِكَ أَصْبَحَ ضَاحِيًا^(١)
صَفِيَّةَ بِنْتَ الْخَضْرَمِيِّ :

وَذَكَرَ صَفِيَّةَ بِنْتَ الْخَضْرَمِيِّ ، وَاسْمُ الْخَضْرَمِيِّ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عِمَارٍ^(٢) ،
وَسَيِّمَاتِي ذَكَرَ نَسَبَهَا عِنْدَ ذِكْرِ أَخِيهَا بَعْدُ .

الرَّعْمُوسُ وَالْخَزْمُ فِي الشَّعْرِ :

وَقَوْلُهُ : دُعْمُوسُ أَبْوَابِ الْمُلُوكِ . يُرِيدُ : وَلَاجَأَ فِي أَبْوَابِ الْمُلُوكِ ، وَأَصْلُ
الدُّعْمُوسِ : سَمَكَةٌ صَغِيرَةٌ كَحَيَّةِ الْمَاءِ ، فَاسْتَعَارَهُ هُنَا ، وَكَذَلِكَ جَاءَ فِي حَدِيثِ
أَبِي هُرَيْرَةَ يَرْفَعُهُ : صَفَارُكُمْ دَعَامِيصُ^(٣) الْجَنَّةِ ، وَكَمَا اسْتَعَارَتْ عَائِشَةُ الْعَصْفُورَ

(١) الْيَقْطِينُ : كُلُّ شَيْءٍ مَذْهَبٌ بِسَطَا فِي الْأَرْضِ ، وَمِنْهُ : الْقَرَعُ وَالْبَطِيخُ وَغَيْرُهُمَا .
وَضَاحِيَا : عَارِيَا بَارِزَا لِلشَّمْسِ .

(٢) فِي السِّيَرَةِ وَرَدَ اسْمُ الْخَضْرَمِيِّ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَادٍ . وَيَقُولُ الْخَشْنِيُّ :
وَالصَّوَابُ : عِمَادٌ لَا عِبَادَ . قَالَهُ ابْنُ الدَّبَاغِ وَابْنُ أَبِي الْخَصَالِ وَغَيْرُهُمَا .

(٣) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَابْنُ الْبَخَارِيِّ فِي الْأَدَبِ . وَقَدْ فُسِّرَ الْخَشْنِيُّ الدُّعْمُوسَ =

حين نظرت إلى طفل صغير قد مات ، فقالت : طُوبَى له عصفور من عصافير الجنة ، لم يعمل سوءاً ، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : « وما يدريك ؟ إن الله خلق الجنة ، وخلق لها أهلاً ، وخلق النار ، وخلق لها أهلاً » أخرجه مسلم ، وفي هذه الأبيات خَرَمٌ في موضعين ، أحدهما قوله :

ولو أشاء لقلت ما عندى مَفَاتِحُهُ وبابه

والآخر قوله :

وإنما أخذ الهوانَ الـ عَيْرُ إذ يُوهى إهابه

وقد تقدم مثل هذا في شعر ابن الزُّبَيْرِ ، وتكلمنا عليه هناك بما فيه كفاية . وقوله : ويقول . إني لا أذلُّ أى : يقول العير ذلك بِصَلِّ جَنْبَيْهِ صِلَابُهُ ، أى : صِلَاب ما يوضع عليه ، وأضافها إلى العير لأنها عِبْرَةٌ وحكمة .

لغويات ومجربات :

وذكر قوله : البرُّ أبغى لالخال^(١) قال ابن هشام : البرُّ أبغى : بالنصب ، والخال : الخيلاء والكبر : وقوله : ليس مُهَجَّرٌ كمن قال ، أى : ليس من هَجَّرَ وتكيس ،

= بقوله : « دويبة تغوص في الماء مرة بعد مرة ، يشبه بها الرجل الذي يكثر الدلوج في الأشياء ، فيعنى أنه يكثر الدخول على الملوك . »

(١) هو في الطبراني والبراز مع اختلاف يسير ، وفيه المسعودي ، وقد اختلف

كَمَنْ آثَرَ الْقَائِلَةَ وَالنَّوْمَ^(١)، فهو من : قال يَقِيل ؛ وهو ثلاثي ، ولكن لا يُتَعَجَّبُ منه . لا يقال : ما أَقِيلُهُ !! قال أهل النحو : اسْتَغْفَرُوا عَنْهُ : بما أَنْوَمَهُ ، ولِذِكْرِ السَّرِّ^(٢) في امتناع التعجب من هذا الفعل موضع غير هذا . وقول زيد : إِنِّي مُحَرِّمٌ لِحِلَّةٍ . مُحَرِّمٌ أَي : ساكن بالحَرَمِ ، وَالْحِلَّةُ : أَهْلُ الْحِلِّ . يقال للواحد والجميع : حِلَّةٌ . ذكر لقاء زيد الراهب بِمِيقَعَةٍ هَكَذَا تَقِيدُ فِي الْأَصْلِ بِكسر الميم من مِيقَعَةٍ^(٣) ، والقياس فيها : الفتح ؛ لأنه اسمٌ لموضعٍ أخذ من الِيفَاعِ ، وهو المرتفع من الأرض . وقوله : شامَّ اليهودية والنصرانية ، هو فاعل من الشَّمَّ كما قال يزيد بن شيبان حين سأل النَّسَّابَةَ من قُضَاعَةٍ ، ثم انصرف ، فقال له النَّسَّابَةُ : شاممتنا مشامة الذئب الغنم^(٤) ، ثم تنصرف . في حديث ذكره أبو علي

(١) تعبير الحشنى في تفسيرها أبسط ، فقد قال : المهجر الذي يسير في الهاجرة
أى : القائلة وقوله : كمن قال : يريد كمن استراح في القائلة ، ولم يسر ص ٧٤ .
(٢) في المطبوعة : السير .

(٣) في المراسد : بفتح الميم وبالفاء المفتوحة : قرية من أرض البلقاء من الشام ، وهى أيضاً في دار همدان باليمن .

(٤) الخبر في الأمالى لأبي على القالى ص ٢٩٧ ط ٢ . وفيه أن يزيد سأل الشيخ : من الرجل ؟ ومن القوم ؟ فأرَّم القوم ينظرون إلى الشيخ هيبة له ، فقال الشيخ : رجل من مهرة - بفتح الميم وإسكان الهاء وفتح الراء - ابن حيدان - بفتح الحاء وسكون الياء - ابن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، فقلت - القائل يزيد - حياكم الله ، وانصرفت فقال الشيخ : قف أيها الرجل ، نسبنا فانتسبنا لك ، ثم انصرفت . ولم تسلكمنا .. أو شامتنا مشامة الذئب الغنم ، ثم انصرفت ، والخبر كله خبر أدبي لطيف .

في النوادر ، ومعناه : استخبر ، فاستعاره من الشم ، فنصب اليهودية والنصرانية
نصب المفعول ، ومن خفض جعل شام اسم فاعل من شمت ، والفعل أولى
بهذا الموضع ، كما تقدم ، وقول ورقة : رشدت وأنعمت ابن عمرو ، أى : رشدت
وبالغت في الرشد ، كما يقال : أمنت النظر وأنعمته ، وقوله : ولو كان تحت
الأرض سبعين واديا بالنصب . نصب سبعين على الحال ، لأنه قد يكون صفة
للشجرة ، كما قال : فلو كنت في جب ثمانين قامة ^(١) وما [يكون] صفة
للشجرة يكون حالا من المعرفة ، وهو هنا حال من البعد ، كأنه قال : ولو بعد
تحت الأرض سبعين . كما تقول : بعد طويلا ، أى : بعدا طويلا ، وإذا حذف
المصدر ، وأقت الصفة مقامه لم تكن إلا حالا ، وقد تقدم قول سيبويه في ذلك
في مسألة : ساروا رؤيذا ، ونحو هذا : دارى خلف دارك فرسخا ، أى : تقرب
منها فرسخا إن أردت القرب ، وكذلك إن أردت البعد ، فالبعد والقرب
مقدّران بالفرسخ ، فلو قلت : دارى تقرب منك قربا مقدرا بفرسخ ، لكان
بمنزلة من يقول : قربا كثيرا أو قليلا ، فالفرسخ موضوع موضع كثيرا أو قليلا
فإعرابه كإعرابه ، وكذلك قول الشاعر :

لا تعجبوا فلو ان طول قناته ميل إذا نظم القوارس ميلا

(١) الشعر للأعشى ، وهو كما في اللسان :

لئن كنت في جب ثمانين قامة ورقيت أسباب السماء بسلم
وصف بالثمانين ، وإن كان اسما لأنه في معنى طويل . والبيت من شواهد

صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإنجيل

قال ابن إسحاق : وقد كان - فيما بلغنى عما كان وضع عيسى بن مريم - فيما جاءه من الله فى الإنجيل لأهل الإنجيل - من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مما أثبت يُحْتَسَسُ الحواريُّ لهم ، حين نسخ لهم الإنجيل عن عهد عيسى بن مريم عليه السلام فى رسول الله - صلى الله عليه وسلم إليهم أنه قال : من أبغضنى فقد أبغض الرب ، ولولا أنى صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحد قبلى ، ما كانت لهم خطيئة ، ولكن من الآن يَطْرُؤُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ يَعْزُّونَنى ، وأيضا الرب ، ولكن لا بُدَّ من أن تم الكلمة التى فى التاموس : أنهم أبغضونى مجانا ، أى : باطلا . فلو قد جاء المُنْحَمَّنا هذا الذى يُرْسَلُهُ الله إليكم من عند الرب ، وروح القدس هذا الذى من عند الرب خَرَجَ ، فهو شَهِيدٌ عَلَى وَأَنْتُمْ أَيضاً ؛ لأنكم قديما كنتم معى فى هذا ، قلتُ لكم : لكيما لا تشكوا .

والمُنْحَمَّنا بالثريائية : محمد : وهو بالرومية : البَرَقْلَيْطُس ، صل الله عليه وآله وسلم .

أى : نظمهم نظما مستطيلا ، ووضع ميلا موضع مُسْتَطِيلا ، فإعرابه كإعرابه ، فهو وَصَفٌ للمصدر ، وإذا أقيم الوصفُ مقام الموصوف فى هذا الباب لم يكن حالاً من الفاعل ، لكن من المصدر الذى يدل الفعلُ عليه بلفظه نحو : ساروا طويلا ، وسقيتها أحسنَ من سقى إبلك ، ونحو ذلك .

بجنس الحوارى :

فصل : وذكر يُحَنَسُ الحوارى^(١) وسيأتى فى آخر الكتاب ذكر الحواريين كلهم بأسمائهم . وذكر قوله : أبغضتمونى بجآنًا ، أى : باطلاً ، وكذلك جاء فى الحكمة : يابن آدم علم بجآنًا ، كما علمت بجآنًا ، أى : بلائى ، وفى وصايا الحكماء : شاور ذوى الأسنان والعقول يُعطوك من رأيهم بجآنًا

(١) هو يوحنا صاحب الإنجيل الرابع فى العهد الجديد . هذا وقد ورد ما قاله ابن هشام فى الإصحاح الخامس عشر والسادس عشر من إنجيل يوحنا وأذكره هنا — كما هو اليوم فى هذا الإنجيل — لنوازن ، ولنعرف تحريف الكلم عن مواضعه : « الذى يبغضنى يبغض أبى أيضاً ، لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالاً لم يعملها أحد غيرى لم تكن لهم خطية ، وأما الآن ، فقد رأوا ، وأبغضونى أنا وأبى ، لكن لى تم الكلمة المكتوبة فى ناموسهم إنهم أبغضونى بلا سبب . ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق ، فهو يشهد لى ، وتشهدون أنتم أيضاً ، لأنكم معى من الابتداء . » قد كلمتكم بهذا الكيلا تعثروا ، وأنقل ما ورد بعد هذا من نفس الإنجيل ، وفى نفس الغرض من الإصحاح رقم ١٦ . « أقول لكم الحق : لأنه خير لكم أن أنطلق ، لأنه إن لم أنطلق لا يأتىكم المعزى « فى نسخة : الفارقليط ، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم ، ومتى جاء ذاك يبكى العالم على خطية ، وعلى دينونة . » إن لى أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ، ولكن لا تستطيعون أن تحملوا الآن ، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق ، لأنه لا يتكلم من نفسه ، بل كل ما يسمع ، يتكلم به ، ويخبركم بأموار آتية ، وهذه البشارة تنطبق تماماً على محمد صلى الله عليه وسلم . وهناك كثير من البشارات التى وردت فى العهد القديم والعهد الجديد . وقد حرف المغرضون ترجمة كلمة الفارقليط لكيلا تنطبق البشارات على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . وحسبنا هذا .

ما أخذوه بالثمن ، أى بطول التجارب ، ومن صفة النبي — صلى الله عليه وسلم — يقول الله سبحانه : أنت عَبْدِي ورسولي (١) سَمِعْتُكَ المتوكل ، ليس بِفَقْرٍ ولا غليظ ، ولا سَخَاب (٢) في الأسواق ، ولا يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بالسَّيِّئَةِ ، ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضَهُ الله حتى يقيم به المِلَّةَ العَوَّجَاءَ ، فيفتح به عيوننا عُمَيَّا وآذانا نُصْمًا ، وقلوبنا غُلْفًا ؛ بأن يقولوا : لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ .

من صفات النبي عند الأخبار

ومما وجد من صفته — صلى الله عليه وسلم — عند الأخبار ما ذكره الواقدي من حديث النعمان التيمي . قال : وكان من أخبار يهودَ باليمن ، فلما سمع بذكر النبي — صلى الله عليه وسلم — قدم عليه ، فسأله عن أشياء ، ثم قال : إن أبي كان يحتم على سِفْرِ ، ويقول : [لا تقرأه] على يهود (٣) حتى تسمع بنبي قد خرج بيثرب ، فإذا سَمِعْتَ به فافتحه . قال نعمان : فلما سمعتُ بك فتحت السفر ، فإذا فيه صِفَتُكَ كما أراك الساعة ، وإذا فيه : ما تُحِلُّ وما تُحَرِّمُ ، وإذا فيه : إنك خيرُ الأنبياء وأمتك خيرُ الأمم ، واسمك : أحمد ، وأمتك الحامدون . قُرْبَانِهِمْ : دماؤُهُمْ ، وأناجيلُهُمْ : صُدُورُهُمْ ، وهم لا يحضرون قتالاً .

(١) جاء قبله : د لانه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن . (يأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً) وحرزا للاميين .

(٢) في رواية : صخاب أو صخوب .

(٣) أصل العبارة في الروض : د على سفر يقول . على يهود ، والعصوييد .

«بعث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً»

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطالي قال : فلما بلغ محمد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أربعين سنة بعثه الله تعالى رحمة للعالمين ، وكافة للناس بشيراً ، وكان الله تبارك وتعالى قد أخذ الميثاق على كل نبي بعثه قبله بالإيمان به ، والتصديق له ، والنصر له على من خالفه ، وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدقهم ، فأدوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه . يقول الله تعالى الحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ ، لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ، قَالَ : أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَٰلِكُمْ ؟ يُصْرِي ۖ ﴾ : أَيِ ثَقُلَ مَا حَمَلْتُمْ مِنْ عَهْدِي : ﴿ قَالُوا : أَأَقْرَرْنَا ، قَالَ : فَاشْهَدُوا ۚ وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ آل عمران : ٨١ ، فأخذ

إلا وجبريل معهم ، يتحزن الله عليهم كتحزن للنسر على فراخه ، ثم قال لي : إذا سمعت به فاخرج إليه ، وآمن به ، وصدق به ، فكان النبي — صلى الله عليه وسلم — يجب أن يسمع أصحابه حديثه ، فأنا يومنا ، فقال له النبي — صلى الله عليه وسلم — يا نعمان حدثنا ، فابتدأ النعمان الحديث من أوله ، فرؤى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يومئذ يتبسم ، ثم قال : أشهد أني رسول الله ، وهو الذي قتله الأسود المنسي ، وقطعه عضوا عضوا ، وهو يقول : إن محمداً رسول الله ، وإنك كذاب مفتر على الله ، ثم حرقه بالنار .

الله ميثاق التَّيِّبِينَ جميعاً بالتصديق له ، والنصر له ممن خالفه ، وأدّوا ذلك إلى مَنْ آمَنَ بِهِمْ ، وصدقهم من أهل هذين الكتابين .

قال ابن إسحاق : فَذَكَرَ الزُّهْرِيُّ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا حَدَّثَتْهُ : أَنَّ أَوَّلَ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ النَّبُوءَةِ ، حِينَ أَرَادَ اللَّهُ كَرَامَتَهُ وَرَحْمَةَ الْعِبَادِ بِهِ : الرَّؤْيَا الصَّادِقَةُ ، لَا يَرَى رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رُؤْيَا فِي نَوْمِهِ إِلَّا جَاءَتْ كَقَوْلِكَ الصَّبِيحِ . قَالَتْ : وَحَبَّبَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ الْخَلْوَةَ ، فَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَخْلُوَ وَحْدَهُ .

قال ابن إسحاق : وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سُوَيْبٍ ، ابْنُ الْعَلَاءِ ابْنُ جَارِيَةَ التَّمَمِيُّ ، وَكَانَ وَاعِيَةً ، عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حِينَ أَرَادَهُ اللَّهُ بِكَرَامَتِهِ ، وَابْتَدَأَهُ بِالنَّبُوءَةِ ، كَانَ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ أَبْعَدَ حَتَّى تَحْسَرَ عَنْهُ الْبُيُوتُ ، وَيُفِضِي إِلَى شِعَابِ مَكَّةَ وَبُطُونِ أَوْدِيَّتِهَا ، فَلَا يَمُرُّ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِحَجَرٍ وَلَا شَجَرٍ ، إِلَّا قَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : فَيَلْتَفِتُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَوْلَهُ ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ وَخَلْفَهُ ، فَلَا يَرَى إِلَّا الشَّجَرَ وَالْحِجَارَةَ . فَمَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَذَلِكَ يَرَى وَيَسْمَعُ ، مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمَكَثَ ، ثُمَّ جَاءَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَا جَاءَهُ مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ ، وَهُوَ بِحِجَازٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ .

قال ابن إسحاق : وَحَدَّثَنِي وَهْبُ بْنُ كَيْسَانَ ، مَوْلَى آلِ الزُّبَيْرِ .

قال : سمعتُ عبدَ الله بنَ الزُّبَيْرِ وهو يقول لُعْبِيدُ بنُ عُمَيْرٍ بنِ قَتَادَةَ اللَّيْثِيَّ :
حَدَّثَنَا يَا عُبَيْدُ ، كَيْفَ كَانَ بَدْءُ مَا ابْتَدَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ
النَّبَوَّةِ ، حِينَ جَاءَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؟ قَالَ : فَقَالَ عُبَيْدٌ — وَأَنَا حَاضِرٌ —
يُحَدِّثُ عَبْدَ اللَّهِ بنَ الزُّبَيْرِ ، وَمَنْ عِنْدَهُ مِنَ النَّاسِ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُجَاوِرُ فِي حِرَاءٍ مِنْ كُلِّ سَنَةٍ شَهْرًا ، وَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا تَحَنَّثُ بِهِ قُرَيْشٌ
فِي الْجَاهِلِيَّةِ . وَالتَّحَنُّثُ : التَّبَرُّؤُ .

قال ابن إسحاق : وقال أبو طالب :

وَنُورٍ وَمَنْ أَرْسَى نَبِيرًا مَكَانَهُ وَرَاقٍ لِيَرْقَى فِي حِرَاءٍ وَنَازِلٍ

قال ابن هشام : تقول العرب : التَحَنُّثُ والتَّحَنُّثُ ، يَرِيدُونَ الْحَنِيفِيَّةَ
فَيُبْدِلُونَ الْفَاءَ مِنَ الثَّاءِ ، كَمَا قَالُوا : جَدَفٌ وَجَدَثٌ ، يَرِيدُونَ الْقَبْرَ . قَالَ رُوَيْدٌ .
ابن العجاج :

لو كان أحجارى مع الأجْدَافِ

يريد : الأجداث : وهذا البيت في أرجوزة له . ويبتأبى طالب في قصيدة
له ، سأذكرها إن شاء الله في موضعها .

قال ابن هشام : وحدثني أبو عبيدة أن العرب تقول : فُمٌّ ، في موضع : فُمٌّ ،
يبدلون الفاء من الثاء .

قال ابن إسحاق : حدثني وهب بن كيسان قال : قال عُبَيْدُ [بن عمير] :

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُجاور ذلك الشهرَ من كلِّ سنةٍ ، يُطعم
 مَنْ جاءه من المساكين ، فإذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره ، من
 شهره ذلك ، كان أولَ ما يبدأ به - إذا انصرف من جواره - الكعبةُ ، قبل أن
 يدخل بيته ، فيطوف بها سَبْعًا ، أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته ،
 حتى إذا كان الشهرُ الذي أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامته ، من السنَّة
 التي بعثه الله تعالى فيها ، وذلك ، الشهر : شهر رمضان ، خرج رسول الله صلى الله
 عليه وسلم إلى حراء ، كما كان يخرج لجواره ومعه أهله ، حتى إذا كانت اللَّيْلَةُ التي
 أكرمها الله فيها برسالاته ورحم العباد بها ، جاءه جبريلُ عليه السلام بأمر الله
 تعالى . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فجاءني جبريلُ ، وأنا نائمٌ ،
 بنمط من ديباجٍ فيه كتابٌ ، فقال : اقرأ ، قال : قلت : ما أقرأ ؟ قال فَعَتَّنِي به ،
 حتى ظننتُ أنه الموت ، ثم أرساني ، فقال : اقرأ ، قال . قلت : ما أقرأ ؟ قال : فَعَتَّنِي
 به ، حتى ظننتُ أنه الموت . ثم أرساني ، فقال : اقرأ ، قال : قلت : ماذا
 أقرأ ؟ قال : فَعَتَّنِي به ، حتى ظننتُ أنه الموت ، ثم أرساني ، فقال : اقرأ ،
 قال : فقلت : ماذا أقرأ ؟ ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لي بمثل
 ما صنع بي ، فقال : « اقرأ باسمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ .
 اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » : قال :
 فقراأتها ، ثم انتهى ، فانصرف عني ، وهببتُ من نومي ، فكأنما كُتِبَتْ في قلبي
 كتابا . قال : فخرجتُ حتى إذا كنتُ في وسط من الجبل سمعتُ صوتا من
 السماء يقول يا محمد أنت رسول الله ، وأنا جبريل قال : فرفعت رأسي إلى
 السماء أنظرُ ، فإذا جبريلُ في صورة رجل صافٍ قَدَمَيْهِ في أفق السماء يقول :

يا محمد، أنت رسولُ الله وأنا جبريل . قال : فوقفْتُ أنظرَ إليه فما أتقدَّم .
وما تأخَّرُ ، وجعلتُ أضربُ وجهي عنه في آفاق السماء ، قال : فلا أنظرُ في
ناحية منها إلا رأيته كذلك ، فمازلتُ واقفاً ما أتقدَّم أمامي ، وما أرجع ورائي ،
حتى بعثتُ خديجةً رُسَلَهَا في طلبي ، فبلغوا أعلى مكة ، ورجعوا إليها ، وأنا
واقف في مكاني ذلك ، ثم انصرف عني .

وانصرفتُ راجعاً إلى أهلي ، حتى أتيت خديجةً ، فجلستُ إلى نخذاً مُضيفاً إليها ،
فقلت : يا أبا القاسم ، أين كنتَ ؟ فوالله لقد بعثتُ رُسلي في طلبك ، حتى بلغوا
مكة ورجعوا لي ، ثم حدثتها بالذي رأيتُ ، فقلت : أبشر يا بنَ عمٍّ وائتبتُ
فو الذي نفسُ خديجةَ بيده إنِّي لأرجو أن تكون نبيَّ هذه الأمة .

ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن
عبد العزى بن فُصَيٍّ ، وهو ابن عمها ، وكان ورقة قد تنصَّر ، وقرأ الكتبَ ،
وسَمِعَ من أهل التوراة والإنجيل ، فأخبرته بما أخبرها به رسولُ الله صلى الله
عليه وسلم ، أنه رأى وسمع ، فقال ورقة بن نوفل : قُدُّوس قُدُّوس ، والذي
نفس ورقةَ بيده ، لئن كنتَ صدَّقْتَنِي يا خديجةُ لقد جاءه الناموسُ الأكبرُ
الذي كان يأتي موسى ، وإِنَّه لنبيُّ هذه الأمة ، فقلولي له : فليثبت . فرجعت
خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته بقول ورقة بن نوفل ، فلما
قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جِوارَه وانصرف ، صنع كما كان يصنع بدأ
بالكعبة ، فطاف بها ، فَنَقِيه ورقة بن نوفل ، وهو يطوف بالكعبة ، فقال :
يا بن أخي أخبرني بما رأيتَ وسمعتَ ، فأخبره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ،
فقال له ورقة : والذي نفسى بيده ، إِنَّك لنبيُّ هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموسُ

الأَكْبَرُ الَّذِي جَاءَ مُوسَى ، وَلَمْ يَكْذِبْ بَنُوهُ ، وَلَمْ تُخْرِجْهُ ، وَلَمْ تَقَاتِلْهُ .
وَلَيْنَ أَنَا أَدْرَكْتُ ذَلِكَ الْيَوْمَ لَأَنْصُرَنَّ اللَّهَ نَصْرًا يَعْلَمُهُ ، ثُمَّ أَدْنَى رَأْسِهِ مِنْهُ ،
فَقَبَّلَ يَافُوخَهُ ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَنْزِلِهِ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي حَكِيمٍ مَوْلَى آلِ الزُّبَيْرِ : أَنَّهُ
حَدَّثَ عَنْ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
أَيُّ ابْنِ عَمٍّ ، أَسْتَطِيعُ أَنْ تُخْبِرَنِي بِصَاحِبِكَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ إِذَا جَاءَكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ .
قَالَتْ : فَإِذَا جَاءَكَ فَأَخْبِرْنِي بِهِ . فَنَجَّاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، كَمَا كَانَ يَصْنَعُ ، فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَخَدِيجَةَ : يَا خَدِيجَةُ ، هَذَا جَبْرِيلُ قَدْ جَاءَنِي ، قَالَتْ :
قِمِّي يَا ابْنِ عَمٍّ فَاجْلِسْ عَلَيَّ فَخَذَى الْيَسْرَى ، قَالَ : فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
وَسَلَّمَ - فَجَلَسَ عَلَيْهَا ، قَالَتْ : هَلْ تَرَاهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَتْ : فَتَحْوُلْ ،
فَاجْلِسْ عَلَيَّ فَخَذَى الْيَمْنَى ، قَالَتْ : فَتَحْوُلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
فَجَلَسَ عَلَيَّ فَخَذَاهَا الْيَمْنَى ، فَقَالَتْ : هَلْ تَرَاهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَتْ : فَتَحْوُلْ .
فَاجْلِسْ فِي حِجْرِي ، قَالَتْ : فَتَحْوُلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَجَلَسَ
فِي حِجْرِهَا ، قَالَتْ : هَلْ تَرَاهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَتَحَسَّسْتُ وَأَلْقَتُ خِمَارَهَا -
وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ فِي حِجْرِهَا - ، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ : هَلْ تَرَاهُ ؟
قَالَ : لَا ، قَالَتْ يَا ابْنِ عَمٍّ ، اثْبُتْ وَأَبْشِرْ ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَلَكَ وَمَا هَذَا بِشَيْطَانٍ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَقَدْ حَدَّثْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَسَنٍ هَذَا الْحَدِيثَ ، فَقَالَ : قَدْ
سَمِعْتُ أُمِّي فَاطِمَةَ بِنْتَ حُسَيْنٍ تَحَدَّثُ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَنْ خَدِيجَةَ ، إِلَّا أَنِّي سَمِعْتُهَا
تَقُولُ : أَدْخَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ دُرْعِهَا ، فَذَهَبَ عِنْدَ

ذلك جبريلُ ، فقالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن هذا كَمَلَكٌ ،
وما هو بشيطان .

كتاب المبعث

منى بعث رسول الله ؟ :

ذكر ابن إسحاق أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعث على رأس أربعين من مولده عليه السلام ^(١) ، وهذا مَرَوِيٌّ عن ابن عباس ، وجُبَيْر بن مُطْعِم وقَبَاث بن أَشِيْم ، وعطاء وسعيد بن المُسَيَّب ، وأنس بن مالك . وهو صحيحٌ عند أهل السِّيَر والعلم بالأثر ، وقد روى أنه نُبِيٌّ لأربعين وشهرين من مولده ، وقيل لقَبَاث بن أَشِيْم : من أكبر ، أنت أم رسول الله — صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : رسولُ الله أكبرُ منى ، وأنا أَسَنُّ منه ، وُولد رسول

(١) اضطربت الأقوال حول سنة صلى الله عليه وسلم حين بعث . فبعض يقول : إنه بعث بعد اثنين وأربعين سنة ، وهو مَرَوِيٌّ عن مكحول . وآخرون يقولون : وهو ابن ثلاث وأربعين ، وهو رأى الواقدي وابن عاصم والدولابي . وبما ذكره ابن حجر في الفتح : حديث ابن عباس : فكث بمكة ثلاث عشرة أصح مما عند أحمد من وجه آخر عنه : أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو ابن ثلاث وأربعين ، فكث بمكة عشرة ، وأصح مما أخرجه مسلم من وجه آخر عنه : أقام بمكة خمس عشرة سنة .

وبعته في رمضان هو المشهور عند الجمهور . وفي الفتح أيضاً : فعلى الصحيح المشهور أن مولده في ربيع الأول يكون حين أنزل عليه ابن أربعين سنة وستة أشهر ، وفي حديث رواه الشيخان والترمذي أنه بعث لأربعين سنة ، ومكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه .

الله — صلى الله عليه وسلم — عام الفيل ، ووقفت بى أمى على روث الفيل
ويروى: خزقي الطير، فرأيت أخطر محيلاً ، أى: قد أتى عليه حول ، وفى غير
رواية البكائى من هذا الكتاب أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم —
قال لبلال : لا يفتك صيام يوم الاثنين ؛ فإنى قد ولدت فيه ، وبُعِثت فيه ،
وأُمرت فيه (١) .

إعراب لما آتيناكم :

وذكر ابن إسحاق قول الله سبحانه : « وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ
لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ » (٢) الآية . وما فى هذه الآية : اسمٌ مبتدأ (٣)
بمعنى : الذى ، والتقدير : للذى آتيناكم من كتاب وحكمة ، ولا يصح أن
تكون فى موضع نصب على إضمار فعل ، كما ينتصب ما يشتغل عنه الفعل

(١) فى مسلم عن أبى قتادة أن النبى صلى الله عليه وسلم ، سئل عن صوم يوم
الاثنين ، فقال : « ذلك يوم ولدت فيه ، وأنزل على فيه ، أحمد ومسلم وأبو
داود . وزيادة : « وأموت فيه ، لا تنفق وهدى القرآن ، فالبشر لا يعرفون :
حتى يموتون حتى النبيون .

(٢) يقول طاووس والحسن البصرى وقتادة فى تفسير الآية : « أخذ الله
ميثاق النبيين أن يصدق بعضهم بعضاً ، وهذا التفسير حق . وتنكير كلمة رسول
فى الآية يؤيده .

(٣) يقول العكبرى فى إعرابها : « فيها وجهان . أحدهما أن ما بمعنى الذى
وموضعها رفع بالابتداء ، واللام : لام الابتداء دخلت لتوكيد معنى القسم ، وفى
الخبر وجهان . أحدهما : من كتاب وحكمة . أى الذى أو يتموه من الكتاب .
والنكرة هنا كالمعرفة ، والثانى : الخبر : لتؤمنن به والهاء عائدة على المبتدأ . واللام

بضميره ، لأن ما بعد اللام الثانية لا يجوز أن يعمل فيما قبلها ، ومالا يجوز أن يعمل فيه ما قبله ، فلا يجوز أن يكون تفسيراً لما يعمل فيه ، وقد قيل : إن ما هذه شرط . والتقدير : لهما آيتكم من كتاب وحكمة لتؤمننَّ به ، وهو ظاهر قول سيديويه ، لأنه جعلها بمنزلة : إن ، وقول الخليل : إنها بمنزلة الذي ، أى : إنها اسم لا حرف ، ويمكن الجمع بين قوليهما على هذا ، فتكون اسماً ، وتكون شرطاً ، ويحتمل أيضاً أن تكون على قول الخليل : خبرية في موضع رفع بالابتداء ، ويكون الخبر : لتؤمننَّ به ولتنصرنَّ به ، وإن كان الضميران عائدين على الرسول ، لا على الذى ، ولكن لما قال : رسول مُصدقٌ لما معكم ، ارتبط الكلام بعضه ببعض ، واستغنى بالضمير العائد على الرسول عن ضمير يعود

==جواب القسم ، لأن أخذ الميثاق قسم في المعنى ، فأما قوله : ثم جاءكم ، فهو معطوف على : ما آتيتكم ، والعائد على « ما » من هذا المعطوف فيه وجهان : أحدهما : تقديره : ثم جاءكم به ، واستغنى عن إظهاره بقوله : به فيما بعد . والثاني : أن قوله : لما معكم في موضع الضمير ، تقديره : صدق له ؛ لأن الذى معهم هو الذى آتاهم ويجوز أن يكون العائد ضمير الاستقرار العامل في مع ، ويجوز أن تكون الهاء في : به ، تعود على الرسول ، والعائد على المبتدأ : محذوف ، وسوغ ذلك طول الكلام ، وأن تصديق الرسول تصديق للذى أوتيته ، والقول الثاني : أن ما : شرط واللام قبله ، لتلقى القسم كالتى في قوله : إني لم يفته المنافقون ، وليست لازمة بدليل قوله : وإن لم ينتهوا عما يقولون ، فعلى هذا تكون « ما » في موضع نصب بآيتت . والمفعول الثاني : ضمير المخاطب ، و« من كتاب » مثل « من آية » في قوله : ما ننسخ من آية ، وباقي الكلام على هذا الوجه ظاهر ، ثم ذكر وجه إعرابها إذا قرئت بفتح اللام وتشديد الميم ، كما ذكر قبل وجه إعرابها إذا قرئت بكسر اللام وتخفيف الميم ص ٨٣١ لأملاء ما من به الرحمن لأبي البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبرى .

على المبتدأ ، وله نظير في التنزيل منه قوله تعالى : (والذين يُتَوَفَّونَ مِنْكُمْ)
البقرة : ٢٣٤ خبره : يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ، ولم يعد على المبتدأ شيء ، لنشُبْث
الكلام بعبءه ببعض ، وقد لاح لي بعد نظري الكتاب أن الذي قاله الخليل
وقول سَيَبْوَيه قَوْلٌ واحد ، غير أنه قال : ودخول اللام على ما ، كدخولها على
إن ، يعني : في الجزاء ، ولم يرد أن يعمل ما جزاء ، وإِثْمًا تكلم على اللام خاصة
والله أعلم .

النسوة وأولو العزم :

وذكر قول ابن إسحق : والنسوة أنقال ومؤنة لا يحملها ولا يستطيعها
إلا أهل القوة والعزم من الرسل ، ووقع في رواية يونس عن ابن إسحق في
هذا الموضع عن ربيعة ابن أبي عبد الرحمن قال : سمعت وهب بن مُنْبِهٍ وهو
في مسجد مني - وذُكر له يونسُ النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : كان عبداً
صالحاً ، وكان في خلقة ضيق ، فلما حُلَّت عليه أنقالُ النسوة ، ولها أنقالُ تَفْسِخَ
تحتها تَفْسِخُ الرُّبْعِ تحت الحِمل الثقيل ^(١) ، فألقاها عنه وخرج هارباً ، وفي رواية
عن ابن إسحق : إن أولى العزم من الرسل منهم : نوحٌ وهودٌ وإبراهيمُ أما
نوحٌ فلقوله : (يَا قَوْمِ إِنَّ كَيْدَ بَرِيٍّ عَلَيَّ كَبِيرٌ) (يونس : ٧١)
وأما هود فلقوله : (إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيٌّ) (يونس : ٥٥)
وأما إبراهيم ، فلقوله هو والذين معه : (إِنَّا بَرَاءٌ مِنْكُمْ) (يونس : ٥٥)

(١) الرُّبْع بضم الراء وفتح الباء : الفصيل ، ينتج في الربيع ، وهو أول النتاج
والمقصود : ضعف وعجز .

الله) وأمر الله نبينا أن يصبر كما صبر هؤلاء (١).

أول ما يرى به النبي صلى الله عليه وسلم من النبوة :

(فصل) وذكر ابن إسحاق : ما بدى به النبي — صلى الله عليه وسلم — من النبوة، إذ كان لا يمر بحجر، ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله (٢)، وفي مصنف الترمذى ومسلم أيضاً أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علىّ قبل أن يُنزل علىّ، وفي بعض المسندات زيادة أن هذا الحجر الذى كان يُسلم عليه هو الحجر الأسود، وهذا التسليم : الأظهر فيه أن يكون حقيقةً، وأن يكون الله أنطقه إنطاقاً كما خلق الحنين فى الجذع (٣)، ولكن ليس من شرط الكلام الذى هو صوت وحرف : الحياة والعلم والإرادة، لأنه صوت كسائر الأصوات، والصوت : عرض فى قول

(١) من أشهر الأقوال عن أولى العزم أنهم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم، ودليلهم أن الله نص على أسمائهم فى الأحزاب فقال : (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم، ومنك، ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً) الأحزاب : ٧ كما نص عليهم فى سورة الشورى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك، وما وصى به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » الشورى : ١٣ . وقيل لهم جميع الرسل، وتكون من لبيان الجنس .

(٢) فى الترمذى والدارى : قال على : كنت مع النبي ﷺ بمكة فخرجنا فى بعض نواحيها، فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول : السلام عليك يا رسول الله، وروى مثله الطبرانى فى الأوسط، وفيه مجهول .

(٣) ورد حنين الجذع فى حديث رواه البخارى والترمذى .

الأكثرين ، ولم يخالف فيه إلا النِّظام ، فإنه زعم أنه جِسْمٌ ، وجعله الأشعريُّ
اصْطِكاكاً كافي الجواهر بعضها لبعض ، وقال أبو بكر بن الطيب : ليس الصوت
نفسَ الاصطِكاك ، ولكنه معنى زائد عليه ، وللاحتجاج على القوانين ولها
موضع غير هذا ، ولو قَدَّرَت الكلام صفةً قائمة بنفس الحجر والشجر ،
والصوت عبارة عنه ، لم يكن بُدْثُمن اشتراط الحياة والعلم مع الكلام ،
والله أعلم : أى ذلك كان ، أكان كلاما مقرونا بحياة وعلم ، فيكون
الحجر به مؤمناً ، أو كان صوتاً مجرداً غير مقترن بحياة ؟ وفى كلا الوجهين
هو عَلمٌ من أعلام النبوة ^(١) ، وأما حَنِينِ الجَذع فقد سَمي حنيناً ، وحقيقة
الحَنِينِ يقتضى شرط الحياة ، وقد يحتمل تسليمُ الحجارة أن يكون مضافاً
فى الحقيقة إلى ملائكة يسكنون تلك الأماكن ، يَفْعُرُونَهَا ، فيكون
مجازاً من قوله تعالى : (واشْمَلِ الْقَرْيَةَ) ^(٢) والأول أظهر ، وإن كانت كل صورة
من هذه الصور التى ذكرناها فيها عَلمٌ على نبوته — عليه السلام — غير
أنه لا يسمى معجزة ^(٣) فى اصطلاح المتكلمين إلا ما تَحْدَى به الخلق ،
فمعجزوا عن معارضته .

-
- (١) ليس لأحد أن يتكلم عن حقيقة مثل هذا ، فإنه وحده هو أعلم بالحقيقة .
(٢) القرية — كما يقول الراغب فى مفرداته — اسم للوضع الذى يجتمع فيه
الناس ، وللناس جميعاً . وبهذا لا يكون فى الآية مجاز كما هو المشهور .
(٣) يجب أن نسميها بما سَمى الله . وهى : آية ، وبهذا تتجاوب الكلمة مع سَكينة
القلب والفكر وتقديسهما ، ونخلصها مما دار حول المعجزة من جدال ، واضطرم من
شحناء وموازنات بينها وبين السحر والكرامة . والله سبحانه يسمي ما أعطاه
لرسل آيات ، لا معجزات فلنقف عند هذا .

مرئول نفعل :

وذكر حديث عُبيد بن عمير أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يجاور بغار جرّاء^(١) ويتحنّث فيه، قال : والتَّحَنُّثُ : التَّبَرُّرُ . تَفْعَلُ مِنَ الْبِرِّ ، وَتَفْعَلُ : يَتَقَضَى الدخول في الفعل، وهو الأكثر فيها مثل : تَنَقَّه وتَعَبَّد وتَذَكَّرَ . وقد جاءت في ألفاظ يسيرة تعطى الخروج عن الشيء ، وأطراحه ، كالتَّائِم والتَّحَرُّج . والتَّحَنُّثُ بالناء المثلثة^(٢) ، لأنه من الحنث ، وهو الحِثْل الثَّقِيلُ ، وكذلك

(١) جبل بينه وبين مكة ثلاثة أميال على يسار الذهاب إلى منى ، ويقصر ويمد
(٢) في كتاب الاضداد للصغاني : تحنث إذا أتى الحنث ، وإذا تجنبه ، ومثله في كتاب الاضداد لابن بكر الأنباري ، وفيه : تحوب الرجل إذا تجنب الحوب ، وهو الإثم العظيم ، ولا يستعمل تحوب في المعنى الآخر . وقال بعض أهل اللغة . تصدق الرجل إذا أعطى ، وتصدق إذا سأل . ص ١٤٥ ، ١٥٤ الاضداد ط ١٣٢٥ لمحمد ابن القاسم بن بشار الأنباري أبي بكر . ويقول الحشني عن رأي ابن هشام في التحنث وأنه التحنف : فالجيد فيه أن يكون فيه التحنث هو الخروج من الحنث أي : الإثم ، كما يكون التائِم الخروج عن الإثم . لأن تَفْعَل قد تستعمل في الخروج عن الشيء ، وفي الانسلاخ عنه ، ولا يحتاج فيه إلى الإبدال الذي ذكره ابن هشام ، ص ٧٥ : هذا وصيغة تَفْعَل معان مذكورة في مصادر هانظرها مثل ج ١ ص ١٤٠ الشافية للرضي . وفي الصحيحين أنه جاور بحرام شهرأ . وذكر ابن إسحاق أنه شهر رمضان . وليس هنالك نص صريح أو صحيح يبين لنا كيف كان يتحنث . وأذكر هنا بقول الله سبحانه عما كان عليه محمد قبل البعثة : ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ، وقوله : ووجدك ضالا فهدى ، فبى إذا كانت عزلة عن مجتمع جاهل عربدت فيه الخطيئة . والمنتهوم من كلام ابن هشام أن هذا التحنث أمر كانت تأتيه قریش في جاهليتها .

التَّقْدَرُ، إنه هو تَبَاعُدٌ عَنِ الْقَدَرِ، وأما التَّحَنُّتُ بالفاء، فهو من باب التَّبَرُّر؛ لأنه من الحَنِيفِيَّةِ دِينَ إِبْرَاهِيمَ، وإن كَانَ الْفَاءُ مُبْدَلَةً مِنَ الثَّاءِ، فهو من باب التَّمَدُّرِ والتَّائِمِ، وهو قول ابن هِشَامٍ، واحتَجَّ بِجَدَفٍ وَجَدَثَ، وأنشد قول رُؤْبَةَ: لو كان أَحْجَارِيَّ مع الْأَجْدَافِ، وفي بيت رُؤْبَةَ هذا شاهدٌ وردَّ على ابن جُنِّي حيث زعم في سِرِّ الصَّنَاعَةِ أَنَّ جَدَفَ الْفَاءِ لَا يَجْمَعُ عَلَى أَجْدَافٍ، واحتج بهذا لمذهبه في أَنَّ الثَّاءَ هِيَ الْأَصْلُ، وقول رُؤْبَةَ (١) ردَّ عليه، والذي نذهب إليه أَنَّ الْفَاءَ هِيَ الْأَصْلُ فِي هَذَا الْحَرْفِ، لأنه من الْجَدَفِ وهو الْقَطْعُ، ومنه جَدَفَ السَّفِينَةَ، وفي حديث عمر في وصف الجن: شرابهم الْجَدَفُ وهِيَ الرِّغْوَةُ، لأنها تُجَدَفُ مِنَ الْمَاءِ، وقيل: هِيَ نَبَاتٌ يَقْطَعُ وَيُؤْكَلُ. وقيل: كلُّ إِنَاءٍ كُشِفَ عَنْهُ غَطَاؤُهُ: جَدَفٌ، والجَدَفُ: الْقَمَرُ مِنْ هَذَا، فله مادةٌ وَأَصْلٌ فِي الْأَشْتِقَاقِ، فَأَجْدَرُ أَنْ تَكُونَ الْفَاءُ هِيَ الْأَعْلَى وَالثَّاءُ دَاخِلَةً عَلَيْهَا. (٢)

مول مجاورته في حراء:

وقوله: يُجَاوِرُ فِي حَرَاءٍ إِلَى آخِرِ السَّكَلَامِ. الجوار بالكسر في معنى المجاورة

(١) هو جزء من بيت من أرجوزة يعاتب بها رُؤْبَةَ أَبَاهُ الْعِجَاجُ. وقيله .
لَا تَعْجَلَنَّ الْحَفَّ ذَا الْإِتْلَافِ وَالذَّهْرُ إِنِ الدَّهْرُ ذُو الْإِذْلَافِ
بِالْمَرْءِ ذُو عَصْفٍ وَذُو انْصِرَافٍ لو كان أَحْجَارِيَّ مع الْأَجْدَافِ
تَعَفَوْ عَلَى مُجْرَثُومَةِ الْعَوَافِ تَضَرَّبَهَا الْأَمْطَارُ وَالسَّوَافِ
انظر ص ١٠٠ من ديوان رُؤْبَةَ ط لَيْسِي بِبَرْلَيْن

(٢) الجدف بالذال والذال: القبر، وكذلك الجدث. وفي الفاموس عن الجدف أنه نبات باليمن يعني آكله عن شرب الماء عليه. وهو أيضا مرمى به التراب من زبد أوقذى. وكل ما هو بالذال من هذا يقال بالذال أيضا.

وهى الاعتكاف ، ولا فرق بين الجوار والاعتكاف إلا من وجه واحد ، وهو أن الاعتكاف لا يكون إلا داخل المسجد ، والجوار قد يكون خارج المسجد كذلك قال ابن عبد البر ، ولذلك لم يُسمَّ جواره بحِراء اعتكافاً ، لأن حِراء ليس من المسجد ، واسكنه من جبال الحرم ، وهو الجبل الذى نادى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين قال له تَبِيرُ وهو على ظهره : اهبط عني ؛ فإني أخاف أن تُقتل على ظهري فأعذب ، فناده حِراء : إني إلى يارسول الله (١) .

كيفية الوصي :

فصل : وذكر نزول جبريل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :
في الحديث : فأتاني وأنا نائم ، وقال في آخره : فهبت من نومي ، فكأنما كُتبت في قلبي كتاباً ، وليس ذكر النوم في حديث عائشة ولا غيرها ، بل في حديث عروة ، عن عائشة ما يدل ظاهره على أن نزول جبريل حين نزل بسورة اقرأ ، كان في اليقظة ؛ لأنها قالت في أول الحديث : أول ما بدى به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الرؤيا الصادقة ، كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حَبَّبَ الله إليه الخلاء - إلى قولها - حتى جاء الحق ، وهو بغار حراء ، فجاءه جبريل . فذكرت في هذا الحديث أن الرؤيا كانت قبل نزول جبريل على النبي - عليه السلام - بالقرآن ، وقد يمكن الجمع بين الحديثين بأن النبي - صلى الله عليه وسلم - جاءه جبريل في المنام قبل أن يأتيه في اليقظة تَوْطئةً وتيسيراً عليه .

(١) حديث يروى في السير ، وذكره عياض في الشفاء بلا سند فهي أسطورة .

ورفقاً به ، لأن أمر النبوة عظيم ، وعِبَؤُها ثَقِيل ، والبشر ضعيف ، وسيأتي في حديث الإبراء من مقالة العلماء ما يؤكد هذا ويصححه ، قد ثبت بالطرق الصَّحاح عن عامر الشَّعْبِي أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكل به - إسرائيل ، فكان يترأى له ثلاث سنين ، ويأتيه بالكلمة من الوحي والشئ (١) ثم وكل به جبريلُ فجاءه بالقرآن والوحي ، فعلى هذا كان نزولُ الوحي عليه - صلى الله عليه وسلم - في أحوال مختلفة ، فمنها : النوم كافي حديث ابن إسحاق ، وكما قالت عائشة أيضاً : أول ما بدى به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : الرؤيا الصادقة (٢) . وقد قال إبراهيم عليه السلام : ﴿ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ﴾ . فقال له ابنه : ﴿ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾ الصافات : ١٠٢ ، فدل على أن الوحي كان يأتيهم في المنام ، كما يأتيهم في اليقظة .

ومنها : أن يُنْفَثَ في رُوعه الكلام نَفْثًا ، كما قال عليه السلام : إن رُوح القدس نَفَثَ في رُوعِي أن نفساً لن تموت ، حتى تستكمل أجلها ورزقها ،

(١) هذا مخالف لما ثبت في الأحاديث الصحيحة .

(٢) ورد هذا في حديث - رواه الشيخان والترمذي . وقد روى البخاري حديث . الوحي في كتاب التعبير من صحيحه وفي التفسير ، وفي بدء الوحي ، واختار ما في التعبير ، لأن سياقه فيه أتم . وفي زاد المعاد أنه قيل : إن مدة الرؤية كانت ستة أشهر . ويقول النووي عن حديث الرؤيا الذي روته عائشة : إنه من مراسيل الصحابة ؛ لأن عائشة لم تدرك هذه القصة ، فتكون سمعتها من النبي - صلى الله عليه وسلم - أو من صحابي . ص ٥٨١ ج ٨ فتح الباري .

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ^(١). وقال مجاهد، وأكثَرُ المفسرين في قوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ الشورى : ٥١ . قال هو أن يَنْفُثَ في رُوعه بالوحي .

ومنها : أن يأتيه الوحي في مثل صَلَصلةِ الجُرَسِ^(٢) ، وهو أشدُّ عاياه ، وقيل : إن ذلك لَيْسَتْ جَمِيعَ قلبه عند تلك الصلصلة ، فيسكون أوعى لما يسمع ، وألْقَنَ لما يلقى .

ومنها : أن يتمثل له الملكُ رجلاً ، فقد كان يأتيه في صورة دحية^(٣) بن

(١) أبو نعيم في الحلية عن أبي أمامة ، وعلم عليه السيوطي بأنه ضعيف ، ورواه بتمامه ابن أبي الدنيا في كتاب القناعة والحاكم من حديث ابن مسعود ، وابن ماجه عن جابر ، والطبراني من حديث أبي أمامة . والرووع بضم الراء : النفس والقلب والذهن والعقل .

(٢) ورد هذا في حديث متفق عليه .

(٣) دحية بكسر الدال وقد تفتح - بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد ابن امرئ القيس بن الخزرج ، أول مشاهده الخندق . نزل دمه شق وسكن المزة ، وعاش إلى خلافة معاوية . وذكر مقاتل أن التجارة التي سيأتى ذكرها كانت لدحية قبل إسلامه . وكان معها طبل ، كما ورد في كتاب المراسيل في حديث رواه أبو داود . هذا وقد نزل جبريل على الرسول ص ، بصورة رجل غير دحية ، كما جاء في حديث أبي هريرة في الصحيحين ، وذلك حين جاءه جبريل يسأله عن الإيمان والإسلام والإحسان . وفي آخر الحديث . هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم . وقد وصف جبريل في صورته هذه - كما جاء في مسلم - بأنه رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، فلو أنه كان في صورة دحية لعرفوه .

خليفة ، ويُروى أن دحية إذا قدم المدينة لم تبق مُعَصِرٌ^(١) إلا أخرجت تنظر إليه لفرط بجماله . وقال ابن سلام في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا ﴾ الجمعة : ١١ . قال : كان اللهو نظراً لهم إلى وجه دحية لجماله .

ومنها : أن يترأى له جبريل في صورته التي خلقه الله فيها ، له ستمائة جناح ، ينفشر منها الأول والثاني والثالث .

ومنها : أن يكلمه الله من وراء حجاب : إمام في اليقظة كما كلمه في ليلة الإسراء ، وإماماً في النوم ، كما قال في حديث معاذ الذي رواه الترمذي ، قال : أتاني ربي في أحسن صورة ، فقال : فيم يختصم الناس الأعلى ، فقلت : لا أدري . فوضع كفه بين كتفي ، فوجدت برزخاً بين مُنْدُوَتِي^(٢) وتجلي لي علم كل شيء ، وقال : يا محمد ، فيم يختصم الناس الأعلى ، فقلت : في الكفارات ، فقال : وما هن ؟ فقلت : الوضوء عند الكريهات ، ونقل الأقدام إلى الحسنات ، وانتظار الصلوات بعد الصلوات ، فمن فعل ذلك عاش حميداً ، ومات حميداً ، وكان من ذنبه كمن ولدته أمه ، وذكر الحديث^(٣) . فهذه ستة أحوال ، وحالة سابعة قد قدمنا ذكرها ، وهي

(١) المرأة بلغت شبابها وأدركت .

(٢) تُنْدُوَة بضم فسكون ، فضم فواو مفتوحة فتاء ، وقد تفتح التاء : لحة الثدي أو أصله .

(٣) أحمد وعبد الرازق والترمذي والطبراني عن ابن عباس مرفوعاً ، وابن مردويه والطبراني من حديث معاذ ، وقال البيهقي في الاسماء والصفات : هذا حديث مختلف في إسناده . ثم ذكر طريقه ، وقال : وكلها ضعيف ، وأحسن طريق فيه رواية جهضم بن عبد الله - وهي منقطعة - ثم رواية موسى بن خلب =

نزل إسرائيل عليه بكلمات من الوحي قبل جبريل^(١) فهذه سبع صور في كيفية نزول الوحي على محمد - صلى الله عليه وسلم - لم أر أحداً جمعها كهذا الجمع ، وقد استشهدنا على صحتها بما فيه غنّة ، وقد أملينا أيضاً في حقيقة رؤيته عليه السلام ربّه في المنام على أحسن صورة ، ويروى : على صورة شاب مسئلة بدعيّة كاشفة لقناع اللّبس ، فانتظر هنالك .

من تفسير هربث الرومي :

فصل : وذكر في الحديث أن جبريل أتاه بنمط^(٢) من ديباج فيه كتاب ، فقال : اقرأ ، قال بعض التفسيرين في قوله : (ألم ذلك الكتاب لاريب فيه) إنها إشارة إلى الكتاب الذي جاء به جبريل حين قال : اقرأ ، وفي الآية أقوال غير هذه ، منها : أنها إشارة إلى ما تضمنه قوله سبحانه : ألم ؛ لأن هذه الحروف المقطعة تضمنت معاني الكتاب كله ، فهي كالترجمة له .

== وفيه ما يثبت أنه كان في النوم ، وذكر ابن الجوزي أن طرق هذا الحديث مضطربة .

(١) ورد في أثر عن الشعبي في تاريخ الإمام أحمد ويعقوب بن سفيان وابن سعد والبيهقي . وهو مرسل أو معضل . وكلاهما من أقسام الضعيف ، وقد أنكره الواقدي ، وقال : لم يكن به من الملائكة إلا جبريل . قال الشامي : وهو المعتمد . وهو معارض للأحاديث الصحيحة .

(٢) وعاء كالسفظ . وهذا من مراسلات عبيد بن عمير .

معنى اقرأ باسم ربك :

وقوله : ما أنا بقارىء ، أى : إني أُمِّيٌّ ، فلا أقرأ الكتب ، قالها ^(١) ثلاثاً
ف قيل له : اقرأ باسم ربك ، أى : إنك لا تقرؤه بِحَوْلِكَ ، ولا بصفة نفسك ،
ولا بمعرفتك ، ولما كان اقرأ مفتتحاً باسم ^(٢) ربك مستعينا به ، فهو يعلمك كما خلقك
وكما نزع عنك علقَ الدم ، ومَمَّزَ الشيطان بعد ما خلقه فيك ، كما خلقه في كل
إنسان . والآيتان المتقدمتان لمحمد ، والآخرتان : لأمته ، وهما قوله تعالى : (الذى علمَ
بالقلم علمَ الإنسان ما لم يعلم) لأنها كانت أُمَّةً أُمِّيَّةً لا تكتب ، فصاروا أهل
كتاب ، وأصحاب قلم ، فتمعنوا القرآن بالقلم ، وتعلمه نبيهم تلقيناً من جبريل
نزله على قلبه بإذن الله ، ليكون من المرسلين .

مولد بسم الله :

فصل : وفي قوله : اقرأ باسم ربك من الفقة : وجوب استفتاح القراءة بسم الله
الرحمن الرحيم ^(٣) ، غير أنه أمرٌ مُبْهَمٌ لم يبين له بأى اسم من أسماء ربه يفتتح ،

(١) قيل إن ما استفهامية ، لما ورد في رواية أبي الاسود عن عروة : كيف
أقرأ ؟ وابن إسحاق عن عبيد بن عمير ، ماذا أقرأ ؟ وقد جوز الاخفش دخول
الباء على الخبر المثبت ، وجزم به ابن مالك في : بحسبك زيد ، فجعل الخبر بحسبك
وجعل الباء زائدة وسيأتى في الشرح وفي الروض .

(٢) أى : ناوياً بقراءته وجه الله سبحانه ، ويجب في قراءة القرآن الاستفتاح
أولاً بالاستعاذة ، فقد جاء الأمر بها صريحاً في القرآن .

(٣) يقول ابن كثير : افتتح بها الصحابة كتاب الله ، واتفق العلماء على أنها
بعض آية من سورة النمل ، ثم اختلفوا : هل هي آية مستقلة في أول كل سورة ، =

حتى جاء البيان بعد في قوله: (بسم الله مجزئها) هود: ٤١ ثم قوله تعالى: (وإنه بسم الله الرحمن الرحيم) النمل: ٣٠. ثم كان بعد ذلك ينزل جبريل عليه بسم الله الرحمن الرحيم مع كل سورة، وقد ثبتت في سواد المصحف بإجماع من الصحابة على ذلك، وما ذكره البخارى من مصحف الحسن البصرى، فشذوذ، فهى على هذا من القرآن، إذ لا يكتب في المصحف ما ليس بقرآن، ولا يلتزم قول الشافعى أنها آية من كل سورة، ولا أنها آية من الفاتحة، بل نقول: إنها آية من كتاب الله تعالى، مقترنة مع السورة، وهو قول داود وأبى حنيفة، وهو قول بين القوة لن أنصف، وحين نزلت بسم الله الرحمن الرحيم سبّحت الجبال، فقالت قريش: سحر محمد الجبال (١) ذكره النقاش، وإن صح ما ذكره، فله معنى ما سبّحت عند نزولها خاصة، وذلك أنها آية أنزلت على آل داود، وقد كانت الجبال تسبّح مع داود، كما قال الله تعالى: (إنا سخرنا الجبال معه يُسَبِّحُنَّ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ) ص: ١٨ وقال: (إنه من مُسْلِمَيْن، وإنه بِسْمِ الله الرحمن الرحيم) النمل: ٣٠.

وفي الحديث ذكر نَمَطَ الديباج من الكتاب، وفيه دليل وإشارة إلى

== كتبت في أولها، أو أنها بعض آية من كل سورة، أو أنها كذلك في الفاتحة دون غيرها: أو أنها إنما كتبت للفصل بين السور لا أنها آية. على أقوال العلماء سلفا وخلفا؟ هذا وفي صحيح البخارى عن أنس أنه سئل عن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «كانت قراءته مدا مدا، ثم قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم بمد باسم الله، ويمد الرحمن، ويمد الرحيم».

(١) كيف عرفت قريش أنه تسبيح للجبال؟ والله يقول: «ولكن لا تفقهون تسبيحهم»، فكيف يفقهه عتاة الشرك؟

أن هذا الكتاب يفتح على أمته ملك الأعاجم ، ويسلبونهم الديباج والحريز
الذى كان زيهم وزينتهم ، وبه أيضا ينال ملك الآخرة ولباس الجنة وهو الحريز
والديباج (١) ، وفي سير موسى بن عقبة ، وسير سليمان بن المعتمر زيادة ، وهو
أن جبريل أتاه بدر نوك (٢) من ديباج منسوج بالدُر والياقوت ، فأجلسه عليه .
غير أن موسى بن عقبة قال : ببساط ، ولم يقل : دُر نوك ، وقال في سير ابن المعتمر :
إن الله تعالى أنزل عليه : (أَلَمْ تَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) الآيات ، كأنه يشير به ، فمسح
جبريل صدره ، وقال : اللهم اشرح صدره ، وارفح ذكره ، وضع عنه وزره ،
ويصحح ما رواه ابن المعتمر أن الله تعالى أنزل عليه : (أَلَمْ تَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ)
الآيات ، كأنه يشير إلى ذلك الدعاء الذى كان من جبريل ، والله أعلم (٣) .

القط :

وقوله في الحديث : فغظني (٤) ، ويروى : فسأبني ، ويروى : سأبني ،
وأحسبه أيضا يروى : فدعنتي (٥) وكلها بمعنى واحد ، وهو الخنق والغم ، ومن
الدعنت حديثه الآخر : أن الشيطان عرض له ، وهو يصلى قال : فدعنته ، حتى
وجدت برد لسانه على يدي ، ثم ذكرت قول أخى سليمان : (رَبِّ هَبْ لِي مَلَكًا)

(١) هكذا يبنى على روايات واهية أمورا هي حقائق لا تبنى على مثل هذا الباطل .
(٢) فى النهاية لابن الأثير : ستر له خمل وجمعه : درانك ، ويقال :
درموك أيضا ، وفى القاموس . ضرب من الثياب أو البسط كالدرنك بكسر الدال
والطنفسة كالدرنك كزبرج .

(٣) رواية ضعيفة لا يعتد بها فلماذا يعتد بها السهيلي ؟

(٤) غظنى : ضمنى وعصرنى ، والغت : حبس النفس .

(٥) ذعجه — أيضا — : ذاته ومعك في التراب ، ودفعه دفعا غنيا وتقال
بالدال أيضا والسَّابُ : العصر فى الخلق ، والسَّات : الخنق .

لا ينبغي لأحد من بعدى) الحديث ، وكان في ذلك إظهاراً للشدة والجِد في الأمر ، وأن يأخذ الكتاب بقوة ، ويترك الأناة فإنه أمر ليس بالهَيَّوِيَّة ، وقد انتزع بعضُ التابعين وهو شُرَيْحُ القاضي من هذا : ألا يُضْرَب الصَّيِّ على القرآن

(١) في البخارى في باب التفسير : « إن عفريتاً من الجن تفلت على البارحة — أو كلمة نحوها — ليقطع على الصلاة ، فأمكنني الله تبارك وتعالى منه ، وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد ، حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم ، فذكرت قول أخى سليمان — عليه الصلاة والسلام : رب اغفر لي ، وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدى ، قال روح — يعنى ابن عبادة راوى الحديث : فردده خاسئاً . وهكذا رواه مسلم والنسائى من حديث شعبة به ، وروى مسلم في صحيحه عن أبى الدرداء قال : قام رسول الله صلى عليه وسلم يصلى ، فسمعناه يقول : أعوذ بالله منك ، ثم قال ألعنك بلعنة الله ثلاثاً — وبسط يده كأنه يتناول شيئاً ، فلما فرغ من الصلاة قلنا : يا رسول الله سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك ، ورأيناك بسطت يدك ، قال صلى الله عليه وسلم : إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجمعه في وجهي ، فقلت : أعوذ بالله منك ثلاث مرات ، ثم قلت : ألعنك بلعنة الله التامة ، فلم يتأخر ثلاث مرات ، ثم أردت أن آخذه . والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثماً يلعب به صبيان أهل المدينة . وفي حديث أحمد عن أبى سعيد الخدرى أنه كان في صلاة الصبح فالتبست عليه القراءة ، وأنه قال بعد انتهاء الصلاة : (لو رأيتموني وإبليس فأهويت يدي ، فازلت أحنقه حتى وجدت برد لعابه بين أصبعي هاتين — الإبهام والى تليها — ولولا دعوة أخى سليمان لأصبح مربوطاً بسارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيان المدينة) ولقد قيل هنا : كيف يقال : إن الرسول صلى الله عليه وسلم — ذكر دعوة سليمان ، ولم يذكر إنظار الله لإبليس حتى يوم الدين ؟ وربنا أعلم بما كان .

إلا ثلاثاً كما غَطَّ جبريلُ عليه السلام محمداً - صلى الله عليه وسلم - ثلاثاً ، وعلى رواية ابن إسحاق أن ذلك في نومه كان ^(١) ، يكون في تلك الغَطَّات الثلاث من التأويل ثلاثُ شدائد ، يُبْتَلَى بها أولاً ، ثم يأتي الفرج والروح ، وكذلك كان آتِي هو وأصحابه ، شدةً من الجوع في شُعب الخيف ، حين تماقت قريش ألاَّ يبيعوا منهم ، ولا يتركوا ميرةً تصل إليهم ، وشدةً أخرى من الخوف والإبعاد بالقتل ، وشدةً أخرى من الإجلاء عن أحب الأوطان إليه ، ثم كانت العاقبة للمتقين ، والحمد لله رب العالمين .

ما أنا بقارى :

وقوله في حديث ابن إسحاق : اقرأ ، قال : ما أقرأ ، يحتمل أن تكون ما استفهاماً ، يريد : أى شيء أقرأ ؟ ويحتمل أن تكون نفياً ، ورواية البخارى ومسلم تدل على أنه أراد النفي ، أى : ما أحسن أن أقرأ ، كما تقدم من قوله : ما أنا بقارى ^(٢) .

(١) رواية المنام من مراسيل عبيد بن عمير ، وهى مخالفة لرواية الصحيحين المسندة المرفوعة ، والجمع بين الروایتين بأن هذا كان مرتين : الأولى في المنام والآخرى في اليقظة تأويل فاسد ، فلو أن هذا حدث ، ما حدث له كل ذلك الذى أصابه من شدة الوحى في المرة الأخرى .

(٢) فإن قيل : لم كرر ثلاثاً ؟ أجاب أبو شامة : بأن يُحمل قوله أولاً : ما أنا بقارى على الامتناع ، وثانياً : على الإخبار بالنفي المحض ، وثالثاً : على الاستفهام ، ويؤيده أن في رواية أبى الأسود فى مغازيه عن عروة أنه قال : كيف أقرأ ؟ وفى رواية ابن عمير عن ابن إسحاق : ماذا أقرأ ؟ ، وفى مرسل الزهرى فى دلائل البهيقي : كيف أقرأ . وكل ذلك يؤيد أنها استفهامية .

رؤية جبريل ومعنى اسمه:

وذكر رؤيته لجبريل ، وهو صافٌ قدميه ، وفي حديث جابر أنه رآه على رَفْرَفٍ^(١) بين السماء والأرض ، ويروى: على عرش بين السماء والأرض ، وفي حديث البخاري الذي ذكره في آخر الجامع أنه حين فُتِرَ عنه الوحي ، كان يأتي شواهِقَ الجبال يهيم بأن يأتي نفسه منها ، فكان جبريل يتراءى له بين السماء والأرض ، يقول له : أنت رسول الله ، وأنا جبريل . واسم جبريل سُرْبَانِي . ومعناه : عبد الرحمن ، أو عبد العزيز . هكذا جاء عن ابن عباس موقوفاً ومرفوعاً أيضاً ، والوقف أصله . وأكثر الناس على أن آخر الاسم منه هو اسم الله ، وهو: إيل ، وكان شيخنا رحمه الله يذهب مذهب طائفة من أهل العلم في أن هذه الأسماء إضافتها مقلوبة ، وكذلك الإضافة في كلام العجم ، يقولون في غلام زيدٍ : زيد غلامٍ ، فعلى هذا يكون إيل عبارة عن العبد ، ويكون أولُ الاسم عبادةً عن اسم من أسماء الله تعالى ، ألا ترى كيف قال في حديث ابن عباس: جبريل وميكائيل ، كما تقول : عبد الله وعبد الرحمن ، ألا ترى أن لفظ عبد يتكرر بلفظ واحد ، والأسماء ألفاظها مختلفة .

حول معنى إل وخرافة الرهبان :

وأما إلٌ بالتشديد من قوله تعالى : (إِلَّا وَلَا ذِمَّةَ) التوبة : ١٠ فحَذَارٌ

(١) البساط أو السر ، وأصله ما كان من الديباج ، وغيره رقيقاً حسناً الصنعة ، ثم توسع فيه .

حَذَار من أن تقول فيه : هو اسم (١) الله ، فنسئ الله باسم لم يُسمَّ به نفسه ألا ترى أن جميع أسماء الله تعالى معرفة ، و«إِلَّ» نكرة ، وحاشا لله أن يكون اسمه نكرة ، وإنما الأُلُّ كل ماله حُرْمَةٌ وحق ، فَمِمَّا له حق ويجب تعظيمه : القرابة والرحم والجوار والعهد ، وهو من أَلَّتْ : إذا اجتهدت في الشيء وحافظت عليه ، ولم تضعه ، ومنه : الأُلُّ في السيرو هو الجِد ، ومنه قول السكيت [يصف رجلاً] .

وَأَنْتَ مَا أَنْتَ فِي غَبْرَاءٍ مُّجْدِبَةٍ إِذَا دَعَتْ أَلَلِيهَا الْكَاعِبُ الْفُضْلُ (٢)

يريد : اجتهدت في الدعاء ، وإذا كان الأُلُّ بالفتح المصدر ، فالإِلُّ بالكسر : الاسم كالذَّبح من الذَّبْح ، فهو إذا الشيء المحفوظ عليه ، وقول الصديق : [عن كلام مُسَيِّلَةٍ :] هذا كلام لم يخرج من إل ولا برٍّ ، أى : لم يصدر عن ربوبية ، لأن الربوبية حقها واجبٌ مُعْظَمٌ ، وكذلك فسره أبو عبيد ، وانفق في اسم جبريل عليه السلام أنه موافق من جهة العربية لعناه ، وإن كان أعجمياً ، فإن الجبر هو إصلاح ما وهى ، وجبريل موكل بالوحى ، وفي الوحى إصلاح ما فسد ، وجبر ما وهى من الدين ، ولم يكن معروفاً بمكة ولا بأرض العرب فلما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم خديجة به انطلقت تسئل مَنْ عنده علمٌ من الكتاب كَعَدَّاسٍ وَاسْتُطُور الرَّاهِبُ (٣) ، فقال لها : قَدْ وُسَّ قَدْ وُسَّ ! أتى لهذا الاسم أن

(١) له الحق في أن يحذر من هذا ، فهو ليس من الأسماء الحسنى ، وإن كان موجوداً في بعض معاجم اللغة .

(٢) في الأصل : إلهيها ، والبيت في اللسان هكذا :

وَأَنْتَ مَا أَنْتَ فِي غَبْرَاءٍ مَظْلَمَةٍ إِذَا دَعَتْ أَلَسْكِهَا الْكَاعِبُ الْفُضْلُ

(٣) تكلمت عن هذا من قبل ، وعداس - كما قيل - نصراني من نينوى وانظر

قصته في السيرة الحلبية ص ٢٧٨ ج ١ .

يذكر في هذه البلاد ، وقد قدمنا هذا الخبر عنها ، وهو في سيرة التيمي لما ذكرناه قبل ، وفي كتاب المميطي عن أشهب قال : سئل مالك عن التسمي بجبريل أو من يسمي به ولده ، فذكره ذلك ، ولم يعجبه .

معنى الناموس :

وقول ورقة : لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى .
الناموس : صاحب سيرة الملك ، قال بعضهم : هو صاحب سيرة الخير ، والجاسوس : هو صاحب سر الشر (١) ، وقد فسر أبو عبيد وأنشد :

فأبلغ يزيد إن عرّضت ومُنذراً عَمَّهما والمستشِرَّ المُنَامِسَا (٢)

لم ذكر موسى ولم يذكر عيسى :

وإنما ذكر ورقة موسى ولم يذكر عيسى ، وهو أقرب ، لأن ورقة كان قد تنصّر ، والنصارى لا يقولون في عيسى : إنه نبي يأتيه جبريل ، إنما يقولون فيه : إن أفنوماً (٣) من الأفانيم الثلاثة اللاهوتية حل بناسوت المسيح ، واتحد به على اختلاف بينهم في ذلك الحلول ، وهو أفنوم الكلمة ، والكلمة عندهم : عبارة عن العلم ، فلذلك كان المسيح عندهم ، يعلم الغيب ، ويخبر بما في غد ، فلما كان هذا من مذهب النصارى الكذبة على الله ، المدعين الحال ، عدل عن ذكر

(١) جزم البخاري في أحاديث الأنبياء أنه صاحب السر ، وقال ابن دريد : صاحب الوحي ، وأهل الكتاب يسمون جبريل : الناموس الأكبر . والخشني يقول : أصل الناموس هو : صاحب سر الرجل في خيره وشره .

(٢) البيت للكثير كما ذكر اللسان وفيه : د وعمهما ، والمستسر ، بدلا من « عمهما والمستشِر » ومعنى المُنَامِس : الداخل في الناموس .

(٣) الأفنوم : كلمة رومية معناها : الأصل .

عيسى إلى ذكر موسى لعله ، أو لاعتقاده أن جبريل كان ينزل على موسى ،
لكن ورقة قد ثبت إيمانه بمحمد عليه السلام ^(١) وقد قدمنا حديث الترمذى
أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رآه في المنام ، وعليه ثياب بيض إلى آخر
الحديث .

حول هاء السكت والفعل نذكر :

وقول ورقة : **أُتِكَذَبْتُهُ ، وَلَتُوذَّيْنُهُ ،** ولا يُنطق بهذه الهاء إلا ساكنة
لأنها هاء السكت ، وليست بهاء إضمار . وقوله : **إِنْ أَذْرَكَ ذَلِكَ الْيَوْمَ أَنْصُرَكَ**
نَصْرًا مُؤَزَّرًا ، وقال في الحديث : **إِنْ يُذْرِكُنِي يَوْمُكَ وَهُوَ الْقِيَاسُ ،** لأن
ورقة سابق بالوجود ، والسابق هو الذى يُذْرِكُهُ من يأتى بعده ، كما جاء في
الحديث : **أَشَقَى النَّاسِ مَنْ أَدْرَكَتْهُ السَّاعَةُ وَهُوَ حَيٌّ ،** ورواية ابن إسحاق أيضا
لها وجه ، لأن المعنى : أنرى ذلك اليوم ، فسَمَى رؤيته إدراكا ، وفي التنزيل :

(١) غير صواب قوله هذا ، فإن الجن الذين سمعوا القرآن قالوا : (سمعنا كتابا
أنزل من بعد موسى) ، وخير أن نقول : إنه قال ذلك - كما ذكر الشيخ رشيد
رضا رحمه الله في الوحي المحمدى - لأن الشبه بين الوحي إلى موسى ومحمد عليهما
السلام أتم ؛ لأن كلامهما أوفى شريعة تامة مستقلة في عباداتها ومعاملاتها وسياستها
وقوتها العسكرية ، وعيسى عليه السلام كان تابعا لشريعة التوراة ، وناسخا لبعض
الأحكام التى يقتضيها الإصلاح ، ومبشرا بالنبي الذى يأتى بعده بالشرع الكامل
العام الدائم . ولهذا يرد ابن حجر في فتح البارى بقوله : « أما ما تمحل له السهلى
من أن ورقة كان على اعتقاد النصرانى في عدم نبوة عيسى ودعواهم أنه أحد
الآفانيم ، فهو محال لا يعرج عليه في حق ورقة وأشباهه ممن لم يدخل في التبديل
ولم يأخذ عن بدل ، ص ٢٩ ج ١ ط الحلبي وص ٢١٤ ج ١ شرح المواهب .

﴿لَا تُذَرِّكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ أى : لا تراه على أحد القولين . وقوله : مُؤَزَّرًا من الأزر وهو القوة والعون .

يُصرح : أو مُخرَجى ؟ :

فصل : وفى حديث البخارى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لورقة : أَوْ مُخْرِجِيَّ هَمْ . لا بُدَّ من تشديد الياء فى مُخرَجى ، لأنه جمع ، والأصل مُخْرَجُوى فَأُدْغِمَتِ الواو فى الياء ^(١) وهو خبر ابتداء مقدّم ، ولو كان المبتدأ اسما ظاهر الجاز تخفيف الياء ، ويكون الاسم الظاهر فاعلا لا مبتدأ ، كما تقول : أضراب قومك ، أخرج إخوتك فتفرد ، لأنك رفعت به فاعلا ، وهو حسن فى مذهب سيبويه والأخفش ، ولولا الاستفهام ما جاز الأفراد إلا على مذهب الأخفش ، فإنه يقول : قائم الزيدون دون استفهام ، فإن كان الاسم المبتدأ من المضمرات نحو : أخرج أنت ، وأقام هو ؟ لم يصح فيه إلا الابتداء ، لأن الفاعل إذا كان مُضْمَرًا لم يكن منفصلا لا تقول : قام أنا ، ولا ذهب أنت

(١) فى المواهب : وأصله مخرجون لى حذفت اللام تخفيفا ونون الجمع للاضافة إلى ياء المتكلم ، فصار : أو مخرجوى اجتمعت الواو والياء وسبقت الواو - بالسكون ، فقلبت ياء ، ثم أُدْغِمَتِ فى ياء المتكلم ، وقلبت الضمة : كسرة لمناسبة الياء ، والهمزة للاستفهام . ولم يقل : وأمخرجى مع أن الأصل أن يجاء بالهمزة بعد العاطف نحو : فأين تذهبون ؛ لاختصاص الهمزة بتقديمها على العاطف تنبيها على أصلاتها نحو : أولم يسيرا ؟ هذا مذهب سيبويه والجمهور ، والاستفهام : إنكارى ؛ لأنه استبعد إخراجهم من وطنه وهو حرم الله من دون سبب يقتضيه وكذلك ورد فى ص ٤٣ بدائع الفوائد ج ٣ للامام ابن القيم .

وكذلك لا تقول : أذهب أنت على حدِّ الفاعل ولكن على المبتدأ ، وإذا كان على حدِّ المبتدأ ، فلا بد من جمع الخبر ، فعلى هذا تقول : أَخْرِجِيَّ هم ، تريد : مخرجون ، ثم أضفت إلى الياء ، وحذفت النون ، وأدغمت الواو كما يقتضى القياس .

مول اليافوخ والذهب إلى ورقة :

فصل : وذكر أن ورقة بن نوفل لقي النبي عليه السلام ، فقبل يافوخه . فقد تقدم ذكر اليافوخ ، وأنه يَفْعُول مَهْمُوز ، وأنه لا يقال في رأس الطفل يافوخ حتى يَشْتَدَّ وإنما يقال له : الغاذية ، وذكرنا قول العجاج :

ضَرَبَ إِذَا أَصَابَ الْيَافِيخَ حَفَرٌ . ولو كان يافوخ قَاعُولاً ، كما ظن بعضهم لم يجز همزه في الواحد . ولا في الجمع ^(١) وفي رواية يونس عن ابن إسحاق بسنده إلى أبي مَيْسَرَةَ عمرو بن شُرَحْبِيل ^(٢) أن رسول الله صلى الله عليه

(١) هو في اللسان في مادة أفخ ، وقال : هو حيث التقى عظم مقدم الرأس وعظم مؤخره ، وهو الموضع الذي يتحرك من رأس الطفل . وفيه أيضا : قال الليث : من همز اليافوخ ؛ فهو على تقدير يفعول . ومن لم يهمز ، فهو على تقدير فاعول من اليفخ ، والهمز أصوب .

وفي القاموس : أَفْخَخَهُ : ضرب يافوخه والجمع : يوافيخ ، وهذا يدل على أن أصله يَفْخ ؛ ووم الجوهرى في ذكره هنا . وفي المعجم الوسيط جمعه : يوافيخ ، ولكنه قال : اليافوخ : هو اليافوخ وهو فجوة مغطاة بنشاة تكون عند تلاقي عظام الجمجمة ، وهما يافوخان ، يافوخ أمامي ، ويافوخ خلفي .

(٢) ذكره البخارى وغيره في التابعين ، ووثقه ابن معين وآخرون ، وقد =

وسلم. قال لخديجة : إني إذا خلوت وحدي سمعت نداءً ، وقد خشيتُ والله أن يكونَ لهذا أمرٌ . قالت : معاذَ الله ما كان الله ليفعلَ ذلك بك . فوالله إنك لتؤدى الأمانة وتصل الرحم . وتصدقُ الحديث ، فلما دخل أبو بكر ، وليس [عندها] رسول الله صلى الله عليه وسلم - ثم ذكرت خديجةَ له ذلك ، فقالت : يا عتيقُ اذهب مع محمد إلى ورقة ، فلما دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخذ أبو بكر بيده . فقال : انطلق بنا إلى ورقة بن نوفل . فقال : ومن أخبرك ؟ قال : خديجة ، فانطلقا إليه ، فقصَّا عليه ، فقال : إني إذا خلوت وحدي سمعت نداءً خلفي : يا محمد يا محمد ، فانطلق هارباً في الأرض . فقال له : لا تفعل ، إذا أنك فائتبت ، حتى تسمع ما يقول لك . ثم اتيتني ، فأخبرني ، فلما خلا ناداه : يا محمد قل : بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . حتى بلغ : ولا الضالين . قل : لا إله إلا الله . فاتى ورقة ، فذكر ذلك له ، فقال له ورقة : أبشِر ، ثم أبشِر فأنأشهدك أنك الذى بشر به ابنُ مريم ، وأنتك على مثل ناموس موسى ، وأنتك نبي مرسل ، وأنتك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا . ولئن أدركنى ذاك لأجاهدَنَّ معك . فلما توفى ورقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد رأيتُ النفسَ في الجنة ، وعليه ثياب الحرير ، لأنه آمن بى وصدقنى ، يعنى : ورقة ، وفي رواية .

== أخرج هذا الحديث البيهقي ، وذكر أنه منقطع ، وغرضه من سياقه بيان أنه معارض بحديث الصحيح في أن أول ما نزل : اقرأ . والمعجب أن يحاول العيني التوفيق بين هذه المتضادات بأن خديجة أرسلته مرة مع الصديق ، وذهبت هى به أخرى وسألت عداسا بمكة ، وسافرت إلى بحيرى - كما روى التيمى - وهو توفيق يعتمد به .

يونس أيضا أنه عليه السلام قال لرجل سبَّ ورقة : أما علمت أنى رأيت لورقة جنة أو جنتين ، وهذا الحديث الأخير قد أسنده البزار (١) .

لقد خِشَّتْ عَلَى نَفْسِي :

فصل : وفي الصحيح أنه قال لخديجة : لقد خشيت على نفسي ، وتكلم العلماء في معنى هذه الخشية بأقوال كثيرة ، فذهب أبو بكر الإسماعيلي (٢) إلى أن هذه الخشية كانت منه قبل أن يحصل له العلم بأن الذى جاءه ملك من عند الله ، وكان أشق شئ عليه أن يقال عنه : مجنون ، ولم ير الإسماعيلي أن هذا محال فى مبدأ الأمر ؛ لأن العلم الضرورى قد لا يحصل دفعة واحدة ، وضرب مثلا بالبيت من الشعر تسمع أوله ، فلا تدري أنظم هو أم نثر ، فإذا استمر الإنشاد ، علمت قطعاً أنه قصيد به قصد الشعر ، كذلك لما استمر الوحي واقتربت به القرأن المقتضية للعلم القطعى ، حصل العلم القطعى ، وقد أثنى الله تعالى عليه بهذا العلم فقال : (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه . والمؤمنون) إلى قوله : (وملائكته وكتبه ورأسه) فإيمانه بالله وبملائكته . إيمان كسبي موعود عليه بالثواب الجزيل ، كما وعد على سائر أفعاله المكتسبة كانت من أفعال القلب أو أفعال الجوارح ، وقد قيل فى قوله : لقد خشيت على نفسي ، أى : خشيت ألا أنهض بأعباء النبوة ، وأن أضعف عنها ، ثم أزال الله خشيته ، ورزقه الأيد والقوة والثبات والعصمة ، وقد قيل : إن خشيته كانت من قومه أن يقتلوه ، ولا غرو ، فإنه بشر يخشى من القتل

(١) ورواه الحاكم فى مستدركه . وهذه روایات ساقطة لا يعتد بها .

(٢) أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الإسماعيلي الجرجاني ، قال الحاكم :

كان واحداً عصره ، وشيخ المحدثين والفقهاء مات ٣٧١ .

والإذابة الشديدة ما يخشاه البشر ، ثم يهون عليه الصبر في ذات الله كل خشية ، ويحجب إلى قلبه كل شجاعة وقوة ، وقد قيل في معنى الخشية أقوال غير هذه رغبت عن التطويل بذكرها^(١) .

(١) في فتح الباري : « اختلف العلماء في المراد بها على اثني عشر قولاً . أولها : الجنون ، وأن يكون مارآه من جنس الكهانة . جاء مصرحاً به في عدة طرق ، وأبطله أبو بكر بن العربي ، وحق له أن يبطل ، لكن حمله الإسماعيلي على أن ذلك حصل له قبل حصول العلم الضروري له : أن الذي جاءه ملك ، وأنه من عند الله تعالى . ثانيها : الهاجس وهو باطل أيضاً ، لأنه لا يستقر ، وهذا استقر ، وحصلت بينهما المراجعة ، ثالثها : الموت من شدة الرعب ، رابعها : المرض ، وقد جزم به ابن أبي جرة . خامسها : دوام المرض ، سادسها : العجز عن حمل أعباء النبوة ، سابعها : العجز عن النظر إلى الملك من الرعب ، ثامنها : عدم الصبر على أذى قومه ، تاسعها : أن يقتلوه ، عاشرها : مفارقة الوطن ، حادي عشرها : تكذيبهم إياه ، ثاني عشرها : تعييرهم إياه ، وأولى هذه الأقوال بالصواب وأسلمها من الارتياب : الثالث واللذان بعده ، وما عداها معترض والله الموفق ، ص ٢٧ ط الحلبي .

هذا ، ويحسن أن ننقل هنا بعض ما ورد في الصحيحين حول هذا عن مشكاة المصابيح عن ابن عباس ، قال : بعث رسول الله ص ، لأربعين سنة ، فكثرت بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه ، ثم أمر بالهجرة ، فهاجر عشر سنين ، ومات ، وهو ابن ثلاث وستين سنة . متفق عليه ،

وعنه : قال : أقام رسول الله ص ، بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ، ويرى الضوء سبع سنين ، ولا يرى شيئاً . وثماني سنين يوحى إليه ، وأقام بالمدينة عشرة ، وتوفي وهو ابن خمس وستين . متفق عليه ، والاولى أضبط .

« بدء الوحي »

وعن عائشة رضي الله عنها : قالت : أول ما بدى به رسول الله ص ، من

==الوحي : الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حُبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاء الحق، وهو في غار حراء، فجاهه الملك فقال: اقرأ. فقال: ما أنا بقارىء. قال: فأخذني فغطني، حتى بلغ مني الجهد. ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارىء، فأخذني، فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ باسم ربك الذي خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم (فرجع بها رسول الله - ص - يرجف فؤاده، فدخل على خديجة، فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة - وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا، والله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق، ثم انطلقت به خديجة إلى ورقة بن نوفل ابن عم خديجة، فقالت: يا بن عم. اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا بن أخى ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله - ص - خبر ما رأى فقال ورقة: هذا هو الناموس الذى أنزل الله على موسى. ياليتنى فيها جذعا. ياليتنى أكون حيا، إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله - ص -: أو مخرجي هم؟ قال: نعم. لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى، وإن يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزعا. ثم لم يمض سبب ورقة أن توفى، وفتر الوحي متفق عليه، وزاد البخارى في حديث منقطع: « حتى حزن النبي - فيما بلغنا - وهو الزهرى راوى الحديث السابق عن عائشة، وأما هذا فرواه بلاغا، فهو لهذا منقطع - حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رهوس شواهد الجبال، فكلم أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه، تبدى له جبريل، فقال: يا محمد: إنك رسول الله حقا، فيسكن لذلك جأشه، وتقر نفسه، البخارى.

وعن جابر : أنه سمع رسول الله يحدث عن فترة الوحي قال: فبينما أنا أمشي ==

== سمعت صوتا من السماء ، فرفعت بصرى ، فإذا الملك الذى جاءنى بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض ، فخفت منه رعبا ، حتى هويت إلى الأرض ، فخفت أهلى ، فقلت : زملونى زملونى ، فزملونى فأنزل الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ ، وَرَبِّكَ فَكْبِرْ ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ، وَالرُّجْزَ فَاهْجِرْ) ثم حى الوحى وتنايع ومتفق عليه .

كيفية الوحى : وعن عائشة أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ، فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحى ؟ فقال رسول الله - ص - أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس - وهو أشده على - فيفصم عنى ، وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا ، فيكلمنى ، فأعنى ما يقول . قالت عائشة : ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد ، فيفصم عنه ، وإن جبينه ليتفصد عرقا .

مدة المجاورة : عن يحيى بن أبى كثير قال : سألت أباسلة بن عبد الرحمن عن أول منازل من القرآن ، قال : يا أيها المدثر ، قلت : يقولون : اقرأ بسم ربك قال أبو سلة : سألت جابرا عن ذلك ، وقلت له مثل الذى قلت لى : فقال لى جابر : لا أحدثك إلا بما حدثنا به رسول الله - ص - قال : جاورت بحراء شهرا ، فلما قضيت جوارى هبطت ، فنوديت ، فنظرت عن يمينى ، فلم أر شيئا ونظرت عن شمالى فلم أر شيئا ، ونظرت عن خلفى ، فلم أر شيئا ، فرفعت رأسى فرأيت شيئا ، فأثيت خديجة ، فقلت : دثرونى ، فدثرونى ، وصبوا على ما بارد . فنزلت : (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبِّكَ فَكْبِرْ ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ، وَالرُّجْزَ فَاهْجِرْ) وذلك قبل أن تفرض الصلاة : ومتفق عليه ورواه الترمذى والنسائى .

ونلاحظ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتحنث بعد البعثة فى غار ما ، فهى إذا ليست سنة شرعية ، كان يعتكف فى المسجد العشر الاواخر من رمضان فحسب ، ولو كان يريد عبادة ، لتعبد فى البيت الحرام . إنما أراد البعد عن المجتمع الآبق الشريد . ولكنه فى النبوة عاش فى هذا المجتمع يدعو إلى الحق ==

ويقاومه بالحق ، لأن الفرار من المعركة إلى خلوة أو كهف ليس من شيمة الرسل ولا المسلمين .

ولذلك تفسير بعض ماورد في الحديث : فلق الصبح : ضوءه وإنارته والصبح نفسه : شبه ما جاء في الیقظة ، ووجد في الخارج ، طابقا لما رآه في النوم : بالصبح في إنارته ووضوحه .

« ما أنا بقارىء ، ما : نافية ، وقيل : إنها استفهامية ، وضعف القاضى عياض هذا بدخول الباء في خبرها ، وهذه لا تدخل على ما الاستفهامية ولكن الأخفش يجوز دخول الباء على الخبر المثبت ، وجزم به ابن مالك في : بحسبك زيد ، فجعل الخبر حسبك ، والباء زائدة ، وقد يقوى هذا ما ذكرته من قبل من روايات حول هذا . « غطنى » ثبت لفظ الغط ثلاثا . في رواية البخارى للحديث في بابي التعبير والتفسير ، وسقطت الثانية في بدء الوحي .

« بلغ منى الجهد » تروى بفتح الجيم والنصب أى بلغ الغط منى غاية وسعى ، وروى بضم الجيم والرفع ، أى : بلغ منى الجهد مبلغه . « زملونى ، غطونى بالثياب ولفونى بها » الروح ، الغزع ، كلا ، نفى وإبعاد أى : لا تقل هذا ولا خوف عليك .

« لا يخزيك ، لا يهينك ولا يفضحك والكشميين . يحزنك بالنون » تصل الرحم ، تصل القرابة بإحسانك لإيهم وتحمل السك ، : أى تحمل الثقل من كل ما يتكلف ، ويدخل فيه الإنفاق على الضعيف واليتيم والعيال وغير ذلك . « تكسب المعدم » بفتح التاء . وروى بضمها أى : تعطى الناس ما لا يجدونه . « وتمرى الضيف : تهى له طعامه وتنزله وتعين على نوائب الحق ، حوادث الحق ، وهذه جامعة لكل ما سبق وإغيره . وهى صفة جامعة لكل أعمال المروءة والبر والنجدة « ورقة ابن نوفل » وصفه الراوى في رواية أخرى « وكان امرأ تنصر في الجاهلية » وكان يكتب الكتاب العبرانى . فيكتب من الإنجيل بالعبرانية . ماشاء الله أن يكتب . وفي رواية يونس ومعمر : ويكتب من الإنجيل بالعربية .

ولمسلم : فكان يكتب الكتاب العربى ، وجمع بين الروايات بانه كان يجيد الكتابة بتلك وبهذه . وإنما وصف بالكتابة - كما قيل - لان حفظ النوراة والإنجيل لم يكن متيسرا . وقد وصف ورقة فى بعض الروايات : « وكان شيخا كبيرا قد عمى » .

فقالت : « يابن عم ، وقع فى مسلم : أى عم ، وهو وهم ، وقيل لأنها قالت : ابن عم على حذف حرف النداء ، فتصحفت بن بأى « من ابن أخيك ، وقيل : قالت هذا ، لان عبد العزى الأب الثالث لورقة هو أخ لعبد مناف ، وهو الأب الرابع للزبي فكنأها قالت : من ابن أخى جدك . وقيل : لان والده عبدالله فى عدد النسب إلى قصى الذى يجتمعان فيه سواء ، فكان من هذه الحيثية فى درجة إخوته ، أو قالته على سبيل التوفير لسنة « جذعا ، شابا ، وأصل الجذع من أسنان الدواب وهو ما كان منها شابا فتيا « ولم ينشب ، لم يلبث . وهذا أصبح مما روى من أن ورقة كان يمر على بلال وهو يعذب ، وقد قيل : إن ورقة توفى فى السنة الثالثة من النبوة ، وقيل : فى الرابعة ، وزعم الواقدى أنه قتل ببلاد الحزم وجذام ، وقرر البلاذرى وغيره أنه دفن بمكة .

« فتر الوحى ، احتبس « يتردى ، يستقط « شواهد الجبال ، أى : طواها ، وهو العالى الممتنع « الرُّجُز ، الأوثان .

« صلصلة ، صوت وأصلها وقوع الحديد بعضه على بعض . والصلصلة أشد من الصليل « يفصم عنى ، ينفك وينجلي « يتفصد ، يسيل تشبها فى كثرته بالفصد هذا وأول سورة نزلت : اقرأ ، وقد ورد هذا عند الشيخين والترمذى والحاكم والبيهقى والطبرانى وسعيد بن منصور فى سننه . ولكن ورد فى الصحيحين أيضا فى حديث جابر أن يأبىا المدثر ، هى أول ما نزل . قبل الفاتحة كما روى البيهقى . ويقول ابن حجر : الذى ذهب إليه أكثر الأئمة هو الأول .

ابتداء تنزيل القرآن

قال ابن إسحاق : فابتدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتنزيل في شهر رمضان ، بقول الله عز وجل : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ ، وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ البقرة : ١٨٥ . وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ . نَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ . سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَافِ الْفَجْرِ ﴾ القدر . وقال الله تعالى : ﴿ حَسْبُ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ . إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ . فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ، أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ الدخان : ١ - ٥ . وقال تعالى : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَأَنْزِلْ فِي قُلُوبِكُمْ كِتَابًا تَقْرَءُونَهُ . وَذَلِكَ مُلَقًى مِنْ رِيسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُشْرِكِينَ بَبَدْرٍ .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبو جعفر محمد بن علي بن حسين : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التقى هو والمُشْرِكُونَ ببدر يوم الجمعة . صبيحة سبع عشرة من رمضان .

قال ابن إسحاق : ثم تقدم الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو مؤمن بالله مُصَدِّق بما جاءه منه ، قد قبله بقبوله ، وتحمل منه ما حمَّله . على رضا العباد وسخطهم ، والنبوة أنقال ومؤنة ، لا يحملها ، ولا يستطيع بها

إلا أهل القوّة والعزم من الرسل بعون الله تعالى وتوفيقه ، لما يَلْقَوْنَ من الناس ، وما يُرَدُّ عليهم مما جاءوا به عن الله سبحانه وتعالى .

قال : فضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله ، على ما يَلْقَى من قومه من الخلاف والأذى .

إسلام خديجة بنت خويلد

وَأَمِنْتُ بِهِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وَصَدَقَتْ بِمَا جَاءَهُ مِنَ اللَّهِ ، وَوَاظَرْتُهُ عَلَى أَمْرِهِ ، وَكَانَتْ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ ، وَصَدَقَ بِمَا جَاءَ مِنْهُ ، نَخَفَ اللَّهُ بِذَلِكَ عَنْ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَا يَسْمَعُ شَيْئًا مِمَّا يَكْرَهُهُ مِنْ رَدٍّ عَلَيْهِ . وَتَكْذِيبَ لَهُ ، فَيَحْزَنُهُ ذَلِكَ ، إِلَّا فَرَجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا إِذَا رَجَعَ إِلَيْهَا ، تُثَبِّتُهُ ، وَتَخَفُّفَ عَلَيْهِ ، وَتَصَدُّقَهُ وَتَهَوُّنَ عَلَيْهِ أَمْرَ النَّاسِ ، رَحِمَهَا اللَّهُ تَعَالَى .

قال ابن إسحاق : وَحَدَّثَنِي هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَمِرْتُ أَنْ أُبَشِّرَ خَدِيجَةَ بَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ ، لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ .

قال ابن هشام : الْقَصَبُ ههنا : اللَّوْأُو الْجَوَفُ .

قال ابن هشام : وَحَدَّثَنِي مَنْ أُنِيقَ بِهِ ، أَنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أُنِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَقَالَ : أَقْرَى خَدِيجَةَ السَّلَامَ مِنْ رِبِّهَا ، فَقَالَ

رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا خديجة ، هذا جبريلُ يُقرئك السلام من ربك ، فقالت خديجة : اللهُ السلامُ ، ومنه السلامُ ، وعلى جبريل السلام .

قال ابن إسحاق : ثم فتر الوحي عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فترة من ذلك ، حتى شق ذلك عليه ، فأحزنه ، فجاء جبريلُ بسورة الضحى ، يُقسم له ربه ، وهو الذى أكرمه بما أكرمه به ، ما ودّعه وما قلاه ، فقال تعالى : ﴿ وَالضُّحَى وَالْأَيْلِ إِذَا سَجَى . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ . يقول : ما صرمتك فترتك ، وما أبغضك منذ أحبك . ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴾ : أى : لما عندى من مَرَجْعِكَ إِلَى ، خير لك مما عَجَلْتَ لك من الكرامة فى الدنيا . ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ من الفلج فى الدنيا ، والثواب فى الآخرة : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى . وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى . وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴾ يعرفه الله ما ابتدأه به من كرامته فى عاجل أمره ، ومنه عليه فى يُتمه وعيَلته وضلالته ، واستنقاذه من ذلك كله برحمته .

قال ابن هشام : سَجَى : سكن . قال أمية بن أبى الصلتِ الثقفى :

إِذَا أَتَى مَوْهِنًا وَقَدْ نَامَ صَحْبِي وَسَجَا اللَّيْلُ بِالظَّلَامِ الْبَهْمِ .

وهذا البيت فى قصيدة له ، ويقال للعين إذا سكن طرفها : ساجية ، وسجا طرفها .

قال جرير بن الحطافي :

ولقد رَمَيْتُكَ — حين رُحْن — بأعين

يَقْتُلَانِ من خَلَلِ الثُّسُورِ سَوَاجِي

وهذا البيت في قصيدة له . والعائل : الفقير : قال أبو خراش الهذلي :

إلى بيتِهِ يَاوَى الضَّرْبُكُ إِذَا شَتَا وَمُسْتَنْبِحٌ بِأَلِي الدَّرِيسِينَ عَائِلُ

وجمعه : عائلة وَتَّيْل ، وهذا البيت في قصيدة له ، سأذكرها في موضعها —

إن شاء الله ، والعائل أيضاً : الذي يعول العيال . والعائل أيضاً : الخائف .

وفي كتاب الله تعالى : ﴿ ذَلِكْ أَذْنَى أَلَّا تَعُولُوا ﴾ النساء : ٣ . وقال أبو طالب :

بِمِيزَانٍ قَسِطٍ لَا يُخْسِ شَعِيرَةً لَهُ شَاهِدٌ مِنْ نَفْسِهِ غَيْرُ عَائِلٍ

وهذا البيت في قصيدة له ، سأذكرها — إن شاء الله — في موضعها .

والعائل أيضاً : الشيء المُثْقِلُ المُعْي . يقول الرجل : قد عانى هذا الأمر : أى .

أثقلنى وأعيانى ، قال الفرزدق :

تَرَى الْعَرَّ الْجَحَاجِجَ مِنْ قُرَيْشٍ إِذَا مَا الْأُمُرُ فِي الْخُلْدَانِ عَالَا

وهذا البيت في قصيدة له .

﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ . وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ : أى لا تكن

جَبَّارًا ولا متكبرًا ، ولا فحَّاشًا فظًّا على الضعفاء من عباد الله . ﴿ وَأَمَّا

بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ : أى : بما جاءك من الله من نعمته وكرامته من

النُّبُوَّةِ حَدِّثْ ، أى اذكرها ، وادعُ إليها ، فجعل رسولُ الله صلى الله

عليه وسلم يذكر ما أنعم الله به عليه ، وعلى العباد به من النُّبُوَّةِ سِرًّا إلى مَنْ

يطمئن إليه من أهله .

متى نزل القرآن ؟

فصل : وذكر قول الله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ البقرة : ١٨٥ . إلى آخر الآية ، مستشهداً بذلك على أن القرآن أنزل في شهر رمضان ، وفي ليلة القدر من رمضان ، وهذا يحمل تأويلين : أحدهما : أن يكون أراد بدء النزول وأوله ؛ لأن القرآن نزل في أكثر من عشرين سنة في رمضان وغيره ، والثاني : ما قاله ابن عباس : أنه نزل جملة واحدة إلى سماء الدنيا ، فجعل في بيت العزة مكنوناً في الصحف المكرمة ، المرفوعة المطهرة ، ثم نزلت منه الآية بعد الآية ، والسورة بعد السورة في أجوبة السائلين ، والنوازل الحادثة إلى أن توفي — صلى الله عليه وسلم — وهذا التأويل أشبه بالظاهر ، وأصح في النقل والله أعلم ^(١) .

(١) نزول القرآن جملة واحدة إلى بيت العزة ، أو إلى سماء الدنيا : كلام لا سند له . والصحيح وحده هنا هو ما ورد في القرآن : شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن . . . إنما أنزلناه في ليلة القدر ، . . . إنما أنزلناه في ليلة مباركة ، وآيات القرآن في وضوح جميل جليل يفقهها ذو الفطرة السليمة التي لم يفسدها جدل الكلام وسفسطه . وهي تؤكد أنه بدأ نزول القرآن في رمضان في ليلة القدر منه . وقوله تعالى : « وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان » يشير إلى أن تاريخ ليلة القدر هو تاريخ ليلة بدر . وبدر كما يقال كانت في السابع عشر من رمضان .

ولهذا يقال إن ابتداء نزول القرآن كان في السابع عشر من رمضان . وإذا رجعنا إلى الأحاديث نستخرجها نبأ ليلة القدر التي فيها نزل القرآن ، فإننا سنجد ما يأتي : قيل : إنها في الوتر من العشر الاواخر من رمضان ، البخاري ، في السبع

مول إضافة شهر إلى رمضان :

فصل : وفي قوله تعالى : ﴿ شهر رمضان ﴾ فذكر الشهر مضافا إلى رمضان ، واختار الكتاب والمؤثقون النطق به بهذا اللفظ دون أن يقولوا : كتب في رمضان ، وترجم البخارى والنسوى^(١) على جواز اللفظين جميعا وأوردا حديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم : من صام رمضان ، وإذا

==الأواخر من رمضان ومتفق عليه، في تاسعة تبقى من العشر الأواخر أوفى سابعة، أو في خامسة، البخارى، في الليلة الحادية والعشرين من رمضان، البخارى، في الليلة الثالثة والعشرين، مسلم، في الليلة السابعة والعشرين، مسلم وأحمد وأبو داود والترمذى، في التاسعة أو السابعة أو الخامسة، البخارى، بل ما من ليلة من ليالى رمضان سوى قلة قليلة إلا ورد فيها ما يفيد أنها ليلة القدر، ولهذا اختلف العلماء في شأنها على أقوال كثيرة، ذكر منها في فتح البارى ما لم يذكر غيره، وقد ذكرها الشوكانى باختصار في نيل الأوطار، فكانت خمسة وأربعين قولاً، منها : أنها رفعت وهو قول الشيعة والفاكهاني من الحنفية، ومنها : أنها خاصة بسنة واحدة، وقمت في زمنه صلى الله عليه وسلم، ومنها أنها خاصة بهذه الأمة، ومنها أنها ممكنة في جميع السنة، وهو المشهور عن الحنفية وجماعة من السلف، ومنها أنها في ليلة معينة مهمة، ومنها : أنها أول ليلة من رمضان حكى عن أنى رزين، ومنها أنها ليلة النصف من شعبان، أو النصف من رمضان، أو ليلة سبع عشرة من رمضان الخ . . .

انظر ص ٢٧٢ > ٤ نيل الأوطار ط عثمان خليفة . وحير ما يقول البغوى : وأهم الله تعالى هذه الليلة على الأمة ، ليجتهدوا في العبادة ليالى شهر رمضان طمعا في إدراكها كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة ، وأخفى للصلاة الوسطى في الصلوات الخمس ، تفسير الخازن والبغوى لسورة القدر

(١) هو أبو العباس الحسن بن سفيان النسوى ، وله مسند مشهور .

جاء رمضان ، ولم يقل : شهر رمضان ، وقد بينت أن لكل مقام مقامه ، ولا بد من ذكر شهر في مقام ، ومن حذفه في مقام آخر ، والحكمة في ذكره إذا ذكر في القرآن ، والحكمة أيضاً في حذفه إذا حذف من اللفظ ، وأين يصلح الحذف ، ويكون أبلغ من الذكر ، كل هذا مبين في كتاب « نتائج الفكر » ، فهناك أوردنا فيه فوائد تعجز عنها هم أهل هذا العصر . أدناها تساوى رِخلة عند من عرف قدرها ، غير أنا نشير إلى بعضها ، فنقول : قال سيبويه : وما لا يكون العمل إلا فيه كله : الحرم وصفر ، يريد أن الاسم العلم يتناول اللفظ كله ، وذلك إذا قلت : الأحد أو الاثنين ، فإن قلت يوم الأحد أو شهر الحرم كان ظرفاً ، ولم يجر مجرى المفعولات ، وزال العموم من اللفظ ، لأنك تريد : في الشهر وفي اليوم ، ولذلك قال عليه السلام : من صام رمضان ، ولم يقل شهر رمضان ؛ ليكون العمل فيه كله ، وهذه إشارة إلى بعض تلك الفوائد التي أحكمناها في غير هذا الكتاب .

هب الرسول « ص » وطنه :

بقية من حديث ورقة ، وذلك أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم :
لُتَكْذَبَنَّه ، فلم يقل له النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً ، ثم قال : وَلُتَوُذَّيْنَه ، فلم يقل له شيئاً ، ثم قال : وَلُتُخْرِجَنَّه ، فقال : أَوْ تُخْرِجِيَّ هَمْ ؟ ففي هذا دليل على حب الوطن وشدة مفارقتها على النفس ، وأيضاً فإنه حرم الله وجوار بيته ، وبلدة أبيه إسماعيل ، فلذلك تحركت نفسه عند ذكر لخروج منه ما لم تتحرك قبل ذلك ، فقال : أَوْ تُخْرِجِيَّ هَمْ ؟ والموضع الدال على تحرك النفس وتحرقها إدخال الواو بعد ألف الاستفهام مع اختصاص الإخراج بالسؤال عنه ، وذلك أن الواو

تُرَدَّ إلى الكلام المتقدم ، وتُشعر الخاطَب بأن الاستفهام على جهة الإنكار ،
أو التفجع لكلامه أو التألم منه .

ذكر عبد الله بن موسى :

فصل : وذكر عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ،
وقوله : حدثني أمي فاطمة بنت الحسين أن خديجة أدخلته بين ثوبها .
الحديث^(١) عبد الله هذا هو : عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن
أبي طالب ، وأُمُّه : فاطمة بنت الحسين أخت سُكَيْنَةَ ، واسمها : آمنة ،
وسكينة لقب لها التي كانت ذات دُعَابَةٍ وَمَزْجٍ ، وفي سكينة وأمها الرباب
يقول الحسين بن علي — رضى الله عن جميعهم :

كأن الليلَ موصولٌ بلَيْلٍ إذا زارت سُكَيْنَةُ والرباب^(٢)

أى : زادت قومها ، وهم : بنو عَلَيمِ بن جَنَابٍ من كَلْبٍ ، ثم من بني

(١) رواه الطبراني في الاوسط .

(٢) من قصيدة تنسب إلى الحسين في سكينة ابنته وأمها الرباب زوجته ، منها :

لعمرك إننى لأحب داراً تضيفها سكينة والرباب
أحبهما وأبذل بعد مالى وليس اللأئمة فيها عتاب
ولست لهم وإن عتبوا مطيعاً حياقي ، أو يغيبنى التراب

وهي في الأغاني ، ومقاتل الطالبيين ، وفي نسب قريش ، انظر ص ٥٩ نسب

قريش ط ١ ،

كَعْبِ بْنِ عَلِيٍّ^(١) ، ويعرف بنو كعب بن علي بن زيد غير مصروف ؛
لأنه اسم أمهم ، وعبد الله بن حسن هو والد الطالبيين القائمين على بني العباس ،
وهم : محمد ويحيى وإدريس^(٢) مات إدريس بإفريقية فاراً من الرشيد ، ومات
مسموماً في دُلَاعَةٍ^(٣) أكلمها ، ووقع في كتاب الزبير بن أبي بكر قال : قال
عبد الرحمن بن زيد : قال آدم عليه السلام : مما فُضِّلَ به عليّ ابني صاحبُ
البعير أن زوجته كانت عوناً له على تبليغ أمر الله ، وأن زوجي كانت عوناً
لي على المعصية^(٤) .

صديق عبد الله بن جعفر وغيره عن ضريحه :

فصل : وذكر حديث عبد الله بن جعفر بن أبي طالب أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم — أمر أن يبشر خديجة ببيت من قَصَبٍ ، لاصْخَبِ

(١) والرباب أم سكينه هي بنت امرئ القيس بن عدى بن أوس بن جابر
ابن كعب بن علي بن جناب .

(٢) خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن عليّ أبي جعفر المنصور
بالمدينة ، وخرج أخوه إبراهيم بالبصرة ، فقتلها عيسى بن موسى ، أما أخوها
موسى ، فاخفى بالبصرة ، فعثر عليه ، فعفا عنه المنصور ، أما سليمان أخوهم فقتل
بفخ في خلافة موسى ، أما أخوهم إدريس فقام بالمغرب ، وبه مات ، أما يحيى فقام
بالديلم ، ولكل منهم عقب سوى عيسى ، ومن أولاد عبد الله بن حسن : فاطمة
وزينب ورقية . انظر ص ٥٣ نسب قريش ط ١ وجمهرة ابن حزم ص ٣٩ ط ١ .

(٣) ضرب من محار البحر .

(٤) من أين جاء بهذا ؟

فيه ، ولا نَصَب . هذا حديث مُرْسَل^(١) ، وقد رواه مسلم متصلاً عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : ما غِرْتُ على أحد ما غرت على خديجة ، ولقد هَلَكْتُ قبل أن يتزوجني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بثلاث سنين ، ولقد أمر أن يبشرها بيت من قَصَبٍ في الجنة .

وفي حديث آخر أن عائشة قالت : ما تذكر من عجوزٍ حمراء الشَّدَقين هَلَكْتُ في الدهر ، قد أبدَلَكَ الله خيراً منها ، فغضب ، وقال : والله ما أبدلني الله خيراً منها ؛ آمنت بي حين كذبتني الناس ، وواسَني بما لها حين حرمني الناس ، ورزقت الولد منها ، وحرمتها من غيرها ، وروى يونس عن عبد الواحد ابن أيمن الخزومي ، قال : حدثنا أبو تيجحٍ قال : أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم جزوراً أو لحماً ، فأخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عظاماً منها ، فنأوله الرسول بيده ؛ فقال : اذهب بهذا إلى فلانة ، فقالت عائشة : لم غِمِرْتُ^(٢) بذلك ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مغضباً : إن خديجة أوصتني بها ، فقارت عائشة ، وقالت : لكانه ليس في الأرض امرأة إلا خديجة ، فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مغضباً ، فلبث ما شاء الله ثم رجع ، فإذا أم رومان قالت يارسول الله : مالك ولعائشة؟! إنها حَدَثَةٌ ، وإنك أحق من تجاوز عنها ، فأخذ يَشْدُقُ عائشة ، وقال : أَلَسْتُ القائلةَ : كأنما ليس على الأرض امرأة إلا

(١) رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني وأحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق ، وقد وردت البشارة في حديث رواه الشيخان والترمذي . . ويقول ابن الأثير : لم يتقدمها رجل ولا امرأة بإجماع المسلمين ، ص ٢٣٧ - ١ مواهب .

(٢) الغمر بالتحريك : زئخ اللحم ، وما يعلق باليد من دمه .

خديجة ، والله لقد آمنت بي إذ كفر قومك ، ورزقت مني الولد وحرمتموه ،
وفي صحيح مسلم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : خير نساءها : مريم
بنت عمران ، وخير نساءها : خديجة ، والهاء في نساءها حين ذكر مريم عائدة
على السماء ، والهاء في نساءها حين ذكر خديجة عائدة على الأرض ، وذلك أن
هذا الحديث رواه وكيع وأبو أسامة وابن نمير في آخرين ، وأشار وكيع
من بينهم حين حدث بالحديث بإصبعه إلى السماء عند ذكر مريم ، وإلى الأرض
عند ذكر خديجة ، وهذه إشارة ليست من رأيه ، وإنما هي زيادة في حديثه عن
النبي - صلى الله عليه وسلم - وزيادة العدل مقبولة ، ويحتمل أن يكون معنى
إشارته إلى السماء والأرض عند ذكرهما ، أي : هما خير نساء بين السماء والأرض
وهذا أثبت عندي بظاهر الحديث . ولعلنا أن نذكر اختلاف العلماء في التفضيل
بين مريم وخديجة وعائشة - رضي الله عنهن - وأزواج النبي - صلى الله عليه وسلم -
وما نزاع به كل فريق منهم .

مول ما بشرت به خديجة :

وأما قوله : بيت من قَصَبٍ ، فقد رواه الخطابي مفسراً ، وقال فيه :
قالت خديجة : يا رسول الله ، هل في الجنة قَصَبٌ ؟ فقال : إنه قَصَبٌ من لؤلؤ
مُجَبَّى . قال الخطابي : يجوز أن يكون معناه : مُجَوَّباً من قولك : جُبَّت الثوب
إذا خرقت ، فيكون من القلوب ، ويجوز أن يكون الأصل مُجَبَّباً بباءين من الجلب
وهو القطع أي : قطع داخله ^(١) ، وقلبت الباء ياء ، كما قالوا : تظنيت من

(١) هو في السيرة : مجوف . وفي النهاية لابن الأثير : وقيل : هو من الجوبه
وهو تغير يجمع فيه الماء .

الظنّ ، وتخصّيت أظفارى ، وتكلم أصحاب المعاني فى هذا الحديث ، وقالوا : كيف لم يبشرها إلا ببيت ، وأدنى أهل الجنة منزلةً من يعطى مسيرة ألف عام فى الجنة ، كما فى حديث ابن عمر ، خرّجه الترمذى ، وكيف لم ينعت هذا البيت بشيء من أوصاف النعيم والبهجة أكثر من نفي الصّخب وهو رفع الصوت ، فأما أبو بكر الإسكاف ، فقال فى كتاب فوائد الأخبار له : معنى الحديث : أنه بُشِّرَتْ ببيت زائد على ما أعد الله لها مما هو ثواب لإيمانها وعملها ؛ ولذلك قال : لا صخب فيه ولا نصب ، أى : لم تنصب فيه ، ولم تنصّب . أى : إنما أُعطيته زيادة على جميع العمل الذى نصبت فيه . قال المؤلف رحمه الله : لا أدرى ما هذا التأويل ، ولا يقتضيه ظاهر الحديث ، ولا يوجد شاهد بعضده ، وأما الخطابى ، فقال : البيت هاهنا عبارة عن قصر ، وقد يقال لمنزل الرجل : بيته ، والذى قاله صحيح ، يقال فى القوم : هم أهل بيت شرف وبيت عز ، وفى التنزيل : (غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) ولكن لذكر البيت ههنا بهذا اللفظ . وقلوه : ببيت ، ولم يقل : بقصر معنى لائق بصورة الحال ، وذلك أنها كانت ربة بيت إسلام لم يكن على الأرض بيت إسلام إلا بيتها حين آمنت ، وأيضاً فإنها أول من بنى بيتاً فى الإسلام بتزويجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ورغبتها فيه ، وجزاء الفعل يذكر بلفظ الفعل ، وإن كان أشرف منه لما جاء : « من كسا مسلماً على عُرْي كساه الله من خُلل الجنة ، ومن سقى مسلماً على ظمإ سقاه الله من الرحيق ^(١) » ، ومن هذا الباب قوله عليه السلام : من بنى لله

(١) روايته : أيما مسلم كسا مسلماً ثوباً على عرى كساه الله تعالى من خضر =

مَسْجِدًا بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ ^(١) لَمْ يَرِدْ مِثْلُهُ فِي كَوْنِهِ مَسْجِدًا ، وَلَا فِي صِفَتِهِ . وَلَكِنْ قَابِلُ الْبَنِيَانِ بِالْبَنِيَانِ ، أَيْ كَمَا بَنَى يُبْنَى لَهُ ، كَمَا قَابِلُ الْكُسُوءَةِ بِالْكُسُوءَةِ وَالشَّقِيَاءُ ، بِالشَّقِيَاءِ ، فَهَاهُنَا وَقَعَتِ الْمِثَالَةُ ، لِأَنَّ ذَاتَ الْمُنْبِيِّ أَوْ الْمَكْسُوءُ ، وَإِذَا ثَبَتَ هَذَا ، فَمِنْ هُنَا اقْتَضَتْ الْفَصَاحَةُ أَنْ يُعَبَّرَ لَهَا عَمَّا بُشِّرَتْ بِهِ بِإِفْظِ الْبَيْتِ ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْهُ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْهُ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، وَمِنْ تَسْمِيَةِ الْجُزْءِ عَلَى الْفِعْلِ بِالْفِعْلِ فِي عَكْسِ مَا ذَكَرْنَاهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ) : (وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ) ^(٢) .

== الجنة ، وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ أَطْعِمَ مُسْلِمًا عَلَى جُوعٍ أَطْعَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ ثَمَارِ الْجَنَّةِ ، وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ سَقَى مُسْلِمًا عَلَى ظَمَأٍ سَقَاهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْخُومِ ، وَيَقُولُ الْمُنْذَرِيُّ عَنْهُ : رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّلَانِيِّ ، وَحَدِيثُهُ حَسَنٌ ، وَالتِّرْمِذِيُّ بِتَقْدِيمٍ وَتَأْخِيرٍ ، وَقَالَ : حَدِيثٌ غَرِيبٌ ، وَقَدْ رَوَى مُوقُوفًا عَلَى أَبِي سَعِيدٍ ، وَهُوَ أَصَحُّ وَأَشْبَهُ ، وَرَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي كِتَابِ اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ مُوقُوفًا عَلَى ابْنِ مَسْعُودٍ .

(١) الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَأَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ عَنْ عُثْمَانَ ، وَفِيهِ : « يَبْنَعِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ » .

(٢) يَقُولُ الَّذِينَ يُؤَوَّلُونَ الصِّفَاتِ الَّتِي وَرَدَ بِهَا الْقُرْآنُ عَنِ الْآيَاتِ الَّتِي جَاءَ فِيهَا نِسْبَةُ الْكَيْدِ وَالِاسْتِهْزَاءِ وَالْفَسْيَانِ إِلَى اللَّهِ مَا يَأْتِي : « هَذَا كُلُّهُ لِنَا يَحْسَنُ عَلَى وَجْهِ الْمُقَابَلَةِ ، وَيَحْسَنُ أَنْ يُضَافَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ابْتِدَاءً ، فَيَقَالُ : لِأَنَّهُ يَمْكُرُ وَيَكِيدُ وَيَخَادِعُ وَيَنْسِي ، وَلَوْ كَانَ حَقِيقَةً لَصَلَحَ لِإِطْلَاقِهِ مَفْرُودًا عَنْ مُقَابَلَةِ كَمَا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ : يَسْمَعُ وَيَرَى وَيَعْلَمُ وَيَقْدِرُ ، وَيَزِدُّ ابْنُ الْقَيْمِ رَدًّا طَيِّبًا فِي الصَّوَابِ الْمُرْسَلَةِ ، فَيَقُولُ : « الصَّوَابُ أَنْ مَعَانِيهَا - أَيْ الْكَيْدُ وَخِلَافُهُ - تَنْقَسِمُ إِلَى مَحْمُودٍ وَمَذْمُومٍ ، فَالْمَذْمُومُ مِنْهَا يَرْجِعُ إِلَى الظُّلْمِ وَالْكَذِبِ . . . فَكَانَ مِنْهَا مَتَضَمَّنًا لِلْكَذِبِ وَالظُّلْمِ ، فَهُوَ

وأما قوله: لا صَخَبَ فيه، ولا نَصَبَ، فإنه أيضاً من باب ما كنا بسبيله،

مذموم، وما كان منها بحق وعدل ومجازاة على القبيح، فهو حسن محمود، فإن الخداع إذا خادع بباطل وظلم حسن من المجازى له أن يخذعه بحق وعدل، وكذلك إذا مكر واستهزأ ظالماً متعدياً، كان المكربه والاستهزاء عدلاً حسناً، كما فعله الصحابة بكعب بن الأشرف، وابن أبي الحقيق، وأبى رافع وغيرهم من كان يعادى رسول الله ﷺ، نخادعوه حتى كفوا شره وأذاه بالقتل، وكان هذا الخداع والمكر نصرة لله ورسوله . . وجزاء المسمى بمثل إساءته جائز في جميع الملل مستحسن في جميع العقول؛ ولهذا كاد سبحانه ليوسف حين أظهر لإخواته ما أبطن خلافه جزاء لهم على كيدهم له مع أبيه، حيث أظهروا أمراً وأبطنوا خلافه، ثم قرر أن هذه الأفعال لا يجوز ذمها على الإطلاق، ولا مدحها على الإطلاق، كما لا يجوز أن يشتق منها أسماء وصفات لله سبحانه؛ لأن الله لا يوصف إلا بالأنواع المحمودة على الإطلاق، ولهذا لم يرد في أسمائه الحسنى: المرید أو المتكلم أو الفاعل أو الصانع؛ لأن مسمياتها تنقسم إلى مدوح ومذموم، فلا يجوز مطلقاً اشتقاق الماكر والخداع والمستهزئ بما ورد في الآيات، وتسمية الله بها، لأنه سبحانه لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق . . فلا يكون الاستهزاء والمكر والخداع منه قبيحاً البتة، فلا يتمتع وصفه به ابتداء لا على سبيل المقابلة . . فإطلاق ذلك عليه سبحانه على حقيقته دون مجازاة؛ إذ الموجب للمجاز متنفذ .

وأقول: كل مسلم يتدبر القرآن لا يشعر أبداً بمثل ما يفتریه المعطلة والجهمية ولا يخجل على آياته أصم أعمى، ويغمر قلبه اليقين بأن الله الذي من علينا فعملنا البيان يستحيل أن نخكم عليه بأنه أخطأ في البيان عن صفاته وأسمائه وأفعاله، أو أراد أن يضلنا بألفاظ لا يراد بها معانيها التي لها في لغة القرآن، فلنصف الله بما وصف به نفسه، ولنسمه بما سمي به نفسه، ولننسب إليه ما نسب هو إلى نفسه جل جلاله دون تأويل أو تحريف أو تمثيل أو تشبيه أو تعطيل لشيء من هذا كله فإننا نؤمن بأن قوله - سبحانه - هو الحق، وأنه ليس كمثله شيء .

لأنه - عليه السلام - دعاها إلى الإيمان، فأجابته عَقْوَاً ، لم تخوِجه إلى أن يَصْخَبَ كما يصخب البُعْل إذا تعصّت عليه حليته ، ولا أن ينصب ، بل أزالته عنه كل نصب، وآسَته من كل وحشة ، وهَوَّنت عليه كل مكروه ، وأراحته بما لها من كل كِدَّةٍ ونصب ، فوصف منزلها الذي بُشِّرَتْ به بالصفة المقابلة لفعالها وصورته .

وأما قوله : من قَصَبَ، ولم يقل : من لَوَّأَ ، وإن كان المعنى واحداً، ولكن في اختصاصه هذا اللفظ من المُشَاكَلَة المذكورة والمقابلة بلفظ الجزاء للفظ العمل أنها - رضى الله عنها - كانت قد أحرزت قَصَبَ السَّبْقِ إلى الإيمان دون غيرها من الرجال والنِّسوان . والعربُ تسمى السابقَ مُحْرِزاً لِقَصَبٍ . قال الشاعر :

مَشَى ابنُ الزُّبَيْرِ الْقَهْقَرَى ، وتقدّمت أُمِّيَّةٌ حتّى أحرزوا القَصَبَاتِ
فاتمّضت البلاغة أن يمبر بالمعبرة المشاكلة لعمليها في جميع ألفاظ الحديث فتأمله
الموازنة بين هريجة وعائشة :

فصل : وذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم تلخيجة : هذا جبريل يُقرئك السلام من ربك. الحديث ^(١) يُذكر عن أبي بكر بن داود أنه

(١) في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة: « أتى جبريل النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام وطعام ، فإذا أنتك فاقراً عليها السلام من ربها ومنى ، وبشرها بيت في الجنة من نصب لاصخب فيه ولا نصب . . »

سُئِلَ: عائشة أفضل، أم خديجة؟ فقال: عائشة أقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام من جبريل^(١)، وخديجة أقرأها جبريل السلام من ربها على لسان محمد - صلى الله عليه وسلم - فهي أفضل، قيل له: فمن أفضل، أخذت أم فاطمة؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال: إن فاطمة بضعة مني^(٢) فلا أعديل ببضعة من رسول الله أحداً، وهذا استقرار حسن، ويشهد لصحة هذا الاستقرار أن أبا لبابة حين ارتبط نفسه، وحلف ألا يحمله إلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجاءت فاطمة لتحمله، فأبى من أجل قسمه، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: إنما فاطمة مضغة مني، فحمله وسند ذكر الحديث بإسناده في موضعه، إن شاء الله تعالى، ويدل أيضاً على تفضيل فاطمة قوله - عليه السلام - لها: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة^(٣) إلا مريم؟ فدخل في هذا الحديث أمها وأخواتها، وقد تكلم الناس في المعنى الذي سادت به فاطمة غيرها دون أخواتها، فقليل: إنها ولدت سيد هذه الأمة، وهو الحسن الذي يقول فيه النبي - صلى الله عليه وسلم:

(١) عن أبي سلمة أن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عائش: هذا جبريل يقرئك السلام. قالت: وعليه السلام ورحمة الله. قالت: وهو يرى ما لا أرى، متفق عليه.

(٢) عن المسور بن مخرمة أن رسول الله - ص - قال: فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني، وفي رواية: يريني ما أراها، ويؤذيني ما آذها، متفق عليه.

(٣) في حديث متفق عليه عن عائشة: ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة، أو نساء المؤمنين، ولم يأت لمريم فيه ذكر.

إن ابني هذا سيد^(١)، وهو خليفة، بعلمها خليفة أيضاً، وأحسن من هذا القول قول: من قال: سادت أخواتها وأممها، لأنهن مُتَن في حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - فكن في صحيفته، ومات أبوها وهو سيد العالمين، فكان رُزؤه في صحيفتها وميزانها، وقد روى التبرار من طريق عائشة أنه - صلى الله عليه وسلم - قال لفاطمة: هي خير بناتي؛ لأنها أصيبت بي، فحق لمن كانت هذه حاله أن يسود نساء أهل الجنة، وهذا حسن، والله أعلم. ومن سُود دُرِّها أيضاً أن المهدي المُبَشَّر به آخر الزمان من ذُرِّيَّتها، فهي مخصوصة بهذا كله والأحاديث الواردة في أمر المهدي كثيرة^(٢)، وقد جمعها أبو بكر بن أبي خَيْثَمَةَ فأكثر، ومن أغربها إسناداً ما ذكره أبو بكر الإسكافي في فوائد الأخبار مسنداً إلى مالك بن أنس عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من كَذَّب بالدَّجَال فقد كفر، ومن كَذَّب بالمَهْدِيِّ فقد كفر^(٣)، وقال: في طلوع الشمس من مغربها مثل ذلك فيما أحسب^(٤).

(١) من حديث رواه البخاري عن أبي بكرة قال: رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه، وهو يقبل على الناس مرة، وعليه أخرى، ويقول: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين، ونحن المسلمون لا يصح الآن أن نخوض في مثل هذا، فقد أفضت كل واحدة منهن إلى الله سبحانه»

(٢) استغل هذه الاسطورة أعداء الله، فظهر عشرات الدجاجة يزعم كل منهم أنه هو المهدي، ولم يخرج البخاري ولا مسلم شيئاً عن المهدي، وجميع الأحاديث الواردة فيه لا تخلو من نقد، واقرأ في هذا مقدمة ابن خلدون تحت عنوان «فصل في أمر الفاطمي».

(٣) لا يشهد لصحة هذا عقل ودلاد بن (٤) نقل ابن خلدون عن السهيلي هذا في مقدمته ص ٢٧٢ طبع عبد الرحمن محمد وقال: وحتبك هذا غلوا - على أن أبابكر الإسكافي عندهم منهم وضاع.

الله السلام :

وقول خديجة : الله السلام ، ومنه السلام ، وعلى جبريل السلام ، علمت بفقها ان الله سبحانه لا يُرَدُّ عليه السلام ، كما يُرَدُّ على الخنوق ؛ لأن السلام دعاء بالسلامة فمكان معنى قولها : الله السلام ، فكيف أقول عليه السلام ، والسلام منه يُسأل ، ومنه يأتي ؟ ولكن على جبريل السلام ، فالذي يحصل من هذا الكلام من الفقة أنه لا يليق بالله سبحانه إلا الثناء عليه ، فجعلت مكان رد التحية على الله ثناء عليه ، كما عملوا في التشهد حين قالوا : السلام على الله من عباده ، السلام على فلان ، فقيل لهم : لا تقولوا هذا ، ولكن قولوا : التحيات لله ، وقد ذكرنا في غير هذا الكتاب فوائد جمعة في معنى التحيات إلى آخر التشهد . وقولها : ومنه السلام ، إن كانت أرادت السلام التحية ، فهو خبر يراد به التشكر ، كما تقول : هذه النعمة من الله ، وإن كانت أرادت السلام بالسلامة من سوء ، فهو خبر يراد به المسئلة ، كما تقول : منه يُسأل الخير . وذهب أكثر أهل اللغة إلى أن السلام والسلامة بمعنى واحد كالرَضَاغ والرَضَاعَة ، ولو تأملوا كلام العرب وما تعطيه هاء التأنيث من التحديد لرأوا أن بينهما فرقانا عظيما ، وأن الجلال أعم من الجلالة بكثير ، وأن اللذاذ أبلغ من اللذاذَة ، وأن الرَضَاعَة تقع على الرَضْعَة الواحدة ، والرَضَاع أكثر من ذلك ، فكذلك السلام ، والسلامة ، وقس على هذا : تمرّة وتمرّا ، ولقاة ولقَى ، وضربة وضربا ، إلى غير ذلك ، وتسمى سبحانه بالسلام لما شمل جميع الخليقة ، وعهم من السلامة من الاختلال والتفاوت إذ الكل جارٍ على نظام الحكمة ، كذلك سلم الثقلان من جور وظلم أن يأتيهم من قبله سبحانه ، فإنما الكل مُدَبَّرٌ بفضلي أو عدل ، أما الكافر فلا يجري عليه إلا عدله ، وأما المؤمن

فيغمره فضله، فهو سبحانه في جميع أفعاله سلامٌ، لا حَيْفَ ولا ظمَ، ولا تفاوت ولا اختلال، ومن زعم من المفسرين لهذا الاسم أنه تسمى به لسلامته من الآفات والعيوب، فقد أتى بشنيع من القول، إنما السلام من سلم منه، والسلام من سلم من غيره، وانظر إلى قوله سبحانه: (كوني برداً وسلاماً) وإلى قوله: (سلام هي) ولا يقال في الحائط: سالم من العمى، ولا في الحجر أنه سالم من الزكام، أو من الشعال إنما يقال: سالم فيمن تجوز عليه الآفة، ويتوقعها ثم يسلم منها، والقُدُّوسُ سبحانه مُتَعَالٍ عن توقع الآفات مُتَنَزِّهٌ عن جواز النقائص، ومن هذه صفته لا يقال: سَلِمَ، ولا يَدَسَمُ بِسالم، وهم قد جعلوا سلاماً بمعنى سالم، والذي ذكرناه أولُ: هو معنى قول أكثر السالف والسلامة: خَصْلَةٌ واحدة من خِصال السلام^(١):

فترة الومى :

فصل : وذكر فترة الوحى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم يذكر مقدار مدة الفترة، وقد جاء في بعض الأحاديث المُسَنَدَةِ أنها كانت سنتين ونصف سنة، فمن هنا يتفق ما قاله أنس بن مالك أن مُسَكَّنَه بمكة كان عشر سنين، وقول ابن عباس: ثلاثَ عَشْرَةَ سَنَةً، وكان قد ابتدئ بالرويا الصادقة ستة أشهر، فمن عدَّ مدة الفترة، وأضاف إليها الأشهر الستة، كانت كما قال

(١) في النهاية لابن الأثير عن السلام : وسلامته بما يلحق الخلق من العيب والفناء والسلام في الأصل : السلامة ، وعند الراغب في مفرداته : ووصف بذلك من حيث لا يلحقه العيوب والآفات التي تلحق الخلق، وانظر ص ١٣٥ ج ٢ بدائع الفوائد .
(م ٢٨ - الروض الأثف ج ٢)

ابن عباس ، وَمَنْ عَدَّهَا مِنْ حِينَ حَمَى الْوَحْيَ وَتَتَابَع ، كَمَا فِي حَدِيثِ جَابِر
كَانَتْ عَشْرَ سَنِينَ . وَوَجْهٌ آخَرٌ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ أَيْضًا ، وَهُوَ أَنَّ الشَّعْبِيَّ قَالَ :
وَكُلُّ إِسْرَافِيلُ بَنِيَّةُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثَلَاثَ سَنِينَ ، ثُمَّ جَاءَهُ بِالْقُرْآنِ
جَبْرِيلُ ^(١) وَقَدْ قَدَّمْنَا هَذَا الْحَدِيثَ ، وَرَوَاهُ أَبُو عَمْرٍ فِي كِتَابِ الْإِسْتِيعَابِ ،
وَإِذَا صَحَّ فَهُوَ أَيْضًا وَجْهٌ مِنَ الْجَمْعِ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

شرح شعر الهذلي والفرزدق :

فصل : وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ قَوْلَ أَبِي خِرَاشٍ خُوَيْلِدِ بْنِ مُرَّةَ الْهَذَلِيِّ
إِلَى بَيْتِهِ يَا وَيَّ الضَّرِيكَ إِذَا شَتَا وَمُسْتَنْبِحٌ بَالِي الدَّرِيسِينَ عَائِلِ
الضَّرِيكَ : الضَّعِيفُ الْمُهْضَطَرُ ^(٢) وَالْمُسْتَنْبِحُ الَّذِي يَضِلُّ عَنِ الطَّرِيقِ فِي
ظُلْمَةِ اللَّيْلِ ، فَيَنْبِجُ لِيَسْمَعَ نُبَاحَ كَلْبٍ ^(٣) وَالدَّرِيسُ : الثَّوْبُ الْخَلْقُ ، وَقَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :

(١) فِي فَتْحِ الْبَارِي : (هَذَا الَّذِي اعْتَمَدَهُ السَّهْلِيُّ مِنَ الْإِحْتِجَاجِ بِمُرْسَلِ الشَّعْبِيِّ
لَا يَثْبُتُ ، وَقَدْ عَارَضَهُ مَا جَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ مَدَّةَ الْفَتْرَةِ الْمَذْكُورَةِ كَانَتْ أَيَّامًا .
ص ٣١ ج ١ الْحَلَبِيِّ وَقَالَ مَغْلَطًا : وَيَخْشَى فِيهِ - أَيْ فِي كَلَامِ السَّهْلِيِّ - مَا فِي تَفْسِيرِ
ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهَا كَانَتْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَفِي تَفْسِيرِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ وَمَعَانِي الزَّجَاجِ : خَمْسَةُ
عَشْرَ ، وَفِي تَفْسِيرِ مِقَاتِلَ : ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَلَعَلَّ هَذَا هُوَ الْأَشْبَهُ بِحَالِهِ عِنْدَ رَبِّهِ .
لَا مَا ذَكَرَهُ السَّهْلِيُّ ، وَجَنَحَ لَصَحَّتِهِ ، ص ٢٣٦ شَرْحُ الْمَوَاهِبِ ح ١

(٢) الضَّرِيكَ أَيْضًا : النَّسْرُ الذَّكَرُ وَالْإِحْقَاقُ وَالزَّيْمَنُ - بِكَسْرِ الْمِيمِ - وَالضَّرِيرَةُ .

(٣) عَبَّرَ عَنْهَا الْخَشْنَى بِتَعْبِيرٍ أَوْضَحَ فَقَالَ : وَالْمُسْتَنْبِحُ الَّذِي يَضِلُّ بِاللَّيْلِ ، فَيَنْبِجُ
نُبَاحَ الْكَلَابِ ، لِتَسْمَعَهُ الْكَلَابُ فَتُجَاوِبَهُ ، فَيَعْلَمُ مَوْضِعَ الْبُيُوتِ ، فَيَقْصِدُهَا .

وَيَقُولُ الْخَشْنَى عَنْ ثَنِيَّةِ الدَّرِيسِ : وَثَنَاهُ لِأَنَّهُ أَرَادَ بِهِ الْإِزَارَ ، وَالرِّدَاءَ ، وَهُوَ
أَقْلَ مَا يَكُونُ لِلرِّجَالِ مِنَ الثَّيَابِ ، ص ٧٧ .

تَرَى الْعُرَّ الْجَحَاجِجَ^(١) مِنْ قُرَيْشٍ إِذَا مَا الْأَمْرُ فِي الْحَدَثَانِ عَالَا
قِيَامًا يَنْظُرُونَ إِلَى سَعِيدٍ كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ بِهِ هِلَالًا

يعنى : سعيد بن العاصى بن أمية ، ويقال : إن مروان بن الحكم حين سمع
الفرزدق ينشد هذا البيت حسده ، فقال له : قل : تعودا ينظرون إلى سعيد
يا أبا فراس . فقال له الفرزدق : والله يا أبا عبد الملك : إلا قياما على الأقدام^(٢) .
وذكر سبب نزول سورة الضحى ، وأن ذلك لفترة الوحي عنه ، وخرج
البخارى من طريق جندب بن سفيان^(٣) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكى ،
فلم يقم ليلتين أو ثلاثا ، فقالت له امرأة : إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك ،
فأنزل الله تعالى سورة الضحى^(٤) .

(١) غر : ربهما هكذا جمع أغر : المشهور ، وأصله الأليض . والججاجج : جمع
ججاجج وججاجح : السيد ، وأيضا : الفسل من الرجال ، ومن جمعه : ججاججج ،
وججاججة .

(٢) مدح الفرزدق سعيدا بهذا ، وكان حينئذ أمير المدينة من قبل معاوية
رحمه الله ، وكان يوليه معاوية سنة ، ويولى مروان سنة أخرى ، ويقال إن
الفرزدق قال لمروان : لا أقول إلا قياما ، وإنك يا أبا عبد الملك لاصف من
بينهم ، وصفن الرجل إذا رفع إحدى قدميه ، ووقف على الأخرى والخشني ص ٧٨
(٣) سفيان : جده ، وأبوه : عبد الله . وهو ينسب إلى أبيه وإلى جده .

(٤) وأخرجه مسلم ومالك وأحمد والترمذى والنسائى وابن أبى حاتم وابن
جرير وقيل : إن هذه المرأة هى أم جميل امرأة أبى لهب .

تَمَّ بِحَمْدِ اللَّهِ
الْجُزْءُ الثَّانِي وَبِلِيَةِ الْجُزْءِ الثَّالِثِ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ

وأوله : ﴿ فَرَضُ الصَّلَاةِ ﴾

ملحوظات

تسكلم السهيلي عن بئار مكة في ص ١٢٣ - ٢٠ وما بعدها ، وقد زاد
للبلاذرى في كتابه فتوح البلدان عما ذكره السهيلي ، ففما يتعلق بالمجول زاد
بعد الشطرة الأولى :

قبل صدور الحاج من كل أفق

وزاد في سجلة بعد الشطرة الأولى :

في تربة ذات غداة سهلة

وزاد في شعر صفة المذكور في ص ١٢٥

فيها الجراد والذر وقدر لا يذكر

وعن بذر ورد :

ليست كبذر النذور الجراد

وبهذا استقام المعنى فقد كانت البرور في الروض .

ملحوظات عن الجزء الأول

في ص ٣٣٦ - ١٠ ورد في السطر الحادى عشر نصف بيت من الشعر
اهتديت إلى تمامه ، فقد أنشده اللسان في مادة أوب وهو :
رَبَّاءَ شَمَاءَ لَا يَأْوِي لِقَلْبِهَا إِلَّا السَّحَابُ وَإِلَّا الْأُوبُ السَّبِيلَ

والأوب اسم جمع ومعناه : النحل ، والسبيل : المطر هذا وقد نددت عن
العين بعض أخطاء يسيرة جدا نرجو أن نتداركها بعد إن شاء الله .

محتويات الكتاب

رقم	الموضوع	رقم	الموضوع
٦	أهـات الرسول ءص؄ ءس١	٢٨	البيت ءس؄
٧	أمر جرهم وءفن زمزم ءس؄	٢٩	قصى وزواجه وتولى أمر البيت ءس؄
٧	مولء النبى ءص؄	٣١	ولاية الفو؁ لإجازة الحج ءس؄
٩	زمزم	٣١	عءوان والإفاضة ءس؄
١٠	اسءلاء كنانة وخزاعة على البيت ونفى جرهم ءس؄	٣٢	قصى وخزاعة وولاية البيت
١١	شعر الحار؁ بن مضاض ءس؄	٣٣	نشأة قصى
١٢	شعر عمرو بن الحار؁ ءس؄	٣٤	الفو؁ بن مر وصفة
١٣	حول زمزم	٣٤	لم سمى قصى قصيا ءس؄
١٣	لم نزل؁ هاجر وإسماعيل مكة	٣٧	بنو سعد وزىء مناة
١٥	فطوراً وجرهم والسمةء	٣٨	اشءاق المزدلفة
١٦	جفاء وقمقاء	٣٩	ذو الإصبع وآل ظرب
١٧	جرهم تسرق مال الكعبة	٤١	أبو سياره
١٨	بين جرهم وخزاعة	٤٢	حول لاهم ءن . ل . ءس؄
١٩	غربة الحار؁ بن مضاض	٤٣	لِسِهْنَك ءس؄ ءن . ل .
٢٠	ءن شرح شعر ابن مضاض	٤٤	أمر عامر بن ظرب
٢١	واسط وعامر وجرهم	٤٥	غلب قصى على أمر مكة
٢٢	مكة وأسافها	٥٠	الرفاءه ءس؄
٢٤	ما وءء مكتوبافى الأحجار	٥١	الحكم بالامارات
٢٧	اسءءاء قوم من خزاعة بولاية	٥٢	يعمر الشءاخ

(١) ءس؄ رمز عن السيرة؄ وءن . ل . رمز عن النحو واللغة؄ وءس؄ رمز عن الشرح؄ أما الروض فبءون رمز .

رقم	موضوع	رقم	الموضوع
٥٣	ولاية قصي البيت (١)	٨٧	عبد المطلب وابن ذى يزن
٥٣	رباع مكة	٨٨	نسب أحيحة
٥٥	دار الندوة	٨٩	الليلة القسية والدرهم القسي
٥٥	من تفسير شعر رزاح		و. ن. ل.
٥٨	شعر قصي والعذرتان	٩٠	شعر الصلتان
٥٩	حوتكة وأسلم		أيا شاعرا لاشاعر اليوم مثله
٦١	الاختلاف بعد قصي وحلف	٩٠	و. ن. ل.
	المطيين (س)	٩١	جمع يراد به المفرد و. ن. ل.
٦٣	حلف الفضول (س)	٩١	الحكم للبعض بحكم الكل
٦٥	هاشم ونسله (س)		و. ن. ل.
٦٦	شعر مطرود في بكاء بني عبد مناف (س)	٩٣	شعر مطرود من عبد المطلب (س)
٦٧	حلف المطيين	٩٥	حفر زمزم (س)
٦٨	السناد والإقواء	١٠٠	بنار قریش (س)
٧٠	حلف الفضول	١٠٣	ويل الشجى من في الخلى و. ن. ل.
٧١	حرب الفجار	١٠٤	شرح شعر مطرود
٧٣	القتول ونبيه بن الحجاج	١٠٦	نصريف ومائة ومرمر و. ن. ل.
٧٥	الحلف وابن جدعان	١٠٧	قلبي وسلس و. ن. ل.
٧٥	هل حضر النبي حرب الفجار؟ (س)	١٠٩	حديث زمزم
٧٦	صَكَّهُ عُمَى « ن. ل. »	١١٠	الاستسقاء (س)
٧٧	طعام ابن جدعان (س)	١١٢	أسماء زمزم
٧٨	ابن جدعان أسطورة		تأويل العلامات التي رآها
٨١	موقف الإسلام من الحلف	١١٣	عبد المطلب
٨٣	عن أولاد عبد مناف	١١٦	من صفات زمزم
٨٤	طعام هاشم	١١٩	نبح الماء من بين أصابعه (س)
٨٤	ابن الزبير يمدح بني عبد مناف	١٢٠	اشتقاق مفازة و. ن. ل.

(١) الموضوع قد يذكر في السيرة وفي الروض ولهذا يتكرر ذكره في الفهرس .

رقم	الموضوع	رقم	الموضوع
١٢١	الجمع واسم الجمع (ن . ل)	١٦٦	الناس الأجر على الرضاع
١٢٣	بنار قریش بمكة	١٦٧	لم كانت قریش تلتئم المراضع
١٢٨	من شرح شعر مسافر (١)	١٦٨	شق الصدر
١٣٠	هراق وأراق « س »	١٧٠	لم يكن النبي يعرف أنه نبي قبل البعثة « س »
١٣١	نذر عبد المطلب ذبح ولده « س »	١٧٠	تضارب ما قيل عن الخاتم النبوي
١٣٥	عبد الله « س »	١٧٢	حديث السكينة
١٣٧	ما قيل لآمنة عند حملها « س »	١٧٢	عن شق الصدر مرة أخرى
١٣٧	نذر عبد المطلب	١٧٥	لم اختير طست من ذهب
١٣٩	تزويج عبد الله	١٧٨	الحكمة في ختم النبوة
١٤٠	حول أمهاته صلى الله عليه وسلم	١٧٩	رد حليلة للنبي « ص »
١٤١	المرأة التي دعت عبد الله	١٧٩	تأويل النور الذي رآته - آمنة -
١٤٣	ولادة الرسول « س »	١٨٠	عود إلى حديث ابن إسحاق عن الرضاع « س »
١٤٤	رضاعته وحضانه (س)	١٨١	وفاة آمنة « س »
١٤٥	قصة حليلة السعدية (س)	١٨٢	رعية الغنم
١٤٩	فصل في المولد	١٨٣	في كفالة العم
١٥٠	لم يولد صلى الله عليه وسلم محتونا	١٨٤	حوث آمنة وزياته لها حول
١٥١	تسميته (ص)	١٨٥	أحاديث عن حكم أبيه
١٥٠	اسم محمد وأحمد	١٨٨	وفاة عبد المطلب ورشاه « س »
١٥٧	تعويذ عبد المطلب	١٨٩	قصيدة صفية « س »
١٥٨	متى ولد وأين ولد النبي « ص »	١٩٠	قصيدة برة وعاتكة وأم حكيم « س »
١٦٠	تحقيق وفاة أبيه « ص »	١٩١	قصيدة أميمة وأروى « س »
١٦٠	أبوه من الرضاعة	١٩٢	قصيدة حذيفة بن غانم « س »
١٦٢	قصية أو فضية والثلثاء	١٩٥	قصيدة مطرود الخزاعي « س »
١٦٣	شرح حديث الرضاع	١٩٥	ولاية العباس السقاية « س »
١٦٤	يغذيه أو يغذيه		

(١) تقدم هذا العنوان قبل موضعه بأربعة أسطر .

رقم	الموضوع	رقم	الموضوع
١٩٦	الرسول د س ، في كفاية		هذه الشجرة لإلاني
	أبي طالب د س ،	٢٣٧	تحقيق معنى الوسط
١٩٧	شرح شعر رثاء عبد المطلب	٢٣٨	من الذي زوج خديجة؟
٢٠٢	أبو جهنم	٢٤١	أولاده د س ،
٢٠٣	شرح شعر حذيفة بن غانم	٢٤١	تنبؤ ورقة د س ،
٢٠٤	تهام وشأم د ن . ل ،	٢٤٢	أولاده من خديجة
٢٠٦	حذف الياء من هاء الكتابة	٢٤٤	بين خديجة وبحيرى ونسبها
٢٠٩	من شرح شعر حذيفة	٢٤٥	من تزوجتهم خديجة قبل الرسول د س
٢١٠	رأى النحاة في زيد أفضل لـخوته	٢٤٦	مارية وإبراهيم
٢١١	من شرح شعر مطرود	٢٤٨	ترجمة ورقة
٢١٢	من شعر مهمل عن زواج ابنته	٢٥٢	مثنى يقصد به المفرد د ن . ل ،
٢١٤	النظف	٢٥٥	النور والضياء د ن . ل ،
٢١٥	اللمبي العائف	٢٥٦	نون الوقاية في إن وأخواتها (ن . ل)
٢١٦	قصة بحيرى د س ،	٢٥٦	حول تقديم صلة المصدر عليه (ن . ل)
٢٢٠	شرح قصة بحيرى في الروض	٢٥٧	مـ يجوز تقديم معمول المصدر د ن . ل
٢٢١	من صفات خاتم النبوة	٢٥٩	بنيان الكعبة في السيرة
٢٢٤	رواية الترمذى عن رحلة الشام	٢٦٤	بنيان الكعبة في الروض
٢٢٦	نقد رواية الترمذى	٢٦٦	تجديد ابن الزبير لبنائها
٢٢٨	حفظ النبي د س ، في صغره	٢٦٨	أساطير حول بناء الكعبة
٢٢٩	حرب الفجار د س ،	٢٧٣	العهد الذى أخذ على ذرية آدم د س ،
٢٣١	حديث تزوج خديجة د س ،	٢٧٦	حول بناء المسجد الحرام
١٢٣	قصة الفجار في الروض	٢٧٧	كنز الكعبة والنجار القبطى
٢٣٤	منع تنوين العلم	٢٧٨	الحية والدابة
٢٣٥	من تفسير شعر البراءض	٢٧٨	تفسير : لم ترع
٢٣٥	آخر أمر الفجار	٢٧٩	حول حديث أبي لهب
٢٣٦	شرح قول الراهب : ما نزل تحت	٢٨٠	الحجر الذى كان مكتوبا عليه

رقم	الموضوع	رقم	الموضوع
٢٨١	الحجر الاسود وقواعد البيت	٣١٠	انقطاع الكهانة
٢٨٢	شعر الزبير في بناء الكعبة	٣١١	قصة صاف بن صياد
٢٨٣	حديث الخمس في السيرة	٣١٢	حديث الغيطة الكاهنة
٢٨٧	حديث الخمس في الروض		وفي الروض
٢٨٩	يوم جيلة وعدس والحلة والطللس	٣١٣	كاهن ثقيف ولهب
٢٩٠	اللقى يروى	٣١٦	أيش والاحاتم ون.ل.
٢٩٠	رجز المرأة الطائفة	٣١٧	حتى جنب
٢٩١	قرزل وطفيل	٣١٨	حول حديث عمرو سواد بن قارب
٢٩٢	الهامة . شعر لجرير	٣٢٣	سواد ودوس عند وفاة
٢٩٣	ما نزل من القرآن في شأن الخمس		الرسول وص،
٢٩٤	وقوف النبي بعرفة قبل النبوة	٣٢٤	كاهنة قريش
٢٩٤	موقف قريش في الحج في	٣٢٦	إلذار يهود بالرسول ص دس،
	جاهليتها د س. ش،	٣٢٨	ابن البيان
٢٩٥	الإخبار بمبعث نبي دس،	٣٢٩	حديث سلة وبني سعيد
٢٩٥	منع الجن من استراق السمع وص،	٣٣١	إسلام سعة الخير
٢٩٧	أول فرع للرمي بالنجوم دس،	٣٣٢	حديث إسلام سلمان د س،
٢٩٨	كيف يسترق الجن السمع دس،	٣٤٠	معنى إصهان وشرح الروض
٢٩٩	حديث الغيطة الكاهنة في السيرة		لحديث سلمان
	والروض	٣٤١	أسماء النخلة
٢٩٩	حديث كاهن جنب دس،	٣٤٢	حكم الصدقة للنبي دس، ومصدر
٣٠١	فصل في الكهانة		مال سليمان
٣٠٢	رمي الشياطين	٣٤٤	أول من مات بعد الهجرة
٣٠٣	الجن الذين ذكروا في القرآن	٣٤٥	أسطورة نزول عيسى قبل البعثة
٣٠٥	ابن علاط والجن	٣٤٨	ورقة وعبيد الله بن جحش
٣٠٥	قصة نصر بن حجاج دس،		وعثمان بن الحويرث دس،
٣٠٧	أحاديث حول استماع الجن دس،	٣٤٩	زيد بن عمرو بن نفيل

رقم	الموضوع	رقم	الموضوع
٣٥٥	حديث ورقة في الروض	٣٨٨	أول بدى به من النبوة
٣٤٦	الزواج من امرأة الأب في الجاهلية	٣٩٠	مدلول تفعل ون. ل.
٣٥٨	معنى : ففتح الجرو	٣٩١	حول المجاورة في حراء
٣٥٨	من قصة ابن الحويرث	٣٩٢	كيفية الوحي
٣٥٩	اعتزال زيد بن عمرو بن نفيل	٣٩٦	من تفسير حديث الوحي
	الآوثان وتركه أكل ما ذبح على النصب	٣٩٧	معنى اقرأ باسم ربك
		٣٩٧	حول بسم الله
		٣٩٩	الغظ
٣٦٣	زيد وصعصعة والموءودة	٤٠٠	العفريت الذى تفلت في الصلاة
٣٦٤	شرح شعر زيد	٤٠١	ما أنا بقارىء
٣٦٦	إعراب نعت النكرة المتقدم ونحوه	٤٠٢	رقية جبريل ومعنى اسمه
٣٦٧	من معاني شعر زيد	٤٠٢	معنى لى وخرافة الرهبان
٣٦٨	تفسير حنانيك وحول اسم الله ون. ل.	٤٠٤	معنى الناموس
٣٦٩	حذف المنادى مع بقاء الياء ون. ل.	٤٠٤	لم ذكر ورقة موسى ولم يذكر عيسى ؟
٣٧٠	تصريف اطمأنت وأشياء ون. ل.	٤٠٥	حول هاء السكت والفعل ترك ون. ل.
٣٧١	الدعموص والحزم في الشعر	٤٠٦	شرح أو مخرجى ؟ ون. ل.
٣٧٢	لغويات ونحويات	٤٠٧	يا فوخ ون. ل.
٣٧٥	صفة الرسول وص. من الإنجيل	٤٠٧	الذهاب إلى ورقة
	دس	٤٠٩	لقد خشيت على نفسى
٣٧٦	بشارة إنجيل يوحنا دس	٤١٠	المختار من أحاديث الوحي
٣٧٧	من صفات النبي عند الأجبار		وشرحها دس
	دس	٤١٢	كيفية الوحي دس
٣٨٠	حديث الوحي دس	٤١٢	مدة المجاورة في حراء دس
٣٨٤	كتاب المبعث	٤١٣	تفسير مفردات حديث الوحي
٣٨٥	إعراب لما آتيتكم (ن. ل.)		دس
٣٧٨	النبوة وأولو العزم		

رقم	الموضوع	رقم	الموضوع
٤١٥	ابتداء تنزيل : القرآن د س ،	٤٢٣	أحاديث عن فضل خديجة
٤١٦	إسلام خديجة د س ،	٤٢٥	تفسير القصب
٤١٧	فترة الوحي د س ،	٤٢٦	حول جزاء خديجة
٤١٧	من تفسير سورة والضحي د س ،	٤٢٧	حول المكر والنسيان د س ،
٤١٩	متى نزل القرآن	٤٢٩	الموازنة بين خديجة وعائشة
٤١٩	دعوى نزول القرآن جملة واحدة	٤٣٠	فضل فاطمة
	د س ،	٤٣١	الله السلام
٤٢٩	إضافه الشهر إلى رمضان	٤٣٢	فترة الوحي
٤٢١	حب الرسول د س ، وطنه	٤٣٤	شرح شعر للهذلى والفرزدق
٤٢٢	ذكر عبد الله بن حسن		ملحوظات

حمد وثناء

أحمد الله أن أعان ومن بالقدرة على عمل أجهد اليد والفكر والسمع والبصر لإجهادا لولا فضل الله ما تحملته . فالذى اتصلت أسبابه المقيمة بكتاب الروض الأنف يعلم أى فضل عظيم من الله من على به ، ولا أزعم أنى أدبت كل ما يجب ، وإنما أزعم أنى حاولت بصدق . وأعلن هنا شكرى للأخ أحمد محمد بن أحمد شعبان صاحب المطبعة ، وإخوتى عمالها على أوفى جهد ، وأكرم تجاوب نبيل ؟

عبد الرحمن الوكيل

